

الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي

دراسة تاريخية وثائقية

دكتور

عبد المنعم عبد الحميد سلطان

استاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب بسوهاج

مركز الاسكندرية للكتاب
١٦ شارع الدكتور محمد علي مشرف
الإسكندرية ٢٠١١

الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي

دراسة تاريخية وثائقية

الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي دراسة تاريخية وثائقية

دكتور

عبد المنعم عبد الحميد سلطان
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب بسوهاج

٢٠٠٩



shiabooks.net
mktba.net < رابط بديل

مركز الإسكندرية للكتاب

٤٦ شارع الدكتور مصطفى مشرفة - سوتير (سابقا)
تليفون وفاكس : ٤٨٤٦٥٠٨ - ٠٠٢٠٣ - الإسكندرية

رقم الإيداع ١٦٤٩ / ١٩٩٩

الترقيم الدولي I. S. B. N. 977-63-9317-X

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسكندرية في ٢٠ يناير ٢٠٠٨

مقدمة الطبعة الثالثة

يسعدني أن أضع بين يدي القارئ الكريم أحد المؤلفات العلمية الأكاديمية التي تجمع في طياتها دراسة التاريخ الاجتماعي بأسلوب الأدب العلمي اعتماداً على الوثائق المعاصرة للعصر الفاطمي بعنوان: الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي – دراسة تاريخية وثائقية ، فالوثائق كانت العمود الفقري لعرض وتوثيق المادة العلمية لهذا الكتاب ، مع الالتزام بعنوان الكتاب من حيث الزمان والمكان وعدم تجاوز هذا الإطار ، والالتزام أيضاً بالتوثيق عن طريق المصادر المعاصرة للعصر الفاطمي موضوع الدراسة .

فالاعتماد على الوثائق التاريخية المعاصرة لموضوع الدراسة تعطي الكتابة التاريخية قيمتها العلمية ، وتؤكد مصداقية العمل لدى القارئ ، بعكس استخدام مصادر ووثائق سابقة ، ولاحقة لزمن الدراسة الذي يشعر القارئ الواعي بأنه أمام عملية تلفيق وخداع ، وأن المؤلف خرج عن النطاق الزمني والمكاني الذي حدده عنوانه لكتابه .

لذلك كان حرصي في مؤلفاتي أن أضع تحت العنوان عبارة "دراسة تاريخية وثائقية" فأنا أؤكد أن الدراسة تاريخية رغم أن العنوان قد يشير إلى موضوع سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي ، كما أؤكد أيضاً أن التوثيق العلمي والهوامش لهذا العنوان تعتمد على الوثائق التاريخية المعاصرة لفترة الدراسة .

وليعذرني القارئ الكريم عن الإطالة ، ولكن هدفي أن يدرك القارئ أن ما أعرضه من معلومات تخص العصر الفاطمي على وجه التحديد دون أدنى شك في ذلك ، لأن بعض هذه المعلومات والعادات

قد يتعجب البعض من أنها ما زالت معروفة في زماننا الحالي ، وقد يندهشوا أكثر أن بعض المشكلات اليومية التي تقابلهم في حياتهم كانت موجودة في العصر الذي يتناوله الكتاب بالدراسة ، وكأن التاريخ يعيد نفسه بصورة أو بأخرى .

وقصة هذا الكتاب " الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي " ترجع في أحداثها إلي أوائل السبعينات من القرن الماضي عندما كنت أبحث عن موضوعاً جديداً للتسجيل لدرجة الدكتوراه في تخصص التاريخ الإسلامي من كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ، وبعد تفكير طويل وبحث وإطلاع وفقتني الله إلي موضوع هذا الكتاب وكان وقتها بعنوان " المجتمع المصري في العصر الفاطمي " .

وكان القدر كان يعلب دوراً خطيراً في تحديد مساري العلمي والأكاديمي فكنت وقتها قد عينت مدرساً مساعداً بكلية الآداب بسوهاج التابعة لجامعة أسيوط ، في سنة إنشاء هذه الكلية ، ولظروف سفري إلي سوهاج وسفر المشرف على الرسالة إلي دولة أوروبية ، كان لابد أن اعتمد على نفسي اعتماداً كلياً في كتابة رسالتي للدكتوراه، وأن العمق في أصول المنهج العلمي وكيفية التعامل مع الوثائق ، لينتهي الأمر بأن تخرج الرسالة إلي النور بعد طول معاناة لأحصل على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة الإسكندرية بمرتبة الشرف الأولى .

أقول ذلك لأن الكتاب الذي بين يدي القارئ الآن ، والذي تقلب صفحاته ، هو نفس ما كتبته في مقبلي حياتي العلمية دون حذف أو تغيير ، ولأن موضوع الكتاب ومادته العلمية كانت جديدة تماماً ، فقد كان لظهوره مطبوعاً لأول مرة بمعرفة دار المعارف بالإسكندرية عام ١٩٨٥ .

قد فتح مجالاً رحباً أمام عدد غير قليل من الباحثين في مجال التاريخ الإسلامي في الجامعات المختلفة ، فوجدوا في صفحات الكتاب وفصوله ما يغري باستعارة عناوين لرسائل الماجستير

والدكتوراه ، وقد ظهرت في الأسواق بعض المؤلفات التي تحمل اسم " الحياة الاجتماعية " كان أغلبها عن العصر الفاطمي ، والتي أخذت الكثير من أفكار ومعلومات الكتاب الذي بين يدي القارئ .

وكان يسعدني غالباً مثل هذه المؤلفات لأن كتابي هو الأساس العلمي الأول في هذا المجال ، وسواء ذكرني الباحث أو المؤلف في توثيقه لمادته العلمية أو أغفل ذلك ، فإن لاشك أنه يعلم في داخله المصدر الحقيقي للمعلومات التي اعتمد عليها في عمله . وقد دعيت لمناقشة " رسالة " دكتوراه في كلية الآداب بجامعة عريقة وكان عنوانها أحد فصول كتابي " الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي " ، واعترف الباحث بأن ما ذكرته في كتابي كان الأساس في كتابه رسالته ، وكان يكفيني هذا الاعتراف لأشعر بالرضا ، وأشجع الباحث لأمانته العلمية .

وكيفما كان الأمر ، فإنه يطيب لي في ختام هذه المقدمة ، أن أتوجه بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل إلي الأستاذ الفاضل : عبد العزيز أحمد عبد العزيز ، صاحب ومدير مركز الإسكندرية للكتاب بالإسكندرية ، الذي يجمع بين خبرة وذكاء رجل الأعمال الناجح ، وموهبة العالم المدقق في معظم التخصصات التي يقوم بطبعتها ونشرها في مركزه العلمي ، ولا أنسي فضله وحنه لي على إعادة طبع هذا الكتاب ، ويقف دائماً وراء تشجيعي على الاستمرار في الكتابة والإنتاج العلمي، متحملاً تكاليف الطباعة والتوزيع رافعاً شعار : المكسب القليل في سبيل العلم الكثير .

فأسأل الله أن يديم عليه نعمة الصحة والسعادة .

المؤلف

عبد المعظم سلطان

المقدمة

تبرأت الدولة الفاطمية مكانة مميزة في تاريخ مصر الإسلامية، واحتلت أهمية خاصة لدى المؤرخين قديماً وحديثاً، ولعل ذلك راجع إلى أسباب متعددة، منها أنها أول دولة مستقلة استقلالاً حقيقياً تحكم مصر الإسلامية وتجعل عاصمتها القاهرة مركزاً لدولة متزامية الأطراف، ولأنها أول دولة شيعية تحكم مصر الإسلامية وآخر دولة حتى وقتنا الحاضر، وما أثاره عليها مذهبها وانتسابها إلى بيت النبي (ﷺ) من الجدل بين المؤرخين حول حقيقة نسب الفاطميين وأحقيتهم في خلافة المسلمين مما جعلها تتعرض لهجوم عنيف من جانب المؤرخين السنيين ولاسيما إذا أدركنا أن الدولة الفاطمية كانت مسبوقة في حكمها لمصر بقوى سنية وتلاها في حكم مصر أيضاً قوى سنية. بالإضافة إلى ذلك فإن الدولة الفاطمية قد حظيت ببراء عريض وكانت لها نظم ورسوم تتسم بالفخامة والبذخ جذبت أقلام المؤرخين فأفاضوا في الحديث عن تلك المظاهر الأخاذة والاحتفالات العظيمة تماماً مثلما اهتموا بأحداثها السياسية.

لذلك حظى تاريخ الدولة الفاطمية بالعديد من الدراسات السياسية والعسكرية والاقتصادية ولكن موضوع الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي لم تتناوله أقلام المؤرخين المحدثين إلا في ثنايا كتبهم العامة التي تعالج بصفة عامة تاريخ الدولة الفاطمية وفي صفحات قليلة الهدف منها استكمال الحديث عن مظاهر الحضارة في ذلك العصر.

والواقع أن موضوع الحياة الاجتماعية في عصر الدولة الفاطمية من الموضوعات الصعبة التي تحتاج إلى كثير من الحذر والحيلة في تناولها. وأول الصعوبات التي صادفتني هي تحديد إطار البحث والموضوعات الفرعية التي أتناولها بالدراسة: وهى موضوعات متعددة ومتشعبة تحتاج إلى العديد من

الأبحاث المستقلة وليس بحثاً واحداً، فدراسة الحياة الاجتماعية تستلزم بالضرورة التعرض لدراسة التقسيم الطبقي في ذلك المجتمع وعلاقة طبقاته بعضها ببعض. ودور الأسرة فيه، كما يستلزم التعرض لعادات الناس وتقاليدهم في احتفالاتهم الأسرية وأعيادهم ووسائل لهوهم وطريقة تعبيرهم عن الحزن في السياسات المختلفة، وعاداتهم في الطعام والشراب وملابسهم، وغيرها من الموضوعات التي يصعب على الباحث أن يلم بجميع أطرافها المأمناً تماماً ولا سيما أن المصادر التي يمكن الاعتماد عليها لدراسة مثل هذه الموضوعات في العصر الفاطمي لا تمدنا بمعلومات كافية تجعل التعرض لمثل تلك الجوانب أمراً ميسراً. فمعظم المصادر تكاد تهمل ما يتعلق بحياة عامة الناس وقتئذ وطبقات القوم ولا غرابة في ذلك فالتاريخ في تلك العصور كان ريبب الملوك والسلاطين يتبع حياتهم في القصور حيث يعيشون حياة البذخ والفخامة، والمؤامرات والفتن ويسايرهم في مراكب الحرب وساحات الصراع من أجل السلطة والنفوذ.

وإذا اكتفينا بما تعرضه معظم المصادر التاريخية المتاحة عن طبقة الخاصة لكان معنى ذلك أننا سنتعرض بالدراسة لحياة طبقة واحدة من طبقات المجتمع، وكان لابد لاستكمال صورة البحث حتى تشمل كل قطاعات المجتمع في العصر الفاطمي من مواعلة القراءة والتنقيب في المراجع التاريخية والجغرافية والأدبية والدينية التي عاصرتة للخروج منها بإشارة أو معلومة تفيد في دراسة حياة العامة وباقي الطبقات من قريب أو بعيد، وتلك مهمة قد عانيت منها معاناة قاسية فكنت أحياناً أقرأ المصدر المتعدد الأجزاء صفحة صفحة فلا أحصل منه على أى إشارة تفيدنى في موضوع البحث، أو أخرج منه بعدة سطور قليلة في موضوع ما من موضوعاته المتعددة، ولعل تلك المعاناة هي التي جعلت الباحثين والمؤرخين يعزفون عن الكتابة في هذا الموضوع بشكله المتكامل الذى

توخيته في بحثي هذا رغم أنه من الموضوعات الطريفة التي لاشك قد لفتت الأنظار اليه.

ورغم تلك الصعوبات فأننى قد حاولت أن ألقى الضوء على الموضوعات التي تعرضت لها، وإنى إذ أقدم ذلك الكتاب عن الحياة الاجتماعية في عصر الدولة الفاطمية، فإنى أرجو أن يكون خطوة على الطريق الطويل نحو دراسة جادة لتاريخ المجتمعات الإسلامية في عصورها المختلفة، وفي أقطارها المتعددة. توضح أمامنا صورة جلية لجذور حياتنا وأصولها، فنحن ندرس الماضي من أجل الحاضر ولكى نرسم به طريق المستقبل.

وأجد لزماً علىّ، واحتراماً للأمانة العلمية، أن أقرر أن ما قدمته في هذا الكتاب لا يحوى بالضرورة كل ما يتعلق بموضوع "الحياة الاجتماعية في عصر الدولة الفاطمية" فاحتواء مثل هذا الموضوع الضخم يحتاج إلى العديد من الدراسات لذلك فقد ركزت في بحثي هذا على تناول المجتمع في الحاضر، أما المجتمع الريفي والبدوى في ذلك العصر فهى فى حاجة إلى أبحاث مستقلة تكشف اللثام عن خباياهم.

كما أن هناك بعض الموضوعات الاجتماعية الأخرى تجنبت الخوض فيها عن عمد لأن المصادر التي بين أيدينا لم تعرض لها من قريب أو بعيد، منها على سبيل المثال : الحياة الأسرية داخل البيت المصرى فى ذلك العصر، وعلاقة أفراد الطبقة الواحدة فى المناسبات الاجتماعية المختلفة، وطريقة الأسرة المصرية فى الاحتفال ببعض المناسبات الأسرية، وغيرها من الموضوعات التى أعتقد أن دراستها تعطى صورة متكاملة عن المجتمع، ولكن من المستحيل عند التعرض لكتابتها الاعتماد فى ذلك على الظن والتخمين. فإذا لم تظهر نصوص معاصرة

تلقى عليها الضوء، فإن الكتابة عنها تصبح ضرباً من العبث، أو نوعاً من الخيال الذى يمكن أن يناسب قصاص الروايات التاريخية.

لذلك فقد ركزت على عرض الموضوعات التى يمكن توثيقها علمياً وهى فى مجموعها تشمل معظم جوانب الحياة فى العصر الفاطمى.

الباب الأول

طبقات المجتمع في العصر الفاطمي

الفصل الأول : طبقة الخاصة.

الفصل الثاني : طبقة العامة.

الفصل الثالث : أهل الذمة في المجتمع الفاطمي.

الفصل الرابع : المرأة في المجتمع الفاطمي.

طبقات المجتمع في العصر الفاطمي

المدخل :

تعددت عناصر السكان واختلفت أجناسهم وطوائفهم في العصر الفاطمي، فكان سكان مصر في ذلك الوقت "أخلاقاً من الناس مختلفة الأصناف من قبط وروم وعرب وبربر وأكراد وديلم وحباشان وأرمن"^(١) وكانت معظم تلك العناصر تنخرط في سلك الجندية في الجيش الفاطمي وعلى رأسها المغاربة أو البربر بطوائفهم وقبائلهم المتعددة والأتراك والسودان والصقالية^(٢).

إلا أن هذه العناصر المتعددة والأجناس المختلفة، قد انصهرت مع الوقت في الحياة المصرية، وتأثرت بتقاليد المجتمع المصري العريق التي تضرب العميقة إلى فجر التاريخ، فأصبح الجميع ينتسبون إلى مصر، حتى أن الفاطميين أنفسهم غلب عليهم تسميتهم بالمصريين^(٣). كما أطلق بعض المؤرخين على دولتهم: دولة المصريين والدولة المصرية^(٤) وكان يطلق على

(١) أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي، الرسالة المصرية، تحقيق عبد السلام هارون.

سلسلة نواذر المخطوطات، المجلد الأول. القاهرة، ١٩٧٣. ص ٢٣ - ٢٤.

(٢) عبد الرحمن زكي. الجيش المصري في العصر الإسلامي، ج ١. القاهرة. ١٩٧٠. ص ٣٠ - ٣١.

(٣) راجع : ابن شداد : النواذر السلطانية، تحقيق الشبال. القاهرة، ١٩٦٤. ص ٤٠. ٣٦ وأبو شامة. الروصتين في أخبار الدولتين، ج ١. قسم ٢. تحقيق محمد حلمي. القاهرة. ١٩٦٢. ص ٢٣١.

(٤) أبو شامة. نفسه. ص ٥٦٩. ٥٦٦. القلثشدي. مآثر الأنافة في معالم الخلافة. تحقيق عبد الستار فراج. الكويت. ١٩٦٤. ج ٢. ص ٢٤٨.

الجيش الفاطمي بكل مؤنثه وأجناسه "العساكر المصرية" (١) و "جند المصريين" (٢).

وإذا حاولنا أن نتوخى البحث عن تقسيم واضح لطبقات المجتمع المصري في العصر الفاطمي في كتابات المؤرخين الذين أرخوا لهذا العصر أو الرحالة الذين زاروا مصر خلاله فإننا نصاب بخيبة الأمل. فالروايات التاريخية المعاصرة تهتم في معظمها بأخبار الخلفاء وحروبهم وصراعاتهم السياسية في الداخل والخارج، وبعضها يتعرض لحياتهم الخاصة ومواكبهم واحتفالاتهم الرسمية. وأغفلت تلك الروايات ذكر ما يتعلق بحياة عامة الناس، ومن أشار من المؤرخين والرحالة إلى العامة، كانت عباراته عنهم يسبقها ما يشبه الاعتذار إلى القارئ، حتى أن الرحالة المقدسي الذي زار مصر في عهد الخليفة الفاطمي العزيز، يروي في مقدمة كتابه أحسن التقاسيم، أنه لن يذكر في كتابه "إلا صدى مشهوراً أو علماً أو سلطاناً جليلاً إلا عند ضرورة أو خلال حكاية" (٣) ولو اضطر للحديث عن شخص خلاف تلك الفئات المميزة في المجتمع، فلن يطلق عليه اسمه بل "نسميه رجلاً وتذكر محله لنلا يدخل في جملة الأجلة" (٤).

وقد جرى العرف بين المؤرخين على تقسيم المجتمع إلى طبقتين كبيرتين. طبقة الخاصة، وطبقة العامة (٥)، ويلاحظ أن مثل هذا التقسيم للطبقات يقدمه

(١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨، ص ١٤١.

(٢) المقرئ، اتعاط الحنف، ج ١، تحقيق الشبال، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ليدن، ١٩٠٦ م، ص ٨.

(٤) نفس المصدر والصفحة.

(٥) راجع أمثلة على تقسيم الناس إلى خاصة وعامة في: القاضي العماد. افتتاح الدعوة

تحقيق فرحات الدشرابي، تونس، ١٩٧٥، ص ٣٠٦. المجالس والمسيرات. تونس.

١٩٧٨، ص ٥٥٦، المقرئ، اتعاط الحنف، ج ٢. تحقيق دكتور محمد حمدي =

صاحب كتاب "مختصر كتاب البلدان" يوضح النظرة السائدة في ذلك الوقت عن الطبقات الاجتماعية حيث يقسم الناس إلى "ملوك قدمهم الاستحقاق. ووزراء فضلهم الفطنة والرأى. وعلية النهضهم اليسار. وأوساط الحقهم بهم التادب. والناس بعدهم زيد جفاء، وسيل غناء".

وهذا التقسيم يؤكد ما كان يتمتع به طبقة الخاصة من الحكم والوزراء من مكانة اجتماعية راقية في الوقت الذي كانت طبقة العامة لا تعنى شيئاً في المجتمع رغم أنها عصب الحياة الاقتصادية في كل العصور. ولكن السلم الطبقي آنذاك لم يكن يتسع لهذه الطبقة الكادحة المعتمدة.

ولعل أفضل التقسيمات وأقربها إلى الصحة للبناء الاجتماعي هو ما قدمه لنا المقرئ في كتابه إغاثة الأمة، وترجع أهميتها إلى أنها تخص إقليم مصر بالتحديد ورغم أنه لم يحدد العصر الذي ينطبق عليه هذا التقسيم. إلا أنها في اعتقادي تصلح لعصور مصر الإسلامية المتعددة فيذكر أن الناس بإقليم مصر في الجملة سبعة أقسام :

القسم الأول : أهل الدولة، والقسم الثاني : أهل اليسار من التجار وأولى النعمة من ذوى الرفاهية، والقسم الثالث : الباعة وهم متوسطو الحال من التجار، والقسم الرابع : أهل الفلح، والقسم الخامس : الفقراء وهم الفقهاء وطلاب العلم والكثير من الأجناد، والقسم السادس : أرباب الصنائع

القاهرة، ١٩٧١، ص ١٢٦. وكانت كلمة العامة يقصد بها أهل السنة أحياء في العصر الفاطمي (راجع : النعمان، المحلى، ص ٢٤، ٣٩٣. دعائه الإسلام، ج ١، القاهرة، ١٩٦٩، ص ١٤٣).

١، أبو بكر محمد بنى، مختصر كتاب البلدان، لندن، ١٨٨٥، ص ١٣٠٢، ص ١

والأجراء وأصحاب المهن، والقسم السابع : ذور الحاجة والمسكنة وهم السُّؤال الذين يتكفون الناس ويعيشون منهم^(١).

ونلاحظ نظرة المقرئى الشاملة وعدم إغفاله لعنصر من عناصر المجتمع، وإبرازه التأثير الاقتصادى فى ترتيب السلم الطبقي فى البناء الاجتماعى.

ويورد لنا القاضى النعمان فيلسوف الدعوة الاسماعيلية تقسيما آخر للطبقات الاجتماعية فيقسم الناس إلى خمس طبقات، ويقرر أن صلاح المجتمع يتوقف على التعاون بين هذه الطبقات.

فيذكر أولاً الجند، ثم أعوان الولى من القضاة والعمال والكتاب ونحوهم، ثم أهل الخراج من ملاك الأراضي، ثم التجار وذوى الصناعات، وأخيراً الطبقة السفلى وهم أهل الحاجة والمسكنة^(٢).

وواضح من هذا التقسيم أن النعمان يضع الطبقة العسكرية على قمة المجتمع على اعتبار أن مهمتها الأساسية المحافظة على أمن المجتمع وسلامته، وأن هذه الطبقة تعتمد فى معاشها على ما يتحصل من ضريبة الخراج التى يدفعها ملاك الأراضي وغيرهم من دافعى الضرائب المختلفة والتى تمول فى نفس الوقت نفقات جهاد العدو، وهاتان الطائفتان فى حاجة إلى من ينظم العلاقة بينهما وبين طوائف المجتمع الأخرى حتى تستقيم أمور المجتمع، ويتكفل بهذه المهمة القضاة والعمال والكتاب ولا قوام لهؤلاء جميعاً إلا بالتجار وأرباب الصناعات فيما ينتفعون به من صناعاتهم وتعمير الأسواق، ويكفرونهم به من

(١) المقرئى، إغاثة الأمة، تحقيق زيادة والسيال، القاهرة ١٩٥٧، ص ٧٢، ٧٣.

(٢) النعمان، دعائم الإسلام، ج ١، تحقيق أصف بن على فيصى، القاهرة ١٩٦٩.

مباشرة الأعمال بأيديهم، أما الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكة في المجتمع كله يتكفل بالإحسان إليهم وسد حاجتهم^(١).

ويتضح من هذا التقسيم إغفال النعمان لطبقة الحكام وعلى رأسهم الخلفاء والوزراء، كما أغفل طبقة العلماء ورجال الدين، ولعله كان يقصد بهذا التقسيم الولايات التابعة للدولة الفاطمية ويبدو هذا من عبارته "أعوان الوالي".

ومما تقدم نستطيع أن نتلمس طريقنا لتقسيم الطبقات الاجتماعية في مصر الفاطمية، والواقع أن المجتمع المصري في عصر الدولة الفاطمية كان مجتمعاً مميزاً عنا سبقه من عصور، لأن مصر خلال هذا العصر كانت تحكمها أسرة واحدة من المحتمل أن ترجع في نسبها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأن البناء الاجتماعي في هذا العصر يتميز بوجود تلك الأسرة على قمة المجتمع المصري طوال فترة حكمها.

ويمكننا بناء على ما تقدم أن نقسم الطبقات الاجتماعية في مصر الفاطمية على النحو التالي:

طبقة الخاصة وتشمل الأسرة الحاكمة والأشراف وأرباب الوظائف من أصحاب السيوف والأقلام وأصحاب الدواوين والوظائف الدينية وغيرها.

وطبقة العامة وتشمل التجار والباعة وأصحاب الصناعات والحرف والفقهاء وطلاب العلم والعباد وغيرهم بالإضافة إلى العناصر المميزة في المجتمع وهي : أهل الذمة والمرأة.

(١) النعمان. دعائم الإسلام. ج ١. ص ٣٦٦.

طبقة الخاصة

أولاً: الأسرة الحاكمة:

كانت الأسرة الحاكمة فى المجتمع المصرى فى عصر الدولة الفاطمية تشمل قمة هذا المجتمع فقد كان لها الحكم والسيادة، وتمتع بالثراء والنفوذ القوى. وكان على رأس هذه الأسرة الخليفة الفاطمى الذى يستمد سلطاته من الانتساب إلى النبى (ﷺ) عن طريق ابنته فاطمة وزوجها على بن أبى طالب.

ويعتقد الفاطميون أن الخلافة أو الامامة درجة تلى النبوة، ونتيجة لهذا الاعتقاد كان من حق الخليفة الفاطمى أن يتصرف فى أمور الدنيا والدين دون أن يوجه لتصرفاته لوم أو نقد^(١).

وسواء كان انتساب الفاطميين إلى على بن أبى طالب وزوجته السيدة فاطمة حقيقة أم ادعاء، فإن هذا النسب كان هو الدعامة الأساسية التى استند عليها الفاطميون فى إثبات أحقيتهم فى الخلافة وإقامة دولتهم فى المغرب ثم فى مصر.

وليس أدل على هذه الحقيقة من أن أعداء الدولة الفاطمية قد أدركوا ما لهذا النسب من أهمية قصوى فى تثبيت قواعد حكم الفاطميين، أو زعزعة هذه القواعد وهدمها فكانوا يركزون هجومهم، ويوجهون سهام دعايتهم ضدهم بالتشكيك فى صحة هذا النسب حتى ينالوا ما يريدون فى القضاء على الخلافة الفاطمية^(٢).

(١) راجع : السجلات المستصرية، تحقيق عبد المنعم ماجد، القاهرة، ١٩٥٤، ص ١٢٧.

(٢) من أمثلة ذلك رد الحكم المستصر الأموى (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) على كتاب الخليفة

العزیز بالله الذى يسبه فيه ويهجو، بعبارة مقتضبة تطعنه فى نسبه قائلاً : " أما بعد،

فقد عرفنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبنك " فتالم العزیز لذلك ألما شديداً. (راجع : ابن

خلكان، وفيات الأعيان، بولاق، ١٣١٠ هـ، ج ٢، ص ١٥٢) كما كانت الدولة =

وقد حرص الخلفاء الفاطميون على أن يسبقوا على أنفسهم من مظاهر العظمة والجلال ما جعل الخاصة والعامة يقابلونهم بالسجود وتقبيل الأرض^(١) حتى أن بعض المقرين إليهم كانت تأخذ الروعة وتغلب العبرة فلا يستطيع أن ينطق بكلمة في حضرة الخليفة من جلال الموقف ورميته^(٢).

ونلاحظ الاختلاف الواضح بين حياة الخلفاء الفاطميين في المغرب التي تميزت بمظاهر التشف والبعث عن الفخامة والاسراف^(٣) وبين حياتهم في عاصمتهم الجديدة القاهرة. ولما كانت القاهرة هي عاصمة مصر في العصر الفاطمي والمركز الرئيسي لطبقة الخاصة، لذلك رأيت أن أعطى مسطرة موجزة عنها كما كانت في هذا العهد وما كانت تحتويه من قصور ومناظر.

القاهرة الفاطمية :

كان من أول مهام القائد جوهر الصقلي بعد استيلائه على القسطنطينية في شعبان سنة ٣٥٨هـ/ يوليو سنة ٩٦٩م. وإخضاعه مصر للإخشيديَّة لسلطان سادته الفاطميين، أن شرع في بناء عاصمة جديدة لمصر الفاطمية. ففي مساء ذلك اليوم وضع جوهر تخطيط مدينة القاهرة لتكون رابع الخواضر الإسلامية في مصر بعد القسطنطينية والعسكر والقطن، وكان الهدف الأساسي لبناء القاهرة

= العباسية تجمع علماءها في مجالس خاصة للطقس في نسب الفاطميين، وتصدر في ذلك المحاضر إلى أرجاء العالم الإسلامي بهدف التشكيك في هذا النسب وهدم الدعامة الأساسية للدولة الفاطمية (راجع: المقرئ، انعاظ، ج ٢، ص ٣٢٣، ج ٣، ص ١٧).

(١) ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٥٣.

(٢) راجع: سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاء، تحقيق محمد كامل حسين، القاهرة.

١٩٤٩، ص ٨٥، ٨٦.

(٣) راجع: أمثلة على ذلك في: انعاظ، ج ١، ص ٩٥، ٩٦، وابن سعيد، النجوم

الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، القاهرة ١٩٧٠. تحقيق حسين نصار. ص ٣٩، ٤٠.

الفصل الأول

طبقة الخاصة

أولاً : الأسرة الحاكمة.

ثانياً : الأشراف.

ثالثاً : أرباب الوظائف :

١ - الوزراء.

٢ - أرباب الأقلام.

٣ - أرباب الصنائع بالقصر.

٤ - أرباب الوظائف الدينية.

أن تكون مركزاً للدولة الفاطمية تحوى أجنادها وأنصارها ولتكون حصناً ومعتقلاً من الأخطار الخارجية التى يمكن أن تتعرض لها الدولة وخاصة من جانب القرامطة^(١).

والواقع أن القاهرة منذ نشأتها كانت تعد مدينة ملوكية قاصرة على سكنى الخلفاء الفاطميين وحرهم وجندهم وحاشيتهم^(٢) ويذكر المقرئى هذا المعنى بوضوح فيقول :

" ولم تزل القاهرة دار خلافة، ومنزل ملك ومعتل قتال؛ لا ينزلها إلا الخليفة وعساكره وخواصه الذين شرفهم بقربه فقط " ^(٣) فهى مدينة الخاصة وأتباع الدولة وموظفيها ولم يكن مسموحاً للعامة بالإقامة فيها إقامة دائمة ولكن كان عليهم أن يغادروها قبل دخول الليل إذ " أن المتعيشين بالقاهرة والمستخدمين يصلون العشاء الأخيرة بالقاهرة ويتوجهون إلى منازلهم بمصر " ^(٤).

وقد اهتم جوهر ببناء سور حول المدينة منذ عام ٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م لحمايتها وتحقيق الهدف الذى بنيت من أجله، وكان ذلك السور يحوى فى داخله المنشآت التى شرع جوهر فى بنائها، وأهمها القصر الكبير الشرقى والأخطاط التى اختطها جنده وأتباعه^(٥).

(١) راجع : خطط، ج ١، ص ٣٦١.

(٢) خطط، ج ١، ص ٢٦٤، ٣٤٨، العاظم، ج ٣، ص ٢٩٩ .

(٣) خطط، ج ١، ص ٣٦٣.

(٤) خطط، ج ٢، ص ٢٠، قارن : حسن الباشا، القاهرة : تاريخها وتوبنها وآثارها.

القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢٨، عبد الرحمن زكى، مقال عن القاهرة فى كتاب أبحاث

الدولة الدولية لتاريخ القاهرة، ج ٢، القاهرة، ١٩٧١، ص ٦١٩.

(٥) خطط، ج ١، ص ٣٧٧.

وكان للمدينة عدد من الأبواب على أضلاعها الأربعة، ففي جنوبها كان يوجد باباً زويلة، نسبة إلى قبيلة زويلة البربرية التي كان حشد من أبنائها مصاحباً لجيش جوهر الصقلي، وفي الجهة الشمالية باب القصر وباب الفتوح. أما في الجهة الشرقية فكان يقع باب البرقية نسبة إلى طوائف الجند من إقليم برقة، وباب القراطين، وفي غرب القاهرة كان باب القنطرة^(١) وباب سعادة^(٢) وباب الفرج^(٣).

وكانت القاهرة الفاطمية تضم عدداً من الخطط أو الحارات ينسب بعضها إلى القبائل أو طوائف الجند التي صحبت جيش جوهر الصقلي من المغرب، كما ينسب بعضها إلى أشخاص كانت لهم مكانة مرموقة في الدولة، ولم تأخذ تلك الخطط شكلها النهائي في المرحلة الأولى، ولكنها تطورت واتسعت مع الوقت، وأهم تلك الخطط أو الحارات :

حارة زويلة نسبة إلى قبيلة زويلة^(٤) وحارتا الروم السفلى والعليا أو الجوانية^(٥) وحارة الباطلية وتنسب إلى قوم جاءوا من المغرب بصحبة المعز وعند تقسيم العطاء لم يصيهم شئ فقالوا "رحنا نحن في الباطل" فسموا الباطلية^(٦).

(١) عرف بذلك لأن جوهر بنى هناك قطرة فوق الخليج ليعبر عليها إلى المقسى عند قدوم القرامطة إلى مصر وذلك في شوال سنة ٣٦٠ هـ (خط، ج ١، ص ٣٨٢، ٣٨٣).
(٢) ينسب إلى سعادة بن حيان غلام المعز لدين الله، وأحد قادة الجيش الفاطمي (خط، ج ١، ص ٣٨٣).

(٣) راجع : خط، ج ١، ص ٣٦١ - ٣٦٢، عبد الرحمن زكي، القاهرة : تاريخها وآثارها، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٥ - ١٧.

(٤) خط، ج ٢، ص ٤.

(٥) نفسه ص ٨.

(٦) خط، ج ٢، ص ٨.

وحارة كتامة وكانت مجاورة لحارة البرقية، وكانت تسكنها قبيلة كتامة التي جاء أهلها بصحبة جيش القائد جوهر، وحارة البرقية نسبة إلى طائفة البرقية من طوائف العسكر في الدولة الفاطمية^(١).

بالإضافة إلى ذلك فإن بعض أخطاط القاهرة كانت تسكنها طائفة من طوائف المجتمع مثل حارة الأمراء التي يقال أنها كانت مخصصة لسكنى الأمراء الأشراف من الأسرة الفاطمية^(٢) وحارات كانت تحمل أسماء شخصيات كبيرة في الدولة مثل حارة برجوان وهي تنسب إلى الأستاذ أبي الفتح برجوان الذي تولى أمر القصور في عهد الخليفة العزيز وتولى أمر الوساطة لابنه الحاكم حتى قتله في ربيع الآخر سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م^(٣) وحارة قائد القواد، التي كان يسكنها حسين بن جوهر الملقب بقائد القواد في عهد الخليفة الحاكم ثم أصبحت تعرف بحارة ملوخيا أحد خدام القصر في عهد الخليفة الحاكم^(٤). وحارة العطفية نسبة إلى الخادم عطف أحد خدام القصر الفاطمي وكان مختصاً بخدمة السيدة ست الملك أخت الحاكم ويذكر القريري أن العطفية كانت من أجمل مساكن القاهرة وفيها من الدور العظيمة والحمامات والأسواق والمساجد ما لا يدخل تحت حصر^(٥).

ثم أخذت القاهرة في الاتساع حتى خرجت عن نطاق السور الذي أقامه جوهر من ذلك حارة المصامدة التي تنسب إلى إحدى طوائف الجند الفاطمي واختطت خططها في خلافة الأمر بأحكام الله بعد سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م^(٦).

(١) خطط، ج ٢، ص ١٢.

(٢) خطط، ج ٢، ص ١٦.

(٣) راجع : خطط، ج ٢، ص ٣، ٤.

(٤) خطط، ج ٢، ص ١٤.

(٥) خطط، ج ٢، ص ١٣.

(٦) نفسه، ص ١٦.

وعندما دخل الخليفة المعز لدين الله إلى القاهرة في رمضان سنة ٣٦٦ هـ ٩٧٦م يروى ابن زولاق أنه جلس في القصر " على السرير الذهب الذي عمله جوهر في الإيوان الجديد " (١)، وقدم إليه جوهر عليه القوم للسلام حيث قدموا إليه الهدايا النفيسة (٢) تعبيراً عن ولائهم وخضوعهم. وقد أسهب المؤرخون في وصف الهدايا القيمة والتحف النادرة من النعب والجوهر والنفائس من كل صنف التي قدمها جوهر الصقلي في هذه المناسبة إلى مولاد المعز (٣).

القصور الفاطمية :

وقد أفاض المؤرخون وخاصة المقرئزي في ذكر قصور الخلفاء الفاطميين ومنشأتهم في القاهرة، وكان أهم تلك القصور القصر الكبير الشرقي الذي وضع جوهر أساسه في نفس الليلة التي شرع فيها في بناء القاهرة واستمر العمل فيه عدة سنوات حتى تم استقبال الخليفة المعز به، فأصبح مقر الخلافة ومسكن الخلفاء الفاطميين إلى نهاية دولتهم (٤).

وكان هذا القصر من الضخامة بحيث أنه كان يحتوي على اثنتي عشرة جناحاً أو قصرًا صغيراً بالإضافة إلى عشرة أبواب ظاهرة، وكان يحيط بالقصور سور مرتفع بحيث لا تظهر مبانيه من الخارج (٥) ولا يتصل به بانيان البتة (٦).

(١) المقرئزي، العاظم، ج ١، ص ١٣٦.

(٢) المقرئزي، نفسه، ص ١٣٧.

(٣) راجع : كتاب الذخائر والتحف المنسوب إلى القاضي الرشيد بن الزبير، تحقيق محمد حميد الله، الكويت، ١٩٥٩، ص ٦٧، بيرس اللوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، مخطوط مصور بجامعة القاهرة، مجلدين رقم ٢٤٠٢٦ - ٢٤٠٢٨، لوحة ٢٠٥.

(٤) خطط، ج ٢، ص ٣١٤.

(٥) خطط، ج ١، ص ٣٨٤.

(٦) خطط، ج ٢، ص ٤٧، فارن، كريسويل. قصة تأسيس القاهرة، ترجمة عبد الرحمن فهمي، فصل في كتاب القاهرة، ص ٣٣ - ٣٤.

وأهم أبواب القصر باب الذهب وهو أعظمها وكانت تعلو وحظرة يشرف منها الخليفة فى الأعياد، وتدخل منه رجال الدولة والأجناد فى المناسبات والأعياد إلى قاعة الذهب التى أضافها الخليفة العزيز إلى القصر، وكان يعمل بتلك القاعة سماط شهر رمضان للأمراء وسماط العيدين وكان بها سرير الملك المصنوع من الذهب الخالص^(١).

وباب العيد وكان أمامه رحبة باب العيد وهى عظيمة الاتساع يقف فيها العساكر فارسها وراجلها فى أيام مواكب الأعياد ينتظرون ركوب الخليفة وخروجه من باب العيد ويذهبون فى خدمته لصلاة العيد بالمصلى خارج باب النصر^(٢). وباب الزهومة ومعناها الزفر وكان يقع قبال مطبخ القصر المختص بطبخ اللحوم ومنه تدخل اللحوم الخاصة بالقصر^(٣) وغيرها من الأبواب التى لم تنشأ كلها فى وقت واحد.

بالإضافة إلى عدد من الأبواب والسراديب المقامة تحت الأرض. كانت تصل هذا القصر بالقصر الصغير الغربى الذى بنى فى عهد الخليفة العزيز بالله وكان الخلفاء ينتقلون فى هذه الطرق الداخلية والسراديب بين القصرين دون أن يشاهدهم أحد، كما كانت هناك أبواب أرضية تفضى إلى ممرات يمكن للخليفة أن يمر بها منطياً جواداً أو حماراً ليصل من جناح إلى آخر فى داخل القصر^(٤).

(١) راجع : خطط، ج ١، ص ٣٦٢. ٣٨٥.

(٢) خطط، ج ١، ص ٣٦٢.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٣٥.

(٤) راجع : صبح، ج ٣، ص ٥١٨. خطط، ج ١، ص ٣٨٧، كريسيول، نفسه، ص ٣٤.

وكان هناك ممر أرضي يصل ما بين القصر الشرقي ومنظرة اللؤلؤة. إذ يروى المقرئى أن الخلفاء الفاطميين الأمر والحافظ والفائز الذين توفوا بقصر اللؤلؤة حملوا إلى القصر الشرقي عن طريق السرايب^(١).

وكان يقوم على حراسة القصر الكبير الشرقي ألف جندي، نصفهم من الفرسان والنصف الآخر من الرجال، يدورون حوله من وقت صلاة المغرب حتى الصباح، وكان القصر الفاطمي يحوى الآلاف من الموظفين والخدم وأفراد الحاشية الذين يسهرون على راحة الخليفة وأفراد أسرته، بالإضافة إلى عدد كبير من الجوارى " المستخدمات " ^(٢) والعبيد من كافة الأجناس، ويقدر ناصر خسرو عدد الخدم في القصر في عهد الخليفة المستنصر باثنى عشر ألف خادم مأجور، وعدد لا يحصى من النساء والجوارى، ويقدر مجموع من بالقصر في ذلك الوقت بثلاثين ألف آدمى ^(٣) وإذا كنا ننظر إلى تلك الأعداد بمحذر لضخامتها، فإنها قد تبدو مقبولة إذا علمنا أن أفراد الأسرة الفاطمية كانت لكل منهم حاشية وخدماء يلازمونهم لقضاء مطالبهم ^(٤) ومن المستبعد أن يكون

(١) خطط، ج ١، ٤٦٩.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤١١، عبد النعم ماجد، نظم الفاطميين، ج ٢، القاهرة، ١٩٥٥، ص ١١.

(٣) ناصر خسرو، سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٥٤، ص ٤٨.

ويروى أن صلاح الدين عند استيلائه على القصر الفاطمي عقب وفاة الخليفة العاضد سنة ٥٦٧ هـ، أخرج من كان مقيماً بالقصر فبلغ عددهم اثني عشر ألف نسمة ليس بينهم فحل إلا الخليفة وأهله وأولاده (راجع : القلقشندى : صبح، ج ٣، ص ٥١٨، خطط، ج ٢، ص ٢١٥).

(٤) راجع : اتعاط، ج ٣، ص ١٢.

ذلك العدد الضخم من الحاشية والخدم وغيرهم يتخذون من القصر سكناً لهم.
بل كان في القاهرة متسع لبعضهم.

لذلك كان القصر الفاطمي يمتلئ على عدد كبير من الحجرات يتناسب
وأعداد المقيمين فيه من أفراد الأسرة الحاكمة وحاشيتهم وجواريهم والمقيمين
على خدمتهم بالإضافة إلى خزائن تحوى كل طريف ونادر فى بابه، ومن أهمها
خزانة الكتب^(١) وخزانة الكسرات^(٢) وخزانة الجواهر والطيب والطرانف
التي كان يحفظ الفاطميون فيها بتحفظهم النادرة من الأحجار الكريمة^(٣)
وخزائن الفرش والأمتعة^(٤) وخزائن التجميل وهي التي تحتوى على الآلات
النفيسة التي تستخدم في موكب الفاطميين^(٥) وغيرها من الخزائن التي تحوى
كل نفيس ونادر فى صنعته.

وقد اهتم الفاطميون بإنشاء الدور الأنيقة والمناظر الجميلة لاستخدامها
لإقامتهم فى فترات خروجهم للترهة أو الاحتفالات أو لإقامة أفراد حاشيتهم
ورجال دولتهم، ومن تلك العمانر دار الضيافة وكانت تقع بالقرب من القصر
الكبير الشرقى بمذء رحبة باب العيد^(٦)، ودار الوزارة الكبرى وكانت بالقرب

(١) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٠٨، ٤٠٩ وسوف نتحدث عن خزانة الكتب بالتفصيل
عند تناول موضوع الحياة العلمية والفكرية.

(٢) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٠٩ - ٤١٤ وستعرض لها بالتفصيل فى موضوع
"الملابس".

(٣) راجع : خطط، ج ١، ص ٤١٤ - ٤١٦، ماجد، نظم، ج ٢، ص ١٧، ١٨.

(٤) راجع التفاصيل : خطط، ج ١، ص ٤١٦، ٤١٧، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٢٠.

(٥) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٤٦، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٢١.

(٦) خطط، ج ١، ص ٣٦٣.

من دار الضيافة وبناها أمير الجيوش بدر الجمالي لسكناه^(١) كما بنى ابنه
الأفضل دار الوزارة أو الدار الأفضلية وسكنها من بعده الوزراء من أرباب
السيوف^(٢).

ومن أهم المناظر التي أشادها الفاطميون منظره الجامع الأزهر وكانت
تشرف عليه ويجلس بها الخليفة لمشاهدة الاحتفال الديني بليالي القود^(٣)
ومنظره للزُلُوة التي بنت في عهد الخليفة العزيز بالله. وكانت تطل على
الخليج ويحيط بها البساتين الزاهرة، وكانت قصراً من أحسن القصور جمالاً
وزخرفة ويصفها المقرئ بأنّها "أحد متزهات الدنيا المذكورة"^(٤).

ومنظره الغزالة وكانت تطل أيضاً على الخليج وكان يسكنها الأمير أبو
القاسم بن المستنصر، وبجوارها بنى الأفضل بن بدر الجمالي دار الذهب لينزل
بها في حالة وجود الخليفة بمنظره للزُلُوة^(٥)، بالإضافة إلى منظره السكره التي
أنشأت في عهد الخليفة العزيز بالله في البر الغربي للخليج وكان خلفاء
الفاطميون يجلسون فيها في يوم الاحتفال بفتح الخليج وكانت تلك المنظره من
جنت الدنيا المزخرفة^(٦).

ويروى المؤرخون روايات يعجز الخيال عن تصورها عن ثروات أفراد
الأسرة الفاطمية مما يوضح مدى الثراء الذي كانت عليه الدولة الفاطمية، ومن

(١) نفسه ص ٤٣٨.

(٢) نفسه.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٦٥، راجع فصل الأعياد الدينية الإسلامية.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٦٧.

(٥) نفسه ص ٤٧٠.

(٦) نفسه.

الأمثلة على ذلك ما ذكر عن ثروة السيدة رشيدة ابنة المعز التي خلفت عند وفاتها سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م ثروة تقدر بمليون وسبعمئة ألف دينار من الملابس والجواهر والتحف النادرة، كما خلفت أيضاً السيدة عبدة بنت المعز التي توفيت فى نفس العام، ثروة لا تقدر بمال، حتى أنه استخدم فى الختم على تركتها أربعون زطلا من الشمع^(١).

وكانت "ست الملك" تقيم فى حياة والدها العزيز فى القصر الغربى وخصص الخليفة لخدمتها والسيهر على راحتها طائفة خاصة كانوا يلقبون بالقصرية^(٢) وقد بلغ دخل ست الملك من ضياعها وأملاكها فى عام واحد مائة ألف دينار^(٣) وخلفت عند وفاتها ثروة ضخمة من الجواهر النادر والطيب والملابس، بالإضافة إلى ثمانية آلاف جارية^(٤) كن يقمن على خدمتها.

ويروى صاحب الذخائر والتحف أن السيدة "ست مصر" بنت الخليفة الحاكم بأمر الله كان إقطاعها يغل فى كل سنة خمسين ألف دينار، وخلفت حين وفاتها سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م ما لا يحصى كثرة وكان من بين ثروتها ثلاثون إناء من الصينى مملؤة جميعها مسكاً مسحوقاً، ووجد لها ثمانية آلاف جارية^(٥).

وكان بعض أبناء الخليفة يتمتعون بثروات طائلة وإقطاعات واسعة، حتى أن الأمير حسن ابن الخليفة الحافظ كان من كثرة الأموال والحاشية بحيث كان

(١) راجع التفاصيل، خطط، ج ١، ص ٤١٥.

(٢) الخطط، ج ١، ص ٤٥٧.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٣٣.

(٤) مؤلف مجهول، مخطوط شرح اللمعة من أخبار المعز لدين الله وتسير عساكره إلى مصر، نسخة مصورة بجامعة القاهرة، رقم ٢٤٠٢٢، لوحة ٩ب، خطط، ج ١، ص ٤٥٨.

(٥) الخطط، ج ١، ص ٤٥٧.

له ديوان مفرد لإدارة أملاكه والإشراف على شئون أتباعه^(١)، وكانت هذه الثروات الضخمة من العوامل المساعدة لبعض أفراد الأسرة الحاكمة للقيام بمشروعات تتسم بطابع البر والإحسان، فالسيدة تغريد والدة الخليفة العزيز بالله أنشأت في سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م مسجداً كبيراً في القرافة^(٢)، كما يروى المقرئ أن السيدة "علم الأميرة" زوجة الخليفة الأمر "كانت لها صدقات وبر وفضل وخير، وكانت تبعث إلى الأشراف بصلات جزيلة. وترسل إلى أرباب البيوت والمستورين أموالاً كثيرة"^(٣) وبنت رباطاً في سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م برسم إقامة "العجائز والأرامل"^(٤).

ورغم ما تعرضت له الدولة الفاطمية من شذائد ونكبات في العصر الفاطمي الثاني، فإنه قد وجد بالقصر الفاطمي عند استيلاء صلاح الدين عليه سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م من التحف والنفائس النادرة "ما تحلو الدنيا من مثله، ومن الجواهر التي لم توجد عند غيرهم"^(٥) ويروى ابن الأثير أنه رأى الخبل الياقوت الذي كان من تحف الفاطميين، ووزنه بنفسه، ولولا ذلك ما صدق ما

(١) اتعاظ، ج ٢، ص ٣٣.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن، ١٩٣٨، القسم الأول، ص ١٤٧، خطط، ج ١، ص ٤٨٦.

(٣) خطط، ج ٢، ص ٤٤٦.

(٤) نفس المصدر والصفحة، ويروى المقرئ أنه كان بالقرافة عدة دور يقال للدار منها رباط، يقيم فيها العجائز والأرامل العابدات. وكان يخص لها الجرايات. وتقام فيها مجالس الوعظ، وهذا يوضح الاهتمام بتلك الطائفة من النساء وتنظيم حياتهن وحفظ كرامتهن من سؤال الدس (راجع: خطط، ج ٢، ص ٤٥٤).

(٥) ابن الأثير الكامل، ج ١١، القاهرة، ١٣٠٣ هـ، ص ١٣٨.

قيل له عن جماله وضخامة حجمه^(١). ويتعجب المقرئ من كميات التحف والنفائس والأموال التي أخرجت من القصر على يد صلاح الدين " ما بين دينار ودرهم، ومصاغ وجوهر، ونحاس وملبوس وأثاث وقماش وسلاح. ما لا يفى به ملك الأكاسرة، ولا تصوره الخواطر الحاضرة.. ولا يقدر على حسابه إلا من قدر على حساب الخلق في الآخرة"^(٢).

ثانياً : الأشراف :

تمتع الأشراف في المجتمع الإسلامي بوجه عام والفاطمي بوجه خاص بمكانة مرموقة جعلت منهم طبقة مميزة تقابل بالاحترام والتعجيل من الخاصة والعامة، وكان الأشراف يتمتعون باحترام الدولة وتقديرها في عهد الدولة الإخشيدية، فيروى ابن زولاق أن الشريف عبد الله بن أحمد الحسيني المعروف بابن طباطبا، كان طاهراً كريماً صاحب ضياع ورباع وحاشية، وكان يقدم الهدايا من الحلوى كل يوم إلى أهل مصر من كافور إلى من دونه، ويذكر أن كافوراً ركب يوماً في موكب الشريف أبو جعفر يسايره، فوقعت مقرعته، فنزل الشريف عن جواده وناولها له، فتأثر كافور من ذلك تأثراً كبيراً، ولما عاد إلى داره أرسل إلى الشريف جميع ما كان في موكب من ممالك ودواب^(٣).

وبمراجعة السجلات الصادرة عن الدولة الفاطمية نلاحظ أن الأشراف يأتي ذكرهم في صدر السجل قبل الأمراء وقادة الجيش في معظم الأحيان^(٤).

(١) نفس المصدر السابق والصفحة.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٩٦.

(٣) جمال الدين على بن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٨٩٠، لوحة ٣٨.

(٤) راجع: أمثلة على ذلك في السجلات المستصرية، تحقيق ماجد، ص ٦٥. اتفاظ الحنف.

ج ٣، ص ٦٨.

كما كان الأشراف يتقدمون غيرهم من كبار رجال الدولة في الاستقبالات الرسمية وعند التواجد في مجالس اخلفاء الفاطميين، فيروى ابن زولاق ترتيب خروج الناس لاستقبال جوهر الصقلي في الجزيرة في شعبان سنة ٣٥٨ هـ / يوليو ٩٦٩ م فكان على رأسهم الشريف أبو جعفر مسلم " وسائر الأشراف. والقضاة والعلماء " ^(١) وعندما استقبلهم صاح مناديه بأن ينزل كل الناس عن دوابهم قبل الدخول على جوهر الا الشريف ^(٢)، وعند قدوم المعز إلى مصر في رمضان سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م خرج لاستقباله أبو جعفر مسلم في جماعة الأشراف ووجوه البلد " فنادى مناد يتقدم الشريف أول الناس، فتقدم وسلم على المعز، ثم تقدم الناس كلهم وسلموا عليه واحدا بعد واحد... ثم ساروا والشريف يحادثه " ^(٣) وعندما جلس المعز في قصره بالقاهرة وسمح للناس بالدخول إلى مجلسه للسلام والتهنئة "أذن بدخول الأشراف أولا" ^(٤)، ثم اذن بعدهم لسائر وجوه الناس.

ويروى ابن زولاق حادثة هامة توضح مدى المكانة التي كان يتمتع بها الأشراف في المجتمع المصري في عصر الدولة الفاطمية، فيقول : " دخل الناس إلى قصر المعز وفيهم الأشراف والعمال والقواد وسائر الأولياء من كتامة وغيرهم، فقال رجل لأحد الأشراف : " أجلس يا شريف " فقال بعض الكتاميين : وفي الدنيا شريف غير مولانا ؟ لو ادعى هذا غيره قتلناه. ثم خرج الاذن للناس، وبلغ المعز هذا، فلما جلس على سريرده واذن للناس بالجلوس.

(١) المقرئى نقلا عن ابن زولاق، اتعاط، ج ١، ص ١١٠.

(٢) راجع : النويرى، نهاية الأرب، مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٥٤٩ معارف عامة.

ج ٢٦، لوحة ٤٠، ومخطوط زبدة الفكرة، لوحة ٢٠٢ ب، ٢٠٤ أ.

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٣.

(٤) المقرئى نقلا عن ابن زولاق، اتعاط، ج ١، ص ١٣٦، خط، ج ١، ص ٣٨٤.

قال : يا معشر الأهل وبنى العم من ولد فاطمة، أنتم الأهل، وأنتم العدة وما نرضى بما بلغنا من القول، وقد أخطأ من تكلم بما قيل لنا، لكم بحمد الله الشرف العالى، والرحم القريه. ولئن عاود أحد بمثل ما بلغنا فتكلمن به نكالاً مشهوراً. فقبلت الجماعة الأرض، ودعوا وشكروا، وكان المتكلم حاضراً فانقمع وندم ^(١).

وكان الأشراف فى العصر الفاطمى ينقسمون إلى قسمين :
الأشراف الأقارب ^(٢) وهم الذين ينتسبون إلى الفرع الفاطمى، وكان يطلق عليهم أيضاً "الأشراف الإسماعيليون" ^(٣) وكان يعين لهم موظف كبير من الأساتذة المحكين ^(٤) ليشرف على مصالحهم ويكون الصلة بينهم وبين الخليفة فيما يتعلق بشئون حياتهم الخاصة والعامة ويحافظ على أنسابهم. وكان يطلق عليه "نقيب الأشراف" ^(٥) أو "زم الأقارب" ^(٦).

(١) المقرئى نقلا عن ابن زولاق، اعطاء، ج ١، ص ١٤٧.

(٢) القلقشندى، صبح، ج ٣، ص ٤٩٦، المقرئى، خطط، ج ١، ص ٣٨٦.

(٣) راجع : القلقشندى، صبح، ج ١٠، ص ٣٩٥، ٣٩٦.

(٤) خطط، ج ١، ص ٣٨٦، ٣٨٧، صبح، ج ٣، ص ٤٧٧.

والأساتذة المحكين هم الذين يدورون عمائمهم على أحنالكهم كما تفعل العرب والمغاربة وكان لهم طقوس فى التحيك لا يصل إليها إلا البارزين منهم وكانوا من خواص خدام الخليفة وعدتهم تزيد على الألف، ومن تقاليدهم أنه متى رشح أحدهم لهذا المنصب، حمل إليه كل أستاذ من المحكين بدلة كاملة وسيفا وفرساً فصبح لاحقا بهم وسوف تناول وظائفهم فى الصفحات التالية. (راجع : صبح، ج ٣، ص ٤٧٧، خطط، ج ١، ص ٣٨٦، ٣٨٧).

(٥) المقرئى، اعطاء، ج ٣، ص ٣٤٢.

(٦) راجع سجل تعيين "زم الأقارب" فى العصر الفاطمى وبه المهام المنوطة بهذه الوظيفة فى القلقشندى، صبح، ج ١٠، ص ٣٩٥، ٣٩٦.

كما كان يلقب أحياناً بالأُمير^(١) وكان راتب نقيب الأشراف الشهري مائة دينار^(٢) بالإضافة إلى ما كان يخلع عليه فى المناسبات والأعياد^(٣) فكان الخليفة يخلع عليه عند تعيينه، ويسير موكبه بالطلل والبوق والبنود مثل الأمراء. وله ديوان وموظفون يعملون تحت إمرته وكان يساعده فى مباشرة مهمته والسهر على مصالخ الأشراف اثنا عشر نقيباً^(٤).

أما القسم الثانى من الأشراف فهم الأشراف الطالبيون نسبة إلى أبى طالب عم الرسول (ﷺ) وكانت لهم نقابة خاصة بهم تعرف بنقابة الطالبين. وكانت هذه النقابة تسند إلى أحد شيوخ الأساتذة من غير اغنكين أو أحد الأشراف المميزين أو الشهود المعدلين^(٥).

وكان عمل نقيب الطالبين مثل زميله " زم الأقارب " فيقوم بالنظر فى مصالحهم والتأكد من أنسابهم، ويثبت أسماءهم فى سجل منسوبة إلى أصولها حتى لا يندس بينهم دخيل، وأن يعود مرضاهم ويمشى فى جنازتهم ويسعى فى سد حوائجهم، ويحاط من تزواجهم من العامة^(٦).

وكان الخليفة يخلع على نقيب الطالبين عند تعيينه، ويقرأ سجله على الملأ^(٧) لكن الأشراف الأقارب كانت لهم التقدمة على الأشراف الطالبين عند الدخول إلى مجلس الخليفة^(٨).

(١) الخطط، ج ١، ص ٤١١.

(٢) صبح، ج ٣، ص ٥٢١، خطط، ج ١، ص ٤٠١.

(٣) الخطط، ج ١، ص ٤١١.

(٤) اتعاظ، ج ٣، ص ٣٤٢.

(٥) صبح، ج ٣، ص ٤٧٩، خطط، ج ١، ص ٣٨٦.

(٦) القلقشندى، صبح، ج ٣، ص ٤٨١، ج ١٠، ص ٤٠٠.

(٧) المقرئى، اتعاظ، ج ٢، ص ٨٦.

(٨) صبح، ج ٣، ص ٤٩٦، خطط، ج ١، ص ٣٨٦.

وكان عدد الأشراف فى الدولة الفاطمية كبيراً، ورغم أننا لا نملك معلومات محددة عن ذلك، إلا أن الروايات التاريخية تذكر أن القصر الفاطمى كان يحوى بين جنباته عند سقوط الدولة عشرة آلاف شريف وشريفة^(١) ويبدو أن هؤلاء كانوا هم الأشراف الأقارب الذين تجمعوا بالقصر من أماكن عدة بعد وفاة الخليفة العاضد، لأن المقرئى يذكر أنه عند وفاة العاضد كان عدد الأشراف فى القصر مائة وثلاثين فقط، فجمعهم قراقوش فى مكان خارج القصر، وجمع باقى أسرة العاضد وعشيرته فى إيوان بالقصر واحتجز عليهم^(٢) وهؤلاء هم الأشراف الأقارب الذين حددهم بعشرة آلاف شريف وشريفة.

ولم تدلنا المصادر التى بين أيدينا عن مدى الثروة التى كان يتمتع بها الأشراف فى العصر الفاطمى، إلا أن أفراد الأسرة الفاطمية وهم من الأشراف الأقارب كانوا يتمتعون براء عريض - كما أوضحنا - ومن الملاحظ فى سجل تعيين "زم الأقارب" فى العصر الفاطمى، وهو المشرف على إدارة شئون الأشراف من أفراد الأسرة الفاطمية، أنهم كانوا يقتنون الأملاك والضياع والقطاعات، غير ما كان يوقف عليهم منها بهدف الإنفاق من ريعها على مصالحهم. فقد ورد فى ذلك السجل "وانظر فيما أوقف عليهم من الأملاك والمستغلات والضياع والإقطاعات والرسوم والصلات، وأندب لتولى ذلك من تسكن إلى ثقته وأمانته من الكتاب"^(٣).

(١) خطط، ج ١، ص ٣٩٧.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٩٦.

(٣) راجع: فلقشندى، صبح، ج ١٠، ص ٣٩٧.

ثالثاً : أرباب الوظائف :

كان أرباب الوظائف فى عصر الدولة الفاطمية أخلاطاً من جنسيات متعددة وأديان مختلفة، ولم تكن هناك شروط محددة تختص بالدين أو المذهب أو الطبقة الاجتماعية تفرض على أى شخص للتعيين فى الوظائف عدا إجادته للعمل المسند إليه، فنلاحظ مثلاً أن اعتناق المذهب الرسمى للدولة الفاطمية والذى كان من أهم شروط تولي الوظائف فى بداية عهد الدولة، قد تراخى الخلفاء وتسامحوا فى أمره حتى أن الوزراء وهم على قمة الجهاز الإدارى للدولة كان بعضهم من الذميين، كما أن بعض المسلمين منهم لم يكونوا إسماعيليين^(١) فى مذهبهم، وبالإضافة إلى ذلك فبعض الوزراء يرجعون فى أصلهم إلى طبقة العامة أو طائفة الصناع، ومن أمثلة ذلك عباس الصنهاجى وزير الخليفة الفاطمى الظاهر " كان قد قدم من المغرب إلى مصر وتعلم الخياطة، وكان خياطاً حسناً، فلما تزوج ابن السلار بأمه أحبه وأحسن تربيته فجازاه بأن قتله وولى بعده " ^(٢) وكان الوزير أبو عبد الله ابن البطانحى الملقب بالمأمون وزير الخليفة الفاطمى الأمر فى أول أمره يعمل حملاص، ثم رآه الوزير الأفضل بن بدر الجمالى فضمه إلى خدمته وكان يعمل مع الفراشين^(٣).

وبصفة عامة فإننا نلاحظ أن موظفى الدولة ورجال الحاشية فى العصر الفاطمى كانوا ينقسمون إلى فئتين : فئة أرباب السيوف، وفئة أرباب الأقلام أو العمائم^(٤)، ولما كان معظم الوزراء فى العصر الفاطمى الأول من أرباب الأقلام.

(١) راجع : النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٨٧، ٨٨، قارن : محمد حمدى المنوى.

الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى، القاهرة. ١٩٧٠، ص ٣١٤.

(٢) ابن الأثير. الكامل، ج ١١، ص ٧٠.

(٣) الكامل، ج ١١، ص ٢٢٤. والنويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٨٦.

(٤) راجع : صبح، ج ٣، ص ٤٧٨. ٤٧٩. خطط، ج ١، ص ٤٠٣.

ثم أصبحوا في العصر الفاطمي الثاني منذ وزارة أمير الجيوش بدر الجمالي من أرباب السيوف^(١) لذلك فقد آثرت أن لا أدخل الوزراء في التقسيم النوعي للوظائف مع أرباب السيوف أو الأقاليم، وزأيت أن أفرد لهم حديثاً مستقلاً.

١ - الوزراء :

تمتع الخلفاء الفاطميون في العصر الفاطمي الأول بنفوذ قوى، فكانوا يسيطرون على شئون الدولة في قبضتهم، وكان الوزير مجرد موظف كبير في الدولة ينفذ أوامر الخليفة ويخضع لسلطانه، ولكن الأوضاع تبدلت في العصر الفاطمي الثاني، ومنذ وزارة أمير الجيوش بدر الجمالي، فقد أصبح الوزير مسيطرًا على شئون الحكم، ويتمتع بنفوذ وسلطان يفوق نفوذ الخلفاء^(٢).

وما زاد الأمر سوءاً أن معظم خلفاء العصر الفاطمي الثاني تولوا في سن صغيرة، مما أحكم سيطرة الوزراء، وجر الولايات على الدولة الفاطمية^(٣) ولم يتورع الوزراء في هذا العصر من التدخل في أدق الشئون الشخصية للخليفة^(٤) ولعل أبلغ تعبير عن هذه الحال ما رواه النويري تعليقاً على وفاة الخليفة الفاطمي المستعلى حيث قال " ولم يكن له سيرة تذكر، فإن الأمر كان للأفضل أمير الجيوش"^(٥).

(١) راجع التفاصيل : صبح، ج ٣، ص ٤٨٥، ٤٨٦.

(٢) راجع التفاصيل : صبح، ج ٣، ص ٤٨٥، ٤٨٦، مجموعة الوثائق الفاطمية، تحقيق

الشيال، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٢٦ - ٣٠.

(3) Margholiouth: Cairo, Jerusalem and Damascus, Oxford, 1907, P. 39.

(٤) راجع رواية أبيك الدوادري عن تدخل الأفضل بن بدر الجمالي في حلقة حبة الخليفة المستنصر (الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدين المنجد.

القاهرة، ١٩٦١، ص ٤٤١، ٤٤٢).

(٥) النويري، مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٨١.

وكان الوزراء في عصر الدولة الفاطمية بوجه عام يعيشون حياة تتسم بالبذخ والثراء وهي سمة الحياة في المجتمع الفاطمي. فكان الوزير يتقاضى أكبر المرتبات بين موظفي الدولة الفاطمية، فكان راتبه الشهري خمسة آلاف دينار، بالإضافة إلى ما يمنح لأولاده وإخوته وحاشيته من مرتبات تتراوح قيمتها الشهرية بين خمسمائة ومائتي دينار^(١) وكانت هذه المرتبات تمنح لأقارب الوزير وحاشيته لصلتهم بالوزير، ونلاحظ أن هذا المرتب الضخم يزيد كثيراً عن مرتب الوظيفة التالية له في الدولة وهو مرتب صاحب ديوان الإنشاء الذي كان يتقاضى في الشهر مائة وخمسين ديناراً فقط^(٢).

ورغم هذا المرتب فإن الوزير كانت تصرف له من مطابخ القصر وخزائنه جارى من الطعام في كل شهر تكفى مؤنته وحاشيته والقائمين على خدمته من الطعام والشراب، ومن أمثلة ذلك ما كان يصرف للوزير ابن عمار^(٣) الذي وُزر للخليفة الحاكم، فكان يصرف له ما قيمته خمسمائة دينار كل شهر من اللحم والخير والحب والتوابل والفاكهة، بالإضافة إلى سلة من الفاكهة وعشرة أرطال شمع كل يوم، وحمل ثلج كل يومين، والطريف أن هذا الجارى ظل يحتفظ به ابن عمار حتى بعد عزله من الوزارة^(٤).

(١) راجع : صبح، ج ٣، ص ٥٢١، خطط، ج ١، ص ٤٠١.

(٢) صبح، ج ٣، ص ٥٦٢، خطط، ج ١، ص ٤٠١.

(٣) هو أمين الدولة أبو محمد الحسن بن عمار، وُزر للخليفة الحاكم في شوال سنة ٣٨٦ هـ حتى رمضان سنة ٣٨٧ هـ حيث نظر برجوان في تدبير الأمور، وقتل ابن عمار سنة ٣٩٠ هـ (راجع : خطط، ج ٣، ص ٣، ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق عبد الله محلس، القاهرة، ١٩٢٤، ص ٢٦).

(٤) ابن الصيرفي، الإشارة، ص ٢٦، ٢٧، خطط، ج ٢، ص ٣.

وكان الخلفاء يقدقون على وزرائهم الهبات السخية والإقطاعات التي تدر عليهم دخلاً كبيراً جعلهم يعيشون في ثراء شديد وينفقون ببذخ. ومن أمثلة ذلك يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز الذي كان إقطاعه في مصر والشام يغل مائتي ألف دينار في السنة^(١) وأهدى إليه العزيز سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٤ م ألفاً وخمسمائة غلام^(٢) وهم الطائفة المعروفة بالوزيرية^(٣).

وقد أمدتنا المراجع المختلفة بصورة جلية عن ثراء الوزراء في العصر الفاطمي تدعو إلى الدهشة والإعجاب، ومنضرب أمثلة على بعض هذه الثروات الخيالية. فالوزير يعقوب بن كلس الذي كان يعيش حياة تتسم بالبذخ والإسراف ترك عند وفاته ثروة ضخمة تقدر بخمسمائة ألف دينار ذهباً^(٤) ومن الجواهر والتحف ما تقدر قيمته بأربعمائة ألف دينار، غير الملبوس والمركوب ووجد له من العبيد الممالك أربعة آلاف غلام^(٥) وثمانيائة حظية غير جوارى الخدمة^(٦). ورغم هذه الثروة الضخمة، فإن ابن الصيرفي يذكر أن ابن كلس مات وعليه للتجار ستة عشرة ألف دينار، فتحملها العزيز عنه من بيت المال^(٧)، مما يوحى بأن ثروته لم تكن في معظمها من مصادر شريفة.

(١) مخطوط شرح لمعة، لوحة ٥ ب، مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٤، وقارن : مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٩ الذي ذكر أن إقطاع ابن كلس يغل في السنة ثمانية آلاف دينار فقط.

(٢) ابن الصيرفي، الإشارة، ص ٢١.

(٣) مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٣.

(٤) أبيك الدواداري، الدرر المضية، ص ٢٢٥.

(٥) ابن الصيرفي، الإشارة، ص ٢٣.

(٦) الدرر المضية، ص ٢٦٦، مخطوط شرح لمعة، لوحة ٥ ب، ١٦.

(٧) الإشارة، ص ٢٣.

وقد ترك برجوان بعد قتله سنة ٣٩٠ هـ ٩٩٩ م ثروة ضخمة تقدر بثلاثين ألف دينار، وعدد لا يحصى من السراويل والآلات والطيب والفرش والكتب والطرائف^(١).

ومن أكثر الأمثلة وضوحاً على الثراء الذى تمتع به وزراء الدولة الفاطمية فى العصر الفاطمى الثانى، الثروة الخيالية التى خلفها الوزير الأفضل بن بدر الجمالى بعد قتله سنة ٥١٥ هـ / ١١٢٢ م والتى أقام خليفة الأمر بنفسه أربعين يوماً والكتاب بين يديه يتقلون هذه الثروة على البغال والجمال من دور الأفضل إلى القصر الفاطمى^(٢).

ولا يمكن بسهولة تصديق الأرقام الخيالية التى ذكرها المؤرخون عن ما تركه الأفضل من ثروة، فقد خلف ستة ملايين ديناراً عيناً^(٣) ومائتان وخمسون أردباً دراهم من نقد مصر وسبعون ألف ثوب ديباج أطلس^(٤) وكميات هائلة من التحف والجواهر وأنواع الطيب النادر وكان يملك مائة مسمار من الذهب كل مسمار وزنه مائة مثقال يضع عليهم العمامم المختلفة الألوان مغطاة بالناديل المزركشة، ومن الطريف أنه كان يملك تمثالاً من العنبر على قدر جسده، اذا نزع الثياب وضعت على التمثال فتكتسب رائحة طيبة^(٥) " ووجد له ثمانمائة جارية منهن حظايا خمس وستون ولكل جارية حجرة خاصة وخزانة مملوءة من

(١) ابن الصوفى، الإشارة، ص ٢٨، ابن خلكان، وفیات، ج ١، ص ٨٨.

(٢) راجع : التويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٨٣، اتعاط، ج ٣، ص ٧٠.

(٣) مخطوط الدول النقطعة، لوحة ٧٩، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٨٣، اتعاط، ج ٣، ص ٧٠، وان كان ابن خلكان يبالغ فى هذا الرقم ويقدره بستمائة مليون دينار

(راجع : وفیات، ج ١، ص ٢٢٢).

(٤) مخطوط الدول النقطعة، لوحة ٧٩.

(٥) مخطوط الدول النقطعة، لوحة ٧٩، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٨٣.

الكسوى والآلات الديباج والذهب والفضة " (١) وترك من البقر والجاموس والأغنام ما بلغ نتاج ألبانه في سنة واحدة نحو أربعين ألف دينار وكانت مكتبته تضم خمسمائة ألف كتاب في كافة فروع العلم والمعرفة (٢).

ولنا أن نتصور مدى الثراء الذي تمتعت به الدولة الفاطمية في هذا العهد بالقياس إلى ما خلفه الأفضل من ثروة. رغم ما كان يتمتع به من عدل " وتنزه عن الظلم. ولم يرغب في الأموال الجمة الذي يرى فيها أدنى شبهة " (٣) وكان حسن السيرة في الرعية والتجار متعقفاً عن مديده إلى أموال الناس (٤).

وكان الخلفاء الفاطميون يحسنون معاملة وزرائهم، ويمنحونهم قدراً كبيراً من التقدير والاحترام حتى في العصر الفاطمي الأول الذي كان فيه نفوذ الخلفاء في أوج عظمتهم ومن أمثلة ذلك أن الخليفة العزيز كان يقوم بزيارة وزيره يعقوب ابن كلث أثناء مرضه، ولما اعتل علة الوفاة في سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م ركب إليه وأظهر جزعاً شديداً عليه وقال : "وددت أنلك تباع فابتاعك بملكى، أو تفدى فافديك بولدى " (٥) ولما مات ابن كلث حزن عليه الخليفة حزناً شديداً وصلى عليه وألحده بيده في قبره (٦).

(١) نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٨٤.

(٢) وفيات، ج ١، ص ٢٢٢، اتعاط، ج ٣، ص ٧٠، ٧١.

(٣) الألبا ميخائيل، ذيل سر الآباء البطارقة (سيرة البيعة المقدسة)، ج ٣، مخطوط مصور

بدار الكتب رقم ٦٤٣٤، لوحة ١٠٣.

(٤) راجع : رواية القرظي عن أحد اليهود الذي عرض على الأفضل خمسة آلاف دينار ليعفو عنه ولا يقتله فعفا عنه الأفضل حتى لا يقال أنه قتل طمعاً في ماله (اتعاط، ج ٣، ص ٧١).

(٥) مخطوط أخبار الدول النقطعة، لوحة ٥٤.

(٦) راجع : مخطوط شرح لمعة، لوحة ٥ ب. ابن الصيرفي، الإشارة، ص ٢٣ ب.

كما أن الخليفة الحاكم رغم ما تميز به من قسوة وقوة النفوذ، ركب إلى وزيره على بن جعفر بن فلاح^(١) لعيادته في مرضه، وحمل إليه هدية تحتوي على مرتبة دياج وخمسة آلاف دينار. ويذكر ابن الصيرفي " وكانت هذه عادته إذا عاد أحداً " ^(٢) مما يوضح أن من عادة الحاكم عيادة كبار رجال دولته والإحسان إليهم.

٣ - أرباب السيوف :

تعددت وظائف الطبقة العسكرية من أرباب السيوف في مصر الفاطمية وهي تضم فئات مختلفة ابتداء من الوزير إذا كان صاحب سيف إلى أقل الأجناد رتبة في الدولة، وكان للجميع مراتب محددة تصرف من الدولة وكان يشرف على شئون هذه الطبقة عدة دواوين، فديوان الجيش كان عمله تنظيم الأجناد وسد احتياجاتهم من الخيول والمعدات، وتسجيل أسماهم في سجلات، وكان موظفي هذا الديوان يستقون معلوماتهم عن الأجناد من رؤسائهم فيعرض " نقباء الأمراء " على المجلس أحوال الأجناد من الحياة والموت والغيبة والحضور^(٣) ثم يعاد تسجيل هذه المعلومات في ديوان الرواتب الذي يختص بصرف أعطيات جميع موظفي الدولة من العسكريين والمدنيين^(٤) كما كانت

(١) هو قطب الدولة أبو الحسن على بن جعفر بن فلاح. ولى الاسكندرية ودمشق، ثم ولى السفارة بين الخليفة والكامين عندما عين مقدماً عليهم سنة ٤٠٣ هـ. (اتعاظ، ج ٢، ص ٩٣) ثم عين وزيراً للحاكم في شوال سنة ٤٠٦ هـ، وقتل سنة ٤٠٩ هـ. (راجع: ابن سعد، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ص ٦٦، الخطط. ج ٢، ص ٢٨٨).

(٢) ابن الصيرفي، الإشارة، ص ٣٩.

(٣) راجع : صبح، ج ٣، ص ٤٨٨.

(٤) راجع التفاصيل، صبح، ج ٣، ص ٥٢١ - ٥٢٣.

الدولة الفاطمية تخصص رجال الجيش بمنح الإقطاعات نظير قيامهم بالواجبات العسكرية وقد أنشئ لهذا الغرض " ديوان الإقطاع " ^(١).

ونحن لا نملك أرقاماً محددة عن أعداد الطبقة العسكرية المدرجين في ديوان الجيش في عهد الدولة الفاطمية، ولكن المعروف أن الجيش الفاطمي الذي دخل مصر بقيادة جوهر الصقلي سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م كان يزيد على مائة ألف فارس ^(٢) هذا في بداية عهد الدولة الفاطمية، أما في أواخر عهدها، فيشير المقرئزي إلى أن عدد الجند المدرجين في ديوان الجيش في أيام الوزير رزيك بن طلائع (رمضان ٥٥٦ - اغرم ٥٥٨) كان أربعين ألف فارس وثلاثين ألف راجل من السودان ^(٣) ولا شك أن تلك الأعداد كان تتراوح بين الزيادة والنقصان على امتداد العصر الفاطمي، وسنقدم عرضاً لأهم وظائف أرباب السيوف.

صاحب الباب :

وهي أعظم أرباب السيوف، وكان صاحبها ينعت " بالمعظم " ^(٤) ويتولاها أحد الأمراء المطوقين، ويصفها القلقشندي بأنها " ثاني رتبة الوزارة " لذلك أطلق عليها " الوزارة الصغرى " ^(٥). وكان مهام صاحب الباب غير محددة، وتختلف تبعاً لمكانة الوزير القائم، فإذا كان الوزير صاحب سيف ويتولى وزارة تفويض، تراجعت أهمية صاحب الباب وأصبح يعمل في خدمة الوزير

(١) صح، ج ٣، ص ٤٨٩، راجع : ماجد، نظم، ج ١، ص ١٩٢، ١٩٣.

(٢) خطط، ج ١، ص ٣٦٨.

(٣) نفسه، ص ٨٦.

(٤) نفسه، ص ٤٠٣.

(٥) صح، ج ٣، ص ٤٧٩.

عند جلوسه لنظر المظالم، أما إذا كان الوزير من أرباب الأقلام، فإن صاحب الباب يجلس بنفسه للنظر في المظالم، وكان مجلسه باب الذهب بالقصر وبين يديه النقاب والحجاب، ويدخل إليه أصحاب الظلمات^(١) ويقوم بفحصها وتوزيعها على جهات الاختصاص.

وكان راتب صاحب الباب مائة وعشرين ديناراً شهرياً^(٢) وكان له نائب من أعيان العدول وأرباب العمام يسمى "عدى الملك" وظيفته استقبال الرسل القادمين من الدول الأجنبية، ويشرف على إقامتهم وراحتهم، ويقدمهم لاستقبال الخليفة والوزير مع صاحب الباب^(٣).

الاسفهلار^(٤) :

ويقوم من الأوصاف التي أوردها القلقشندي أنه القائد العام للجيش "زمام كل زمام وإليه أمر الأجناد والتحدث فيهم"^(٥) وكان له حق حضور مجلس المظالم إذا كان الوزير من أرباب السيوف^(٦) ولم تذكر المصادر قيمة مرتب قائد الجيش وإن كان يغلب على الظن أنه لا يقل كثيراً عن مرتب صاحب الباب إن لم يكن يساويه فهو يأتي في ترتيبه من حيث الأهمية بعد

(١) صح، لفسه، خطط، ج ١، ص ٤٠٢، ٤٠٣، اتعاط، ج ٣، ص ٣٣٦.

(٢) صح، ج ٣، ص ٥٢٢، خطط، ج ١، ص ٤٠١.

(٣) خطط، ج ١، ٤٠٣.

(٤) اصطلاح عسكرى مركب من كلمتين : أسفه : بمعنى مقدم ومعنى فارسية، وهيلار : بمعنى عسكر وهى تركية، فمعناها مقدم العسكر (أنظر، صبح، ج ٣، ص ٤٧٩. أسره، شامه، الروضتين، ص ٤٠٨).

(٥) صح، ج ٣، ص ٤٧٩، خطط، ج ١، ص ٤٠٣.

(٦) مفرىزى، اتعاط، ج ٣، ص ٣٣٥.

صاحب الباب مباشرة ففي "خدمته وخدمة صاحب الباب تقف الحجاب على اختلاف طبقاتهم" (١).

وحامل المظلة :

وهي من الوظائف العظام لأن صاحبها يحمل مظلة الخليفة في المراكب العظام ومكانه بجانب الخليفة لذلك كان له التقدم والرفعة (٢) وكان يلقب بالأمير " عظيم الدولة وسيفها حامل المظلة " وكان من رسومه أن يمنح في كسوة عيد الفطر بدلة مذهبة (٣).

وحامل سيف الخليفة :

وهو سيف خاص لا يخرج إلا في المراكب العظام ويقال أنه صنع من صاعقة، وكان يوضع في غلاف محلى بالذهب لا يظهر إلا رأسه وكان يحمله في الموكب أمير عظيم القدر " وهو أكبر حامل في الموكب " (٤).

وحامل الرمح :

وهو رمح قيم يوضع في غلاف منظوم باللؤلؤ، وله سنان صغير بحلية ذهب، وحامل الرمح أمير مميز وله مكانة جليلة (٥) وكان راتب حامل السيف

(١) صح، ج ٣، ص ٤٧٩.

(٢) صح، ج ٣، ص ٤٧٩، خط، ص ٤٠٣.

(٣) خط، ج ١، ص ٤١١، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٢٨، ٢٩.

(٤) صح، ج ٣، ص ٤٧٩، خط، ج ١، ص ٤٤٨.

(٥) صح، ج ٣، ص ٤٧٩، خط، ج ١، ص ٤٤٨.

وحامل الرمح سبعين ديناراً شهرياً لكل منهما^(١). وكان يخلع عليهما فى عيد الفطر بدلة حريرية^(٢).

ويلى ذلك أزمة طوائف الجيش أو الأمراء قادة الفرق، وهؤلاء كانوا ينقسمون إلى ثلاث مراتب : الأمراء المطوقين، وهم الذين يخلع عليهم بأطواق الذهب فى أعناقهم، وأرباب القضب، وهم الذين يركبون فى مواكب الخليفة حاملين القضب التى تخرج لهم من خزانة التجميل، وأدوان الأمراء، وهم أقل درجة من الفتتين السابقتين^(٣) وكان هؤلاء الأمراء تتراوح مراتبهم بين خمسين وثلاثين ديناراً فى الشهر حسب رتبة كل منهم^(٤). بالإضافة إلى ذلك كانت هناك فرق عسكرية خاصة بالخليفة خراسته والسر فى موكبه، أو المراقبة بالقرب منه لحراسته ولتلبية ما يأمرهم به، ومن هؤلاء الركابية أو صبيان الركاب الخاص وكان عددهم يزيد على ألفى رجل ولهم اثنا عشر مقعداً^(٥) وكانوا يرتدون فى مواكب الخليفة العمامم الكبيرة ويشدون أوساطهم بالمناديل ويشهرون سيوفهم المصقولة المذهبة فى أيديهم وهم يحيطون بالخليفة كالجناحين ولا يتحركون إلا فرجة صغيرة لمروور فرسه^(٦)، وكان مرتب مقدم الركابية خمسين ديناراً فى الشهر، أما الركابية فكانت تتراوح مراتبهم بين خمسة عشر ديناراً وخمسة دنانير^(٧)، وفرقة صبيان الخاص وكان عددهم حوالى خمسمائة فارس

(١) صح، ج ٣، ص ٥٢٢، خط، ج ١، ص ٤٠١.

(٢) خط، ج ١، ص ٤١٢.

(٣) صح، ج ٣، ص ٤٧٦؛ خط، ج ١، ص ٤٠٣، ماجد، نظم، ج ١، ص ١٩٤.

(٤) صح، ج ٣، ص ٥٢٢.

(٥) صح، ج ٣، ص ٤٨٠.

(٦) خط، ج ١، ص ٤٤٦، ٤٤٩، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٢٩.

(٧) صح، ج ٣، ص ٥٢٣.

يصل بعضهم إلى رتبة الأمير وكان بعضهم يحمل الرايات الخيرية المكتوب عليها " نصر من الله وفتح قريب " في موكب الخليفة^(١). وصبيان الحجر الذين أخذوا اسمهم من إقامتهم في حجرة منفردة بالقرب من القصر وهم جماعة من الشباب في كامل العدة والاعداد حتى اذا طلبوا لأمر من الأمور كانوا على استعداد كامل وكان عددهم يزيد على خمسة آلاف رجل^(٢). كما كانت ولاية القاهرة ومصر تسندان إلى أرباب السيوف أيضاً^(٣).

وكان من خواص الخليفة عدد من الخدم من أرباب السيوف يطلق على المميزين منهم لقب " الأستاذون المحنكون " ^(٤) وهم من أقرب الناس إلى الخلفاء وتسند إليهم الوظائف المهمة في القصر، وترجع أهميتهم إلى أنهم يطلعون على أسرار الخليفة، وهم أصحاب الأنس له، ومن أهم وظائف هذه الطائفة : شد التاج^(٥)، وصاحب المجلس^(٦)، وصاحب الرسالة^(٧).

(١) صح، ج ٣، ص ٤٧٧، خطط، ج ١، ص ٤٤٨.

(٢) صح، ج ٣، ص ٤٧٧.

(٣) صح، ج ٣، ص ٤٨٠.

(٤) راجع التعريف السابق عن تلك الطائفة.

(٥) شد التاج : صاحب تلك الوظيفة يعلى شد التاج الذي يلبسه الخليفة في المراكب العظيمة، وكانت له مكانة عالية للمسه ما يضع الخليفة على رأسه (صح، ج ٣، ص ٤٨٠، خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

(٦) صاحب المجلس وهو الذي يتولى ترتيب مجلس الخليفة في المناسبات المختلفة، وكان يلقب بأمين الملك، ويعرف الآخرين بمجلس الخليفة ويشير إلى الأستاذين برفع السر عن مجلسه (صح، ج ٣، ص ٤٨١، خطط، ج ١، ص ٣٧٦).

(٧) صاحب الرسالة تلخص مهمته في الخروج في موكب وابهة لاستدعاء الوزير من داره لحضور مجلس الخليفة (صح، ج ٣، ص ٤٨١، خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

ورمام القصور^(١)، وصاحب بيت المال^(٢)، وصاحب الدفتر^(٣)، وحامل الدواة^(٤)، وزم الأقارب^(٥)، وزم الرجال^(٦)

أما الأمانة غير المخكين وكانوا أيضاً من أرباب السيوف فأهم وظائفهم: "نقابة الطالبين"، "وزم الرجال" ومن الملاحظ أن زم الرجال من الأمانة المخكين وظيفته الإشراف على طعام الخليفة، أما زم الرجال من غير المخكين فهو المشرف على طوائف الرجال والأجناد في الجيش الفاطمي^(٧).

ويغلب على الظن أن رئيس الخدم كان يطلق عليه لقب "أستاذ الأستاذين" وهو لقب لم نعثر على نظيره في المصادر التي رجعنا إليها، ولكن يوجد في المتحف الإسلامي طبق من الخزف يحمل اسم "غن أستاذ الأستاذين"^(٨) وغن

(١) زمام القصور، وهو المشرف على القصور ويقف عن يمين الوزير في مجلس الخليفة (صبح، ج ٣، ص ٤٨١، خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

(٢) صاحب بيت المال، أو زمام بيت المال وكان يقف عن يسار الوزير في مجلس الخليفة (خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

(٣) صاحب الدفتر، وهو المعروف بدفتر المجلس وكان يشرف على الدواوين التي تختص أمور الخلافة (صبح، ج ٣، ص ٤٨١، خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

(٤) حامل الدواة، وكان يختص بأمر دواة الخليفة فيضعها على المرتبة في مجلس الخليفة. ويحملها أمامه على السرج ويسير بها في الموكب الخليفية (صبح، ج ٣، ص ٤٨١، خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

(٥) زم الأقارب، وهو المشرف على طائفة "الأشراف الأقارب".

(٦) وهو الذي يتولى أمر طعام الخليفة.

(٧) صبح، ج ٣، ص ٤٨١، ٤٨٢.

(٨) راجع معرض الفن الإسلامي في مصر، نشر وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٩، ص ١٤٦.

حسب النش. طبق من الخزف - سم غن. محلة كلية الآداب بجامعة القاهرة.

مايو ١٩٥٦، ص ٧١ - ٨٥

هذا كان أحد خدام الخليفة الحاكم بأمر الله الذي لقبه في سنة ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م بقائد القواد^(١).

وكانت أعلى الرواتب في القصر يتقاضاها الأستاذون المنحكون. فراتب الفرد منهم في الشهر مائة دينار^(٢) غير مخصصاتهم من الكساوى والأطعمة وغيرها، وكان من دونهم من الخدم تزاح مرتباتهم بين تسعين ديناراً وعشرة دنائير^(٣) حسب قرب الخادم من الخليفة وأهمية العمل المسند إليه.

وأحياناً كان يسند إلى هؤلاء الأساتذة مناصب كبيرة في الدولة مثل ولاية الشرطة والخسبة^(٤)، وكان الخلفاء يقدقون عليهم المنح والهبات ببذخ شديد، ومن أمثلة ذلك عندما مرض عين أحد خدام الخليفة الحاكم، ركب الخليفة بنفسه لعيادته، وسير إليه خمسة آلاف دينار، وخمسة وعشرين فرساً مسرحية ملجمة^(٥).

٣ - أرباب الأقاليم:

كانت بالدولة الفاطمية أعداد كبيرة من الموظفين الذين يعملون في دواوين الدولة المختلفة يطلق عليهم غالباً "أرباب الأقاليم" أو أصحاب الوظائف الديوانية، وكانت هذه الفئة من الموظفين تأتي بعد أرباب السيوف في الهيكل الوظيفي، وخاصة في العصر الفاطمي الثاني حين أصبح الوزير صاحب السيف والقلم.

(١) خطط، ج ٢، ص ٢٩٧، اتعاظ، ج ٢، ص ٩١.

(٢) صبح، ج ٢، ص ٢٩٧، خطط، ج ١، ص ٤٠١.

(٣) راجع: صبح، ج ٣، ص ٥٢١، خطط، ج ١، ص ٤٠١، اتعاظ، ج ٣، ص ٣٤٠.

(٤) خطط، ج ٢، ص ٢٩٧.

(٥) اتعاظ، ج ٢، ص ٩١.

وكان على رأس أرباب الأقلام، صاحب ديوان الإنشاء، أو كانت الدست الشريف لأن راتبه الشهري كان مائة وخمسين ديناراً^(١)، وهذا أكبر راتب يتقاضاه أجد أرباب الوظائف الديوانية في الدولة الفاطمية، ويعمل تحت إمرته عدد من الكتاب راتب كل منهم ثلاثون ديناراً في الشهر^(٢).

وتتلخص وظيفته في تسلم المكاتبات الواردة مختومة فيعرضها على الخليفة بنفسه، وهو الذى يأمر بتزيلها والإجابة عنها، وتسند هذه الوظيفة غالباً إلى كبار رجال العلم والأدب ممن يتقنون فنون اللغة والبلاغة وصاحبها يخاطب بالشيخ الأجل، وهو موضع ثقة الخلفاء وتقديرهم ويستشيرهم الخلفاء في أكثر أمورهم ولا يمنع من الدخول إلى مجلس الخليفة أو المبيت في القصر إذا اضطرت الظروف إلى ذلك. وكان له حاجب من أمراء الشيوخ وفراشون في خدمته وأستاذ مهمته حمل الدواة التى يستخدمها في الكتابة وذلك إذا أتى إلى حضرة الخليفة. ومن مظاهر علو شأنه أنه كانت له مرتبة عظيمة للجلوس عليها بالمخاد والمسد^(٣).

وكان فن الكتابة في ديوان الإنشاء يتم التدريب عليه من بين أبناء الكتاب وأرباب الدواوين، وكانت العادة أن يرسل الكتاب أبناءهم إلى ديوان الإنشاء لتعلم فن الكتابة منذ الصغر على يدى صاحب ديوان الإنشاء ومعاونيه، فكان العلماء وكبار رجال الدولة في مصر والشام يرسلون أولادهم إلى ديوان الإنشاء في مصر في عصر الدولة الفاطمية ليتعلموا فن الكتابة والمراسلات وفروع المعرفة الأخرى التى تلزم من يتصدى لهذا العمل^(٤) وكان كاتب

(١) راجع : صبح، ج ٣، ص ٥٢٢، خطط، ج ١، ص ٤٦٩.

(٢) انعاظ، ج ٣، ص ٣٤٠.

(٣) صبح، ج ٣، ص ٤٨٦، انعاظ، ج ٣، ص ٣٣٧، ٣٣٨.

(٤) راجع : أبو شامة، الروضتين، ج ١، قسم ٢، ص ٤٨٧، ٤٨٨.

الإنشاء فى عهد الخليفة الأمر يسكن منظرة الغزالة على الخليج^(١) تقديرًا لمكانته فى الدولة.

وكانت من الرتب الديوانية الجليلة وظيفة " التوقيع بالقلم الدقيق فى المظالم " وهى تلى رتبة صاحب ديوان الإنشاء. وبالإضافة إلى عمله الذى يتلخص فى معاونته الوزير صاحب السيف فى النظر فى المظالم فإن صاحب هذه الوظيفة كان يجالس الخليفة أكثر أيام الأسبوع فى خلوته، يذكره ما يحتاج إليه من القرآن الكريم وأخبار الأنبياء والخلفاء السابقين، ويكرر عليه ذكر مكارم الأخلاق^(٢) أى أنه كان يقوم بدور المؤدب. والمعلم للخليفة وأحياناً كانت تمتد مهمته لتشمل تعليم أخوة الخليفة وأولاده لذلك سمي بالجلس^(٣).

وكان المجلس يحصل على منحة من الخليفة فى كل لقاء مقدارها عشرة دنانير بالإضافة إلى كمية من أجود أنواع البخور ليتبخر بها قبل الدخول على الخليفة فى المرة التالية^(٤) وكان راتب صاحب القلم الدقيق أو المجلس مائة دينار فى الشهر^(٥) بالإضافة إلى ما يحصل عليه من هبات وكسارى^(٦) فى المناسبات المختلفة.

(١) خطط، ج ١، ص ٤٦٩.

(٢) ابن شاكرو، قوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٣، ج ٢، ص ٣٣٢.

(٣) مثال ذلك : القاضى المجلس عبدالعزيز بن الحسين بن الحباب، الذى أطلق عليه لقب المجلس لأنه كان يعلم الخليفة الظافر وأخويه وأولاده القرآن الكريم والأدب وكانت عادة الفاطميين تسمية مؤدبهم المجلس، وتولى ابن الحباب ديوان الإنشاء فى عهد الخليفة الفائز مع الموفق ابن الحلال وتوفى سنة ٥٦١ هـ.

(٤) صبح، ج ٣، ص ٤٨٧، اتعاض، ج ٣، ص ٣٣٨، خطط، ج ١، ص ٤٠٢.

(٥) صبح، ج ٣، ص ٥٢٢، اتعاض، ج ٣، ص ٣٤٠.

(٦) خطط، ج ١، ص ٤٠٢.

ويلى تلك الوظيفة فى المرتبة صاحب القلم الجليل، لذلك كانت وظيفته تعرف بالخدمة الصغيرة، وتتلخص مهمته فى صياغة ما يوقع به أى ما يشير به صاحب القلم الدقيق فى المظالم حيث تحمل بعد ذلك إلى الخليفة ليوقع عليها^(١) وكان راتبه الشهري ثلاثين ديناراً^(٢).

وكانت توجد بالدولة العديد من الدواوين التى يرأس كل منهما كاتب له مكانة رفيعة بين الناس ويعاونه مجموعة من الحجاب والكتاب يدبرون اجيز الادارى، ولجميع هؤلاء الموظفين مرتبات شهرية بالإضافة إلى جاريهم من الكساوى والأطعمة.

وكان ديوان الجيش يشترط فيمن يتولاه أن يكون مسلماً ووظيفته تسجيل الأجناد وخيولهم، واختيار الجيد منها لركوبهم ويساعده نقباء الأمراء فيمدونه بالمعلومات اللازمة عن أحوال الأجناد من الحياة والموت والغيبة والحضور^(٣) وكان لصاحب ديوان الجيش مكانة مميزة لجلوسه بين يدى الخليفة داخل عتبة باب المجلس، وله الطرحة والمسند وبين يديه الحاجب، وكان راتب صاحب ديوان الجيش أربعين ديناراً شهرياً^(٤) وكان يلحق بهذا الديوان " ديوان الرواتب " ويشتمل على أسماء جميع موظفى الدولة وخدمها وكل من يستحق راتب فيها، وكان يشرف عليه كاتب أصيل يعاونه عشرة كتاب وتأتى إلى هذا المجلس ما يستجد من أحوال الموظفين من تعيينات جديدة أو موت وغير

(١) صح، ج ٢، ص ٤٨٧، ٤٨٨، حسن ابراهيم، الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٢٨١.

(٢) خطط. ج ١، ص ٤٠٢.

(٣) صح، ج ٣، ص ٤٨٨، خطط، ج ١، ص ٤٠١.

(٤) صح، ج ٣، ص ٥٢٢، خطط، ج ١، ص ٤٠٢.

ذلك^(١) وكان كل موظف من هؤلاء المعاوين يتراوح مرتبه بين عشرة وخمسة دنانير ومرتب رئيسهم عشرين ديناراً^(٢).

وديوان الإقطاع وكان يختص بإقطاعات الأجناد ومخصصاتهم وكان مرتبطاً أيضاً في مهامه بديوان الجيش^(٣) وللمشرف عليه راتب قدره عشرة عَشرون ديناراً شهرياً^(٤) وديوان النظر ويتولى صاحبه النظر في شئون جميع الدواوين المتعلقة بالأموال، ويصفه القلقشندي بأنه "رأس الكل وله الولاية والعزل وإليه عرض الأرزاق في أوقات معروفة على الخليفة وله الجلوس بالمرتبة والمسند وبين يديه حاجب من أمراء الدولة، وتخرج له الدواة من خزانة الخليفة بغير كرسي"^(٥) وكان راتبه أعلى مرتب أرباب الدواوين حيث يتقاضى سبعين ديناراً شهرياً^(٦) ويلحق بهذا الديوان ديوان آخر يعرف بديوان التحقيق، يتولاه كاتب خبير له الخلع والمرتبة والحاجب ووظيفته المقابلة على الدواوين^(٧) ويلقى في المرتبة صاحب ديوان النظر ويليه في الراتب الشهري الذي يبلغ خمسين ديناراً^(٨) كما يلحق أيضاً بديوان النظر، ديوان المجلس وكان يعمل به عدة كتاب ولكل واحد منهم مجلس مستقل ويعاونه موظف أو اثنين وكان صاحب هذا الديوان هو المشرف على الإقطاعات ويخلع عليه الخليفة في مناسبة تعيينه

(١) صبح، ج ٣، ص ٤٨٩. خطط، ج ١، ص ٤٠١.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٠٢.

(٣) صبح، ج ٣، ص ٤٨٩.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٠٢.

(٥) صبح، ج ٣، ص ٤٨٩. خطط، ج ١، ص ٤٠٠.

(٦) صبح، ج ٣، ص ٥٢٢. خطط، ج ١، ص ٤٠١.

(٧) صبح، ج ٣، ص ٤٨٩. خطط، ج ١، ص ٤٠١.

(٨) صبح، ج ٣، ص ٥٣٢. حفظ، ج ١، ص ٤٠١.

ويخرج سجل من ديوان الإنشاء بذلك وله دواة تخرج من خزانة الخليفة وحاجب يقف بين يديه، وكان يتولى رئاسة هذا الديوان أحد كتاب الدولة من المرشحين لأن يكون رأس الدواوين، وكان يشرف أيضاً على العطاء والرسوم التي تمنح في المناسبات من الأطعمة والتشريعات والغلات وما يخرج من الكموات للأولاد والأقارب والجهات وأرباب الرتب على اختلاف الطبقات وما يرد من ملوك الدول من الهدايا وما يرسل لهم من الملاحظات، وما يخرج من الأكفان لمن يموت من حريم القصر، وضبط ما يتفق في ذلك ومقارنته بمصروفات السنين السابقة لمعرفة التفاوت بينها^(١) وكان يتقاضى صاحب هذا الديوان أربعين ديناراً شهرياً أما صاحب دفتر المجلس فكان يتقاضى خمسة وثلاثين ديناراً وكاتبه خمسة دنانير^(٢).

كما كان يوجد ديوان خزائن الكسوة والطراز^(٣) بالإضافة إلى عدد من الدواوين الفرعية التي تشرف على الضرائب الواردة على الدولة من أنحاء القطر مثل ديوان الأحباس، وديوان الصعيد وديوان الوجه البحري المعروف بأسفل الأرض وديوان الثغور وديوان الهلال^(٤) بالإضافة إلى ديوان الكراع التي يتولى شئون الحيوانات ودواب الركوب وديوان الجهاد أو العمانر وكان مقره دار الصناعة بمصر ويشرف على بناء الأسطول والنقل البحري والإنفاق على الأسطولية^(٥).

(١) راجع : صبح، ج ٣، ص ٤٨٩، ٤٩٠، خطط، ص ٣٩٧، ٣٩٨.

(٢) صبح، ج ٣، ص ٥٢٢، خطط، ج ١، ٤٠٢.

(٣) سأتناولها بالتفصيل في الفصل الخاص بالملابس.

(٤) راجع : صبح، ج ٣، ص ٤٩٠ - ٤٩٢.

(٥) صبح، ج ٣، ص ٤٩٢.

وكان راتب أرباب هذه الدواوين عشرين ديناراً شهرياً أما الكتاب والمعاونين فكانت تتراوح بين عشرة وخمسة دنانير لأدنى الوظائف^(١).

٤ - أرباب الصنائع بالقصر :

كان بالقصر الفاطمي عدد كبير من أرباب الصنائع المختلفة مثل الخياطين والرفانين^(٢) وغيرهم، وتشير المصادر إلى أن المعز أبدى اهتماماً بجميع الصنائع في كل صنعة وعينهم " صناعاً للخاص " وخصص لهم حجراً لأقامتهم في القصر^(٣) وحدد لهم مراتب مجزية، وكان أهم أرباب الوظائف الصناعية في الدولة الأطباء، فكان للخليفة الفاطمي طبيب للإشراف على علاجه إذا مرض يعرف " بطبيب الخاص وأحياناً كان يخصص لهذه المهمة أكثر من طبيب^(٤) بالإضافة إلى أربعة أطباء كانوا يجلسون بقاعة الذهب لعلاج أقارب الخليفة وحاشيته وخدمه فيخرج الأستاذون لاستدعاء من يحتاجونه منهم، فكان الطبيب يكتب للمريض رقعة بما يحتاجه من الدواء تصرف من خزانة الشراب بالقصر، وكان المشرف على خزانة الشراب يحتفظ بهذه الرقاع لانبثبات ما خرج منها من الأدوية^(٥) وكان يخلع على طبيب الخاص عند تعيينه، ويخرج في مركب. ومن أمثلة ذلك خروج منصور بن مقشّر النصراني طبيب العزيز في مركب فخيم إلى الكنيسة تحف به الشموع المركبة^(٦) وكان مرتب طبيب

(١) صبح، ج ٣، ص ٥٢٢، خطط، ج ١، ص ٤٠١ - ٤٠٢.

(٢) صبح، ج ٣، ص ٥٢٢، خطط، ج ١، ص ٤٠١، ٤٠٢.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٤٣.

(٤) صبح، ج ٣، ص ٥٢١، خطط، ج ١، ص ٤٠١.

(٥) صبح، ج ٣، ص ٤٩٢.

(٦) انعاظ، ج ١، ص ٢٨١، وهي شموع ضخمة قد يصل وزن الواحدة منها أكثر من

الخاص خمسين ديناراً في الشهر أما الأطباء الآخرون بالقصر فكان مرتب الواحد منهم عشرة دنانير^(١) وإن كان هذا المرتب لا يعنى شيئاً بجانب ما يحصل عليه طبيب خاص من هبات عند شفاء الخليفة إذا مرض. فيذكر أنيرى أن الحاكم عندما شفى من مرض ألم به سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م منح طبيبه عشرة آلاف دينار^(٢) لذلك عاش بعضهم في ثراء وبذخ وتركوا ثروات ضخمة بعد وفاتهم، فقد ترك يعقوب بن نسطاس طبيب الحاكم عند وفاته سنة ٣٩٧ هـ / ١٠٠٦ م ما يزيد على عشرين ألف دينار عينا سوى الثياب والتحف^(٣).

ولم تكن وظائف الأطباء في عصر الدولة الفاطمية قاصرة على القصر فقط، بل كان المارستان موضع رعاية الخلفاء وكانوا يحبسون عليه الأوقاف للاتفاق عليه^(٤) ولا شك أن الدولة كانت تعين الأطباء للقيام بمعالجة المرضى وتمنح لهم المرتبات نظير ذلك، ورغم أننا، لا نملك معلومات محددة عن هذا الموضوع إلا أن أبا الصلت أمية الذي زار مصر في عهد الخليفة

(١) صبح، ج ٣، ص ٥٢١.

(٢) مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٥٥.

(٣) انعاظ، ج ٢، ص ٧٠.

(٤) راجع : انعاظ، ج ٢، ص ١٠٥، ١٠٦، خطط، ج ١، ص ٤٠٧، ٤٥٥،

ويروى المقريزى في حوادث سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م " نزل الظاهر إلى اليمارستان متكرراً في عيده، فطافه، وأطلق لكل من المجانين خمسين درهماً، وللقيم عليهم خمسمائة درهم، ورسم بعمارته، وأجرأ الماء على رسمه، وأن يطبخ للمجانين كل يوم ما يأكلونه بعد أدويتهم " (راجع : انعاظ، ج ٢، ص ١٤٣).

الآمر يذكر رواية طريقة توضح أن المارستان في عهد الدولة الفاطمية كان عامراً بالأطباء وكان المرضى موضع رعاية من الدولة^(١).

وكانت الدولة الفاطمية تهتم بالشعراء وتجذبهم إليها لاستخدامهم كوسيلة للدعاية لمذهبها، لذلك كانت تلحق من يدخل في خدمتها منهم بديوان الإنشاء^(٢) وكانت تجزل لهم الأعطيات والهبات بالإضافة إلى مرتبات شهرية تتراوح بين عشرين ديناراً إلى عشرة دنانير^(٣).

٥ - أبواب الوظائف الدينية :

كان في الدولة الفاطمية عدد من الموظفين لوظائفهم صبغة دينية كانوا يعرفون بأرباب العمائم، لأن العمائم الكبيرة كانت تميزهم عن غيرهم من الطوائف الأخرى، ومن أهم هذه الوظائف القضاة والدعاة والشهود العدول وقراء الحاضرة والخطباء والقراء والمؤذنون في الجوامع.

قاضى القضاة : وهي أجل الوظائف الدينية وأرفعها شأنًا، وربته أجل رتب أرباب العمائم وأرباب الأقالام^(٤)، ولا يتقدم عليه أحد في محضر هو

(١) يذكر أبو الصلت أمية " ومن ظريف ما سمته أنه كان بمصر منذ عهد قريب رجل ملازم للمارستان يستدعى للمرضى كما تستدعى الأطباء، فيدخل على المريض فيحكى له حكايات مضحكة، وخرافات مسلية ويخرج له وجوها مضحكة.. فإذا انشرح صدر المريض وعادت إليه قوته تركه وانصرف " (راجع الرسالة المصرية، ص ٣٤) وهذه طريقة للعلاج عن طريق الضحك في هذا العصر، ولعلها أول إشارة إلى مثل ذلك الأمر الذي يعد حاليًا من وسائل العلاج الحديث.

(٢) صبح. ج ٣، ص ٤٩٣.

(٣) خطط. ج ١، ص ٤٠١.

(٤) خطط. ج ١، ص ٤٠٣، انعاظ. ج ٣، ص ٣٣٦.

حاضره من رب سيف أو قلم^(١) وكان تعيينه يصدر عن الخليفة في العصر الفاطمي الأول عندما كان الوزراء من أرباب الأقلام. أما في العصر الفاطمي الثاني عندما أصبح الوزراء من أرباب السيوف، كان الوزير يعين القاضي لأنه يتوب عنه، وفي هذه الحالة كان لا يلقب بقاضي القضاة لأن هذا كان من ألقاب الوزير^(٢)، وكان من الرسوم المتبعة في الدولة الفاطمية إصدار سجل بتولية القاضي من ديوان الإنشاء ويقرأ هذا السجل على الملأ في جوامع القاهرة والفسطاط وغيرها^(٣).

أما عن اختصاصات القاضي، فكان بالإضافة إلى وظيفته الأصلية وهي النظر في الأحكام الشرعية^(٤) فكان يتولى الصلاة والخطابة بمحضرة خليفة، والإشراف على دور الضرب في كل أقاليم الدولة، والنظر في أحباس الخوامع والمساجد، ووجوه البر، وتعيين النواب عنه في الأقاليم^(٥).

وأحياناً كان يجمع بين القضاء والدعوة، فيكتب بقاضي القضاة وداعي الدعاة، فإذا جمع بين الوظيفتين خرج موكبه عند التعيين بالطبول والأبواق والبند، أما إذا كان يتولى القضاء فقط، فإن موكبه يخلو من ذلك، فيسير وحوله الجند مزجلون والمؤذنون يعلنون بذكر الخليفة والوزير إن كان صاحب سيف^(٦).

(١) خطط، ج ١، ص ٤٠٤.

(٢) راجع: صبح، ج ٣، ص ٤٨٣، انماط، ج ٣، ص ٣٣٧، ماجد، نظم، ج ١، ص ١٤٣، ١٤٤.

(٣) ابن حجر العسقلاني، رفع الأصر، القسم الأول، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٧٨. الدرّة المضيئة، ص ١٧٤.

(٤) انماط، ج ٣، ص ٣٣٦.

(٥) انماط، ج ٢، ص ١٠٨، ١٠٩.

(٦) انماط، ج ٣، ص ٣٧٧.

وكان من رسوم القاضى أن يخرج له من اصطبل الخليفة بغلة شهباء لركوبه. وهو مخصوص بهذا اللون من البغال دون غيره من موظفى الدولة. وتخلع عليه الخلع المنحبة

وكان القضاة يتمتعون باحترام الخلفاء وتقديرهم لما لوظائفهم من أهمية لدى جميع الناس. فعندما اصدر الحاكم بأمر الله أوامر بإسقاط الألقاب عن جميع موظفى الدولة. لم يستثن من هذا القرار سوى ولى العهد وقاضى القضاة وداعى الدعاة^(١).

وكان راتب قاضى القضاة مائة دينار فى الشهر^(٢) هذا ما رواه القلقشندى والمقريزى، ولكن يبدو أن مرتب القاضى لم يكن جامداً، بل كان يختلف من وقت لآخر فيروى ناصر خسرو الذى زار مصر فى عهد الخليفة المستنصر " ويتقاضى قاضى القضاة ألفى دينار مغربى فى الشهر، ومرتب كل قاض على قدر مرتبه. وذلك حتى لا يطمع القضاة فى أموال الناس أو يظلمونهم"^(٣) والعبارة الأخيرة هى التى دفعت الخلفاء إلى زيادة مرتبات القضاة، فعند تعيين القاضى الحسين بن النعمان سنة ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ ضاعف له الخليفة الحاكم مرتبه وصلاته وإقطاعاته وحذره من التعرض لدرهم من أموال المسلمين^(٤).

(١) صح. ج ٣، ص ٤٨٢، انظر. ج ٣، ص ٣٣٧.

(٢) ابن سعيد، النجوم، ص ٥٨. ابن حنبله التلمسانى، سكر دان السلطان، القاهرة ١٣١٧ هـ، ص ١٧٥.

(٣) صح. ج ٣، ص ٥٢٢، خطط، ج ١، ص ٤٠١، انظر، ج ٣، ص ٣٤٠.

(٤) سفرنامه، ص ٦٥.

(٥) انظر. ج ٢، ص ٢١.

وكان يعاون القاضى فى أداء وظيفته فى الحكم عدد من الشهود العدول أو المعدلين^(١) وكانوا يختارون بعناية من بين الأشخاص المشهود لهم بالأمانة والتفقه فى الدين. ولا يسمح للقاضى أن يعدل شاهداً إلا باذن من الخليفة بعد أن يزيكه عشرون عدلاً ممن سبقوه فى هذه الوظيفة ويرضاه سائر الشهود^(٢). وكان الخلفاء يهتمون بإسناد هذه الوظيفة لمن هم أهل لها لأهميتها فى إظهار البيئة ومساعدة القضاء فى تحقيق العدالة^(٣).

وجاء فى سجل صادر عن الخليفة الحافظ فى ذى الحجة سنة ٥٤١ هـ إلى قاضى عسقلان ما يؤكد هذه الأهمية للشهود العدول وضرورة تركبتهم من سبقوهم، فيقول السجل :

”... إلى القاضى الأشرف أبى المجد على بن الحسن البستانى^(٤)، قد انتهى إلى حضرة أمير المؤمنين أن قوماً من أهل نجر عسقلان حماة الله قد صاروا يزدون توقيعات بقبول أقوالهم من غير تركية من شهوده المعروفين بالتركية لهم.. فأنكر أمير المؤمنين ذلك من فعلهم، وخرج على أمره بأن لا يسمع قول شاهد ولا يتقدم لخطابة ولا لصلاة بالناس، ولا لتلاوة فى موضع شريف إلا من زكاة أعيان شهود النجر وهم فلان وفلان وعد ثمانية أنفس“^(٥).

(١) خطط، ج ١، ص ٣٨٦.

(٢) صحح، ج ٣، ص ٤٨٢، ٤٨٣، انعاظ، ج ٣، ص ٣٣٧، خطط، ج ١، ص ٤٠٤.

(٣) ماجد، نظم، ج ١، ص ١٤٧.

(٤) هو والد القاضى الفاضل وكان يتولى القضاء فى نجر عسقلان فى ذلك الوقت (ابو

شامة الروعيتين، ج ١، القاهرة، ١٢٨٧ هـ، ص ٥٠).

(٥) أبو شامة، الروعيتين، ج ١، ص ٥٠.

والسجل يوضع وظائف متعددة للشهود العدول منهم الإمامة في الصلاة والخطابة وتلاوة القرآن بالإضافة إلى ما عرف من وظائف أخرى مثل وظيفة المحتسب ووكالة بيت المال، ونائب صاحب الباب^(١) ونقابة الأشراف الطالبين^(٢)

وله تذكّر المصادر شيئا عن مرتب الشاهد العدل. وإن كان من المحتمل أن مرتباتهم تتفق مع سبقهم في التعديل أو إلى الوظائف التي تسند إليهم بالإضافة إلى وظيفتهم الأصلية. فاحتسب كان يتقاضى راتباً قدره ثلاثون ديناراً في الشهر^(٣) وكان راتب نائب صاحب الديوان خمسين ديناراً^(٤). وإن كنا لا ندرى مرتبات باقي الوظائف التي تسند إلى العدول فإنها قريبة من ذلك.

داعى الدعاة :

ومن أرباب الوظائف الدينية داعى الدعاة، ورتبته تلى رتبة قاضى القضاة وغالباً ما كان يجمع شخص واحد بين الوظيفتين، وكان يشترط فى داعى الدعاة أن يكون ملماً بأصول المذهب الإسماعيلى متفهماً فى علوم الدين ويحمل بين يديه اثنا عشر نقيباً وله نواب فى سائر أقاليم الدولة.

وكانت مجالس الدعوة الفاطمية تعقد فى القصر وفى المساجد وفى دار العلم وكان يرأسها داعى الدعاة أو أحد نوابه، فيقرأ على الأتباع تعاليم المذهب الإسماعيلى، ويأخذ العهد على من يعتقد مذهبهم ويجمع منهم مال النجوى ومقداره ثلاثة دراهم ونصف ويحمل هذه الأموال إلى الخليفة^(٥) وكان داعى الدعاة يتقاضى مرتباً مساوياً لقاضى القضاة مقداره مائة دينار فى الشهر^(٦).

(١) راجع : صح، ج ٣، ص ٤٨٣، ٤٨٤.

(٢) خطط، ج ١، ص ٣٨٦.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٦٤.

(٤) انعاظ، ج ٣، ص ٣٤٢.

(٥) راجع : صح، ج ٣، ص ٤٨٣. انعاظ، ج ٣، ص ٣٣٧. وراجع تفصيل وصف

الدعوة وترتيبها : خطط، ج ١، ص ٣٩١ - ٣٩٧.

(٦) صح، ج ٣، ص ٥٢٢. نعط، ج ٣، ص ٣٤٠.

المحتسب :

وهى من الوظائف الدينية التى لا تسند إلا إلى وجوه المسلمين وأعيان المعدلين^(١) وكان يخرج للمحتسب عند تعيينه سجلاً من ديوان الإنشاء مثل القاضى ويقرأ فى جوامع القاهرة والفسطاط ويضاف به فى مركب بالطبول والبند^(٢) وكانت الحسبة تسند فى بعض الأحيان إلى صاحب الشرطة^(٣) كما كانت تضاف إلى ولاية القاهرة^(٤) أو الفسطاط^(٥) كما كانت تسند أحياناً إلى أحد أعيان التجار الذين لهم خبرة بالأسواق^(٦).

وكان للمحتسب نواب فى القاهرة والفسطاط وجميع الأعمال لمساعدته فى أداء اختصاصاته التى تتلخص فى مراقبة الأسواق وأرباب الحرف والمعيش والطباخين وصناع الهريسة^(٧) كما كان يقوم بمراقبة الأخلاق العامة ومنع تعرض الشباب للنساء أو اختلاء رجل بامرأة ليست بذات محرم^(٨) كما كان يشرف على نظافة الأسواق والطرقات والماء الذى يحمله السقاءون ومراعاة الرفق بالحيوان ومنع معلمى الصبيان من ضربهم ضرباً مبرحاً وتحذير "معلمى العوم" من التفرير بأولاد الناس. بالإضافة إلى مراقبة المكاييل والموازين وضبط عيارها منعاً للغش^(٩).

(١) خطط، ج ١، ص ٤٦٣.

(٢) انعط، ج ١، ص ٢٧١.

(٣) صبح، ج ٣، ص ٤٨٣.

(٤) انعط، ج ٣، ص ٥٥.

(٥) راجع : صبح، ج ١٠، ص ٣٥١، ٣٥٢ (سجل تولية والى مصر فى العصر الفاطمى).

(٦) انعط، ج ٢، ص ٤٣.

(٧) راجع التفاصيل فى الفصل الخاص بالطعام والشراب.

(٨) صبح، ج ١٠، ص ٣٥٢.

(٩) راجع التفاصيل، خطط، ج ١، ص ٤٦٣، ٤٦٤.

وكالة بيت المال :

وكانت من الوظائف الدينية التى تسند لذوى الهيبة من الشهود العدول. وكان ينوب عن الخليفة فى التصرف فى أملاكه بالبيع والشراء وعنى العبيد وتزويج الاماء، وإنشاء ما يرى إنشاءه من المباني أو المراكب^(١) ويمكن أن يطلق عليه وكيل أعمال الخليفة.

النائب :

والمراد به نائب صاحب الباب وكانت تعرف بالنيابة الشريفة ويتولى تلك الوظيفة أعيان العدول وأرباب الأقلام ومهمة صاحبها النيابة عن صاحب الباب فى استقبال الرسل القادمين على الخليفة ويعمل على راحتهم ومنع أحد من الاتصال بهم ويصاحب الرسول مع صاحب الباب لاستقبال الخليفة أو الوزير^(٢).

ومن أرباب الوظائف الدينية أيضاً قراء الحضرة، الذين يقرأون القرآن فى مجلس الخليفة وفى المناسبات والمواسم والأعياد، وكانوا يتقاضون عن هذه الوظيفة مرتباً يتراوح بين عشرين ديناراً إلى عشرة دنانير للفرد^(٣).

وكانت الدولة الفاطمية تخصص لكل جامع خطيباً وإماماً واثنين من المؤذنين^(٤) وكان خطيب الجامع يتقاضى مرتباً يتراوح بين عشرين وعشرة دنانير فى الشهر^(٥) وكانت أسماء الفقهاء والقراء والمؤذنين بالقاهرة ومصر تثبت فى كشوف تحدد فيها مرتباتهم ويعتمدها الخليفة، وبلغت مجموع

(١) صح، ج ٣، ص ٤٨٣، ٤٨٤.

(٢) صح، ج ٣، ص ٤٨٤.

(٣) صح، ج ٣، ص ٥٢٢.

(٤) انعاظ، ج ٣، ص ٨٨.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٠١.

مراتبهم في عام ٤٠٦ هـ / ١٠١٦م ما يزيد على واحد وسبعين ألفاً وسبعمائة دينار^(١).

وبالقاء نظرة عامة على طبقة الخاصة وأتباعها وأرباب الوظائف في الدولة الفاطمية نلاحظ ما يأتي :

أن هذه الطبقة في معظمها كانت تتخذ من مدينة القاهرة مقراً لها، فالقاهرة في العصر الفاطمي كانت " منزل سكنى الخليفة وحرمة وجنده وخواصه " ^(٢) و " أهل القاهرة أكثرهم الجند وأهل الدولة وأتباعهم " ^(٣). فالقاهرة كانت مدينة الخاصة، والفسطاط وملحقاتها كانت مدينة العامة. وكان معظم موظفي الدولة يقطنون القاهرة حيث مقر وظائفهم، وكان بعضهم يقطن القصر الخلافي وخاصة الخدم والحاشية. وكان الخلفاء يهتمون بسكنى الحاشية وأرباب الوظائف، ومثال ذلك ما قام به الخليفة الأمر الذي أصدر أوامره بإخلاء الدور المطلة على شاطئ الخليج جنوب منظره للزوجة من مستأجريها ليسكن بها حواشي الخليفة^(٤).

كما نلاحظ أن سياسة الفاطميين الداخلية كانت تقوم على إغراق رعاياهم بجودهم وبلذخهم، وخاصة حاشيتهم وأرباب الوظائف في دولتهم، بهدف كسب قلوبهم والاحتفاظ بولائهم، فالخليفة العزيز يصرح بقوله .. أحب أن أزي النعم عند الناس ظاهرة، وأرى عليهم

(١) انعاظ، ج ٢، ص ١١٢.

(٢) خطط، ج ١، ص ٣٦٤.

(٣) انعاظ، ج ١، ص ٢٩٩.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٦٨.

الذهب والفضة والجواهر. ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار. وأن يكون ذلك كله من عندى"^(١).

وعندما عرض عليه العزيز بعض وجوه الإنفاق فى الدولة لاعتمادها، وكانت تحتوى على نفقاته الخاصة بمطابخه وموائده، فحذف ذلك ولعن من عمله وقال :

" أشبع أنا ويجوع الناس، أطلقوا أرزاق الناس " ^(٢).

والواقع أن هذا السخاء، والرغبة فى سد حاجة الرعية، كان فى معظمه من نصيب موظفى الدولة وأصحاب الرواتب والرسوم المقررة، ولم يكن يصيب العامة من كرم الدولة وبذخها إلا النذر اليسير الذى قد يحصلون عليه فى مناسبات الأعياد والمواسم المختلفة، وهى أمور متغيرة ليست لها صفة الدوام.

وبمراجعة مرتبات موظفى الدولة وأرباب الرتب فيها، نجد على قمة الوظائف الوزير بمرتب قدره خمسة آلاف دينار فى الشهر، ثم تتدرج الرواتب حتى تصل إلى خمسة دنانير مرتب الرشاشين داخل القصر وخارجه ^(٣)، وكانت هذه الرواتب لا تقتصر على الموظف، بل تمتد لتشمل أفراد أسرته وحاشيته

(١) خطط، ج ص، ص ٢٨٤، وكانت الدولة الفاطمية تسير على نفس السياسة تجاه رعاياها فى المغرب، فالخليفة المعز كان يسوؤه أن يرى أحد رعاياه فى فاقة، ويريد للجميع أن .. يكونوا أغنياء تظهر نعمة الله عليهم " وكان يبحث عماله أن يأخذوا من أموال الأغنياء ما يسد حاجة الفقراء ويمحنوا إلى الرعية، ويأمرهم بتوخى العدل والانصاف وحسن السيرة فى الرعية والرفق والإحسان إليها " (راجع : النعمان : المجالس، والمسائرات، تونس ١٩٧٨، ص ٥٥٩).

(٢) اتعاظ، ج ١، ص ٢٧٧.

(٣) صبح، ج ٣، ص ٥٢٢.

فالوزير إذا كان له ولد أو أخ كان يحصل على راتب من الدولة يتراوح بين ثلاثمائة إلى مائتي دينار، وحاشيته أيضاً يتراوح رواتب الفرد منها بين خمسمائة إلى ثلثمائة دينار^(١) ولم يكن هذا قاصراً على الوزير فقط، بل كان يشمل جميع موظفي الدولة والخدم والحاشية فيذكر صاحب الدول المنقطعة أن الخليفة العزيز " هو أول من قرر العطاء لعلمانه وخدمه وأولادهم وبناتهم وبناتهم وكساويهم "^(٢). كما عرفت الدولة الفاطمية نظام المعاش لورثة من يموت من أرباب الوظائف، فيذكر القلقشندي " ويراعون من يموت في خدمتهم من عقبه، وإن كان له مرتب نقلوه إلى ذريته من رجال أو نساء "^(٣).

بالإضافة إلى هذه الرواتب المسترة، فإن الدولة كانت تتكفل بجميع مطالب موظفيها وخدمها بلا استثناء فتسد جميع احتياجاتهم من الغذاء والكساء والعلاج والركوب بحيث لا يحتاج الواحد منهم في مرتبة إلا النذر اليسير، بل إن فائض ما يقد علىهم في المناسبات يجعل البعض منهم يذخر ثروة كبيرة على مر السنين.

فكانت الدولة تعرف من خزانة الطعام الخاصة بقصر الخليفة لموظفيها حاجتهم من الطعام^(٤)، كما كانت تصرف من المخازن التابعة للدولة حاجة أرباب الوظائف من الغلال بالإضافة إلى أرباب الصدقات وجرايات العيد السودان^(٥).

(١) صح. ج ٣، ص ٥٢١، اتعاض، ج ٣، ص ٣٤٠.

(٢) مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٣، خطط، ج ١، ص ٤٠٢.

(٣) صح. ج ٣، ص ٥٢٠، ويبدو أن هذا التقليد كان متبعاً في المغرب قبل انتقال الفاطميين إلى مصر، فيذكر النعمان أن المعز كان " يسع على أوليائه وعبيده الصلوات والأرزاق.. على نسايتهم وأبنائهم، ومن استشهد منهم أو مات أبقى ما كان يجري عيه لمخلفيه " (راجع: المجالس، ص ٥٣١. ٥٣٢).

(٤) صح. ج ٣، ص ٤٧٢، وراجع أيضاً، خطط، ج ١، ص ٤٠٩، ص ٤٢٢.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٦٥.

أما الملابس، فإنه منذ قدوم المعز إلى مصر أنشأ دار الكسوة، وكانت تخرج منها جميع أنواع الثياب إلى جميع أرباب الوظائف في الدولة من فاخر الملبوس في الصيف والشتاء وبمناسبة عيد الفطر^(١) وغيرها من المناسبات.

بالإضافة إلى ما ذكرنا فقد كانت الدولة توفر الدواب التي يستخدمها الموظفون في تنقلاتهم وتصرف لهم حاجتها من العلف والطعام^(٢) وكانت الدولة أيضاً تتكفل بعلاج تلك الطبقة، حتى أكفان من يموت منهم كانت تمنح لهم من خزائن الدولة^(٣).

ويروى المقرئى تفاصيل مذهشة لما يحصل عليه أحد كتاب الدواوين من الرواتب والهبات والرسوم المقررة له من الطعام والشراب والركوب، وما يحصل عليه في المواسم والأعياد من المنح والكساوى هو وزوجته وأولاده^(٤) ويعلق المقرئى على ذلك قائلاً :

" فانظر أعزك الله إلى سعة أحوال الدولة من معلوم رجل واحد من كتاب دواوينها، يتبين لك من عظم الشأن وكثرة العطاء ما يكون دليلاً على باقى أحوال الدولة " ^(٥).

(١) راجع تفاصيل ما يوزع من دار الكسوة في الفصل الخاص بالملابس في العصر الفاطمى.

(٢) راجع : مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٣، ٧٨.

(٣) خطط، ج ١، ص ٣٩٨.

(٤) راجع التفاصيل، خطط، ج ١، ص ٣٩٩، ٤٠٠.

(٥) نفسه، ص ٤٠٠.

الفصل الثاني

طبقة العامة

أولاً : التجار.

ثانياً : أصحاب الصناعات والحرف.

ثالثاً : العامة.

رابعاً : العبيد.

مدخل :

يمثل العامة أغلبية سكان مصر فى العصر الفاطمى وغيره من عصور مصر الإسلامية ويمكن تعديلهم بأنهم أصحاب الأعمال الحرة على اختلاف أنواعها الذين لا يتخبطون فى سلك أرباب الوظائف فى الدولة وليس لهم دخل اقتصادى ثابت يحصلون عليه من نتاج أعمالهم، وكانت الفسطاط تزدهم بالعامة فعكس القاهرة، وقد تعجب المقدسى من كثرة أعداد المصلين الذين يجتشدون عند صلاة الجمعة فى جامع عمرو بن العاص الذى يقدر عددهم بعشرة آلاف، ولم يصدق هذا العدد إلا عندما حضر بنفسه الصلاة فى جامع عمرو ^(١).

ولما كانت الفسطاط هى المقر الرئيسى للعامة ومركز سكانهم، وكان من الضرورى القاء الضوء على دورها وبيوتها فى العصر الفاطمى :

يستفاد من أقوال المؤرخين والرحالة الذين زاروا مصر فى العصر الفاطمى أن مدينة الفسطاط كانت مكتظة بمبانيها المرتفعة التى تزيد كثيراً فى ارتفاعها عن منازل القاهرة ^(٢)، ويبدو أن ذلك راجع إلى ازحامها بالسكان أو ضيق مساحة الأراضى الصالحة للبناء، ويذكر لنا ناصر خسرو أن عدد طبقات المنازل كانت تتراوح ما بين سبعة أدوار وخمسة أدوار ^(٣) وكان الناس فى معظم الأحيان يعزفون عن الإقامة فى الأدوار السفلى ^(٤) وكان غالباً ما يقطنها أدنى طبقات العامة من الفقهاء ^(٥).

(١) راجع : المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ١٩٨.

(٢) خطط، ج ١، ص ٣٦٥.

(٣) سفرنامه، ص ٥٩، خطط، ج ١، ص ٣٤١.

(٤) خطط، ج ١، ص ٣٤١.

(٥) نفسه، ص ٣٣٧.

ونلاحظ أن ناصر خسرو يبالغ في ذكر طبقات بعض بيوت الفسطاط التي يقرر أنها مكونة من أربع عشرة طبقة^(١) ولكن من المحتمل أن شدة الزحام قد ألجأت بعض ملاك المباني إلى مثل ذلك. حتى أنه كان يسكن في الدار الواحدة ما نفا فرد^(٢) وكان يستخدم سكان بعضها من الماء في اليوم الواحد ما يقدر بأربعمائة راوية ماء^(٣).

وكانت المنازل من الخارج متشابهة بشكل عام من حيث الشكل والبناء وكان يستخدم في بنائها غالباً الحجر والآجر، وكان تخطيطها الداخلي يعتمد على المحافظة على الحرمات وتحتوى على أشكال بسيطة من البناء حيثي الفناء في الوسط وحوله الحجرات والقاعات، مما يوصى بأن الدور بأكمله كان يعتبر وحدة سكنية مستقلة، مع الاهتمام بتزيين الفناء بالفسقية وأحواض الزرع^(٤).

وكان الناس يهتمون بتأثيث دورهم ولا شك أن هذا التأثيث كان يختلف باختلاف الحالة الاجتماعية والاقتصادية، ونلاحظ من أقوال ناصر خسرو اهتمام الناس في العصر الفاطمي بمصر تزيين دورهم بالورد وزرع الحدائق على أسطح المنازل^(٥) بالإضافة إلى الاهتمام بتوصيل المياه إلى أنحاء الدار عن طريق قنوات من الفخار واشتغال الدار على المرافق الصحية الضرورية^(٦).

(١) سفرنامه، ص ٥٨.

(٢) خطط، ج ١، ص ٣٤١.

(٣) خطط، ج ١، ص ٣٣١.

(٤) راجع: جمال محرز، منازل الفسطاط كما تكشف عنها حفائر الفسطاط، مقال في كتاب أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٣٢٨، ٣٢٩.

(٥) سفرنامه، ص ٥٨.

(٦) جمال محرز، نفسه، ص ٣٩٩.

وكانت معظم طرق القسطة حبيقة حتى أنه كان من الصعب على جمال السقائين أن تحترقها فكان الماء يصل إليها عن طريق حمله في جرار النحاس أو القرب^(١) ونتيجة لذلك كانت الشمس لا تصل إلى الطرقات ويضطر الناس إلى إضاءة البناديل أمام حوانيتهم ودورهم نهائياً للإضاءة^(٢).

ومن الإشارات القليلة التي وصلت إلينا يمكن القول بأن منازل القسطة كانت أكثر ارتفاعاً من منازل القاهرة، وإن كانت القاهرة أكثر نظافة في شوارعها ومرافقها من مدينة القسطة^(٣) وهذا يبدو منطقياً كنتيجة لازدحام القسطة بالعامّة وقلة المستوى الاقتصادي بين أهلها عن أهل القاهرة، كما نلاحظ أنه لم يكن مسموحاً في القاهرة بامتلاك العقارات إلا لطبقة الخاصة فقط، فيروى ناصر خسرو أن في القاهرة ما لا يقل عن عشرين ألف دكان كلها ملك للخليفة وكانت توجر للراغبين بإيجار يتراوح بين عشرة دنائير ودينارين^(٤) ومع التفاضل عن المبالغة الواضحة في هذا العدد الضخم إلا أنه يوضح أن تجار القسطة وأرباب الحرف الذين كانوا يقضون نهارهم في القاهرة لممارسة نشاطهم ومعاشهم لم يكن يحق لهم امتلاك العقارات.

ويذكر ناصر خسرو ذلك بوضوح في قوله: "إذ ليس لأحد أن يملك عقاراً أو بيتاً غير المنازل وما يكون قد بناه لنفسه"^(٥) واعتقد أن هذا الأمر الأخير كان قاصراً على طبقة الخاصة من أهل القاهرة.

(١) سفرنامه، ص ٥٩.

(٢) سفرنامه، ص ٥٨.

(٣) خطط، ج ١، ص ٣٦٥.

(٤) سفرنامه، ص ٤٨.

(٥) سفرنامه، نفسه.

وكانت الدولة تبنى المنازل فى القاهرة والفسطاط وتزجرها لمن يرغب فى ذلك وقد بلغ عدد البيوت التى يملكها الخليفة لهذا الغرض زمن ناصر خسرو ثمانية آلاف ^(١) وكانت بيوت الفسطاط بوجه عام تتسم بالنظافة وحسن البناء، وكان يشترط عدم تلاصق الدور حتى يمكن إجراء الهدم والإصلاح دون مضايقة الجار ^(٢)، وكان المحتسب يراقب مثل تلك الأمور، وخاصة ما يتعلق منها بالمرافق الصحية وما يخرج من الدور من الفضلات للمحافظة على الصحة العامة ومنع الأضرار بالمارة فى الطرقات وأصحاب الحوانيت ^(٣).

ورغم أن العامة كانوا يمثلون أغلبية السكان فى المجتمع، ويعدون العنصر المنتج بين طبقاته "الذين بهم قوام العيش فى الأيام" ^(٤) إلا أنهم كانوا فى أغلب الأحيان مغلوبين على أمرهم، خاضعين لسلطة مهيمنة تملك بيدها كل أمور السياسة والاقتصاد، وتتحكم فى توجيهها وفق مصالحها الخاصة، ولكن هذا لم يمنع العامة من التعبير عن آرائهم أحياناً فى صورة شكاوى عنيفة أو سخرية لاذعة من حكامهم.

وكانت السجلات الرسمية الصادرة عن الدولة الفاطمية إلى الولاة تحثهم على المساواة بين جميع فئات المجتمع، وتطالبهم أن يتوخوا "المساواة بين الناس فيما هو محكم، ولا تجعل بين الفنى والفقير فى الحق فرقاً" ^(٥) وتحث على

(١) سفرنامه، نفسه.

(٢) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٥٠.

(٣) راجع : الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ١٤.

(٤) صبح، ج ١، ص ٣٥١، (من سجل تعيين والى الفسطاط فى العصر الفاطمى) ويمكن تقدير عدد سكان الفسطاط بأكثر من ضعف سكان القاهرة. وذلك بمقارنة استهلاك القمح، فى المدينتين زمن الخليفة المستنصر (راجع : اتعاط، ج ٢، ص ٢٦٦).

(٥) صبح، ج ١٠، ص ٣٥٠، ص ٣٥١ (من سجل تعيين والى الفسطاط فى العصر الفاطمى).

المساواة فى الحق. بين طبقات الناس. ولا تميز فيه وفيها على حقير. ولا غنيا على فقير " ^(١) ولكن رغم ذلك فإن هذه المساواة كانت معدومة فى معظم الأحيان. ومن الصعب تطبيقها فى مجتمع يعتمد على الثروة والقوة والنفوذ فى تحديد المكانة الاجتماعية لأفراده.

ونلاحظ أن المؤرخين وكتاب النظم وغيرهم قد أغفلوا ذكر طبقات العامة. وحياتهم الاجتماعية ونشاطهم، ومن إشار منهم إلى هذا الأمر نجده يتكلم عنهم بازدراء، فيذكر الدمشقى فى معرض تقسيمه للوظائف ومكانة أصحابها الاجتماعية أن " الرئاسة التى تنال بها الحال الدنيوية مقسومة بين السيف والقلم : فأما رئاسة السيف فللملوك والأمراء والحجاب وقواد العساكر، وأما رئاسة القلم فللوزراء ^(٢) والكتاب والقضاة والخطباء ومن يجرى مجراهم. وأصحاب السيوف هم الحماة وأصحاب الأقلام هم الكفاءة، وكل صناعة غير هاتين فليس ذكر صاحبها يعز " ^(٣) ويضع الصنائع اليدوية فى أدنى الطبقات بين الناس ^(٤).

(١) صبح، ج ١٠، ص ٣٣٦ (من سجل تعيين والى الفسطاط فى العصر الفاطمى.
(٢) يلاحظ أنه يقصر حديثه عن الوزراء من أرباب الأقلام، ويفغل أنهم كانوا أحياناً من أرباب السيوف خاصة فى العصر الفاطمى الثانى (راجع ما سبق ذكره عن طبقة الوزراء فى الفصل الأول).

(٣) الدمشقى، الإشارة إلى محاسن التجارة، القاهرة، ١٣١٨ هـ ص ٤٢ - وهذا الرأى يؤكد به الخليفة الفاطمى المعز، فعندما اختبر عليه الخليفة الناصر الأموى بصناعة الملابس الراقية فى الأندلس، رد عليه المعز بسخرية قائلاً أن " الحاكّة وأهل الصنائع إذا كانوا أغلب على أهل بلد نقصوا بهم " (راجع : النعمان، المجالس والمسائرات، ص ١٨٠، ١٨١).

(٤) الدمشقى، الإشارة، ص ٤٣.

ويمكن أن نميز بين طبقة العامة والفئات التالية :

أولاً : التجار :

كانت التجارة من المهن التي حظيت باحترام المجتمع الإسلامي على مر العصور فكانت تعد من المهن التي " إذا ميزت من جميع المعاش كلها وجدتها أفضل وأسعد للناس في الدنيا، والتاجر موسع عليه وله مرؤة " ^(١).

وكانت ممارسة التجارة على جميع مستوياتها من أهم الأنشطة التي يباشرها العامة وكان لوجوه التجار مكانة اجتماعية مميزة في العصر الفاطمي. فكانوا يحضرون الاستقبالات الرسمية للخلفاء ومناسبات التهنئة بالأعياد ضمن كبار رجال الدولة من أرباب الوظائف والأشراف وعلية القوم ^(٢)، كما كانوا يتعاملون تجارياً مع الخلفاء وكبار الأمراء ورجال الدولة، فيعرضون عليهم بضائعهم ويلبسون طلباتهم الخاصة ^(٣) وقد حظى كبار التجار باحترام وتقدير الخلفاء وكبار رجال الدولة، ونالت لهم كلمة مسموعة لديهم، وكانوا يتقبلون منهم الهدايا والطرائف الثمينة ^(٤).

وكان التجار يمارسون أعمالهم في حرية كاملة في ظل الأمن والاستقرار الذي نعمت به الدولة الفاطمية خاصة خلال العصر الفاطمي الأول حيث " بلغ أمن المصريين واطمئنانهم إلى حكومتهم إلى حد أن السرايين وتجار الجواهر والصياغة لا يغلقون أبواب دكاكينهم، بل يسدلون عليها الستائر. ولم يكن

(١) الدمشقي، الإشارة، ص ٤٧ - مع ملاحظة رأيه السابق في أرباب الوظائف وأصحاب الصنائع اليدوية.

(٢) راجع أمثلة على ذلك في : اعطاء، ج ١، ص ١١٠، ص ١٣٣.

(٣) الألبا ميخائيل، مخطوط سير البيعة المقدسة، لوحة ٤١.

(٤) مخطوط سيرة البيعة المقدسة، لوحة ٥٢.

أحد يجزئ على مديده إلى شئ منها" ^(١) وفي ظل هذا الأمان والاستقرار ازدادت ثروات التجار دون خوف من مصادرة أو ظلم يحيق بهم، معتمدين على أن الخليفة " لا يظلم أحدا ولا يطمع في مال أحد " ^(٢)، وحتى في الأزمات الشديدة والمجاعات فلم يكن من السهل على الدولة مصادرة أموال التجار، فعندما حدثت مجاعة شديدة سنة ٤١٥ هـ وندرت الأقوات، واضطربت أحوال الناس " وتحددت زعماء الدولة في مصادرة التجار، فاختلف بعضهم على بعض " ^(٣) ولم تهتم هذه المصادرة رغم هذه الظروف.

ويروى صاحب سيرة البيعة المقدسة حادثة في غاية الأهمية، توضح مدى ما كان يتمتع به التجار من أمان في عصر الدولة الفاطمية، وأيضاً ما كان للقضاء في ذلك الوقت من حرمة واحترام، فالمعروف أن الخليفة الحاكم قد أصدر عدة قرارات تتعلق بمنع صنع الخمر واثلاف العنب وكسر جرار العسل حتى لا تستخدم في صناعة الخمر " وأن أحد التجار خسر جملة مال ثمن عسل وزبيب، وأنه حاكم مولانا الحاكم عند قاضي القضاة ابن النعمان وقال له : أنه وصل إلى مصر ببضاعة وهي زبيب وعسل للأكل وعمل الحلاوة وأنها أحرقت وكسرت ورميت في البحر، فساواهما القاضي في الجلوس في المحاكمة فالتمس التاجر من الحاكم ماله وقيمة ثمن البضاعة ألف دينار " والطريف أن الحاكم قد رد للتاجر ثمن بضاعته بعد أن أقسم على صدق قوله ^(٤).

وكان التجار من جانبهم غالباً ما يلتزمون جانب الأمانة والصدق في معاملاتهم وإذا غش أحدهم فإنه كان يعاقب بالشهير، فيوضع على جمل:

(١) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٦٤.

(٢) سفرنامه، ص ٦٢.

(٣) راجع : خطط، ج ١، ص ٣٥٤.

(٤) راجع : سيرة البيعة المقدسة، لوحة ٥٤، ٥٥.

ويعطى جرساً في يده، ويطرف به في الأسواق وهو يدق الجرس. ويعلن عن غشه بين الناس^(١) حتى يكون هذا رادعاً لغيره.

وكانت الحروب والقلقل تضر بمصالح التجار، وتوقف نشاطهم خاصة في مجال التجارة الخارجية^(٢). ونلاحظ أنه في الوقت الذي كانت فيه الدولة تعاني من وطأة المجاعة خلال الشدة العظمى في عهد الخليفة المستنصر، فإن تجار الأقاليم كانوا في حالة من اليسر وسعة المال حتى أنهم أقرضوا بدر الجمالي حاجته من المال والفلال وهو في طريقه من عكا إلى القاهرة، فعندما نزل تيس ودمايط اقترض المال من تجارها ومياسيرها وقاموا بأمر ضيافته وما يحتاجه من الفلال^(٣).

وكان بعض التجار يستغلون فترات المجاعات وندرة الغلات فيخفون ما لديهم من بضائع بهدف رفع أسعارها وزيادة أرباحهم^(٤) ولكن الخلفاء كانوا يتخذون مواقف إيجابية فيكسبون مخازن القمح ويصادرون ما بها وتوزع على الأسواق. وقد واجه القائد جوهر مشكلة المجاعة عند دخوله مصر سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨م فضرب جماعة من الطحانين وشهر بهم وجمع سماسرة الغلات وأمر ألا تباع الغلة إلا في مكان واحد وتحت إشراف المحتسب^(٥) كما كانت الدولة الفاطمية تعمل على التخفيف عن العامة أثناء المجاعات، وكانت تصدر تسعيراً جبرياً للمواد الضرورية في حالة الأزمات الاقتصادية، فعندما حدثت مجاعة في عهد الحاكم سنة ٣٩٧ هـ / ١٠٠٦م، صادر الفلال وأمر ببيع القمح والشعير

(١) سفرنامه، ص ٦١.

(٢) راجع : اتعاط، ج ٣، ص ٤٦.

(٣) خطط، ج ١، ص ٣٨٣.

(٤) راجع : مخطوط درر النيجان، ورقة ٧١، (تأليف أبي بكر الداوداري، مخطوط بمكتبة

محافظة الإسكندرية ٣٨٢٨).

(٥) المقرئى، 'اغانة الأمة بكشف الغمة، تحقيق زيادة والشيا، القاهرة، ١٩٥٧، ص ١٢ - ١٤.

وسائر الحبوب بتسعر حدده لذلك^(١) وعندما اشتد الغلاء فى العام التالى واستغاث الناس بالخليفة الحاكم، هدد الحاكم التجار الذين يخفون الغلات بأن كل من عنده غلة يخفيها سيكون جزاؤه القتل وحرق داره ومصادرة أمواله فاضطر التجار إلى إخراج ما عندهم من غلة، وخير الحاكم التجار فى البيع بالسعر الذى يحدده لهم، وبين أن يمتنعوا فيختم على غلاتهم أى يقوم بالحجز عليها حجزاً مؤقتاً، ولا يمكنهم بيع شئ منها إلى حين دخول الغلة الجديدة، فاستجابوا لأوامره^(٢).

وهذا الموقف يوضح أنه رغم استغلال التجار لظروف الأزمات لرفع الأسعار إلا أن الدولة لم تكن تصدر أموالهم وتجارتهم، بل ترك لهم حرية الاختيار بين اليوم بالسعر الرسمى أو ترك غلاتهم لحين ظهور المحصول الجديد وانحلال السعر. كما كانت الدولة تضطر فى بعض الظروف إلى شراء الغلات من التجار بالأسعار المحددة بعد أن تمنحهم نسبة من الربح، وتخزن فى المخازن التابعة للدولة ثم توزع على الحبازين مباشرة^(٣) حتى تمنع ارتفاع أسعار القوت الأساسى للعامة، لكن فى بعض الأحيان كانت تضطر للجوء إلى مهاجمة مخازن المختزين وتفرق ما فيها من غلال على الطحانين بالسعر المحدد.

(١) المقرئى، اغالة، ص ١٦ - وكان من حق المحتسب منع احكار المواد الغذائية دون سائر البضائع، والزام التجار ببيعها اجباراً (راجع : الشيرزى، نهاية الرتبة، تحقيق الباز العرنى، القاهرة، ١٩٤٦، ص ١٢).

(٢) المقرئى، اغالة، ص ٢٨.

(٣) راجع : بحى بن سعيد الاقطاكي، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت، ١٩٠٤، ص ١٩١، اتعاظ، ج ٢، ص ٢٦٦.

وكان التجار يتميزون بلبس الثياب الواسعة والعنائم المدورة ويضعون على أكتافهم الطيالس الطويلة^(١) وكانوا يستخدمون في تنقلاتهم الحمر ذات السروج الغالية الثمن^(٢) وكان للتجار نقيب أو وكيل^(٣) يقوم بالإشراف على أمورهم ويتحدث بلسانهم لدى كبار رجال الدولة عند الضرورة.

ثانياً : أصحاب الصناعات والحرف :

كانت المدن المصرية في العصر الفاطمي مركزاً مهماً للصناعات المختلفة والحرف المتعددة التي يعمل بها أعداد كبيرة من العامة، بالإضافة إلى صغار الباعة وأصحاب الحوانيت في الأسواق التي انتشرت في البلاد في ذلك الوقت لبيع جميع أنواع السلع، وكانت الظاهرة الواضحة أن يتخصص كل سوق غالباً بصناعة نوع معين من الصناعات أو يشتهر بسلعة محددة أو يبيع نوع من الطعام^(٤) وكانت تلك الأسواق في حركة ونشاط يقبل عليها الناس على اختلاف طبقاتهم لشراء حاجتهم، والطريف أن الأسواق في العصر الفاطمي

(١) الطيالس جمع طيلسان وهو الطرحة، وكان الزي الرسمي للقضاة (راجع المقريزي، الحاشية ص ٢٦، خطط، ج ١، ص ٤٤٠.

Dozy: Dictionnaire detaille nome des vetements chez les Arabe, Amsterdam, 1845, P. 279.

(٢) راجع : ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٦٩، ٦٢ حيث يروى أن أهل الأسواق وأصحاب الحوانيت من التجار كانوا يستخدمون من الحمر المسرجة في تنقلاتهم، ولا يركب الخيل إلا الجند والعلماء، ولا يركبها التجار أو القرويون أو أصحاب الحرف.

(٣) خطط، ج ٢، ص ٤٥٥.

(٤) راجع تفاصيل ذلك.. خطط، ج ١، ص ٢٧٣ - ٢٧٥، ج ٢، ص ٩٦ - ١٠٥.

كان بها حوانيت يقيم بها بعض الأطباء ومجبرى العظام لاسعاف المزددين على الأسواق عند الضرورة^(١).

وكانت تقام لأرباب الحرف المختلفة تجمعات كبيرة فى العصر الفاطمى. فيروى ناصر خسرو أنه شاهد فى القسطنطينية رباطاً ضخماً فى الدور الأسفل فيه يجلس الحياطون، وفى الأعلى الرفاءون، وأنه أحصى فى هذه المدينة مائتى بناء تزدى نفس الغرض^(٢).

كما يذكر أن سوق القناديل الواقع بالقرب من جامع عمرو كان يحوى طوائف الصناع المهرة فى صناعة أنواع البلور الراقى والتحف العاجية من أنياب الفيل، والإسكافية الذين يصنعون النعال الراقية من جلد البقر المستورد من الحبشة^(٣).

وكان لكل طائفة من الصناع وأرباب الحرف عريف يتولى أمورهم^(٤) ويشترط فيه أن يكون على دراية بأمور الصناعة أو الحرفة التى يشرف عليها ومشهوراً له بالثقة والأمانة وكان العريف بمثابة عين للمحتسب يطلعه على أخبار أهل صناعته، ويدله على مواطن الغش والتدليس التى قد يلجأ إليها البعض لغش الصنعة أو السلعة أو ما يصنع من أصناف الأطعمة فى أسواق الطباخين^(٥).

وكانت الدولة تستخدم أحياناً الأجراء من أرباب الحرف من غير موظفيها، وفى هذه الحالة كان يحصل العامل على أجر مقابل ما أداه من عمل،

(١) خطط، ج ٢، ص ١٠٠.

(٢) سفرنامه، ص ٦٣.

(٣) راجع : سفرنامه، ص ٥٩ - ٦٠.

(٤) اتعاظ، ج ٢، ص ٢٢٤.

(٥) الشبزي، نهاية الرتبة، ص ١٢.

وكانت الدولة الفاطمية تحارب تسخير العمال وتنتهي رجائها عن ذلك^(١). ونحن لا نملك معلومات كافية عن الأجر الذى كان يتقاضاه العامل فى ذلك الوقت أو عن مكاسب أصحاب الحرف المختلفة، ولكن من البديهي أن العمال كانت أجورهم تتفاوت تبعاً لنوع العمل الذى يؤدونه ومدى دقته وأهميته، وكان هناك أصحاب أعمال يديرون حوائثهم بأنفسهم، وقد يعمل عندهم بعض الأجراء وأصحاب الأعمال كان دخلهم أكثر من غيرهم.

وفى بردية ترجع إلى القرن الرابع الهجرى نجد أن أحد العمال يتقاضى أجراً عن عمله مقداره ديناراً فى الشهر^(٢) وتغفل البردية تحديد نوع العمل الذى أسند إلى هذا العامل، ويؤكد ما ذكرته البردية، أن أحد شعراء الإسكندرية فى العصر الفاطمى^(٣) يذكر أحياناً يتعجب فيها من حال عامل

(١) يروى المقرئى : أنه رفعت ظلامة إلى الوزير المأمون سنة ٥١٧ هـ مفادها أن واليى القاهرة ومصر يأمران السقاءين من أصحاب الجمال والدواب برش ما بين المدينتين فى طريق موكب الخليفة فى اليومين اللذين يركب فيهما الخليفة كل أسبوع، وأن واليىين يسخران السقاءين لهذا العمل، ولا يمنحانهما ما يستحقونه من أجر، فأصدر المأمون أوامره ببطال ذلك، وأن بصرف للسقاءين أجورهم عن هذا العمل. (راجع : اتعاض، ج ٢، ص ١٠٠، ١٠١).

(٢) راجع : أدولف جروهمان، أوراق البردى العربية، ج ٥، ترجمة عبد الحميد حسن. القاهرة، ١٩٦٨، لوحة ٢٢، ص ١٥٩، ١٦٠.

(٣) ذكر العماد أن هذا الشاعر اسمه ابن عبد الودود. ولم يترجم له، ولكنه ذكر أنه كان صديقاً للشاعر أبو طاهر اسماعيل المعروف بابن مكسه وابن مكسه هذا توفى سنة ٥١٠ هـ، مما يؤكد معاصرة الشاعر للعصر الفاطمى. (راجع : العماد الأصمى، جريدة القصر، قسم شعراء مصر. القاهرة، ١٩٥٩، ج ٢، ص ٢٠٣).

دخله دينار واحد فكيف يمكنه العيش بهذا الرزق الضئيل بالقياس إلى رزقه الذى يتراوح بين سبعين وثمانين ديناراً ولا يكفيه^(١).

وأحياناً كان يقدم للعامل وجبة الغذاء كجزء من الأجر، وخاصة إذا كانت طبيعة عمله فى داخل الدور مثل البنائين والفعلة وغيرهما، والطريف أن الطعام كان يقدم فى هذه الحالة حسب مكانة العامل الفنية، فالبناء كان يقدم له طعاماً ثمنه ضعف ثمن الطعام المقدم للفاعل^(٢).

ثالثاً : العامة : حياتهم وعلاقتهم بالدولة :

حرصت الدولة الفاطمية قدر استطاعتها على إرضاء رعاياها فى مصر وجذب أفئدتهم وعقولهم لتأييدها ونشر مذهبها الشيعى بين جمهور الناس الذين كانوا فى معظمهم من أهل السنة^(٣) وكان لهم فى ذلك وسائل متعددة لعل أهمها إشباع بطون الناس حتى تكسب قلوبهم، ونرى بوادر هذه السياسة منذ اليوم الأول لدخول جوهر الصقل إلى مصر على رأس جيوش الفاطميين، وكانت البلاد تعاني من الغلاء وندرة الأقوات، فنادى أعوانه فى مصر أن من عنده قمح فليخرجه، وأنفذ قاضى العسكر ومعه أحمال المال إلى دار الشريف

(١) الآيات هى :

أنا رزقى سبعون بل وثمانون وما تلحق بالقول الخلول
كل هذا وكل رزقك دينا روفى مثل ذا تحبار العثلول

(راجع : خريدة القصر، ج ٢، ص ٥٤).

(٢) راجع : أوراق البردى، ج ٦، ترجمة عبد العزيز الدالى، القاهرة، ١٩٧٤.

(٣) راجع : صبح، ج ٣، ص ٥٢٠.

أبو جعفر مسلم ونودى على الناس بأنه من أراد الصدقة فليتوجه إلى دار أبو جعفر فاحتشد جمع كبير من الفقراء والمحتاجين وزعت عليهم الأموال^(١).

وكان الخلفاء يقدون بسخاء على الفقراء والمحتاجين وخاصة في المواسم والأعياد وأثناء خروجهم في المواكب الكبيرة أو المختصرة. وكان من عادة الخلفاء عند ركوبهم للنزعة في ضواحي القاهرة يومى السبت والثلاثاء من كل أسبوع، توزيع الصدقات والهبات على طول الطريق التى يسلكونها على المساجد وقراء القرآن والفقراء والمحتاجين الذين يقفون فى طريق الموكب، وكان لذلك رسوم مقررة من الأموال تخرج مع الموكب، فيحمل " متولى صناديق الإنفاق " حقيبة بها خمسمائة دينار لتكون رهن تصرف الخليفة إذا رغب فى الأنعام أو التصدق على أحد^(٢).

والواقع أن سياسة العطف على العامة ومنحهم الهبات والصدقات فى المناسبات لم تكن حلاً لمشاكلهم اليومية، ورغم ثراء الدولة العريضة فإن العامة كانوا يعيشون عيشة الكفاف ولا يستطيعون سد حاجتهم الضرورية، ويروى المسيحي أن رجلاً سرق قنديلاً من الفضة من جامع عمرو بن العاص، فرفع القاضى الأمر إلى الخليفة الحاكم، فقال الحاكم للرجل : " وملك، سرقت فضة الجامع فقال : إنما سرقت مال ربى، وإنى فقير ولى بنات جياع، والإنفاق عليهن أفضل من تعليق هذا فى الجامع. فدمعت عيناه.. وأمر بإحضار بناته فحضرن، فأمر القاضى أن يجهز بثلاثة آلاف دينار ويزوجهن وأعاد القنديل إلى الجامع"^(٣).

(١) راجع : مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٠، مخطوط زبدة الفكرة، لوحة ٢٠٤

ب، المقرئى، اتعاظ، ج ١، ص ١١٤.

(٢) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٨١، ص ٤٨٤.

(٣) راجع : ذيل كتاب القضاة للكندى، نقلاً عن المسيحي، ص ٦٠٧.

وهذه الرواية توضح حالة العامة اليانسة رغم ثراء الدولة واهتمامها بالمظاهر. وإن كانت من جهة أخرى تبرز عطف الخلفاء ورغبتهم فى سد إحتياجات الناس. ولكن تلك العصور لم تكن تعرف وسائل منظمة لتحقيق هذا الهدف.

ولكننا نلاحظ أن صوت العامة كان يصل قريباً إلى كبار رجال الدولة. وإلى الخلفاء أنفسهم، فيعرضون مظالمهم ويطالبون بإصلاح أحوالهم، وكان الخلفاء من جهتهم يسهلون للناس طريق الشكوى حتى تصل إليهم دون عائق. فيروى المقرئى أنه بالقصر الكبير الذى يقطنه الخليفة موضع يعرف بالسقيفة، يقف عنده المتظلمون، وكان من عادة الخليفة الجلوس فى هذا المكان كل ليلة لسمع شكاوى المتظلمين، فإذا ظلم أحد وقف تحت السقيفة وقال بصوت مرتفع : لا إله إلا الله محمد رسول الله، على ولى الله، فيسمعه الخليفة فيأمر بإحضاره إليه أو يفوض أمره إلى الوزير أو القاضى أو الوالى^(١).

وكان الخليفة العزيز قريباً من الناس^(٢) يأخذ رقاع المتظلمين بيده فى المراكب ويقرأ بعضها أثناء الطريق^(٣) بهدف حل مشاكل الناس والقضاء على متاعبهم، وكان الخليفة الحاكم أيضاً يسير بين الناس ويأخذ منهم بنفسه ما يقدمونه من أوراق فيها شكاواهم، بل كان يقف بين الأهالى ويسمع كلامهم ويحادثهم ويضاحكهم حتى أنه كان يترك موكبه لهذا الغرض^(٤) وقد أصدر الحاكم أوامره بألا يمنع الناس فى بعض الأحيان من الدخول إليه فى القصر لتقديم شكاواهم لينظر فيها بنفسه^(٥) وكانت شكاوى العامة بوجه عام تركز على غلاء الأسعار ورداءة

(١) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٠٥.

(٢) النويرى : نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٩.

(٣) خطط، ج ٢، ص ٢٨٠.

(٤) راجع : اتعاض، ج ٢، ص ١٤، ص ٩٦، ص ١٠٤.

(٥) اتعاض، ج ٢، ص ٢٩.

الجنز الذي يباع في الأسواق وسواده، حتى أنهم رفعوا شكوى للحاكم ومعهم
رغيف ليللوا به على سوء صناعته ورداءة دقيقه^(١).

وعندما يشتد الغلاء كانت صحبات الجماعير الجائعة تنطلق في وجه
الخلفاء مطالبة بالجنز، وغالباً ما يتحرك الخلفاء ويطالبون المسؤولين عن المواد
التموينية وعلى رأسهم المختب بتلافي أسباب الشكوى، فعندما حدثت المجاعة
سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م في عهد الخليفة الظاهر، استدعى إليه المختب،
وهدهد وتوعده إذا لم يتلاف الأمر، فنزل المختب إلى الأسواق وهاجم مخازن
القمح ووزع ما وجده منه على المطاحن^(٢).

وكانت شكوى العامة أحياناً تأخذ طابعاً من النقد العنيف الذي يصل إلى
حد توجيه السب إلى الخلفاء وذلك عندما تضيق بهم السبل وتشتد وطأة
الظلم، ومن أمثلة ذلك ما حدث في عهد الخليفة العزيز بالله الذي أطلق يد
النصارى في حكم البلاد فطغوا وتكبروا وأساءوا معاملة المسلمين^(٣)، فاندست
امراة بين الناس تحمل رقعة إلى العزيز أثناء مرور موكبهِ وكان مضمون الرقعة "
يا أمير المؤمنين، بالذي أعز النصارى بعيسى ابن نسطورس واليهود بمنشا بن
إبراهيم وأذل المسلمين بك، ألا نظرت في أمري "^(٤) واستطاعت المرأة الهرب
وسط الزحام بعد أن سلمت الخليفة الورقة، ولما اطلع الخليفة على فحوى
الظلامة أمر بالقبض على عيسى ومنشا والكتاب من اليهود والنصارى، وأمر
برد الدواوين والأعمال إلى المسلمين^(٥).

(١) اتعاظ، ج ٢، ص ٧٤.

(٢) اتعاظ، ج ٢، ص ٦٤.

(٣) سذكر التفاصيل في فصل أهل الذمة.

(٤) راجع : أبو شجاع (محمد بن الحسين)، ذيل تجارب الأمم، ص ١٨٥، ١٨٦، أنجز

الدول المنقطعة، لوحة ٥٤، قارن، ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٣.

(٥) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٩.

وإذا كان العزيز قد قابل هذا النقد العنيف بصدر رحب، وأزال أسباب الشكوى، فإن الحاكم كان عنيماً في رده على مثل هذا الأمر، " وكان الناس يدسون للحاكم الرقاع المختومة التي تحمل بين طياتها السب له ولأسلافه والدعاء عليه " (١) وبلغ بهم الأمر أن عملوا تمثالا لامرأة من ورق وألبسوها ملابس النساء، ونصبوها في طريق الحاكم وبيدها رقعة كأنها شكوى، فتقدم الحاكم أثناء موكبها وأخذ الرقعة من يدها فلما اطلع عليها وجد بها سباً قبيحاً فأمر رجاله بالقبض على المرأة، فاكتشفوا أنها تمثال من ورق، فعلم أن الناس قد سخروا منه، فغضب لذلك وأصدر أوامره إلى العبيد بمهاجمة الفسطاط حيث يشتد العامة وإشعال النار فيها ونهبها وقتل من يقع في يدهم من أهلها، وقاوم أهل المدينة دفاعاً عن أنفسهم وأملakهم وحرمتهم، وعاونهم في ذلك المغاربة والأتراك الذين كان لهم صلات نسب ومصاهرة بأهل المدينة، ولم يكف الحاكم يد العبيد عن المدينة إلا بعد أن أيقن عزم الأهالي نقل المعارك إلى القاهرة (٢) فاضطر الحاكم إلى إصدار أوامره للعبيد بالكف عما أمرهم به (٣).

ويبدو أن العامة لم يكونوا يطبقون الصمت إزاء القرارات العنيفة والمضطربة التي كانت تمس حياتهم والتي صدرت عن الخليفة الحاكم، مما اضطر الحاكم إلى إصدار عدة سجلات كانت تقرأ على الناس في الجوامع ينهاهم عن معارضته فيما يفعله، وترك الخوض في الأمور التي تخص الخليفة والاهتمام بأعمالهم (٤).

(١) أبو شاكِر المعروف بابن الرّاهب، تاريخ ابن الرّاهب، بيروت، ١٩٠٣، ص ٨٢.

(٢) راجع : تاريخ ابن الرّاهب، ص ٨٢، ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ١٠٨، أبو الحسن، النجوم، ج ٤، ص ١٨١.

(3) Lone-pool : A history of Egypt { London 1901 }, P. 133

(٤) راجع أمثلة من هذه السجلات في اتعاظ الجنفا، ج ٢، ص ٢٧، ٢٨، ٨٢، ٨٦.

وكثيراً ما كان يقابل عامة المصريين بعض القرارات الشاذة بما عرف عنهم من روح الدعابة والسخرية التي تميز بها الشعب المصرى على مر العصور، وقد روت المصادر بعض هذه المواقف التي تكشف عن روح المرح عند المصريين حتى في أحلك لحظات التعاسة. ومن أمثلة ذلك، أن الحاكم أصدر في سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩م قراراً بأن الشئ المغطى لا يكشف، فسكر رجل وأثناء توجهه إلى داره صادف أحد رجال الشرطة، فخلع عمامته وغطى بها نفسه ونام في وسط الطريق وصار الناس يمشون به ولا يجرؤ أحد أن يكشف عنه، فمر به الخليفة الحاكم وهو على هذه الحال، فوقف وسأله من أنت، فقال: أنا مغطى، وقد أمر أمير المؤمنين ألا يكشف مغطى، فضحك الحاكم وألقى إليه بعض المال وانصرف^(١).

والمعروف أن الحاكم أصدر عدة سجلات بمنع صنع النبيذ أو بيعه وإتلاف ما يصنع منه من العسل والعنب، وأمر رجاله بتتبع من يبيع أو يقتنى شيئاً منه فاتفق أن رجلاً حمل حمراً له على حمار وهرب به، فتصادف أن قابله الحاكم أثناء مروره على جسر ضيق، فسأله الحاكم، من أين أقيمت؟ قال الرجل: من أرض الله الضيقة. فقال: يا شيخ أرض الله ضيقة؟ فقال: لو لم تكن ضيقة ما جمعتنى وإياك على هذا الجسر، فضحك الحاكم منه وتركه^(٢).

وكان الحاكم قد ألزم الناس بغلاق الأسواق نهائياً وفتحها ليلاً مما أدى إلى حدوث انقلاب كبير في حياة المجتمع المصرى، فصارت جميع الأعمال والمعاملات تؤدي ليلاً^(٣)، واستجاب الناس لذلك وسارت الأمور على هذا

(١) راجع: اتعاط، ج ٢، ص ١١٩، قارن: مخطوط درر التيجان لأبى بكر بن عبد الله.

مكتبة محافظة الإسكندرية، رقم ٣٨٢٨ ج، ورقة ٢٧٢، الدرر المضية، ص ٢٨٠، ٢٨١.

(٢) اتعاط، ج ٢، ص ٩١.

(3) Lane - pool : A history of Egypt, PP. 125 - 126.

المنوال. ومر الحاكم يوماً أثناء تجواله فى الأسواق بنجار يعمل بعد العصر. فوقف عنده وسأله عن سبب مخالفته للأوامر التى تمنع العمل بالنهار، فرد عليه الرجل : يا سيدى، لما كان الناس يعيشون بالنهار كانوا يسهرون بالليل، ولما كانوا يعيشون بالليل سهروا بالنهار، فهذا من جملة السهر. فضحك الحاكم وتركه وأمر بإعادة الحالة إلى طبيعتها^(١).

وكان العامة لا يخضعون للظلم ويثرون فى سبيل الدفاع عن حقوقهم، فعندما حاول جند المغاربة نهب بعض المواضع فى مصر اعتماداً على قوتهم العسكرية: ثار المصريون فى وجوههم مما اضطر جوهر الصقلى إلى كف يد المغاربة عنهم وتعويضهم عما نهب منهم^(٢).

كما كانوا لا يتورعون عن حمل السلاح دفاعاً عن أنفسهم وأموالهم وخاصة عندما تضطرب الأمور وتزداد القلاقل بين طوائف الجند^(٣) فكان الناس يكثرون من إقتناء السيوف والسكاكين وخاصة " العوام والصناع "^(٤).

وكان للاضطرابات تأثير خطير على حياة الناس ومعاشهم اليومى، فإن الاضطرابات والقلاقل التى تصاحب المعارك غالباً ما تؤثر على حركة التجارة الداخلية والخارجية، مما يؤثر بالتالى فى أسعار الضروريات وخاصة الخبز بالإضافة إلى معاناة الناس وازدياد الشعور بالقلق والرهبة من بطش العسكر المعادى سيما إذا كانت المعارك على أبواب المدن المكتظة بالسكان، ولا يخلو

(١) راجع : ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٩، ابن اياس، بدائع الزهور، بولاق، ١٣١١ هـ، ص ٥٢، ٥٣.

(٢) تعاض. ج ١، ص ١٣١.

(٣) تعاض. ج ٢، ص ٩٧.

(٤) تعاض. ج ٢، ص ٩٣.

الأمر من موت قريب أو عزيز خلال ذلك. وعلى العكس من ذلك يكون التعبير عن الفرح والابتهاج بالانتصار قويا ومثيرا كرد فعل لمعاناة الناس أثناء المعارك، ولعل أهم مثال على ذلك ما رواه المقرئ في وصفه لمعارك الجيش الفاطمي ضد جيش الشائر أبي ركة سنة ٣٩٦ هـ / ١٠٠٥ م^(١) فيصور اضطراب الأسعار وندرة الخبز عندما اقتربت قوات أبي ركة من مصر^(٢) وكان الناس يجلسون في الشوارع وعلى أبواب الدور طوال الليل يتهللون بالدعاء بالنصر للجيش الفاطمي^(٣) وعندما وصلت قوات أبي ركة إلى الجزيرة وهاجمت جيوش الفاطميين بقيادة علي بن فلاح "عظم البكاء والضجيج على شاطئ النيل لكثرة القتلى في العسكر.. فمنع ابن فلاح من حمل الموتى إلى مصر، وأمر بدفنتهم في الجزيرة.. فغلقت الأسواق وجلس الناس بالشوارع غمًا لما جرى على العسكر، وتزايد البكاء من الناس على فقد آبائهم ومعارفهم"^(٤).

وعندما سقط أبو ركة في قبضة الفاطميين أظهر الناس السرور والبهجة واحتشدت أعداد كبيرة منهم لمشاهدة موكب التشهير به حتى أن الخوانيت والدور التي في طريق مسيرته كان تزجر للمشاهدين، وأقام الناس ليلتهم في الشوارع وعلى أبواب مساكنهم يظهرون المسرة والفرح^(٥).

(١) هو الوليد بن هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الأموي، وكنى أبا ركة، لركة من الخلد كان يحملها في أسفاره على طريقة الصوفية، (راجع تفاصيل هذه الثورة في: الكامل، ج ٩، ص ٦٨ وما بعدها، النويري. نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٥٤، ٥٥. انعاظ، ج ٢، ص ٦٠ وما بعدها).

(٢) انعاظ، ج ٢، ص ٦٢.

(٣) انعاظ، ج ٢، ص ٦٣.

(٤) راجع: انعاظ، ج ٢، ص ٦٣، ٦٤.

(٥) انعاظ، ج ٢، ص ٦٥، ٦٦.

وكان العامة في بعض الأحيان يمثلون مركز الثقل في الأحداث، ويلجأ إليهم الخلفاء والقواد طلباً لتأييدهم ومعاونتهم ضد خصومهم ومن هذا القبيل. عندما نشب الصراع بين الأتراك والمغاربة في عهد الخليفة الظاهر سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م، وكانت الغلبة في أول الأمر للأتراك، ولكن المغاربة تمكنوا في النهاية من الانتصار "بمعاونة العامة لهم، فقتلوا عدة كثيرة من الأتراك، وأخرجوا من بقي منهم عن مصر" ^(١). وهكذا يظهر دور العامة في تأييد أحد عناصر الجيش الفاطمي ضد الآخر، ولعل المغاربة بحكم إقامتهم الطويلة بمصر منذ الفتح الفاطمي وقبله خلال الحملات المتعددة للفاطمين على مصر، كانوا أكثر امتزاجاً وقرباً من المصريين عن غيرهم من طوائف الجند.

ونلاحظ أيضاً دور العامة إبان الصراع الذي نشب بين الأتراك والعبيد في عهد الخليفة المستنصر، وتمكن الأتراك بقيادة ابن حمدان من كسر العبيد الذين كانوا يحظون بتأييد أم الخليفة المستنصر التي تنسب إليهم، ولم يتورع الأتراك عن التصدي للخليفة ومهاجمة القاهرة مما دفع المستنصر إلى استنفار أهل مصر، فيروى أبو الخاسن :

" فاستنجد المستنصر وأمه بأهل مصر، وأذكرهم حقوقهم عليهم: ووعدهم بالإحسان، فقاموا معه، ونهبوا دور أصحاب ابن حمدان، وقتلوه: فخاف ابن حمدان وأصحابه، ودخلوا تحت طاعة المستنصر " ^(٢) ورغم ذلك فإن ابن حمدان عاد إلى سياسة التسلط وتحدى سلطان الخليفة، واستمر في أعمال النهب والسلب في أنحاء البلاد وخاصة في الوجه البحري ^(٣) وظلت أمور

(١) انظر: ج ٢، ص ١٧٧.

(٢) النجوم. ج ٥، ص ٨٣، قارن، خط، ج ١، ص ٣٣٦.

(3) Lane - pool, op. cit., P. 146.

الدولة الفاطمية في اضطراب إلى أن استدعى الخليفة المستنصر، وإليه على عكا بلر الجمالى سنة ٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م الذى تمكن من ضبط الأمور وإعادة النظام إلى البلاد^(١).

ومما سبق يتضح لنا أن العامة رغم ما كانوا يعانونه من مظاهر الإهمال السياسى فى تلك العصور، إلا أنهم كانوا يمثلون قوة لها شأنها أحياناً.

رابعاً : العبيد :

كان الرق منتشراً فى المجتمع الفاطمى كما كان الحال فى مجتمعات العصور الوسطى وكان سوق الرقيق فى الأسواق الدائبة الجركة والنشاط فى العصر الفاطمى، وكان السوق يحوى أجناساً متعددة من العبيد، ولكن العدد الأكبر منهم كان من العبيد السود الذين يجلبون من بلاد النوبة، فكانت الأسواق تكتنّ بهم، وهناك رواية طريفة عن طريقة حصول أهل أسوان على العبيد من بلاد النوبة، فيذكر الرحالة بنيامين التطيلي الذى زار مصر فى أواخر الدولة الفاطمية " وأهل أسوان يخرجون لصيد العبيد فى أراضي هؤلاء الزنوج.. وهم إذا خرجوا حملوا معهم الخبز والزبيب والتين، فيجذبون الزنوج ويرغبونهم حتى يتبعوهم ثم يبيعونهم فى أسواق النخاسة بمصر وما جاورها من البلدان " ^(٢).

ويبدو أن الناس كانوا يزدهون فى سوق الرقيق للفرجة وخاصة على الإماء دون أن يكون لديهم رغبة الشراء، مما دفع الخليفة الحاكم إلى إصدار قرار بتخصيص يوم لبيع الجوارى ويوم لبيع الغلمان، ومنع التزاحم للفرجة،

(١) راجع التفاصيل، انعاظ، ج ٢، ص ٣٠٦، ٣١٣.

(٢) رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة وتحقيق عزرا حداد، بغداد، ١٩٤٥، ص ١٧٠.

واشترط على من يذهب إلى سوق الرقيق إما أن يكون بانعاً أو مشترىاً^(١) كما استثنى في قراره الخاص بمنع النساء من الخروج من دورهن. الإماء اللواتي يبعن في سوق الرقيق^(٢).

وكان للعبيد في الدولة الفاطمية حارات خاصة بهم في القاهرة والفسطاط ولهم عرفاء يشرفون على مصالحهم^(٣) وكان القصر الفاطمي يكتظ بعدد كبير من العبيد والجواري للقيام بالوظائف المختلفة، وكان من بين الجزية المفروضة على بلاد النوبة في هذا العصر ثلثمائة وستون رأساً من الرقيق كل عام^(٤) كان معظمهم يعمل في القصر. كما كان لكل فرد من الأسرة الحاكمة وكبار رجال الدولة من الوزراء والكتاب وأرباب الرتب عدد من الجواري والعبيد، وقد أسهب المؤرخون في ذكر ما خلفه هؤلاء من الجواري والعبيد بعد وفاتهم^(٥) وبالإضافة إلى ذلك فإن الأسرة المصرية المتوسطة كانت تحوز من بين ممتلكاتها بعض العبيد^(٦).

وقد ازداد عدد العبيد السودان في عهد الخليفة المستنصر زيادة كبيرة حتى بلغ عددهم خمسين ألفاً^(٧) وازداد نفوذهم حتى أصبحوا يمثلون " أركان الدولة " ^(٨) والسبب في ذلك أن أم المستنصر كانت جارية سوداء، لها كثرت

(١) ابن سعيد، النجوم الزاهرة، في حلى حضرة القاهرة، ص ٦١.

(٢) تاريخ الأنطاكي، ص ٢٠٨، اتعاض، ج ٢، ص ١٠٢.

(٣) اتعاض، ج ٢، ص ١٦٩.

(٤) اتعاض، ج ٢، ص ٤١.

(٥) راجع ذلك في طبقات الخامة.

(٦) راجع : جروهمان، أوراق البردى، ج ١، ص ٦٧.

(٧) خطط، ج ١، ص ٩٤.

(٨) سفرنامه، ص ٤٩.

من شراء العبيد من بنى جنسها وجعلتهم طائفة لها وبسطت لهم فى الأرزاق والوظائف " وصار العبد بمصر يحكم بحكم الولاة " (١).

وكان العبيد فى بعض الأحيان وخاصة عندما تتعرض البلاد للمجاعات، يمثلون مصدر متاعب واضطرابات فى الدولة، ويعانى من ذلك العامة بوجه خاص، فكان العبيد لا يتورعون فى هذه الظروف عن مهاجمة الدور والخوانيت لنهب ما فيها ويشتبكون مع العامة الذين يذودون عن أموالهم وممتلكاتهم، وكانت الدولة فى مثل هذه الأحوال تحل دم العبيد وتصدر أوامرها بأن من يتعرض له أحد من العبيد فليقتله (٢).

وكانت من الأمور المعتادة أن يتزوج الخليفة الفاطمى من إحدى الجوارى، فالمعروف أن زوجة الخليفة العزيز وأم الحاكم كانت جارية رومية مسيحية (٣) كما تزوج الحاكم من إحدى جوارى أخته ست الملك (٤) وتزوج الظاهر من جارية سودانية ولدت له ابنه المستنصر بالله (٥) وهذا يمكن القول أن الجوارى كن يعملن إلى أعلى المراتب فى السلم الاجتماعى بزواجهن من الخلفاء، فيصبحن زوجات خلفاء وأمهات خلفاء ويتسلطن على أمور الدولة من هذا الطريق.

(١) اتعاض، ج ٢، ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) راجع تفاصيل ذلك : اتعاض، ج ٢، ص ١٦٤ - ١٧٢ عند الحديث عن أحداث المجاعة فى عهد الخليفة الظاهر سنة ٤١٥ هـ.

(٣) سمر البيعة، نوحه ٥١. تاريخ الافطاكى، ص ١٦٤.

(٤) مخطوط درر التيجان، ورقة ٢٦٩، الدرّة المضية، ص ٢٦٥.

(٥) التوبرى. نهج الأرب. ح ٢٦. لوحة ٦٤.

وكان من مظاهر الصدقة فى العصر الفاطمى شراء الجوارى وكتب عتقهن وإطلاق سراحهن^(١) وكان عيد غدیر خم الأعياد الشعبية^(٢) التى تعتق فيها الإمام ويزوجن لمن يرغب فى ذلك من العامة، الذين كانوا يتجمعون فى هذه المناسبة عند دار الوزير لهذا الغرض^(٣).

وكان الخلفاء يقومون بعتق العبيد فى المناسبات المختلفة، وقد أكثر الحاکم من ذلك حتى أنه أعتق فى سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م جميع ما كان يمتلكه من العبيد والإماء وملکهم ما كان تحت يدهم فى حالة الرق من الأموال^(٤).

كما كان الأفراد من الأسر المتوسطة يقومون بعتق العبيد، وكان العتق يتم غالباً بكتابة وثيقة يوقع عليها الشهود^(٥)، وأحياناً كان يفرض على بعض عناصر المجتمع عدم امتلاك العبيد وخاصة أهل الذمة، فقد أصدر الحاکم أوامره مشددة فى سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م إلى النخاسين بعدم بيع العبيد والإماء لهم^(٦).

وكان يسند إلى العبيد بعض الوظائف المهمة فى الدولة الفاطمية، وكان هذا يتوقف على ما يظهره العبد من نشاط ونجاسة، ومن أمثلة ذلك زيدان "صاحب المظلة" الذى أعتقه الخليفة الحاکم سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠٠ م^(٧)، والمعروف أن حامل المظلة كان من كبار موظفى الدولة الفاطمية حمله ما يعلو رأس الخليفة وهذا شرف كبير لا يناله إلا من كان يتمتع بثقة الخليفة وتقديره.

(١) اتعاظ، ج ٣، ص ٨٦.

(٢) راجع التفاصيل فى الفصل الخاص بالأعياد الشعبية فى العصر الفاطمى.

(٣) خطط، ج ١، ص ٣٩٠.

(٤) تاريخ الإفطاكى، ص ٢٠٦، الدرر المضية، ص ٢٨٨.

(٥) راجع وثيقة عتق جارية مؤرخة فى رمضان سنة ٣٩٣ هـ فى أوراق البردى، ج ١، ص ٦٧.

(٦) اتعاظ، ج ٢، ص ٥٣.

(٧) اتعاظ، ج ٢، ص ٨٩.

وكانت الجوارى فى الدولة الفاطمية يحتفظ بأموال خاصة وثروات كبيرة نتيجة ما يمنح لهن من عطايا وهبات، فيروى المقريزى فى حوادث سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤م: " توفيت عائشة جارية الأمير عبد الله بن المعز وكانت من وجوه عمائر القصر، وخلفت أربعمائة ألف دينار " (١) ورغم أن العبيد لا يحق لهم الميراث ولا تجوز لهم الوصية شرعاً، لأن أموالهم لمولاهم لا يرثهم أحد، إلا أن الدولة الفاطمية، كانت تعتبر العبيد المناصرين للدعوة الإسماعيلية، حتى وإن لم يحصلوا على حريتهم، من حقهم الإرث وتقبل شهاداتهم ويسمح لهم بالبيع والشراء والتصرف فى ممتلكاتهم (٢).

(١) اتعاظ. ج ٢. ص ١٧٣.

(٢) راجع النعمان. المجالس والمسايرات، ص ٣٩٣، ٣٩٤.

الفصل الثالث

أهل الذمة

كان أهل الذمة ^(١) يمثلون قطاعاً رئيساً في المجتمع المصري في عصر الدولة الفاطمية، فقد تولى بعضهم أرفع المناصب في الدولة مثل الوزارة ^(٢) ورياسة الدواوين، وبرع منهم العديدون في مجالات الطب بوجه خاص ^(٣)، كما كان الكثيرون منهم يمثلون الطبقات الدنيا من عامة الشعب.

ورغم هذا فإن أهل الذمة كانوا طبقة مستقلة في المجتمع لما لهم من حياة دينية واجتماعية وأعياد خاصة بهم، ولما كان بينهم وبين المسلمين في المجتمعات الإسلامية في العصور الوسطى بوجه عام من شعور متبادل من الخذر والريبة والتوجس في معظم الأحيان، فتلك العصور كانت تعاني من التعصب الديني بين الأديان المختلفة، بل وبين أصحاب المذاهب المعتنقين لعقيدة واحدة.

ومن المحتمل أن القبط بوجه خاص، كان يمتلكهم شعور بأحقيتهم في إدارة بلادهم من أى عنصر آخر كانوا يعتبرونه دخيلاً عليهم، وهذا الشعور قد أدى إلى تكلمهم وتماسكهم ومحاباتهم بعضهم بعضاً، واقتناصهم لأية فرصة تسنح لهم لإظهار سيطرتهم وسطورتهم وإعلان ما في نفوسهم. والواقع أن النظام الإداري في مصر قد منح أهل الذمة هذه الفرصة لإظهار ما في نفوسهم تجاه المسلمين ^(٤).

(١) كان أهل الذمة في مصر من الأقباط بالإضافة إلى قليل من اليهود بالنسبة لعدد القبط، وللأسف ليس لدينا أعداد يمكن تحديدها عن أهل الذمة في ذلك العصر (راجع : ابن حوقل، صورة الأرض، لندن، ١٩٣٨، ص ١٦١، المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ١٩٣، ص ٢٠٢).

(٢) راجع : الكامل، ج ١١، ص ١٨، ابن حجر، رفع الإصر، ص ١٩٨.

(٣) تاريخ الأنطاكي، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

(٤) O, Leary; Ashort History of the Fatimid Khalifate. (London, 1925),

فالمعروف أن معظم كتاب الدواوين وموظفى الخراج عند الفتح الفاطمى لمصر كانوا من أهل النعمة، ولم يجد جوهر الصقلى مناصاً من تركهم فى وظائفهم حتى لا يهتز النظام الإدارى فى الدولة وترتبك شئونها. وكل ما استطاع عمله هو أن أشرك بين "المغاربة والمصريين، وجعل فى كل ديوان مغربياً ومصرياً" ^(١). والواقع أن هذه المشاركة كانت صورية وكانت من جانب المغاربة تتسم بطابع المراقبة والإشراف غير الفنى لعمل لا يدر كونه ولا يعرفون خباياه.

ويذكر النويرى رواية خطيرة تكشف عن مشاعر القبط تجاه الدولة والمسلمين فى ذلك الوقت، فعندما تسلط عيسى بن نسطورس على شئون الإدارة فى عهد الخليفة العزيز، كتب إليه أحد رؤساء المصريين يعاتبه على سوء معاملته للمسلمين، فأجاب عيسى عليه قائلاً :

" إن شريعتنا متقدمة، والدولة كانت لنا ثم صارت إليكم، فجرتم علينا بالجزية والذلة، فمتى كان منكم إلينا إحسان حتى تطالبونا بمثله، إن ما منعناكم قتلتمونا، وإن سألناكم أهنتمونا، فإذا وجدنا لكم فرصة، فما تتوقعون أن نصنع بكم، ثم تمثل فى آخر كتابه بيتين :

بنت كرم غصبوها أمها . . . ثم داسوها هوانا بالقدم
ثم عادوا وأحكموا فيهم . . . وأناهيك بخضم قد حكم ^(٢)

(١) نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٩، زبدة النكرة، لوحة ٢٠٤، اتعاط، ج ١، ص ١١٩.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٥٠ - ولكن القلقشندى ينسب هذه الرواية إلى

الراهب أبى نجاح فنا الذى تولى رياسة الدواوين فى عهد الأمر (راجع مخطوط أخبار الدول النقططة لوحة ٧٧) وقد حذر أحد كتاب المسلمين من مغبة ظلمة وتعديه =

وهذه الرواية الخطيرة توضح مدى ما كان يشعر به أهل الذمة وخاصة النصارى تجاه المسلمين، مما جعلهم ينتهزون الفرصة للإنقضاض على المسلمين والتسلط عليهم ومحاولة تكتلهم وبروزهم كطبقة مميزة في العصر الفاطمي. وكانت سياسة الفاطميين تجاه رعاياهم من أهل الذمة بوجه عام تتسم بالكثير من مظاهر التسامح التي وصلت في بعض الأوقات إلى الإغراق في الخاباة، وإن كان أهل الذمة قد تعرضوا في عهد الخليفة الحاكم لبعض القرارات العنيفة التي حدثت من حريتهم، فإن رعايا الدولة من المسلمين وكبار رجال الدولة لم يسلموا من قرارات أشد عنفاً، وعلى أى الأحوال فإنه يمكننا أن نقرر أن العصر الفاطمي كان يعد من أزهى العصور الإسلامية لأهل الذمة^(١).

فمنذ دخول جوهر الصقلي إلى مصر، يعتمد على أهل الذمة في إدارة البلاد، ويكتفى بمراقبتهم عن طريق أتباعه من المغاربة كما ذكرنا، ولم يحدث في عهده ما يعكر صفو العلاقات بين الدولة وأهل الذمة، ولكن المقرئى يروى أن

«على المسلمين» وكان جماعة من كتاب مصر وقبطها في مجلسه، فقال مخاطباً له ومسمعا للجماعة : نحن ملاك هذه الديار حرثا وخراجا، ملكها المسلمون منا، وتغلبوا عليها وغصبوها، واستملكوها من أيدينا، فنحن مهما فعلنا بالمسلمين فهو قبالة ما فعلوا بنا، ولا يكون له نسبة إلى من قتل من رؤسائنا وملوكنا في أيام الفتوح، فجميع ما نأخذه من أموال المسلمين وأموال ملوكهم وخفائهم حل لنا، وهو بعض ما نستحقه عليهم ن فإذا حملنا لهم ما لا كانت المنه لنا عليهم وأنشد :

بنيت كرم يتموها أمها . . وأهانوها فديست بالقدم
ثم عادوا حكموها بينهم . . ويلهم من فعل مظلوم حكيم

(راجع : صبح، ج ١٣، ص ٣٦٩، ٣٧٠) ومن المحتمل أن الروایتين قد حدثتا

كل منهما في زمانها، وقد استشهد الراهب بأبيات ابن نسطورس مع بعض التعديل.

(١) راجع : قاسم عدده، أهل الذمة في مصر العصور الوسطى، القاهرة ١٩٧٧، ص ٥١.

جوهراً أصدر في ربيع الأول سنة ٣٦٢ هـ . ديسمبر سنة ٩٧٣ م قراراً بأن يتقيد اليهود بلبس الغيار^(١) وهى الملابس التى تميزهم عن المسلمين^(٢) ولا تدرى السبب وراء هذا القرار وقصره على اليهود دون المسيحيين، ومن المحتمل أن جوهر كان يخشى إغضاب رجال الدواوين من القبط وكان عددهم كبيراً فى ذلك الوقت، فاستأهم من قراره هذا

وعلى أى الأحوال فإن الخليفة المعز لدين الله منذ قدومه مصر أظهر روحاً من التسامح والعطف تجاه أهل الذمة، وأسند إليهم بعض المناصب الرئيسية فى الدولة^(٣) وقد غالى ابنه العزيز فى هذا التسامح حتى وصل أهل الذمة فى عهده إلى قمة النفوذ والسلطة، فقد أطلق الخليفة العزيز يد النصارى فى تجديد كنائسهم، وإعادة بناء ما تهدم منها، وكان لا يبالى فى ذلك بمشاعر المسلمين وغضبهم، فكانت إحدى الكنائس فى القسطنطينية قد تهدمت واندثرت وأصبحت مخزناً للقصب يملكه أحد تجار المسلمين، فأمر العزيز بنزع ملكية هذا المخزن وأن يعاد بناء الكنيسة من بيت مال الدولة، وأصدر سجلاً بذلك، ولما

(١) اتعاظ، ج ١، ص ٦٧.

(٢) كان المتعارف عليه فى العالم الإسلامى أن يتميز أهل الذمة عن المسلمين فى ملابسهم، سواء فى ذلك الرجال والنساء، وكان اللون المميز لليهود الأصفر، وللنصارى الأزرق، ويشد الرجل منهم الزنار فى وسطه، وتشده المرأة فوق أزارها، وتلبس المرأة اللحية خفين مختلفي الألوان بأن يكون أحدهما أبيض والآخر أسود (راجع: صح، ج ١٣، ص ٣٦٤) وأن كنا نلاحظ أن الغيار كان يختلف عن ذلك فى عصر الدولة الفاطمية وقد تضاف إليه لبس الصليبان الضخمة للنصارى، والأجراس لليهود فى أعناقهم ولم يكن هذا الأمر يتم إلا فى عصور الاضطهاد ضد أهل الذمة، ولا يتشدد عليهم فى لبس الغيار إلا فى وقت الأزمات (راجع الصفحات التالية، سيرة البيعة المقدسة، لوحة ٥٤، اتعاظ، ج ٢، ص ٥٣، ص ٩٤).

(٣) راجع: مخطوط سيرة البيعة المقدسة، لوحة ٤١.

اعترض المسلمون على هذا العمل وحاولوا منع بناء الكنيسة، أصدر العزيز الأوامر إلى " جماعة من جنده وماليكه أن يخرجوا يقفوا على عمارة البيعة، وأن من يعوق لهم في ذلك يردعوه ويقابلوه بما يستحقه.. فلما رأى العوام ذلك كفوا عن التدخل" (١).

وقد ازداد نفوذ أهل الذمة وقويت شوكتهم بزواج الخليفة العزيز من جارية مسيحية رومية، وقد تمتعت هذه الزوجة بنفوذ كبير على الخليفة واستطاعت أن تولى أخويها مناصب كنيسية مهمة، فتولى أحدهما بطريرك على بيت المقدس، وتولى الثاني مطراناً على القاهرة ومصر " وكان هما محلاً لصيقاً من العزيز بالله وتقدما في مملكته " (٢). وذلك بفضل زوجة العزيز النصرانية " لأن السلطان كان لها " (٣).

وكانت روح اغابة المفرقة التي حظى بها أهل الذمة في عهد العزيز لها آثار عكسية على المسلمين، الذين شعروا بالاستياء لتسلط الذميين على شئون الدولة، ولعل العزيز لاحظ هذا الأمر، فأراد امتصاص غضب المسلمين، فأصدر أوامره في شوال سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٤ م بالقبض على وزيره يعقوب بن كلس ومصادرة أمواله، ولكن ابن كلس لم يلبث طويلاً في الاعتقال حيث أفرج عنه الخليفة ورد إليه أمواله (٤) بالإضافة إلى هبة كبيرة من المال، وألف وخمسمائة غلام يكونون في خدمته (٥) ويبدو أن العزيز كان متأثراً في عدوله عن قرار

(١) راجع : تاريخ أبي صالح الأرمي، أكسفورد، ١٨٩٥م، ص ٤٥، ٤٦.

(٢) راجع : تاريخ الأنطاكي، ص ١٦٤، ١٦٥.

(٣) مخطوط سير البيعة المقدسة، لوحة ٥١.

(٤) انعاظ، ج ١، ص ٢٦٢.

(٥) مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٨.

اعتقال ابن كلث بنفوذ زوجته المسيحية^(١) وابنته منها " ست الملك " التي كانت أثيرة لدى والدها ولا يرد لها شفاعة^(٢).

ولكن المسلمين لم يطبقوا الصبر على تلك الأوضاع، وارتفعت أصواتهم بالشكوى التي غلقت أحياناً بالسخرية والنقد اللاذع^(٣) التي يتميز بها الشعب المصرى على مر العصور عندما تشتد وطأة الأزمات، فتزوى المصادر أن العزيز عقب وفاة وزيره يعقوب بن كلث سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م أسند الوزارة فى مصر إلى عيسى بن نسطورس النصرانى، الذى مال إلى النصرانى فقلدهم الوظائف المهمة فى الدواوين وطرده الكتاب المسلمين من وظائفهم^(٤).

كما أسند الخليفة العزيز ولاية أقليم الشام إلى رجل يهودى يدعى منشأ بن ابراهيم " فسلك منشأ فى التوفر على اليهود سبيل عيسى مع النصرانى. ورفع منهم راسخدمهم، واستولى أهل هاتين الملتين على الدولة"^(٥).

(١) Fischel; *Jews in the economic and political life of Medieval Islam*, London, 1968, P. 64.

(٢) مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٣.

(٣) راجع : العيني، عقد الجمان، مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ، لوحة ٤١٨.

(٤) راجع : ذيل تجارب الأمم، ص ١٨٥، ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٣، قارن :

Mann *The Jews in Egypt and palestine under the fatimial caliphs*, Oxford, 1920, 1, PP. 19 - 20.

(٥) أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٤ ولعل تلك المعاملة المتساهلة هى التى شجعت جماعة من الروم للتجروء على ممتلكات الدول الفاطمية، وحرقت دار صناعة السفن بمصر بما فيها من المراكب والأسلحة، وقد أثار هذا العمل شعور العامة الذين هاجموا الروم وقتلوا منهم ما يزيد على المائة، واضطر عيسى بن نسطورس إلى القبض على زعمائهم فاعزقوا بارتكاب الحادث، مما دفع العزيز إلى الأمر بنهب كنيسة الروم وأخذ منها ما يزيد على تسعين ألف درهم (راجع : النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٨)

ولقد سبق أن أشرت إلى الحياة التي لجأ إليها المسلمون لإيصال مشاعرهم الساخطة إلى الخليفة، وذلك بأن دفعوا في طريق موكبهم بامرأة تحمل في يدها ظلامه، وما كادت تسلمها للعزير حتى اندست بين الناس في الزحام، وصدم العزير عندما قرأ في الظلامه هذه العبارات " يا أمير المؤمنين : بالذى أعز النصرارى عيسى بن نسطورس واليهود بمنشا بن ابراهيم وأذل المسلمين بك، ألا نظرت فى أمرى ^(١) . ولعل العزير أدرك بعد قراءته هذه العبارات القاسية ما وصلت إليه حال المسلمين من غضب لتحكم أهل الذمة فى شئونهم، وما فى هذا الأمر من إضعاف لهية الخلافة الفاطمية " وعاد إلى قصره منقسم الفكر ^(٢)، ولكن العزير لم يتردد طويلاً فى اتخاذ موقف حاسم، فأصدر أوامره بالقبض على عيسى بن نسطورس، ومنشا اليهودى وسائر الموظفين والكتاب من اليهود والنصارى فى مصر والشام، على أن ترد وظائف الدواوين وسائر المناصب التى كان يشغلها أهل الذمة إلى الكتاب المسلمين ^(٣) وأن يعول عليهم فى إدارة شئون البلاد. وهنا يظهر من جديد التأثير القوى لزوجة العزير النصرانية، وابنته ست الملك ^(٤) وقد أحسن عيسى بن نسطورس استغلال هذا النفوذ، فلجأ إلى ست الملك، وتوسل إليها بأن تتدخل بالشفاعة له لدى الخليفة للصفح عنه، وقدم إلى خزنة الدولة رشوة ضخمة فى صورة فدية مقدارها ثلاثمائة ألف دينار ^(٥).

(١) راجع : أخبار الدول النقططة، لوحة ٥٤، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٩.

(٢) أخبار الدول النقططة، لوحة ٥٥.

(٣) أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ص ١٨٦، مخطوط أخبار الدول النقططة، لوحة ٥٥.

(٤) مخطوط أخبار الدول النقططة، لوحة ٥٥، مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٩.

(٥) ذيل تجارب الأمم، ص ١٨٧، ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٣.

والطريف فى الأمر أن العزيز قبل شفاعته ابنته وأعاد عيسى بن نسطورس إلى مناصبه، رغم أن العزيز اشترط عليه استخدام المسلمين فى دواوين الدولة وأعمالها^(١) إلا أن قرار عودة ابن نسطورس كان تحدياً سافراً لمشاعر جمهور المسلمين، ويمثل قمة السيطرة والنفوذ القوى الذى تمتع به الحيطين بالخليفة الذين يتعاطفون مع أهل الذمة ويعملون لحسابهم^(٢).

وبوفاة الخليفة العزيز سنة ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ م. وتولية ابنه الحاكم بأمر الله، حدث تغيير خطير فى علاقة الدولة الفاطمية برعاياها من أهل الذمة. ومن المعتقد أن القرارات العنيفة التى صدرت فى عهد الحاكم ضد أهل الذمة كانت انعكاساً لما ساد عصر العزيز من تسلط هذه الفئة وسيطرتها على شئون الدولة والذين أرادوا الاستمرار على هذه السياسة " وكان الأمر فى مدة العزيز فيه انحلال وعفو كبير عن الناس، وظنوا أن ذلك يجزى فى مدة الحاكم وجروا على رسمهم " ^(٣). بالإضافة إلى ذلك فإن الحاكم كان قريباً من الناس ويستمع عن كثب إلى نبض الشارع المصرى، فالمعروف أنه كان كثير الارتداد للأسواق والممرور فى الشوارع ولم يكن يمنع الناس من الاتصال به حتى أنه كان يقف ليستمع إلى العامة " ويحادثهم ويصاحكهم " ^(٤) ولا شك أنه قد تأثر بشكرى الناس، وبما كان عليه حال المسلمين فى عهد والده العزيز، وما حظى به أهل الذمة من محابة^(٥). وقد نجح الحاكم فى التخلص من سيطرة والدته المسيحية وأخته " ست الملك : التى كانت تظهر عطفاً وتأييداً للنصارى.

(١) ابن الجوزى، مرآة الزمان، مخطوط بدار الكتب رقم ٥٥١ تاريخ، ج ١١، لوحة ١٥٤، مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٩.

(٢) راجع : Fischel : op. cit., P. 64.

(٣) انعاظ، ج ٢، ص ١٢٢.

(٤) راجع فى ذلك، انعاظ، ج ٢، ص ١٤، ٩٦، ١٠٤.

(٥) O'Lenary; Ashort History, P. 143.

وبدأ الحاكم قراراته للحد من نفوذ أهل الذمة في سنة ٣٩٠ هـ / ٩٧٩م وهي السنة التي تخلص فيها من نفوذ وصيه ومريه برجوان، وسيطر بنفسه على مقاليد الحكم في الدولة ^(١) حيث أصدر قراراً بالقبض على كتاب الدواوين من أهل الذمة واعتقلهم ^(٢) ولكن الحاكم استجاب إلى شفاعه طييه الخاص وطيب والده العزيز من قبل، أبو الفتح سهل بن مقشر النصراني " وكان له من الحاكم خاصية، بل من العزيز محل لطيف وموضع مكين " ^(٣) فأطلق سراح كتاب الدواوين وأعادهم إلى مناصبهم بعد أيام قليلة.

ورغم ذلك فقد أصدر الحاكم خلال فترة حكمه مجموعة من القرارات المتابعة ضد أهل الذمة، وكانت هذه القرارات تتصاعد في العنف سنة بعد أخرى، ومن هذه القرارات ما يتعلق بتميزهم في ملابسهم، فقد أصدر أوامره بأن يرتدى أهل الذمة الزنانيير في أوساطهم والعمائم السود على رؤسهم ^(٤) " شعار الفاسيين العباسيين ^(٥) وأن يعلق النصراني في أعناقهم صلبان الخشب التي تبلغ طولها ذراع في مثله. وأن تكون زنة الصليب خمسة أرطال ويكون ظاهراً فوق الثياب ^(٦) وأن يعلق اليهود في رقابهم قرامى الخشب على وزن صلبان النصراني ^(٧)، كما أمر أن يتميز أهل الذمة في الحمامات عن المسلمين،

(١) اعطاء، ج ٢، ص ٢٥.

(٢) تاريخ الانطاكي، ص ١٨٥.

(٣) تاريخ الانطاكي، ص ١٨٦.

(٤) سير البيعة المقدسة، لوحة ٥٤.

(٥) اعطاء، ج ٢، ص ٥٣.

(٦) اعطاء، ج ٢، ص ٩٤.

(٧) الفضاى، عيون المعارف، مخطوط بدار الكتب رقم ١٧٧٩، ورقة ١٨٠، العيني عقد

الجمان، ج ١٩، لوحة ٦٧٨.

بأن يعلق النصارى الصليبان فى رقابهم، وأن يتميز اليهود بجلجل مكان الصليب^(١) ولكنه عاد فأصدر مرسوماً آخر ينص على منع أهل الذمة من دخول حمامات المسلمين وأن يفرد لهم حمامات خاصة بهم^(٢).

كما أصدر مجموعة من القرارات كان هدفها الحد من مكانة أهل الذمة الاجتماعية والخط من شأنهم، فحرم على أهل الذمة ركوب الخيل، واستخدم المسلمين فى أعمالهم أو دورهم، كما منعهم من شراء العبيد والإماء^(٣)، وسمح للعامة بتبع من يخالف هذه التعليمات من أهل الذمة والإرشاد عنه. حتى أن معظمهم انكمش على نفسه وقل ظهورهم فى الأسواق وفى الطرقات^(٤). وحرم الحاكم على النصارى ممارسة الطقوس الدينية العلنية، والاحتفال بالأعياد ذات الطابع الشعبى مثل الشعانين والغطاس والصليب^(٥).

وقد امتدت يد الحاكم إلى كنائس النصارى وبيعهم، فجردها مما تحويها من تحف و ذخائر وضمت إلى خزائن القصر^(٦)، وأمر بهدم عدد من الكنائس والأديرة فى أنحاء دولته، ونهب ما فيها، ومنحت بعضها بجميع ما فيها من تحف إلى بعض رجال الدولة^(٧)، وفى سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م، أمر بهدم كنيسة

(١) تاريخ الأنطاكي، ص ١٩٥.

(٢) مخطوط سير البيعة، لوحة ٥٤، اتعاظ، ج ٩٣، ٩٤.

(٣) ابن حماد، أخبار ملوك بنى عبيد، الجزائر ١٣٤٦ هـ، ص ٥٤، مخطوط درر التيجان، ورقة ٢٦٦.

(٤) راجع : تاريخ الانطاكي، ص ٢٠٤.

(٥) راجع : الحريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة، ج ٢، ص ٣٢٢ وانظر التفاصيل فى الفصل الخاص بالأعياد المصرية.

(٦) اتعاظ، ج ٢، ص ٧١.

(٧) راجع : اتعاظ، ج ٢، ص ٧٩، ص ٨١، ص ٩٤، ٩٥.

القيامة فى القدس ونهب ما فيها، وبهدم جميع الكنائس فى أنحاء البلاد، ولكن بعض مستشاريه نصحه بأن هذا العمل قد يؤدى إلى هدم المساجد فى البلاد التى يحكمها النصارى^(١) فأمر بالكف عن ذلك بعد أن كانت كنيسة القيامة قد تهدمت ومعها العديد من الكنائس والأديرة فى أنحاء البلاد.

ومن المحتمل أن أهل الذمة قد قاموا بالرد على هذه القرارات العنيفة من جانب الحاكم ببعض أعمال التخريب تحت جنح الظلام وإشعال النار فى الأسواق والخوانيت التى يملكها المسلمون، مما دفع الحاكم إلى إتخاذ إجراءات وقائية، فيذكر المقرئى أنه فى المحرم سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م. "تزايد وقوع النار وكثر الحرق فى الأماكن، فأمر الناس باتخاذ القناديل على الخوانيت.. وأزيار الماء مملوءة ماء.. وعظم الحريق، ووقعت فى أمره شاعات من القول، فقرئ سجل فى الجوامع يزجر السفهاء، والكف عن أحوال تفعل، وأن يدخل الناس إلى دورهم من بعد صلاة العشاء، فأغلقت الدور والخوانيت والدروب بعد صلاة المغرب"^(٢). وهكذا اضطر الحاكم للسيطرة على هذه الأحداث إلى إصدار قراره بمنع التجول بعد العشاء وبتجهيز المياه اللازمة لمقاومة ما قد يحدث من حرائق وحلر المخربين من التمادى فى ذلك.

ورغم موقف الحاكم العدائى من أهل الذمة، إلا أنه وجد صعوبة فى تغيير الجهاز الإدارى للدولة الذى كان يسيطر عليه أهل الذمة، وخاصة النصارى "وكان سائر كتابه وأصحاب خدمته وأطباء مملكته نصارى إلا نفرأ يسيراً من الكتاب"^(٣) لذلك كلف الحاكم معاونيه بعمل احصاء بجميع الكتاب المسلمين

(١) ذيل تاريخ دمشق، ص ٦٦، ٦٧، انعاظ، ج ٥، ص ٧٥.

(٢) انعاظ، ج ٢، ١٠٥، خطط، ج ٢، ص ١٠٨.

(٣) تاريخ الانطاكي، ص ٢٠٣.

الذين لا يشغلون مناصب في الدولة ويصلحون للخدمة في الدواوين والأعمال
 " ليتخذ منهم من يستبدل به شيوخ النصارى " (١).

ورغم هذا فإننا نلاحظ أن الحاكم لم يتمكن من الاستغناء عن النصارى
 في إدارة دولته، فقد تولى بعضهم مناصب كبيرة في الدولة خلال عهده، فقد
 أسند الحاكم منصب الوساطة بعد مقتل برجوان سنة ٣٩٠ هـ / ٩٧٩ م إلى فهد
 بن إبراهيم النصراني (٢) كما أسند منصب الوزارة إلى الكاتب النصراني أبو
 نصر بن عبدون (٣).

وفي سنة ٤٤١ هـ / ١٠١٠ م استخدم الحاكم في الوساطة الكاتب
 النصراني أبا الخير زرعة بن عيسى بن نسطورس (٤) كما تولى صاعد بن عيسى
 بن نسطورس الوزارة سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م (٥).

كما كان من أهل الذمة ألصق الناس بالخليفة وهو طبيب الخصاص، فقد
 استخدم الحاكم الأطباء من اليهود والنصارى، فكان أبو الفتح منصور بن
 مقشر النصراني طبيب العزيز والحاكم (٦) ثم تولى هذا المنصب بعده يعقوب بن
 نسطاس النصراني (٧)، وبعد وفاته خلع الحاكم على الطبيب " صقر اليهودى "
 ليصبح طبيب الخصاص عوضاً عن ابن نسطاس، ووهبه داراً بكل ما تحويه من
 أثاث " فحصل في ساعة واحدة ما قيمته عشرة آلاف دينار " (٨).

(١) تاريخ الانطاكي، ص ٢٠٣.

(٢) اتعاظ، ج ٢، ص ٢٦.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٨١.

(٤) اتعاظ، ج ٢، ص ٨٥.

(٥) اتعاظ، ج ٢، ص ١١٤.

(٦) تاريخ الانطاكي، ص ١٨٤.

(٧) اتعاظ، ج ٢، ص ٨٠.

(٨) اتعاظ، ج ٢، ص ٧٣.

وهكذا يتضح أنه كان من الصعب بل من المستحيل على الخليفة الحاكم أو غيره من الخلفاء الاستغناء نهائياً عن أهل الذمة فى دولته لامتيازهم ببعض الأعمال الهامة التى لا يجيدها غيرهم وخاصة وظائف الدواوين والمالية والطب.

ووضعت المزاورة التى دبرتها ست الملك وانتهت باغتيال الحاكم سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م حداً لآلام أهل الذمة ومتاعبهم وخلصتهم من أشد الخلفاء الفاطميين عداوة لهم. وكان الحاكم أثناء فترة توليه الخلافة لا يميل إلى أخوته ست الملك ويحاول التقليل من نفوذها، ومن المحتمل أنه نما إلى علمه أنباء المزاورة التى أرادت تدبيرها عقب وفاة والده العزيز بهدف تنحيته عن الخلافة، وتولية أحد أبناء عمها مكانه ^(١) لذلك نراه يراقب أفعالها ويحاول إرهاب من يتقرب منها من رجال الدولة، ومن أمثلة ذلك قتله لقاضى القضاة مالك بن سعيد فى ربيع الآخر سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م " وكان سبب قتله أنه اتهم بموالاة سيدة الملك ومراعاتها، وكان الحاكم قد الفلق منها " ^(٢).

وتجمع المصادر التاريخية على أن ست الملك كانت العقل المدبر لمزاورة اغتيال الحاكم، وذلك لأنه أتهمها فى شرفها ورماها بالفجور، وقال لها " قد بلغنى أنك تدخلين اليك الرجال، وأنه قد زالت عذرتك وذهبت بكارتك وقد عزمت على إحضار القوابل لكشف حالك " ^(٣) مما جعلها تتعجل بتدبير قتله خوفاً من بطشه ^(٤)، وأجلست مكانه ابنه الظاهر، وأدارت شئون الدولة بنفسها وقتلت " جميع من اطلع على سرها " ^(٥).

(١) راجع : ذيل تاريخ دمشق، ص ٤٤.

(٢) اتعاض، ج ٢، ص ١٠٧.

(٣) مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٦٤.

(٤) راجع التضايل، اتعاض، ج ٢، ص ١١٥ وما بعدها.

(٥) راجع : اتعاض، ج ٢، ص ١١٧.

ورغم أن ما ذكر آنفاً هو السبب الذى أوردته المصادر عن دوافع ست الملك فى اغتيال أخيه الحاكم، إلا أنه من المحتمل أن من أهم الدوافع إلى ذلك أيضاً، معاملته العنيفة لأهل الذمة الذين كانوا موضع حب وتقدير ست الملك. والدليل على ذلك أنها ما كادت تتخلص من الحاكم حتى ألغت جميع قراراته ضد النصارى وأعادت إليهم نفوذهم " وقوت همتهم وجدوا فى عمارة كنائسهم، وعاد النصارى إلى التظاهر بأعيادهم والظاهر يحضر لشاهدة اجتماعاتهم " (١).

ومما يؤكد هذا الاحتمال أنه عقب وفاة الحاكم عين الأنبا جرجس بطريركاً على الإسكندرية، فاحتفلت ست الملك بهذه المناسبة وقدمت للبطريرك هدايا قيمة من بينها " ثياباً ومصاحف وآلات فضة كانت عندها لحالها أرسانيوس البطريرك القديس " (٢).

وهكذا استرد أهل الذمة مكانتهم فى المجتمع المصرى، وأعيد بناء الكنائس والأديرة وتعميرها، واتفق الظاهر مع الدولة البيزنطية على أن تعيد الدولة الفاطمية بناء كنيسة القيامة فى مقابل فتح جامع القسطنطينية (٣) الذى يبدو أنه أغلق كرد من جانب الدولة البيزنطية على تدمير كنيسة القيامة.

وبالإضافة إلى ما ذكر فيجب أن لا ننفل أن علاقة الدولة الفاطمية برعاياها من أهل الذمة كانت تتأثر فى بعض الأحيان بعلاقتها الخارجية بالدولة البيزنطية، ويظهر هذا جلياً فى الموقف الذى اتخذته الخليفة المستنصر عندما بلغه أن الدولة البيزنطية قد سمحت لرسول السلطان طغرل بك السلجوقى بالصلاة فى

(١) راجع : تاريخ الأنطاكي، ص ٢٣٧ وما بعدها.

(٢) تاريخ الأنطاكي، ص ٢٣٧.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٨٦.

جامع القسطنطينية وإقامة الخطبة للخليفة القائم بأمر الله العباسي سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م، فأصدر المستنصر أوامره بمصادرة كنيسة القيامة^(١) والقبض على البطريك واعتقاله في داره " وأغلق أبواب كنائس مصر والشام، وطالب الرهبان بالجزية لأربع سنين، وزاد على النصارى في الجزية. وكان هذا ابتداء فساد ما بين الروم والمصريين " ^(٢).

ورغم ذلك فإن عهد الخليفة المستنصر كان يتسم بالاعتدال في معاملة أهل الذمة، فقد برز في عهده منهم أبو سعيد التستري اليهودي الذي كان يتولى شئون أم المستنصر منذ أن كانت جارية عنده وباعها للخليفة الظاهر فأنجبت منه المستنصر، فلما تولى ابنها الخلافة، فرضت إلى أبي سعيد هذا أمر ديوانها فارتفع شأنه^(٣) حتى أصبح يتحكم في أمور الدولة ويقف فوق سلطانه الوزير والخليفة نفسه^(٤) وكان المسلمون يشعرون بالحقق لنفوذ التستري وأهل ملته من اليهود في الدولة والذين أساءوا معاملة المسلمين^(٥).

(١) سرور، مصر في عصر الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٧١.

Lane Pool : A history of Egypt, P. 148.

(٢) انعاظ، ج ٢، ص ٢٣٠.

(٣) راجع : النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، لوحة ٦٤.

(٤) راجع: المؤيد في الدين، سيرته، تحقيق محمد كامل حسين، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٨١، ٨٤.

(٥) ابن ميسر، أخبار مصر، ج ٣، ص ٢، وقد عبر أحد الشعراء المعاصرين عن إحساس المرأة لدى المصريين قائلا :

يهود هذا الزمان قد بلغوا . . . غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهم . . . ومنهم المشيار والمل
يا أهل مصر إني قد نصحت لكم . . . تهودوا قد تهود الفلك
(راجع : السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١١٦، حسن إبراهيم، تاريخ

الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٢١١).

ومن أمثلة التعبير عن الحقد على التسرى ما ذكره الشاعر المصري المعروف بالذاكر في هجائه :

تعاطيت تدبير الأمور سفاهة .: وأنت بدار الضرب والصرف أعرف
وإنى لأرجو أن أراك مجدلاً .: وريد المنايا من نجيئك يرعف^(١)

وكان من عادة الخليفة المستنصر استقبال بطريك الإسكندرية في قصره. وكان البطريق يستقبل منذ وصوله إلى ساحل مصر (القسطنطينية) استقبالاً حافلاً، فيخرج له متولى الصناعة مركباً من مراكب الخليفة الخاصة، فيركب فيها البطريك بصحبته حاشيته ويحتشد لاستقباله على الشاطئ أعداد كبيرة من المشاهدين لتحيته، وعند وصوله إلى القاهرة، يشق طريقه إلى القصر في مركب كبير وبين يديه القراء يتهللون. وكان يسمح للبطريك بالدخول على الخليفة في مجلسه وكانت أخت الخليفة المستنصر والدة تحرصان على حضور هذه المقابلة تيمناً برؤية البطريك وطلباً لبركته ويحملان معهما كميات من العطور والطيب لتعطير المجلس، ويطلبان من البطريك منحهما البركة، وبعد أن يقوم البطريك بمباركة القصر وأهله يخرج والقراء بين يديه إلى دار الوزير بدر الجمالي حيث يقابل بالاحترام والاكرام، ويبارك الوزير وأهله، فيخرج البطريك في طريقه إلى مصر في حماية واليها الذي يركب معه لرعايته أثناء الطريق^(٢).

ولكن أهل الذمة غالباً ما كانوا يسيئون استغلال مظاهر التسامح التي يعمون بها فيظهروا بأنفسهم من رغبة في التسلط والتعالي على المسلمين،

(١) توفي الذاكر في حدود سنة ٤٧٠ هـ في زمن الخليفة المستنصر.

والجدل : الصريع على الجدالة وهي الأرض، يرعف : يسيل. والنجيع : دم الجوف (راجع : القفطي، انباه الرواة، ج ٢، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٨).

(٢) سيرة البيعة المقدسة، لوحة ٨٩.

ويقود هذا إلى ارتفاع الأصوات بالشكوى، وهذا ما حدث سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م عندما وصلت إلى المستنصر شكاوى بتجبر أهل الذمة وتطاولهم على المسلمين، فأصدر تعليماته بالزامهم بلبس الملابس المميزة لهم (الغيار والزنانير) " وتعليق الدارهم الرصاص في أعناقهم مكتوب على الدراهم " ذمى " وأن تجعل هذه الدراهم أيضاً في أعناق نساءهم في الحمامات ليعرفن بها، وأن يلبس الخفاف فرداً أسود وفرداً أحمر، وجلجلاً في أرجلهن " (١).

لكن رغم ذلك فقد نعم أهل الذمة في عهد الخليفة الفاطمي الأمر (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ / ١١٠١ - ١١٣٠ م) بمرحلة من الهدوء والتسامح، وارتفع في عهد الأمر من أهل الذمة الراهب أبو نجاح ابن قنا الذي ولاه الخليفة رئاسة الدواوين بعد اعتقال وزيره المأمون سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م وقد أساء هذا الرجل السيرة وعمت في عهده مصادرة الناس والاستيلاء على أموالهم ولم يسلم من هذا زعماء مصر وعوامهم (٢)، حتى أنه " صادر رجلاً حاملاً فأخذ له عشرين ديناراً " (٣) واستطاع هذا الراهب أن يحوز ثروة ضخمة وأن يتفق ببذخ وإسراف وكانت تصنع له ملابس خاصة به في تنيس ودمياط من الصوف الأبيض اغلى بالذهب، وكان يركب بالسروج اغلالة بالذهب والفضة ويدخل إلى جامع عمرو فيجلس هناك ويستدعى الناس للمصادرة (٤) وخلف عند موته ثروة كبيرة (٥).

(١) أبو المحاسن، النجوم، ج ٥، ص ١٣١.

(٢) راجع : ج ١٣، ص ٣٦٩، ٣٧٠ - الذي يقدر ما صادره من أملاك المسلمين بـ (٢٧٢٢٠٠) دار وحانوت غير ما لا يقدر من الأموال والأراضي.

(٣) مخطوط أخبار الدولة النقطعة، لوحة ٧٧.

(٤) أخبار الدول النقطعة، لوحة ٧٧، اتعاظ، ج ٣، ص ١٢٧.

(٥) راجع : أخبار الدول النقطعة، لوحة ٧٨.

وكان من عادة الخليفة الأمر زيارة رهبان النصارى والإقامة فى ضيافتهم، وكان كثير التردد على دير " نهيا بالجيزة " وأنشأ فيه منظره مرتفعة جلوسه، وكان يبيت فيه بعض الليالى فى ضيافة الرهبان عند خروج للنزهة والصيد، وكان يمنحهم فى كل زيارة هبة مالية مقدارها ألف دينار^(١) " ثم إن الرهبان لما رأوا من الإمام الأمر مثل هذا الإنعام وصار لهم إدلال عليه، سألوه أن يطلق للدير طين يزرعوه فى كل سنة، فأجاب سؤلهم، وأنعم على الدير أرضاً فى الجيزة بخط يده مساحة ما يقارب ثلاثون فدانا " ^(٢).

كما أطلق الأمر يد النصارى فى تجديد كنائسهم، فزاد فى عهده نشاط النصارى فى تعمير كنائسهم واصلاحها ^(٣).

وفى عهد الخليفة الحافظ (٥٢٤ - ٥٤٤ هـ / ١١٣٠ - ١١٤٩ م) تبوأ أهل الذمة مكانة مرموقة فى الدولة وخاصة المسيحيين من الأرمن الذين تكاثرت أعدادهم فى مصر بفضل الوزير بهرام الأرمنى^(٤) الذى " تمكن فى البلاد واستعمل الأرمن وعزل المسلمين وأساء السيرة فيهم وأهانهم هو والأرمن الذى ولاهم وطمعوا فيهم " ^(٥) وكان النصارى يسيطرون على الوظائف الهامة وخاصة ما يتعلق منها بمسح الأراضى وتقدير الضرائب، وكانوا لا يتورعون عن الكيد للمسلمين وظلمهم فى تقدير الضرائب، ويروى

(١) تاريخ أبى صالح الأرمنى، ص ٧٨.

(٢) تاريخ أبى صالح الأرمنى، ص ٧٨.

(٣) راجع : المصدر نفسه، ص ٤، ص ٥٦، ٥٧.

(٤) راجع : ابن حجر، رفع الاصغر، ص ١٩٨، المقرئى، العاظم، ج ٣، ص ١٥٦.

(٥) الكامل، ج ١١، ص ١٨، ويذكر القلقشندى أن بهرام بعد توليه الوزارة كان يرسل

بعكاته سرية إلى بنى جسه من الأرمن وأفراد أسرته إلى أن اجتمع إليه عشرين

ألفا ما بين فارس وراجل (صح. ج ٦، ص ٤٦١).

المقریزی مثلاً على ذلك مزاده أن أحد موظفي الضرائب من النصارى. تشاجر مع صاحب معدية أثناء مروره لمسح أراضي بعض النواحي لرفضه دفع أجر التعديّة، فأرغمه صاحب المعدية على الدفع. فحقن عليه النصرائى، وادعى أنه يملك أرضاً فى الناحية مقدارها عشرون فداناً وسجل ذلك فى سجلاته. وفوجئ صاحب المعدية بمطالبته بدفع ضرائب هذه الأرض الوهمية، وأرغم على دفع الضرائب المقررة بعد أن ضرب وأهين رغم شهادة أهل الناحية بعدم ملكيته لأى شبر فيها، واضطر إلى بيع معديته لسداد قيمة الضرائب. وجأ الرجل إلى القاهرة وتظلم إلى الخليفة الذى تحقق من صدق الرجل فقبض على الكاتب النصرائى وشهر به وعوقب على فعلته^(١).

وتوضح هذه الحادثة مثلاً لما كان يعانيه المسلمون من تعسف الموظفين من أهل الذمة والكيد لهم، وإن كان هذا الرجل قد نجح فى إيصال صوته إلى الخليفة فمن المؤكد أن الكثيرين لم يتمكنوا من هذا، وقد أبدى الناس انزعاجهم من سيطرة الوزير بهرام والنصارى على شئون الدولة فى هذا الوقت " وتقدم كثير من حواشى الحافظ، ينكرون عليه ولاية بهرام مع كونه نصرائياً، وقالوا : لا يرضى المسلمون بهذا " ^(٢).

وكان أخو بهرام يتولى ولاية قرص، فعم ظلمه الناس، وصادر أملاكهم مما أوقع الفزع والغضب فى قلوب المسلمين. واتصل أمراء الدولة ^(٣) برضوان

(١) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٠٥، ٤٠٦.

(٢) انعاظ، ج ٣، ص ١٥٦، قارن : ابن حجر، رفع الإصر، ص ١٩٨.

(٣) من وثيقة عن الخليفة الحافظ، تشير إلى أن الخليفة بنفسه قد أرسل الكتب إلى رصوان لاستدعائه لحسم الأمور والقضاء على تسلط بهرام والنصارى " وصدرت كتب أمير المؤمنين تشعده بهذا الأمر الصعب وتتكشف به ما عرا الدولة من هذا الخطب فاحب دعاه ولى نداه " (راجع : صح. ح ٦، ص ٤٣٩).

بن ولخشى وإلى الغريبة يستجدون به و " يشكون إليه ما حل بالمسلمين ويستحثونه على المصير وإنقاذهم مما نزل بهم " ^(١) واستجاب وإلى الغريبة لأستغاثة المسلمين وقدم على رأس جيش كبير نخابة بهرام والقضاء على تسلط النصارى، وفر بهرام من القاهرة عندما شعر بقرب رضوان منها، ودخلها رضوان وتولى الوزارة مكانه، وفرح الناس بزوال عهد بهرام، ولما وصل الخبر إلى قوص تجرأ أهلها وهاجروا أبا بهرام وقتلوه ^(٢).

وانطلق شعور العامة الجامح كرد فعل لفترة التسلط والتشدد التي عانوها في عهد بهرام، فهاجم " رعا ع الناس وأوباشهم دار الوزارة فنهبوا " ^(٣) كما امتدت الأيدي إلى دور الأرمن وكنائسهم بالنهب والتخريب ^(٤).

واستجاب الخليفة الحافظ للشعور العام لدى المسلمين، فأمر بطرد النصارى من الوظائف في جميع أنحاء الدولة، ولكن النصارى تحايلوا على هذا الأمر، مستغلين تعلق الخليفة بعلم النجوم، ودسوا له أحد العرافين الذى ادعى للخليفة أن أحوال البلاد تنصلح بتولية الدواوين لرجل حدد له أوصافه التى كانت تنطبق على أحد النصارى ويدعى الأخرم بن زكريا، ونجحت الحيلة، وتولى هذا الرجل رئاسة الدواوين، فأعاد كتاب النصارى إلى الوظائف المهمة فى الدولة وقويت شوكتهم وتسلطهم على المسلمين " وضايقوا المسلمين فى أرزاقهم، واستولوا على الأحباس الدينية والأوقاف الشرعية، واتخذوا العبيد

(١) انعاظ، ج ٣، ص ١٥٩، قارن : صبح، ج ٦، ص ٤٦١.

(٢) الكامل، ج ١١، ص ١٨، ١٩، انعاظ، ج ٣، ص ١٦٠، ١٦١.

(٣) انعاظ، ج ٣، ص ١٦١.

(٤) راجع : الخريدة النفيسة، ج ٢، ص ٣٧٥.

الفصل الرابع

المرأة في المجتمع الفاطمي

والماليك والجواري من المسلمين والمسلمات، وصودر بعض كتاب المسلمين فأجأته الضرورة إلى بيع أولاده وبناته، فيقال أنه اشتراهم بعض النصارى^(١) والخلاصة إذن أن الدولة الفاطمية كانت تعامل رعاياها من أهل النعمة بروح التسامح رغم فترات التوتر التي كان يقود إليها غالباً رغبتهم في السيطرة والتسلط وإساءة معاملة المسلمين.

وكان من رسوم الدولة الفاطمية أن يحضر بطريرك النصارى على رأس كتاب الدولة وموظفيها من النصارى لتهنئة الخليفة بالأعياد في القصر، كما كان يحضر تلك المناسبات أيضاً رئيس اليهود على رأس الموظفين منهم^(٢).

وكان اليهود خلال العصر الفاطمي يمارسون نشاطهم التجاري في حرية وأمن في جميع أنحاء الدولة، وخاصة في الإسكندرية التي كانت من أهم مراكز التجارة الداخلية والخارجية^(٣) وكان عدد اليهود في الإسكندرية وحدها في أواخر عهد الدولة الفاطمية حوالي ثلاثة آلاف يهودي^(٤).

(١) خطط، ج ١، ص ٤٠٦، ويورد المقرئزي أبحاثاً لأحد كتاب المسلمين تعم عن مشاعرهم تجاه هذه الأوضاع، وتسلط الأخرم النصراني، وكان أعورا فقال :

إذا حكم النصارى في الفروج . . . وغالوا بالغال وبالسروج
وذلت دولة الإسلام طراً . . . وصار الأمر في أيدي العلوج
فقل للأعور الدجال هذا . . . زمانك إن عزمت على الخروج
(راجع الخطط، ج ١، ص ٤٠٦).

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٤٢.

(3) Heyd' Histoire du commerce du levant au Moyen Age: leipyeq, 1923,

I p. 41, PP. 106.

(٤) رحنة بنيامين التيطلي، ص ١٧٩.

وكانت الدولة الفاطمية فى أواخر عهدها حريصة على توفير الأمان والاستقرار لرعاياها من أهل الذمة، ورفع الظلم عنهم. ونلاحظ ذلك جلياً فى المنشور الذى أصدره الخليفة الفائز إلى موظفيه فى شبه الجزيرة سيناء، يأمرهم فيه باستعمال الرحمة مع رهبان دير طور سيناء، وكان أسقف الدير قد تقدم بشكوى إلى الخليفة من ضريبة فرضت عليهم مقدارها عشرة دنانير، فأصدر الفائز أوامره " بإزالة هذا الرسم وتعفيته والمنع من التماسه من هذا الأسقف. والحذر من تناوله من جهته، واعتماده بالرعاية والملاحظة.. والتحذير من تكلفه أو أحد رهبانه مفرماً أو خسارة^(١) .

وهذه الوثيقة تعطى مثلاً لسياسة الدولة الفاطمية تجاه أهل الذمة واستجابتها لمطالبهم ورغبة الخلفاء فى الإحسان والعطف على رجال الدين منهم بوجه خاص.

ورغم ما عاناه أهل الذمة من فترات قاسية فإنها كانت غالباً رد فعل لموقفهم من المسلمين، فلا يمكن أن نرمى الخلفاء الفاطميين بالتعصب ضد أهل الذمة وحتى الخليفة الحاكم صاحب القرارات العنيفة ضدهم كان يستخدمهم فى الوظائف الهامة كما ذكرنا، وإذا كان أهل الذمة قد عانوا فى عهده، فإن قواراته قد شملت جميع رعاياه دون استثناء.

(١) راجع نص الوثيقة : مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد الخامس، ١٩٥٦.

ص ١١٩ - ١٢١، حسين إبراهيم. تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٢١٦، ٢١٧.

١ - النساء في القصر الفاطمي :

كانت القصور الفاطمية في مصر تضم أعداداً كبيرة من النساء لا يمكن تقديره ^(١)، وقد تنوعت مكانتهن الاجتماعية، وما يقمن به من مهام ووظائف داخل القصر. فكان على رأسهن زوجات الخليفة وحظاياه وجواريه، بالإضافة إلى الخادومات اللاتي تسند إليهن أعمال مختلفة في القصر، وكانت هناك أنواع من الوظائف لا يشغلها إلا النساء مثل الإشراف على المائدة الشريفة الخاصة بالخليفة ^(٢) وكان يقوم بهذا العمل امرأة تحمل لقب " المعلمة مقدمة المائدة " ^(٣) كما كانت تتولى خزانة الملابس الخاصة بالخليفة وتعرف " بخزانة الكسوة الباطنة " امرأة تلقب " بزين الخزان " ويساعدها ثلاثون جارية " فلا يغير الخليفة أبداً ثيابه إلا عندها " ^(٤).

وكانت " خزانة الشراب " وهي إحدى خزائن القصر المهمة ^(٥) يسند الإشراف عليها أيضاً إلى إحدى نساء القصر المستخدمات ^(٦) بالإضافة إلى عدد كبير من النساء اللاتي يقمن بالوظائف المختلفة في القصر كان يطلق عليهن " المستخدمات أرباب الصنائع " ^(٧) كما كان يقوم على خدمة زوجات الخليفة وحظاياه من المقربين إليه عدد من النساء يطلق عليهن " المستخدمات عند

(١) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٤٨.

(٢) خطط. ج ١، ص ٤٢١.

(٣) خطط. ج ١، ص ٤١١.

(٤) خطط. ج ١، ص ٤١٣.

(٥) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٢٠.

(٦) خطط. ج ١، ص ٤١١.

(٧) خطط. ج ١، ص ٤١١.

الجهات العالية " (١) وكان بعضهن يحملن في خدمة الأمراء من أرباب الوظائف في القصر وخاصة من الأستاذين المحكمين (٢).

وكان بالقصر عدد من الجاربات اللاتي يجدن فنون الغناء والطرب والعزف على الآلات الموسيقية والرقص لإدخال السرور على الخليفة وحاشيته في مجالسه الخاصة (٣).

أما عن الألقاب التي حظى بها النساء في هذا العصر فهي نادرة، ولم يذكر المؤرخون إلا القليل منها، ومن هذه الألقاب ما كان يطلق على زوجة الخليفة التي كانت تتمتع بمكانة مرموقة في القصر، وكانت تلقب " بالجهة العالية " أو " الجهات العالية " في حالة تعددهن أو " الجهة المعظمة " (٤) ويبدو أن زوجات وحظايا الأمراء وكبار رجال الدولة لم يكن من حقهن التمتع بهذا اللقب، وكان يطلق عليهن " الجهة " فقط (٥) وكانت زوجة الخليفة أحياناً تنسب إلى زوجها مثل " السيدة علم الأمرية " (٦) زوجة الخليفة الأمر، وكان اللقب المنتشر بين نساء القصر من الأميرات بنات الخلفاء وأقاربهن لقب " السيدة الشريفة " (٧).

(١) نفس المصدر السابق والصفحة.

(٢) نفسه.

(٣) تراجع التفاصيل في الفصل الخاص بالغناء والطرب.

(٤) اتعاض، ج ٣، ص ٨٦.

(٥) تراجع خطط، ج ١، ٤١٠، ٤١١، مجد، نظم، ج ٢، ص ٣٧.

(٦) خطط ج ٢ ص ٤٤٦.

(٧) عمارة اليمنى، النكت المصرية، شالون، ١٨٩٧، ج ١، ص ٣٢٩.

وكانت زوجات الخلفاء والأميرات وكبار نساء القصر يحزن الثروات الضخمة واشتهرت الكثيرات منهن بالثراء والبدخ^(١). كما كانت بعض جواري القصر يقتنين ثروات كبيرة، من أمثلة ذلك عائشة جارية الأمير عبد الله بن المعز التي توفيت سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م " وكانت من وجوه عجايز القصر وخلفت أربع مائة ألف دينار " ^(٢) كما كان بعضهم يملك العقارات والدور والاقطاعات^(٣) وكانت هذه الأملاك تزجر لحسابهن ويحصلن على ريعها.

٢ - الدور السياسي للمرأة :

وقد لعبت بعض نساء القصر دوراً مؤثراً في مجرى الأحداث في العصر الفاطمي، وكان لهن تأثير كبير في بعض الظروف سياسياً واجتماعياً، والمعروف أن ست الملك والدتها المسيحية كانتا لهما تأثير كبير على العزيز ومحاباته لأهل الذمة، كما كانت ست الملك الرأس المدبر وراء اغتيال أخيها الحاكم بأمر الله^(٤) كما كان لأم الخليفة المستنصر نفوذ كبير في الدولة الفاطمية، وقد انعكس هذا النفوذ على المشرف على ديوانها أبي سعيد ابراهيم بن سهل التستري الذي سيطر عن طريقها على شئون الدولة^(٥).

والطريف أن المرأة في بعض الأحوال كانت تقوم بالتجسس لصالح من ترغب في نصرته والزود عنه، فيروى أن أم الوزير الأفضل بن بدر الجمالي،

(١) راجع ما كتب عن عبدة ورشيدة ابنتا المعز وغيرهما من نساء الأسرة الفاطمية في الفصل الخاص بطبقة الحاكمة.

(٢) اتعاظ، ج ٣، ص ١٧٣.

(٣) تاريخ الأنطاكي، ص ١٩٥.

(٤) راجع ما سبق أن ذكرناه في الفصل الخاص بأهل الذمة في المجتمع الفاطمي.

(٥) راجع : الفصل السابق، السيرة المؤيدية، ص ٨١، ٨٤، الذخائر والتحف، ص ٧٤.

عندما كان ابنها غائبا عن القاهرة فى مهمة القضاء على ثورة نزار وأعوانه فى الإسكندرية، كانت تنلس بين الناس فى الأسواق والجوامع وهى متكررة، وتلقى على أسمع الناس ذمًا فى الأفضل مدعية أن لها ابناً فى جيشه تخشى عليه من الحرب، وتستمع إلى ما يعلق به السامعين على ذمها، ولما عاد الأفضل بعد انتصاره نقلت إليه ما كان يقال عنه، وانتقم الأفضل من الذين قدحوا فيه: وأحسن إلى من قال فيه خيراً^(١). كما كان للخليفة الأمر جارية على درجة كبيرة من العلم والثقافة وتجيد معرفة علوم الطب والنجوم والموسيقى وكانت تحب الأمر وتحافظ عليه من المزمارات التى كان يدبرها ضده وزيره الأفضل لدس السم له وقتله، وكان لها دور كبير فى تدمير مؤامرة اغتيال الأفضل^(٢) وزوال خطره عن الخليفة.

وقد تدخلت عمه الخليفة الحافظ فى مؤامرة اغتيال الصالح طلائع بن رزيك سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦١ م الذى كان يسيطر على أمور القصر ولا سيما بعد أن زوج ابنته للخليفة، فترمت نساء القصر من وطأته وتسلطه عليهم وآرادت عمه العاضد التخلص منه فأرسلت " الأموال إلى أمراء المصريين، ودعتهم إلى قتله، فلما دخل القصر ضربون بالسكاكين فجرحوه جراحات مهلكة"^(٣).

٣ - نساء العامة :

أما عن النساء من طبقة العامة، فإن المصادر لا تمدنا بتفاصيل كافية عن حياتهن الخاصة، وما كان يحترق من أعمال، ولكنه من البدهى أن المرأة كانت تقوم بالأعمال العادية فى نطاق الأسرة كربة بيت. بالإضافة إلى ذلك فإن بعض

(١) راجع تفاصيل هذه الرواية، انعاظ، ج ٣، ص ١٥ - ١٧.

(٢) أبو المحسن. النجوم، ج ٥، ص ٢١٨.

(٣) ابن الأثير الكامل، ج ١١، ص ١٠٣.

الأعمال كانت تباشرها النساء بوجه خاص مثل غسل الموتى من النساء والمزينات والقوابل. وكان بعضهن يعملن في التجارة وخاصة بيع الغزل والملابس الجاهزة^(١) وكانت بعض النساء الفاضلات يعملن بالوعظ والقاء الدروس الدينية، ومن أمثلة ذلك السيدة أم الخير الحجازية وكان لها رباط باسمها في القرافة الكبرى، وكانت تعقد مجالس الوعظ للنساء في جامع عمرو بن العاص^(٢).

وكانت النساء المعجائز والأرامل موضع عطف ورعاية من الدولة وخاصة من جانب نساء القصر وزوجات الخلفاء، وكانت النساء الثريات يشعرن بحاجة بنى جنسهن إلى تأمين حياتهن ومستقبلهن خاصة بعد وفاة الزوج، فيروى المقرئى أن زوجة الخليفة الأمر أقامت داراً خاصة فى سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١م للعجائز الأرامل^(٣) يجدن فيها كافة حاجتهن وتجنهن مذلة السوال. كما كان يخصص لعجائز القصر وأقارب الأشراف قصر خاص للسكنى يعرف بالقصر النافعى^(٤).

وكانت القواعد الاجتماعية ترمى إلى المحافظة على المرأة ومنع تعرضها للمضايقات فى حياتها العامة والخاصة، فكان من المخطور أن يختلى رجل بامرأة ليست له بمحرم^(٥) فى طريق أو غيره، وكان المحتسب يراقب الآداب العامة ويفقد المواضع التى يكثر ازدحام النساء فيها مثل الحمامات وسوق الغزل والكتان وشطوط الأنهار، ومنع الشباب من الإنفراد بالنساء إلا فى عمل يتعلق

(١) راجع : تاريخ الأنطاكي، ص ٢٠٨، ابن سعيد، النجوم، ٦٤.

(٢) خطط، ج ٢، ص ٤٥٠.

(٣) خطط، ج ٢، ص ٤٤٦.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٠٨.

(٥) صحیح، ج ١٠، ص ٣٥٢.

بالبيع والشراء " فكثير من الشبان المفسدين يقفون في هذه المواضع وليس لهم حاجة غير التلاعب على النسوان " (١).

وكانت التقاليد تقضى بأن يخصص مكان للنساء فى الجوامع ومجالس الوعظ بحيث لا تصل إليهن عيون الرجال. وبعد الانتهاء من الصلاة أو السماع للوعظ كن يسلكن طريقا غير الذى يسلكه الرجال (٢) منعا لانتهاك حرمة المرأة.

كما كان لا يجوز التطلع إلى عورات الخيران من أسطح الدور أو النوافذ ويمنع الرجال من الجلوس فى طرقات النساء. وكذلك يمنع النساء من الجلوس على أبواب دورهن حتى لا تتطلع إليهن أعين الرجال وكان اغتصب يشرف على تنفيذ هذه الأمور ويعاقب من يخالفها من الجنسين (٣).

ورغم ذلك فإن هذه القواعد الأخلاقية لم تكن تنفذ بدقة، فالنساء كن يشتركن مع الرجال فى معظم الاحتفالات الخاصة بالأعياد والمناسبات المختلفة وكانت تحدث أثناء العديد من مظاهر الفسق والانحلال (٤)، كما كان للمرأة حرية الخروج إلى الأسواق وحضور مجالس الوعظ والذهاب إلى المساجد والحمامات، وكانت للنساء حمامات خاصة بهن (٥)، كما كن يخرجن إلى الشواطئ للنزهة والفرجة (٦).

(١) راجع : الشيرزى، نهاية الرتبة، ص ١٠٩، ١١٠.

(٢) الشيرزى، نهاية الرتبة، ص ١١٠.

(٣) راجع : نهاية الرتبة، ص ٩٤.

(٤) راجع التفاصيل فى الباب الخاص بالأعياد.

(٥) وفيات، ج ٢، ص ١٢٧.

(٦) راجع : الشيرزى، نهاية الرتبة، ص ١٠٩، ١١٠.

ويبدو أن بعض النساء قد أساء استخدام الحرية التي يتمتعن بها، وكن يخرجن ليلاً ويختلطن بالرجال، ولم يستجبن لزجر أزواجهن أو من يعولهن لتعهن من ذلك " وغلب النساء على أزواجهن على الخروج " (١) مما دفع خليفة الحاكم إلى إصدار قرار في سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م بمنع النساء من الخروج من دورهن بعد العشاء (٢).

٤ - اضطهاد النساء في عهد الحاكم بأمر الله :

وقد تعرضت المرأة في عهد الحاكم إلى العديد من القرارات العنيفة والإفعال التي تسم بالقسوة، ولم يسلم من ذلك نساء القصور أو العامة منهن.

ويروى أن الحاكم مر على إحدى حمامات النساء فسمع عيحاتهن وأصوات غنائهن فأمر بأن يبنى عليهن باباً، فسد عليهن الحمام حتى متن جميعاً (٣) وبلغ به الأمر أن أخرج من قصره جماعة من حظاياها وأمهات وأولاده ووضعهن في صناديق مثقلة بالحجارة وأغلقت عليهن وأمر بالقائهن في النبل (٤) كما سد على بعض الجوارى والحظايا حجرة في القصر وتركهن حتى الموت (٥).

ويبدو أن الحاكم كان مدفوعاً إلى ذلك بشدة الغيرة على نسانه وعدم ثقته في المرأة بوجه عام وتوقعه الخيانة منها، ولهذا كان يتجسس على النساء لكشف أسرارهن " وجهز نساء عجائز كثيرة يستعلمن أحوال النساء لمن

(١) نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٥٢.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) أبو بكر الداوادي، الدرر المضية، ص ٢٥٨.

(٤) تاريخ الانطاكي، ص ٢٠٦.

(٥) ابن سعيد، النجوم، ص ٦٣.

يعشقن أو يعشقهن واسماء من يتعرض لهن^(١)، وقد نجح الحاكم بهذه الطريقة في الحد من موجد الفسق والفجور في عهده، فكان ينتقم بقسوة ممن " يطلع على فسقهم: فضايق الحال، واشتد على الفساق والنساء ذلك، ولم يتمكن أحد منهن أن يصل إلى أحد إلا نادراً " (٢)

ولم تسلم نساء البيت الفاطمي من قرارات الحاكم، فقد صادر أملاك " والدته وعماته وحرمه وخواصه من النساء " (٣) وحرمهن من كافة ممتلكاتهن واقطعاتهن. والمعروف أنه اتهم أخته ست الملك في شرفها وكان يحقد عليها ويفكر في قتلها (٤).

وكانت أعنف القرارات الاجتماعية التي أصدرها الحاكم سنة ٤٠٤ هـ : ١٠١٣ م ضد المرأة هو قراره بمنع النساء نهائياً من الخروج من دورهن إلى الطرقات ليلاً أو نهاراً حتى أنه حرم عليهن الظهور على أسطح المنازل وأغلقت طاقات الدور (٥). فاحتبست النساء في دورهن، فلم تكن تلوح امرأة في طريق وأغلقت حماماتهن ومحبت صورهن من على جدرانها، وشق على التجار وباعة السلع النسائية. وتوقف الأساكفة عن عمل خفاف النساء وتعطلت حوانيتهم (٦).

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٣٥٢

(٢) ابن كثير، المصدر نفسه والصفحة

(٣) تاريخ الإنطاكي، ص ١٩٥.

(٤) راجع : مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٦٤، اعطاء، ج ٢، ص ١٠٧.

(٥) راجع : النويري، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٥٧

(٦) تاريخ الانطاكي، ص ٢٠٨، اعطاء، ج ٢، ١٠٢، ١٠٣، محمد عبد الله عان.

الحاكم رمر الله، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٦٧

وقد استنى الحاكم من هذا القرار النساء العاملات فى غسل المونى والمزينات من الاماء، والاماء اللاتى يعمن فى سوق الرقيق، والنساء اللاتى يتظلمن إلى مجلس الحكم والخارجات إلى الحج، ووضع لخروج هؤلاء ضوابط شديدة، فلا تخرج إحداهن من دارها إلا برقعة يوقع عليها المختب ويندب متولى الشرطة من يثق فيه من رجاله لمصاحبة المرأة إلى مقصدها ثم إعادتها^(١).

ولما استمر الحال على ذلك ضاقت سبل العيش بالنساء، وخاصة من لا عائل لمن يسد مطالبهن من خارج الدور، واشتكى التجار إلى الحاكم من كساد بضائعهم فسمح لهم بأن يحملوا ما يبيعونه فى الأسواق، ويطوفون به فى الدروب، ويبيعونه للنساء فى دورهن على أن توضع البضائع المباعة فى وعاء له ساعد طويل كالمغرفة، فتأخذ المرأة حاجتها وتضع الثمن دون أن يراها البائع^(٢) واستمر هذا المنع سبع سنين إلى خلافة الظاهر سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م^(٣) حيث أطلقت ست الملك للنساء حرية الخروج من دورهن والتصرف فى أمورهن.

(١) تاريخ الانطاكي، ص ٢٠٨، ابن سعيد، النجوم، ص ٦٤.

(٢) مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٥٧.

Lane pool , Ahistory of Egypt. P. 100.

(٣) ابن حماد، أخبار ملوك بنى عبيد، ص ٥٥.

الباب الثاني

الأعياد والاحتفالات ووسائل اللهو والتسلية

الفصل الأول : الأعياد الدينية الإسلامية العامة.

الفصل الثاني : الأعياد والاحتفالات الشيعية الخاصة.

الفصل الثالث : الأعياد والاحتفالات القبطية.

الفصل الرابع : الاحتفالات القومية والأسرية.

الفصل الخامس: اللهو والطرب ووسائل التسلية.

مدخل:

تمتعت الدولة الفاطمية بثناء عريض لم تعرفه الدول الإسلامية المعاصرة لها، وانعكس هذا الثراء إلى بلخ وإسراف في مظاهر احتفالها بالأعياد والمواسم التي أبدعوا في تنظيمها وانفقوا عليها دون حساب، حتى يحيل لمن يقرأ تفاصيل الاحتفال بالأعياد والمواسم والمناسبات المختلفة في ذلك العصر، أن أيام الدولة كانت كلها أعياداً وأعراساً^(١). فلم يترك الفاطميون مناسبة دينية أو مذهبية خاصة أو عامة إلا وأطلقوا فيها العنان لبذخهم وتأنقهم معتمدين على ثراء دولتهم، وكانهم أرادوا أن يظهروا لأعدائهم مدى ما هم عليه من ثراء وقوة فلا تحدثهم أنفسهم بالتجرؤ عليهم، أو كأنهم أرادوا أن يلهو رعيته من أهل السنة عن أمور السياسة وما يقال من الطعن في نسبهم وأحقيتهم في الخلافة، فأكثرُوا من الاحتفالات التي كانت تنشر فيها الأموال على العامة، وتقام فيها الموائد الضخمة، والمراكب المهيبة التي تجذب إليها الأنظار والقلوب.

(١) راجع: خطط، ج ٢، ص ٢٨٥، ويذكر عمارة اليمنى في قصيدته التي رثى فيها الدولة الفاطمية طرفاً من أعيادها ومكارمها فيقول:

دار الضيافة كانت أنس وافدكم	و اليوم أوحش من رسم ومن طلل
وفطرة الصوم اذ أضحت مكارمكم	تشكو من الدهر حيفا غير محتمل
وكسوة الناس في الفصلين قد درست	ورث منها جديد عندهم وبقى
وموسم كان في يوم الخليج لكم	يأتى تملكم فيه على الجمل
وأول العام والعيدين كم لكم	فيه من ويل جود ليس بالوشل
والأرض تهتز في يوم الخليج كما	يهتز ما بين قصر يكمن من الأسل
والخليل تعرض في وشى وفي شية	مثل العرائس في حلى وفي حلل

(راجع القصيدة، خطط ج ١ ص ٤٩٥، ٤٩٦)

وكانت هذه الاحتفالات بما تحويه من مظاهر الفخامة والبذخ من النادر أن نجد مثيلها في أى عصر من العصور الإسلامية. وكانت معظم هذه الاحتفالات يشارك فيها الخليفة وكبار رجال الدولة طبقاً لرسوم دقيقة وتقاليد ثابتة أخذت طابعها منذ دخول الفاطميين إلى مصر ثم رسخت مع الوقت في المجتمع المصرى حتى أصبحت أساساً لمعظم الاحتفالات التى قامت فى الدول التى أعقبت حكم مصر بعد الفاطميين وخاصة دولة المماليك^(١) إلا ما يتعلق منها بالأعياد الشيعية. ومازال آثار بعض هذه الأعياد قائماً حتى الآن شاهداً على عظمة الدولة الفاطمية وتأثيرها فى المجتمع المصرى.

وكان الشعب المصرى بمختلف طبقاته يشارك فى هذه الاحتفالات وينغمس فى جو المرح التى تضيفها هذه المناسبات على الحياة مغرقاً فى اللهو وتناول مختلف أصناف الطعام والشراب، مستمتعاً بالمواكب الخلافية التى تتسم بكل مظاهر العظمة والجمال والآداب الرسمية التى تحوى أجود أصناف الأطعمة والحلوى، وتمتلى الأسواق بالناس فى ملابسهم الزاهية يشترزون لأولادهم اللعب من الدمى الملونة، والعرائس والتماثيل من الحلوى^(٢) كما كانت الأعياد مناسبة للفقراء والسوقة للحصول على الصدقات والهبات من القادرين، فكان يمر بعضهم على التجار وأصحاب الحوانيت فى الأسواق، ويعلنون عن أنفسهم بالطلل والزمر والنفخ فى الأبواق والرقص، فيتصدق عليهم التجار^(٣).

(١) راجع: ماجد، مقالة عن الأعياد الفاطمية، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمطرد،

١٩٥٤، المجلد الثانى، ص ٢٥٣، ٢٥٧، نظم، ج ٢، ص ٣٩ - ٤٤.

(٢) خطط، ج ١، ص ٩٩، ١٠٠، ابن الأخوة، معالم القرية، القاهرة، ١٩٧٦، ص ١١٢.

(٣) اعطاء، ج ٢، ص ١٠٣ - ولطريف أننا مارلنا نلاحظ هذه الظاهرة فى المواسم والأعياد حتى الآن فى الأحياء الشيعية.

وفى بعض تلك الأعياد كان الخليفة يركب فى مواكب ضخمة يطلق عليها المؤرخون "المواكب العظام"^(١) تميزاً لها عن "المواكب المختصرة" التى كان يخرج فيها الخليفة عدة مرات فى العام وتكون غالباً فى يومى السبت والثلاثاء^(٢).

وستناول فى الصفحات التالية هذه الأعياد بشئ من التفصيل.

(١) راجع: صبح، ج ٣، ص ٤٩٩، وما بعدها، ج ٨، ص ٣١٤، خطط، ج ١، ص

٤٤٥ وما بعدها. الذبح الزاهر، ج ٤، ص ٧٩ وما بعدها.

(٢) صبح، ج ٣، ص ٣١٧

الفصل الأول

الأعياد الدينية الإسلامية العامة

- ١ - رأس السنة الهجرية.
- ٢ - الاحتفال بالمولد النبوي.
- ٣ - احتفالات ليالى الوقود.
- ٤ - الاحتفال بشهر رمضان.
- ٥ - الاحتفال بعيد الفطر.
- ٦ - الاحتفال بعيد الأضحى.

١ - رأس السنة الهجرية:

كان الاحتفال برأس السنة الهجرية من أبهج الاحتفالات الفاطمية، فكان الاستعداد لهذا الاحتفال يبدأ في الأيام العشرة الأخيرة من شهر ذي الحجة بإخراج الأسلحة النفائس وإعداد الخيول المشتركة في المركب الكبير الذي يخرج صبيحة يوم الاحتفال. فيخرج من خزانة الأسلحة ما يحمله طوائف الجند في المركب، وصبيان الركاب المحيطين بالخليفة من أنواع الأسلحة المختلفة المغلاة بالذهب والفضة والجواهر، كما يخرج من خزانة التجميل الألوية والبند والعماريات^(١) بالإضافة إلى الطبول الضخمة التي تحمل على البغال وتُصاحب المركب. ومن الاصطبلات مائة فرس يرسم ركوب الخليفة وكبار رجال الحاشية عليها سروج محلاة بالذهب والفضة والجواهر وفي أعناقها أطواق من الذهب وقلاند العنبر، بالإضافة إلى الخيول التي خصصت لكبار رجال الدولة حسب مكانة كل منهم^(٢).

وكان يعد لهذه المناسبة ما يعرف بصناديق الإنفاق، وهي تحوى الدنانير والدراهم ضرب السنة الجديدة لتوزيعها على رجال الدولة وأرباب الرتب والحاشية والموظفين ابتهاجاً برأس السنة الهجرية^(٣).

وتستمر الاستعدادات لمركب رأس السنة حتى يوم التاسع والعشرين من ذي الحجة حيث تجرى تجربة للعرض داخل القصر بحضور الوزير وكبار رجال

(١) العماريات نوع من الموادج يجلس فيه الأشخاص لسرهم وتعمل غالباً على الجمال، ومفردها عمارية بتشديد الميم (راجع: صبح، ج ٣، ص ٤٧١، هامش (١)،

(Dozy ; Supp, dith, Ar.)

(٢) راجع: التفاصيل: صبح، ج ٣، ص ٥٠٠، خطط، ج ١، ص ٤٤٦، ٤٤٧.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٤٦.

الدولة“ فتمر أمام الخليفة الدواب المشتركة في العرض دابة دابة وهي هادنة كالعرانس بأيدي شدايدها حتى ينتهي العرض^(١). ويذكر ابن الطوير أن الخيول التي تشترك في المركب يجرى تدريبها على سماع أصوات الطبول والصفافير والصنوج قبل المركب بأسرع وخاصة تلك التي يركبها الخليفة وكبار رجال الدولة، فتمر على السير ومن حولها أصوات البوق والطبل حتى لا تنفر من هذه الأصوات أثناء المركب^(٢).

ومن جهة أخرى فإن مطابخ القصر كانت تعد لهذه المناسبة أصنافاً متعددة من الأطعمة في ليلة رأس السنة من الخراف والرؤوس وأنواع الحلوى والحبز والألبان وكانت هذه الأطعمة توزع طبقاً لرسوم محددة على جميع رجال الدولة وحاشية الخليفة وأرباب الرتب والوظائف، كما يصل الكثير منها إلى عامة الناس من أهل القاهرة والقسطاط^(٣).

وفي صبيحة يوم الاحتفال يجتمع كبار رجال الدولة من أرباب السيوف والأقلام في ميدان بين القصرين ويحضر الوزير مبكراً إلى القصر استعداداً لخروج المركب وقد احتشدت طوائف الجند طبقاً لترتيب محدد في الميدان والجميع في أبهى زينة من الثياب ونفيس السلاح^(٤) وبمجرد ظهور الخليفة من باب القصر يعزف بوق خاص وتبعه بقية البوق في المركب ويبدأ الاستعداد لسير المركب، وكان الخليفة في هذه المناسبة يرتدى ملابس بيضاء على رأسه عمامة كبيرة تعرف بشدة الوقار وتعلو جبهته جوهرة عظيمة القيمة تعرف

(١) خطط، ج ١، ص ٤٤٧.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٤٤.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٩٠.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٤٩.

بالهتمة وبجانيه حامل المظلة التى تشبه فى لونها لون ملابس الخليفة^(١) ويحيط به نحو ألف رجل من صبيان الركاب. وعشرون رجلاً من صبيان الخاص يحمل كل منهم راية من الحرير على رماح طويلة مكتوب عليها "نصر من الله وفتح قريب"^(٢). بالإضافة إلى حاملى المباخر التى تنبعث منها روائح البخور والعطرة^(٣)، ويسير الموكب فى طريقه المرسوم طبقاً لنظام محدد لطوائف الأمراء والجنود فى رفق يتقدمه وإلى القاهرة لإفساح الطريق وإزالة ما قد يعترض طريق الموكب، وتصاحب الموكب دقات الطبول والصنوج وعزف العواصير فى صوت قوى، وقد احتشد الناس على جانبي الطريق لمشاهدة الموكب يعمهم السرور، وقد زين التجار حوانيتهم وعرضوا بضاعتهم حتى تعمها البركة بنظر الخليفة إليها^(٤).

ثم يعود الموكب فى نهاية الأمر إلى ميدان بين القصرين حيث يصحب الوزير الخليفة إلى باب القصر، ومن حوله كبار رجال الدولة ثم ينصرف الجميع إلى دورهم^(٥).

وكانت العادة المتبعة أن يقوم السقاءون برش الطريق الذى يسلكه الموكب^(٦)، بهدف منع إثارة الغبار على الراكبين فى الموكب الذى يشترك فيه عدد كبير من الخيول والجمال.

(١) خطط، ج ١، ص ٤٤٨، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٨٩.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٤٨.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٢١.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٤٦.

(٥) راجع تفاصيل هذا الموكب: صبح، ج ٣، ص ٤٩٦ وما بعدها، خطط، ج ١، ص ٤٤٥ وما بعدها، نجوم، ج ٤، ص ٧٩ وما بعدها، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٨٧ وما بعدها.

(٦) انعاظ، ج ٣، ص ٩٠٠، ٩٠١.

كما كان من عادة الخلفاء الفاطميين في هذه المناسبة أن يأمرُوا دار السكة بضرب عملة جديدة تعرف "بالغرة" يتم ضربها في العشرة الأياد الأخيرة من ذي الحجة وتحمل تاريخ السنة الجديدة وتوضع في "عناديق الإنفاق" كما ذكرنا. وكانت هذه العملة توزع على جميع رجال الدولة، وكان يحمل إلى الوزير منها عدداً يوازي أيام السنة الهجرية، فيمنح ستمائة وستون ديناراً ومثلها من أنواع العملة الأقل قيمة، ثم يوزع بعد ذلك على باقي رجال الدولة وأرباب الوظائف على حسب رتبة كل منهم حتى يصل أن يحصل البعض على قطعة واحدة من هذه العملة وكان الجميع يتقبل ذلك على سبيل البركة^(١)

٣ - الاحتفال بالمولد النبوي:

كان الاحتفال بالمولد النبوي في الدولة الفاطمية يتميز بكثرة ما يوزع فيه من الصدقات والأطعمة والخلوى، فكان يخص من "مال التجاوى" التي يدفعها أتباع المذهب الفاطمي مقدار ستة آلاف درهم توزع على سبيل الصدقة في هذه المناسبة كما كان بعض رجال الدولة يجودون في هذه المناسبة بالصدقات الوافرة، فكان سناء الملك بن ميسر يوزع في هذه المناسبة على الفقراء والمحتاجين "أربعمائة رطل حلاوة وألف رطل خبز"^(٢).

وكانت دار الفطرة تستعد للاحتفال بهذا اليوم بإعداد كميات كبيرة من الخلوى اليابسة يستخدم في استعمائها عشرون قنطاراً من السكر وتعبأ في ثلثمائة صينية من النحاس ويجرى توزيع هذه الخلوى على رجال الدولة من أول النهار إلى الظهر طبقاً لرسوم محددة فيبدأ بقاضي القضاة وداعى الدعاة ثم

(١) صحيح، ج ٣، ص ٥٠٥، خطط، ج ١، ص ٤٥٠.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٣٢. وثناء الملك هذا هو الشريف أبو محمد بن محمد بن الحسين

كان يبنى وطيفة كانت لاسمه في عهد الخليفة الأمر بن محمد، ج ٣، ص ١٣٣.

القراء بالقصر والخطباء والمتصدرون للتدريس بالجوامع بالقاهرة وقومة المشاهد^(١) كما يخرج من دار الفطرة أربعون صينية من الخلوى يرسم المشرفين وخداه المشاهد الشريفة لآل بيت رسول الله^(٢).

أما الاحتفال الرسمي بالمولد النبوي فكان يبدأ بعد صلاة ظهر اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول فيخرج قاضية القضاة على رأس موكب الاحتفال وبصحبه الشهود العدول والمكلفون بحمل صواني الخلوى ويتجه الجميع إلى الجامع الأزهر، وهناك يجلس القاضى مدة لسماع القرآن حتى يتم ختم المصحف الشريف ثم يعود الموكب إلى القصر وقد احتشد الناس على جانبي الطريق لمشاهدته، وكذلك حول منطرة القصر للتطلع إلى الخليفة وبمحاول صاحب الباب بمساعدة والى القاهرة منع زحام الناس وإخلاء الطريق أمام موكب قاضى القضاة، وتنظف المسالك المؤدية إلى القصر وترش بالماء وتغطى بالرمال الأصفر، وعندما يصل الموكب إلى القصر، يستدعى صاحب الباب قاضى القضاة ومن فى صحبته فيترجل الجميع عند اقترابهم من المنطرة وينتظرون تحتها وهم متشوقون لرؤية الخليفة، وبعد فترة تفتح إحدى طاقات المنطرة ويظهر منها وجه الخليفة وحوله المقربين من الأساتذة المحنكين ورجال الحاشية ويخرج أحد الأساذين المحنكين يده من طاقة أخرى ويشير بكمه قائلاً: أمير المؤمنين يرد عليكم السلام، ثم يبدأ بعدها الاحتفال فى القصر بقراءة القرآن ويتبارى خطباء الجوامع الكبرى فى الخطابة وذكر مناقب الرسول^(٣)

(١) صبح، ج ٣، ص ٤٩٨، ٤٩٩، خطط، ج ١، ص ٤٣٣.

(٢) خطط، ج ٣، ص ٤٣٢ - والمقصود بالمشاهد الشريفة التى كان يترك الناس بزيارتها

فى مصر (القساطط) مشهد زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب (خطط،

ج ٢، ص ٤٤٠) ومشهد السيدة كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق

(خطط، ج ٢، ص ٤٤٢)

﴿١﴾ وما يناسب هذه الذكرى الجليلة، ويختصمون خطاباتهم بالدعاء للخليفة، فإذا انتهى الاحتفال أخرج الأستاذ يده من الطاقة للقاضى وجماعته مشيراً ببرد سلام الخليفة كما تقدم ثم تغلق الطاقتان وينصرف الجميع إلى دورهم^(١).

ورغم أن المصادر لا تمدنا بمعلومات كافية عن الاحتفالات الشعبية بهذه المناسبة الدينية الهامة، إلا أنه من المعتقد أن العامة كانوا يحتفلون بهذه المناسبة بالخروج إلى الجوامع والاحتشاد لمشاهدة موكب قاضى القضاة. وحول القصر لمشاهدة الخليفة عند ظهوره من المنظر، كما أنهم كانوا يحتفلون فى دورهم بإعداد الأطعمة الفاخرة وأصناف الحلوى، ويدخلون السرور على أولادهم بشراء الحلوى من الأسواق، وكان سوق الحلاويين فى العصر الفاطمى يحوى فى المواسم والأعياد أصناف الحلوى المختلفة التى تصنع من السكر والتى تأخذ أشكالاً مختلفة مثل الخيول والضباع والقطا وغيرها وكان يشتري منها الناس فى هذه المناسبات فلا يبقى جليل ولا فقير حتى يتناع منها لأهله، وتمتلى أسواق البلدين مصر والقاهرة وأريافها من هذا الصنف^(٢).

٣ - احتفالات لبالي الوقود:

كان الاحتفال بلبالي الوقود الأربع من الاحتفالات البهيجة فى الدولة الفاطمية وكان يحتفل بها فى أول شهر رجب ونصفه وأول شهر شعبان ونصفه، وكان أهم مظاهر هذا الاحتفال إضاءة الجوامع والمساجد من الداخل والخارج كما تضاء المآذن والأسطح فتلاً بالأضواء الساطعة، وتصبح وكأنها شعلة من نور، ويحتشد فيها الناس على مختلف طبقاتهم للتباعد ومشاهدة

(١) صح، ج ٣، ص ٤٩٩، خط، ج ١، ص ٤٣٣.

(٢) راجع: خط، ج ١، ص ٩٩، ١٠٠.

الزينات والاستمتاع بما يوزع عليهم من أصناف الطعام والخلوى وما يطاف عليهم به من مجامر البخور المعطرة المصنوعة من الذهب والفضة^(١).

ويصف المسيحي الاحتفال بليلة النصف من رجب سنة ٣٨٠ هـ / أكتوبر ٩٩٠ م فيذكر أن القاضى محمد بن النعمان حضر إلى الجامع الأزهر وبصحبته الشهود ووجوه البلد، وقدمت إليه سلال الخلوى والطعام وجلس بين يديه القراء والمنشدون ووزع على الناس الأطعمة وبخرهم وانصرف إلى داره عند منتصف الليل^(٢).

وفى ليلة النصف من شعبان فى نفس العام اجتمع حشد كبير من الناس بالجامع الأزهر من الفقهاء والقراء والمنشدين، وحضر القاضى ومعه الشهود وكبار رجال الدولة، وقد أضى الجامع الأزهر بالشموع والمصابيح كما أضيئت مجالس العلماء وأرسل الخليفة العزيز بالله إلى الحاضرين الأطعمة والخلوى التى فرقت عليهم^(٣).

وكان كبار رجال الدولة يتصدقون فى هذه الليالى على المساجد ويقدمون إلى الناس كميات كبيرة من الأطعمة والخلوى، ومن أمثلة ذلك أن صاحب بيت المال فى عهد الخليفة الحافظ كان يرسل فى كل ليلة من ليالى الوقود الأربع إلى مساجد جبل المقطم والقرافة خروف شواء وكميات من الخلوى والقطائف المحشوة باللوز والسكر والكافور، ويستدعى أهل الجبل والقرافة والمعبدين فى هذه الأماكن ويقدم إليهم الطعام ويسمح لهم بحمل ما يريدونه منه^(٤).

(١) خطط. ج ١، ص ٤٦٥.

(٢) خطط. ج ١، ص ٤٦٥.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٦٦.

(٤) راجع: خطط، ج ٢، ص ٤٤٥، ٤٤٦.

وكانت هذه الاحتفالات من المناسبات التي يحتفل بها العامة ويدخلون السرور على أنفسهم وعيالهم ويجمعون في الخلاء للعب والمزاح^(١) وكانت الأسواق تكتظ بالناس وقد عمرت بأنواع الأطعمة والحلوى التي تعلق على الحوانيت بخيوط ليشاهدنها الجميع وخاصة أنواع الحلوى الجافة المصنوعة من السكر على أشكال تماثيل الحيوانات وكانت تعم أسواق القاهرة والفسطاط والأرياف ويقبل عليها الناس على شرائها^(٢).

ويبدو أن الخليفة الحاكم أبطل مظاهر الاحتفال بليالي الوقود، وقطع ما كان يقدم من جار معلوم خلال شهور رجب وشعبان ورمضان لمن يبيت في الجامع الأزهر^(٣) في هذه المناسبة، واقتصر الاحتفال في عهده على توزيع الصدقات على المتعبدين والفقراء بالقراءة^(٤).

ولكن الاحتفالات عادة في عهد الخليفة الظاهر إلى سابق عهدها، فكان الظاهر يحضر بنفسه إلى منظره الجامع الأزهر^(٥) ومعه السيدات وخدم خاصة.. وسائر العوام والرعايا^(٦) وكبار رجال الدولة لمشاهدة مظاهر الاحتفالات بهذه المناسبة وقد أوقدت المساجد كلها أحسن وقيد^(٧).

وكانت الموائد تمد في ليالي الوقود في أروقة الجوامع والمساجد تحوى أصناف الطعام والحلوى، ويترك للعامة والفقراء أخذ ما شاءوا منها، وتعم الصدقات الفقراء والمتعبدين^(٨).

(١) خطط، ج ١، ص ٤٦٦.

(٢) راجع: صبح، ج ٣، ص ٤٩٩، خطط، ج ١، ص ٤٦٧، ج ٢، ص ٩٩، ١٠٠.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٦٦، اتعاط، ج ٢، ص ١٥١.

(٤) اتعاط، ج ٢، ص ١٠٢.

(٥) اتعاط، ج ٢، ص ١٥١، خطط، ج ١، ص ٤٦٦.

(٦) اتعاط، نفسه، خطط، نفسه.

(٧) خطط، ج ١، ص ٤٦٦، ٤٦٧.

أما عن الاحتفال الرسمي بليالي الرقود، فهو يشبه إلى حد بعيد الاحتفال بالمولد النبوي، وكان يرأسه قاضي القضاة، فيخرج الموكب من داره بعد صلاة المغرب، حيث يركب القاضي ومن حوله صفين من حملة الشموع الموقدة في كل صف ثلاثون شمعة تزن الواحدة سدس قنطار صنعت خصيصاً لهذه المناسبة ويحملها رجال مندوبين لهذا العمل، وبين صفى الشموع يسير مؤذنوا الجوامع يتהלون إلى الله ويدعون للخليفة والوزير بعبارات مقررّة. وخلف الموكب القراء يجهرّون بآيات القرآن الكريم ويحيط بالقاضي الشهور العدول، وقد احتشد على جانبي الطريق من دار القاضي إلى القصر الآلاف من الرجال والنساء والأطفال لمشاهدة الموكب الذي ينتهي عند باب الزمرد من أبواب القصر الكبير الشرقي حيث يكون الخليفة جالساً في المنطرة المطلة على ميدان رحبة باب العيد، وقد أضيئت حوله الشموع، وبعد فترة تفتح إحدى الطاقات في المنطرة ويطل منها وجه الخليفة وحوله خواصه من الأستاذين المحتكين ثم يطل أحد الأستاذين من طاقة أخرى ويخرج منها رأسه ويده اليمنى ويشر بكمه للحشد الذي ينتظر أسفل المنطرة قائلاً: "أمير المؤمنين يرد عليكم السلام" ويشرف قاضي القضاة وصاحب الباب في هذه المناسبة، فيذكر كل منهما في السلام بألقابهم ويسلم على الباقيين جملة دون تخصيص^(١).

ويستمر الاحتفال داخل القصر بحضرة الخليفة بقراءة القرآن من قراء القصر ثم يتقدم خطباء الجوامع الكبرى فيلقى كل منهم خطبة في هذه المناسبة، وبعد انتهائهم ينتهي الاحتفال كما حدث في المولد النبوي بأن يخرج الأستاذ السابق ذكره يده من طاقة المنطرة ويشر برد الخليفة السلام وينصرف الحضور إلى دورهم^(٢).

(١) راجع: صح، ج ٣، ص ٤٩٧، خطط، ج ١، ص ٤٦٧.

(٢) صح، ج ٣، ص ٤٩٩.

ويتكرر نفس الاحتفال في دار الوزير، حيث يتحرك الموكب من أمام القصر بكامل هيئته إلى هناك ويجلس الوزير لاستقباله ويسلم الجميع عليه، وتعد قراءة القرآن، والخطابة ولكن باختصار عما كان عليه الاحتفال في القصر، ويدعو الخطباء للوزير، وبعد الانتهاء يخرج الموكب مرة أخرى ويشق القاضي ومن يصحبه شوارع القاهرة ومصر وينزل على باب كل جامع في طريقه ويصلي ركعتين وإلى القاهرة في خدمته لحفظ نظام المركب ويتلقاه وإلى القسطنطينية بعد خروجه من جامع ابن طولون ويسير في ركابه خدمته ويمر الموكب على المشاهد الشريفة للتبرك وينتهي به المطاف عند الجامع العتيق الذي يضاء في هذه المناسبة بالتور^(١) الفضة الضخم ويصلي به القاضي ركعتين، وينتهي الاحتفال بعودة القاضي إلى داره في حراسة وإلى القاهرة أن كان يقيم بها وتكرر هذه الرسوم في باقي الليالي الأربعة إلا أنه في ليلة النصف من رجب وبعد الصلاة في الجامع العتيق يتوجه الموكب إلى القرافة حيث يصلي القاضي ركعتين في جامعها^(٢) وكانت العادة أن يحتشد الناس في القرافة ويكثر اللعب والمزاح^(٣).

وقد استمرت الاحتفالات بليالي الوقود حتى نهاية الدولة الفاطمية، وكان الشعراء ينظمون القصائد في هذه المناسبة يمدحون فيها الخلفاء والوزراء

(١) عمل هذا التور في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٣ هـ وكان مقدار ما به من الفضة مائة ألف درهم، وكان من الضخامة بحيث خلعت أبواب جامع عمرو حتى يمكن دخاله وتعليقه (خطط، ج ٢، ص ٢٥٠). ويصفه المقرئ بأنه كان متناسق الشكل جميل المنظر واسع الاستدارة ينقسم إلى عشرة مناطق وبه أسطوانات بارزة ضخمة بها ما يقرب من ثلاثمائة ثريا مضاءة، ويتدل من أسفل استدارته مائة قنديل نجوية الشكل (خطط، ج ١، ص ٤٦٧).

(٢) راجع: صبح، ج ٣، ص ٤٩٩، خطط، ج ١، ص ٤٦٧.

(٣) اتعاط، ج ٢، ص ٨٩.

وكبار رجال الدولة^(١) ويهنئونهم، ومن ذلك قول عمارة اليمنى يمدح الخليفة العاضد بقصيدة مطلعها:

فرض على الشعر أن يبدأ بما يجب من الهناء الذى وافى له رجب^(٢)

٤ - الاحتفال بشهر رمضان:

عرفت مصر الإسلامية مظاهر الاحتفال بشهر رمضان قبل مجيى الفاطميين وخاصة فى العصرين الطولونى والإخشيدى، وإن كانت معلوماتنا عن هذه الاحتفالات نادرة، فيذكر ابن زولاق فى سيرة الأخشيد: أن محمد بن طغج الاخشيد كان يطلق النفقات فى أول رمضان يرسم عمارة المساجد وتزينها مثل ما كان يفعل أحمد بن طولون من قبل^(٣).

ولكننا لحسن الحظ نجد تفاصيل ضافية عن احتفالات الفاطميين بشهر رمضان التى كانت تشمل الشهر كله وتختتم بالاحتفال الكبير بعيد الفطر، وكان يبدأ الاستعداد لشهر رمضان قبل حلوله بثلاثة أيام فيقوم القاضى بالمرور على جوامع ومساجد القاهرة والفسطاط للنظر فى ما يلزمها من فرش وإضاءة وما تحتاج إليه من إصلاح قبل حلول شهر رمضان، كما كان من عادة الخلفاء الفاطميين أن يأمرُوا بإغلاق جميع قاعات الخمارين وتختتم حوانيتهم ويمنع بيع الخمر ابتداء من أول رجب حتى نهاية شهر رمضان^(٤) وكان الهدف من ذلك

(١) راجع: على بن ظافر الأزدي. بدائع البدانة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة. ١٩٧٠، ص ٢٩٨.

(٢) عمارة اليمنى، النكت العصرية. ج ١، ص ١٧١.

(٣) ابن سعيد، المغرب، القسم الخاص بالفسطاط، تحقيق زكى محمد حسن، القاهرة،

١٩٥٣، ص ١٦٣، ١٦٤.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٩١، انعط، ج ٣، ص ٨٢.

تكريم تلك الشهور ومنع الناس من تناول الخمر جهراً أو سراً خلالها، وكل من يشاهد يحمل خمرًا أو يبيعه أو يشتريه كان يعاقب على ذلك^(١).

وكان من عادة الفاطميين الإعلان عن بداية شهر رمضان بخروج الخليفة في موكب رسمي كبير على غرار موكب أول العام، وترسل الكتب والشارات إلى ولاية الأعمال والبلاد الخاضعة للنفوذ الفاطمي^(٢) وكان هذا الموكب بمثابة إعلان ببدء شهر رمضان وهو بديل عن الاحتفال برؤية الهلال عند أهل السنة^(٣).

وكان شهر رمضان مناسبة لإظهار بذخ الدولة الفاطمية وثرانها بما تضيفه على رجالها من صنوف الجود والعطايا، فيذكر المقرئى- وكان فى أول يوم من شهر رمضان يرسل لجميع الأمراء وغيرهم من أرباب الرتب والخدم لكل واحد طبق ولكل واحد من أولاده ونسائه طبق فيه حلواء وبوسطه صرة من ذهب فيعم ذلك سائر أهل الدولة ويقال لذلك غرة رمضان^(٤).

(١) خط، ج ١، ص ٤٩١.

(٢) صح، ج ٣، ص ٥٠٥، خط، ج ١، ص ٤٩١.

(٣) كان الفاطميون لا يعترفون برؤية الهلال كوسيلة لمعرفة لبداية الشهور العربية، وكانت حساباتهم لها طبقاً لجدول فلكية، فكانت الشهور عندهم ستاً: تسعاً وعشرون يوماً وستاً: ثلاثون يوماً، فكان شهر رمضان دائماً ثلاثين يوماً، وقد فر فلاسفتهم حديث الرسول "صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً" تفسيراً يبرر هذا التقسيم للشهور وكان هذا من الأمور التى أوجدت خلافاً بين الفاطميين وأهل السنة راجع: المجالس الميمنية، تحقيق محمد عبد القادر، القاهرة، ١٩٧٥، ص ١٦٢ - ١٦٤، محمد حسن الأعظمى، الحقائق الخفية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٦٥ - ٦٧.

(٤) خط، ج ١، ص ٤٩١.

وكانت الموائد الرسمية التي تنفق عليها الدولة تقام داخل القصر وفي الجوامع الكبرى ليفطر عليها الناس على اختلاف طبقاتهم، فمنذ عهد الخليفة العزيز كان يعمل سباط في مقر الشرطة بمدينة القسطنطينة طوال شهر رمضان لرواد جامع عمرو لتناول الإفطار على نفقة الدولة؛ كما كانت الموائد تمتد في أروقة الجامع الأزهر طوال شهور رجب وشعبان ورمضان وتباح محتوياتها لمن يرغب^(١).

أما سباط^(٢) شهر رمضان في القصر فكان يعد كل ليلة بقاعة الذهب ويحضره قاضي القضاة ليأتي الجمع، أما الأمراء وكبار رجال الدولة فكان حضورهم السباط بالتناوب فيخرج كتاب بأسماء من عليه التوبة منهم إلى صاحب الباب حتى لا يحرموا من الإفطار مع أسرهم. وكان السباط يجهز بأجود أصناف الطعام ويقوم الفراشون بخدمة الحاضرين، ويقدم لهم أثناء الطعام الماء المبخر في كيزان من الخنزف وكان يسمح للحاضرين بحمل ما يرغبون من الطعام بعد انتهائهم من تناول الإفطار وينقل الكثير منه إلى أهل القاهرة. وإذا حضر الوزير السباط فإنه كان يجلس في صدره ويحمله له من الطعام الخاص بالخليفة تشريفاً له، كما يحمل معه عند انصرافه طعام السحور من الأصناف التي يتناولها الخليفة، وأحياناً كان ينوب عن الوزير في حضور السباط ولده أو أخوه^(٣).

وبعد انتهاء سباط الإفطار يبدأ احتفال ديني كبير يحضره الخليفة ويتبارى القراء في تلاوة القرآن بأصوات فيها تطريب، ويتبعهم المؤذنون بالتكبير وذكر فضائل السحور ويختمون بالدعاء للخليفة^(٤) ويأتي بعدهم دور الوعاظ،

(١) خطط، ج ٢، ص ٢٨٥.

(٢) سباط القوم - بكسر السين - ما يند عليه الطعام أي المائدة (راجع: القاموس المحيط).

(٣) خطط، ج ١، ص ٣٨٧.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٩١.

فيذكرون فضائل شهر رمضان ويسهبون في مدح الخليفة وكرمه، ثم يأتي دور الصوفية فقوم جماعاتهم بالرقص والمديح وذكر مناقب الرسول وأهل البيت.

ويستمر الاحتفال الديني إلى بعد منتصف الليل وتوزع أنشاءه على الحاضرين أطباق كثيرة بها أصناف الحلوى والقطائف^(١) وأكواب الماء المعطر فيأكلون ويحملون ما يستطيعون حمله منها فيأخذ الفراشون ما بقى منهم، ثم تبدأ مائدة السحور التي يحضرها الخليفة وشهود الاحتفال الديني ويباح للجميع الطعام الخاص بالخليفة فيوزع عليهم منه، وكل من أخذ شيئاً من طعام الخليفة قام وقبل الأرض وحمل بعضه على سبيل البركة لأهله وأولاده، وينتهي السحور بتوزيع الحلوى والقطائف على الحاضرين^(٢).

وكانت الدولة بالإضافة إلى الأسطة تنفق أموالاً طائلة خلال هذا الشهر على الصدقات التي تعمد أهل الحاجة والفقراء^(٣).

وكان عامة الناس وخاصتهم يستقبلون شهر رمضان بالبهجة والانطلاق فتزدحم المساجد بالمتعبدين وتمتلئ الأسواق بالحركة والنشاط وتعم البيوت أنواع الحلوى والأطعمة التي يتميز بها هذا الشهر مثل القطائف والكنافة، وكان سوق الشماعين في شهر رمضان يكتظ بالمشتريين الذين يقبلون على شراء الشموع ذات الأحجام المختلفة، وكانت الفوانيس المضاءة بالشموع منتشرة في العصر الفاطمي ويحملها الصبية في ليالي رمضان في الطرقات وهم في طريقهم إلى الجوامع^(٤) للصلاة ومشاهدة الاحتفالات الدينية، وكان للفايروس

(١) راجع الفصل الخاص بالطعام والشراب.

(٢) خطط، ج ١. ص ٤٩١.

(٣) اتعاظ، ج ٣. ص ٨٣.

(٤) اتعاظ، ج ٢. ص ٩٦.

وظيفة مهمة في ذلك الوقت، فكان يوضع فانوس مضاء على منذنة الجامع، وعند حلول موعد الامساك عن الطعام يقوم الموزن بإطفاء الفانوس، فيكون علامة للناس عن بداية صوم يوم جديد^(١).

وقد جرت عادة الخلفاء الفاطميين على الخروج في مواكب كبيرة على غرار موكب أول العام وغرة رمضان وذلك لصلاة الجمع الثلاث الأخيرة من شهر رمضان، فبعد الانتهاء من الاحتفال بأول رمضان لا يخرج الخليفة للصلاة في الجمعة الأولى، وكانوا يطلقون عليها جمعة الراحة^(٢) فإذا كانت الجمعة الثانية ركب الخليفة إلى الجامع الأنور أو جامع الحاكم^(٣) في موكب كبير مرتدياً ملابس بيضاء غير منمجة توقفاً للصلاة، وحول موكبه قراء الحضرة يرتلون القرآن، والجنود يحملون الرماح التي في نهايتها أهلة من ذهب^(٤) ويحمل مقدمو الركاب عن يمين الخليفة ويساره أكياس تحوى أموال الصدقة التي توزع أثناء سير الموكب، وقد زينت الطرقات والحوانيت بالأعلام والزينات المختلفة احتفالاً بمرور الخليفة^(٥) حتى يصل الموكب إلى الجامع المحدد للصلاة، الذي يعد في تلك المناسبة بالفرش النفيس،

(١) ابن شاکر، فوات الوفيات، تحقيق احسان عباس، بيروت، ١٩٧٣، ج ٣، ص ٢٩ - ٣١.

(٢) انعاظ، ج ٣، ص ٨٣.

(٣) هذا الجامع بنى خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة، أسسه الخليفة العزيز بالله سنة ٣٨٠ هـ على يد وزيره يعقوب بن كلس، ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر الله وشرع في ذلك سنة ٤٠١ هـ وقدرت النفقة عليه أربعون ألف دينار، وتم استكمالها وصليت به صلاة الجمعة في السادس من رمضان سنة ٤٠٣ هـ وحسب عليه الحاكم بعض الأملاك للاتفاق عليه. وكان هذا الجامع يعرف في أول الأمر بجامع الخطبة ثم عرف بجامع الحاكم أو الحاكمي، ويقال له أيضاً الجامع الأنور. (راجع: النويري، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٨. خطط، ج ٢، ص ٢٧٧، انعاظ، ج ٢، ص ٤٥).

(٤) علي بن ظافر، بدائع البدانة، ص ٣٩٨.

(٥) خطط، ج ٢، ص ٢٨١.

ويعلق على انحراب الستر الخيرية المكتوب عليها البسملة وفتحة الكتاب والآيت التي سيقراها الخليفة أثناء إمامته للصلاة وقد عقب انحراب بروانح البخور الذكية. وبعد دخول الخليفة إلى الجامع يتوجه إلى المنبر وحوله الأستاذون والوزير ورائه وفي حراسته الأمراء من صبيان الخاص وبأيديهم الأسلحة. فإذا جلس على المنبر أشار إلى الوزير بالصعود فيصعد ويقبل يديه ورجليه بحيث يراد الناس ثم تغلق عليه الستائر وذلك لأن الخليفة يلقى الخطبة من كتاب مسطور يخرج له من ديوان الإنشاء ثم تجرى طقوس الصلاة طبقاً لرسوم محددة^(١) وبعد الصلاة يجلس الخليفة لتوزيع الصدقات والهبات بهذه المناسبة^(٢) ثم يتحرك الموكب من الجامع إلى القصر في كامل هيئته بين صحبات الجماهير ودقات الطبول وعزف البوقات^(٣).

وفي الجمعة الثالثة يركب الخليفة للصلاة بالجامع الأزهر وتتم طبقاً للرسوم السابق ذكرها أما الجمعة الرابعة فيهتم أهل القاهرة والفسطاط اهتماماً كبيراً بخروج الخليفة للصلاة في الجامع العتيق، فيقيم أهل القاهرة الزينات في طريق الموكب من باب القصر إلى جامع ابن طولون، ويزين أهل الفسطاط الطريق من جامع ابن طولون إلى جامع عمرو بن العاص وقد اهتم واليا القاهرة والفسطاط بحفظ هذه الزينات وما يعرضه أصحاب كل حرفة من بضائعهم وصناعاتهم في طريق الموكب وكانت تحدده أماكن لهذا الغرض لأرباب الحرف والصناعات المختلفة لعرض منتجاتهم وسلعهم قبل الموكب بثلاثة أيام للتبرك بنظر الخليفة إليها، وتشرف الشرطة على حراسة تلك المعروضات، وعندما يصل الموكب الخلافي إلى الجامع العتيق تجرى رسوم الصلاة فيه كالعادة في مثل

(١) راجع التفاصيل: صبح، ج ٣، ص ٥٠٥ - ٥٠٨. خطط، ج ٢، ص ٢٨٩، نجوم، ج ٤.

ص ١٠٢ وما بعدها.

(٢) نجوم، ج ٤، ص ١٠٤.

(٣) صبح، ج ٣، ص ٥٠٧.

تلك المناسبة، وكان الخليفة خلال عودته إلى القصر يمنح كل مسجد يمر به في طريقه ديناراً هبة للقائمين بالخدمة فيه^(١).

واستمرت تلك الرسوم في صلاة الجمع الثلاث من رمضان متبعة حتى نهاية عصر الدولة الفاطمية مع بعض التغيرات الطفيفة أحياناً، فكان من عادة الخليفة العزيز الخروج للصلاة بالناس طوال شهر رمضان^(٢)، كما كان الخليفة الحاكم يصلي بالناس في بعض الأحيان الجمع الأربع من رمضان^(٣).

٥ - الاحتفال بعيد الفطر:

كانت الاحتفالات بعيد الفطر لها طابع مميز في عهد الدولة الفاطمية، فهو عندهم "الموسم الكبير" على حد تعبير المقرئ^(٤) كما كان يطلق عليه "عيد الخلل" لتوزيع الكسوات على جميع موظفي الدولة كبيرهم وصغيرهم فتعم الجميع من الخليفة إلى أدنى موظفي القصر^(٥).

وقد بدأ الفاطميون احتفالهم الرسمي بهذا العيد منذ قدوم الخليفة المعز لدين الله إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢م فيذكر ابن زولاق أن المعز ركب في هذا العام لصلاة عيد الفطر إلى مصلى العيد التي تقع شرقي القصر الكبير بجوار باب النصر وقد بناها القائد جوهر لهذا الغرض^(٦)، كما يروى المسبحي في أحداث سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م أن الخليفة العزيز خرج في موكبه لصلاة عيد الفطر في هذه

(١) صبح، ج ٣، ص ٥٠٧، ٥٠٨، خطط، ج ٢، ص ٢٨١، ٢٨٢.

(٢) راجع: مخطوط أخبار الدولة النقطمة، لوحة ٥٤.

(٣) راجع: اتعاظ، ج ٢، ص ١٠٣.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٥٢.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٥٢، اتعاظ، ج ٣، ص ٨٢، ٨٣.

(٦) خطط، ج ١، ص ٤٥١، اتعاظ، ج ١، ص ١٣٧.

المصلى، وقد أقيمت لهذا الغرض مصاطب على الطريق الذى يسلكه الخليفة بين المصلى والقصر، ووضع عليها المؤذنون ويجلس على كل مصطبة جماعة من أنصار الدولة من الشيعة تخرج بأسمائهم كشرفاً من قاضى القضاة وداعى الدعاة محمد بن النعمان، فيجلس هؤلاء الأتباع على المصاطب حسب ترتيب أسمائهم، وكان التكبير والابتهالات تبدأ من القصر إلى المصلى متصلاً بين المؤذنين الذين على المصاطب والخليفة يخترق هذا الطريق فى مركبه الضخم الذى يضم طوائف العسكر فى أبهى زينة، وكان يشترك فى هذا المركب القيلة والزرافات والأسود المزينة بالأجلة من الحرير وعليها قباب الذهب^(١).

وكانت القيلة المشتركة فى المركب عليها الأسرة يجلس فوقها العسكر بكامل زيهم وسلاحهم^(٢) والموسيقى المصاحبة للموكب تصدح بأنغام قوية وتحوى بين آلاتها أبواق خاصة لطيفة لا تعرف إلا بمصاحبة الخليفة، وقد انتشرت فى كل مكان البنود المذهبة والمفضضة والتي تحمل عبارات النصر على أسنة الرماح^(٣) والناس محتشدون على جانبي الطريق للتطلع إلى الخليفة ولمشاهدة ما يحويه الموكب من مظاهر القوة والفخامة.

وعند وصول الخليفة إلى المصلى كان يؤم الناس فى صلاة العيد طبقاً لرسوم محددة^(٤) وفى طريق عودة الخليفة إلى القصر، يحتشد الناس لمشاهدة

(١) (صبح، ج ٣، ص ٥٠٩، خطط، ج ١، ص ٤٥١، ٤٥٢، اتعاض، ج ١، ص ١٣٨،

النجوم، ج ٥، ص ١٧٧.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٥٤.

(٣) السجلات المستنصرية، ص ٥٧، اتعاض، ج ٢، ص ١٦٠.

(٤) راجع الرسوم المتبعة فى صلاة عيد الفطر والخطبة والشخصيات الهامة التى تصاحب

الخليفة على المنبر وهى تشبه إلى حد كبير ما يتبع فى صلاة الجمع الثلاث من شهر

رمضان (صبح، ج ٣، ص ٥٠٩، خطط، ج ١، ص ٤٥١، اتعاض، ج ١، ص ١٣٨.

النجوم، ج ٥، ص ١٧٧).

الألعاب التى يقوم بها طائفة من أهل برقة يطلق عليهم "صبيان الخف"^(١) تخصصت فى الألعاب البهلوانية، وكانت الدولة تخصص لها اقطاعات ومرتبات ورسوم، ويبدو أن الخليفة كان يقف بموكبه لمشاهدة ألعابهم عند باب القصر، فكانوا يمدون حبلين من أعلى باب القصر إلى الأرض وينزل على الحبلين جماعة منهم وهم يركبون خيلاً من خشب ويحملون الرايات ويحمل الراكب فرداً آخر معلقاً بيديه ورجليه وآخر خلفه ويقومون بمجموعة من الألعاب المذهلة، كما يركب جماعة منهم على الخيول ويتقلبون عليها وهى مسرعة، ويخرج الواحد منهم من أسفل الفرس ثم يعود للركوب من الجهة الأخرى ومنهم من يقف على ظهر الحصان وهو مسرع^(٢).

وكانت هذه الألعاب والاستعراضات تجرى أمام الخليفة فى عيدى الفطر والأضحى^(٣) وفى موكب فتح الخليج^(٤).

وكان من عادة الخلفاء فى هذه المناسبة أن يزورا تربة الزعفران^(٥) التى تحوى رفات الخلفاء الفاطميين السابقين للرحم عليهم وتوزع الصدقات^(٦).

(١) كان لأهل برقة حارة خاصة بهم فى القاهرة وعثلون احدى طوائف العسكر الفاطمى

(خطط، ج ٢، ص ١٢).

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٥٧.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٥٧.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٧٧.

(٥) وتعرف بتربة الزعفران أو التربة المعزية وكانت من جملة القصر الكبير وفيها دفن المعز

لدين الله آباءه الذين أحضرهم فى توايت معه من بلاد المغرب واستقرت مدفنا

للأسرة الحاكمة، وكان أحد أبواب القصر يطلق عليه باب تربة الزعفران. (راجع:

خطط، ج ١، ص ٤٠٧ - ٤٣٥).

(٦) خطط، ج ١، ص ٤٥٤ - ج ٢، ص ٤٤٣.

وكان أهم مظاهر الاحتفال بعيد الفطر توزيع الحلوى على جميع موظفى الدولة وإقامة الأسمطة الضخمة التى تحوى كل طريف فى القصر. وقد أنشئ لهذا الغرض مطبخ ضخم لصنع الحلوى أطلق عليه "دار الفطرة"^(١) وقد أنشئت فى عهد الخليفة العزيز بالله وهو أول من بنى دار الفطرة وقرر فيها عمل ما يحمل للناس فى العيد"^(٢) ويبدأ العمل فى هذه الدار منذ نصف رجب فيخزن داخلها كميات كبيرة من السكر والعسل وقلوب اللوز والجوز والفسق والبندق والدقيق والتمر والزبيب والمواد العطرية. ويستمر العمل استعدادا لحلول عيد الفطر فى صنع أصناف الحلوى المختلفة مثل الرقاق المحشو بالفسق واللوز (الخشكناج) وحلوى تصنع من الدقيق والبلح (البستندود) وكعب الغزال ولقمة القاضى وغيرها"^(٣) وتخزن هذه الأصناف فى مخازن داخل دار الفطرة، وكان الخليفة يحضر بنفسه بصحبة الوزير للاطمئنان على سير العمل فى النصف الثانى من شهر رمضان، ثم يبدأ من هذا التاريخ توزيع الحلوى على جميع أرباب الرتب فى الدولة والموظفين كبارهم وصغيرهم فى صوانى تحمل كل صينية اسم صاحبها وتختلف حجم الصينية وكمية الحلوى حسب مكانة كل فرد، ويحمل هذه الحلوى فراشون مخصصون لهذا العمل وهم فى أتم زينة ويرتدون الثياب الفاخرة^(٤).

وكان عيد الفطر مناسبة لإقامة الموائد الفخمة التى تحوى أصناف فائقة من الحلوى ومختلف الأطعمة الأخرى، وقد جرت العادة أن يحمل السماط وما يحويه من قصور السكر وتماثيل الحلوى ويدار به فى الطرقات

(١) خط، ج ١، ص ٤٢٥، ٤٢٦، نجوم، ج ٤، ص ٩٦.

(٢) مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٣.

(٣) راجع الخاصيل، خط، ج ١، ص ٤٢٥، ٤٢٦، نجوم، ج ٤، ص ٩٦.

(٤) راجع: خط، ج ١، ص ٤٢٦، ٤٢٧.

بالطبول وتماثيل على هيئة العرائس أمام الموكب وفرقة الفرحية^(١) تشرف على النظام في الطريق^(٢).

وكان يقوم في القصر سباطان كبيران بمناسبة عيد الفطر، السباط الأول يباح للناس ولعامّة موظفي القصر من أرباب الوظائف الصغيرة، وكان يبدأ في اعداد هذا السباط من ليلة العيد في الإيوان الكبير المطل على الشباك الذي ينظر منه الخليفة، ويحتشد السباط بأصناف الأطعمة والحلوى التي صنعت في دار الفطرة فإذا صلى الخليفة صلاة الفجر جلس في الشباك المطل على الإيوان وحضر إليه الوزير وأمر بأن يسمح للناس بالطعام، فيقبل الجميع على السباط فيأكلون كفايتهم ويسمح لهم بحمل ما يستطيعون حمله حتى أن بعضهم كان يبيع من هذه الحلوى ما لا حاجة له بها^(٣).

أما السباط الثاني فكان يقام في قاعة الذهب بالقصر بعد عودة الخليفة من صلاة عيد الفطر، فتوضع أمام سرير الملك الخاص بالخليفة مائدة ضخمة من الفضة تسمى "المدورة" عليها أطعمة في أواني من ذهب وفضة وصيني وهي خاصة بالخليفة فلا تحوى من الأطعمة إلا "الخاص الفاتحة الطيب من غير خضروات سوى الدجاج الفائق المسمن المعمول بالأمزجة الطيبة"^(٤) كما يعد سباط أمام مائدة الخليفة بطول القاعة وقد رصت عليه الأطعمة الفاخرة من الخراف المشوية والدجاج والفرايج وفراخ الحمام وأصناف الحلوى ويزين السباط بالزهور ويحوى هذا السباط ما يزيد على خمسمائة صحن وينصب على رأس السباط قصران كبيران

(١) الفرحية: طائفة من عبيد الشراء في الدولة الفاطمية وينسب إليها حارة الفرحية في القاهرة (خطط، ج ٢، ص ١٤).

(٢) خطط، ج ١، ص ٣٨٧، انعاظ، ج ٢، ص ١٦٠.

(٣) خطط، ج ١، ص ٣٨٧، نجوم، ج ٤، ص ٩٧.

(٤) خطط، ج ١، ص ٣٨٧.

من الحلوى قد صنعا لهذه المناسبة في دار الفطرة مدهوا بأوراق الذهب وبها تماثيل من سكر في غاية الدقة في صناعتها كأنها مسبوكة في قوالب^(١) وكان هذا السماط مخصصاً لكبار رجال الدولة والأمراء.

ويبدأ السماط بدخول الخليفة القاعة بعد أن غير ملابسه التي كان يرتديها في المركب ويجلس على سرير الملك والوزير عن يمينه ويقف لخدمته أربعة من كبار الأمتاذين المحنكين وأربعة من خواص الفراشين. ومتولى المائدة يقف للخدمة مرتدياً أزهى ثيابه وهو مشدود الوسط، ومقدم الشراب يحمل في يده إناء من ذهب بغطاء مرصع بالجواهر والياقوت به الشراب الخاص بالخليفة. ومتولى خزائن الإنفاق يحمل حقيبة مملوءة دنانير ليوزع منها الخليفة عندما يشاء على الحضور على سبيل الصدقة لمن جرت العادة بمنحهم الصدقات في هذه المناسبة^(٢) ثم يستدعى كبار رجال الدولة من الأمراء والكتاب فيأخذون أماكنهم على المائدة الكبيرة، ويباح الطعام للجميع فيأكلون ويحملون منه ما يستطيعون حمله على سبيل البركة، ويعم أهل القاهرة والفسطاط من هذه المائدة طعام وفير وتستمر المائدة إلى قرب الظهر، وخلال الطعام يقرأ القراء ويكبر المؤذنون وينشد المنشدون^(٣) ويتبارى الشعراء بالقاء قصائدهم في هذه المناسبة ويتقدم كبار رجال الدولة من الشيوخ والقضاة والشهود والأمراء والكتاب والفقهاء ورجال العلم وأعيان القاهرة والفسطاط بالسلام على الخليفة كما يتقدم للسلام أيضاً زعماء اليهود برئيسهم والنصارى بطريقهم ويوزع على الجميع خلال ذلك الحلل والحبات حسب العادة المتبعة^(٤).

(١) راجع التفاصيل، خط، ج ١، ص ٣٨٧، ٣٨٨.

(٢) خط، ج ١، ص ٤٥٤، ٤٥٥.

(٣) خط، ج ١، ص ٤٥٣.

(٤) خط، ج ١، ص ٤٥٥.

وبمغادرة خليفة مجلسه ينتهى السباط ثم يتبعه الوزير وساقى الحاضرين.
وكان الوزير يقيم سباطاً آخر مختصراً فى دار الوزارة لأهله وحاشيته^(١)

ويبدو أن سباط عيد الفطر فى أول عهد الدولة الفاطمية فى مصر كان يسبب حرجاً شديداً لمن لا يعتنق المذهب الرسمى للدولة من الأمراء والكتاب، فالمعروف أن الفاطميين لا يصومون طبقاً للرؤية ويعتمدون على الحسابات الفلكية وشهر رمضان عندهم ثلاثين يوماً، وكان البعض من أهل السنة الحاضرين للسباط صائمين فى ذلك الوقت فيذكر ابن زولاق أن المعز عند عودته من صلاة عيد الفطر سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م مد السباط بالقصر وأحضر الناس فأكلوا^(٢) ونشطهم إلى الطعام، وعقب على من تأخر، وتهدد من بلغه عنه صيام العيد^(٣). ولكن هذا التشدد خفت حدته فيما بعد، فالخليفة الحاكم أصدر فى سنة ٣٩٧ هـ / ١٠٠٦ م سجلاً بأن يصوم الناس ويفطروا طبقاً لحساباتهم ولا يعارض من يقتنع فى الصيام والإفطار برؤية الهلال^(٤).

كما يذكر ابن المأمون أن الخليفة الأمر كان يجلس على سباط عيد الفطر ويعطى الحضور الطعام بيده^(٥) فمن كان رأيه الفطور أفطر، ومن لم يكن رأيه أوماً ووضعه فى كفه لا ينتقد على أحد فعله^(٦). والواقع أن هذه الأمور توضح أن الفاطميين لم يكونوا متشددين فى تنفيذ تعاليم المذهب الشيعى ولم يجبروا رجال دولتهم على اعتناقه.

وكان عيد الفطر من المناسبات التى ترسل فيها المكاتبات المعطرة إلى أنحاء الدولة الفاطمية والأقطار الخاضعة لها تصف عظمة موكب الخليفة وعودته سالماً

(١) راجع: خطط، ج ١، ص ٣٨٧، ٣٨٨، ٤٥٥، نجوم، ج ٤، ص ٩٧، ٩٨.

(٢) القرىزى نقلاً عن ابن زولاق، انعاظ، ج ١، ص ١٣٨.

(٣) خطط، ج ٢، ص ٢٨٧.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٥٣. انعاظ، ج ٣، ص ٦٣.

إلى قصره وانتهاء الاحتفالات بسلام دون فتى أو قلاقل لتذاع هذه الأخبار فى الجوامع ليعلم الجميع ذلك^(١).

٦ - عيد الأضحى:

كانت الاحتفالات بعيد الأضحى فى الدولة الفاطمية تبدأ منذ الأول من ذى الحجة فتعقد مجالس الشعراء فى القصر وفى دار الوزارة ويتبارى الشعراء فى مدح الخليفة والوزير والتهنئة بهذه المناسبة، كما كان يجرى توزيع أموال الصدقة على الأطفال والأيتام والفقراء من أهل القاهرة والفسطاط^(٢).

وكان يوم التاسع من ذى الحجة هو "يوم الهناء بعيد النحر"^(٣) فيجلس الوزير فى داره عند آذان الصبح ويستقبل وفود المهنيين على طبقاتهم من أرباب السيوف والأقلام والأمراء والأستاذين اغنكين والشعراء، بعدها يتوجه الوزير إلى القصر ليقدم التهانى للخليفة ويتبعه الأمراء ورؤساء الدواوين وكبار رجال الدولة والبطريك على رأس كتاب الدولة من النصارى، ورئيس اليهود ومعه كتاب الدولة من اليهود ثم يدخل الشعراء لتقديم القصائد فى هذه المناسبة^(٤).

وكانت الرسوم المتبعة فى موكب صلاة عيد الأضحى لا تختلف كثيراً عن مثلتها فى عيد الفطر، إلا أن الخليفة كان يرتدى فى هذه المناسبة حلة من

(١) راجع أمثلة على ذلك: السجلات المستصرية، تحقيق عبد المنعم ماحد، القاهرة،

١٩٥٤، ص ٣١، ٥٧، ١٠١، ١٠٢، صبح، ج ٨، ص ٣١٣، خطط، ج ١

ص ٤٥٦، ٤٥٧.

(٢) اتعاظ، ج ١، ص ٩٥.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٤٢.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٤٢.

اللون الأحمر، وتكون مظلته أيضاً حمراء اللون^(١)، وكانت ملابسه في عيد الفطر البياض، ويبدو أن اللون الأحمر في عيد الأضحى يرمز إلى دم الأضاحى

وكانت العادة أن يستريح الخليفة بعض الوقت داخل القصر بعد عودته من صلاة عيد الأضحى، ثم يخرج من باب الفرج^(٢) أحد أبواب القصر الكبير فيجد الوزير في انتظاره ويمشى في خدمته وهو في طريقه إلى المنحر الذى يقع فى فضاء متسع خالى من البناء بجوار القصر تجاه باب العيد^(٣) ويسير خلف الخليفة المؤذنون وهم يجهرون بالتكبير. وكان فى المنحر مصطبة واسعة مفروشة يصعد إليها الخليفة والوزير وقاضى القضاة وبعض الأستاذين المحكمين وأكابر الدولة وقد أعدت النحائر ليقوم الخليفة بنفسه بذبحها فيمسك الخليفة بالحرية وقاضى القضاة بتصلها، فيضع القاضى النصل فى نحر الذبيحة ويقود الخليفة بطعنها، وكلما نحر الخليفة رأساً كبير المؤذنون وجرت العادة أن ينحر الخليفة بيده ثلاثة أيام متوالية ويذكر ابن المأمون أن ما نحره الخليفة الأمر فى أيام النحر سنة ٥١٥ هـ / ١١٣٢ م ألف وتسعمائة وستة وأربعون رأساً هذا غير ما يذبحه الوزير وإخوته وأولاده^(٤). وكانت هذه اللحوم توزع على أرباب الدولة وكبار موظفيها وينال منها الجميع نصيب، ابتداء من الوزير فما دونه، تحمل إليهم فى أطباق مع الفراشين^(٥) وكانت سنة توزيع الضحايا على رجال الدولة متبعة منذ أيام الخليفة العزيز بالله^(٦) وكان قاضى القضاة وداعى الدعاة

(١) صح، ج ٣، ص ٥١١.

(٢) صح، ج ٣، ص ٥١١.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٣٦.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٣٦.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٣٦-٤٣٧.

(٦) مخطوط أخبار الدول النقطعة، لوحة ٥٣.

يقوم بتفريق بعض اللحوم على الطلبة بدار العلم والمتصدرين للتدريس بجوامع القاهرة وأتباع الدولة من الشيعة^(١). كما كانت هذه الأضحيات تصل إلى أيدي الفقراء والمحتاجين فكان يتصدق بناقاة كل يوم على الضعفاء والمساكين وفي اليوم الثالث تحمل ناقاة مذبوحة لتوزع على الفقراء بالقرافة^(٢) كما كان يتصدق بسقط ما يذبح من النوق والبقر على المحتاجين^(٣) وكانت أول ذبيحة تنحر في هذه المناسبة تقدد وترسل إلى داعي اليمن ليفرقها على الشيعة الإسماعيلية هناك في أحجام صغيرة تصل إلى ربع درهم للتبرك بها^(٤).

وكانت توزع على كبار رجال الدولة الكسوات والخلع بهذه المناسبة كما كانوا يمنحون الهبات المالية، وكان يطلق على هذه الكسوات "كسوة عيد النحر"^(٥).

وفي اليوم الثالث من عيد الأضحى وبعد انتهاء الخليفة من النحر كان يمنح وزيره الثياب الحمراء التي عليه تكريماً له، كما يخلع عليه بعمامته بغير الجوهرة والعقد المنظوم بالجواهر، فيركب الوزير شاقاً القاهرة إلى دار الوزارة^(٦) احتفالاً بما أنعم عليه الخليفة وكان الوزير يجلس في داره في هذا اليوم ليتلقى التهاني من كبار رجال الدولة بهذه المناسبة^(٧).

(١) خطط، ج ١، ص ٤٣٧، صح، ج ٣، ص ٥١٢.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٣٦.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٣٧.

(٤) صح، ج ٣، ص ٥١٢، خطط، ج ١، ص ٤٣٧.

(٥) اعاظ، ج ٣، ص ٩٥.

(٦) صح، ج ٣، ص ٥١١، مخوم، ج ٤، ص ٩٨، ٩٩.

(٧) التويرى. نهاية الأرب، ج ٢٦، لائحة ٨٥.

وكان سماء عيد الأضحى يبدأ بعودة الخليفة من المنحر في اليوم الأول للعيد ويستمر السماء لمدة ثلاثة أيام بالإضافة إلى ما كان يعمل من أسمطة خاصة بالحریم فی دار الوزير. وكانت تقدم على هذه الموائد أنواع فاخرة من الأطعمة وقصور الحلوى المصنوعة في دار الفطرة^(١).

وكانت تحدث أحيانا بعض المفارقات الصارخة في مثل هذه المناسبات. فيروى المقریزی أنه عندما مد سماء عيد الأضحى بحضرة الخليفة الظاهر سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م وكان يضم كبار رجال الدولة والأمراء وكانت البلاد قد تعرضت في هذه السنة لمجاعة شديدة "كس العید القصر وهم یصیحون: الجوع، نحن أحق بسماء مولانا عليه السلام، ونهبوا جميع ما على السماء: وضرب بعضهم بعضاً، والصقالبه تضربهم فلا یبالون، فكان أمراً صعباً وحسب الحاضرين أن نجوا سالمين"^(٢).

وكما جرت العادة فإن الخلفاء الفاطميين كانوا حريصين على إرسال الكتب بالبشارة بعيد الأضحى إلى الولايات والأقاليم الخاضعة لنفوذهم يصفون فيها مواكبتهم وعظمة دولتهم ويثرون بسلامة الدولة خلالها من الفتن والاضطرابات حتى يشاركونهم أتباعهم الابتهاج ويؤكدون لهم قوتهم ونفوذهم^(٣).

(١) خطط، ج ١، ص ٤٣٦.

(٢) انعاظ، ج ٢، ص ١٦٧.

(٣) راجع: السجلات المتصيرية، ص ٩٩، ١٠٠، صح، ج ٨، ص ٣١٣. خطط، ج ١.

ص ٤٣٧، ٤٣٨.

الفصل الثاني

الأعياد والاحتفالات الشيعية الخاصة

١ - الاحتفال بذكرى مقتل الحسين.

٢ - عيد الغدير.

٣ - مولد الأجداد والخليفة الحاضر.

٤ - عيد النصر.

٥ - تنصيب ولي العهد.

مُدْخُل:

جرت عادة الخلفاء الفاطميين في مصر على الاحتفال بأعياد خاصة بالمذهب الشيعي لأحياء ذكرى أحداث هامة في تاريخ الحركة الشيعية وتطورها مثل مقتل الإمام الحسين بن علي، وعيد غدِير خم وغيرهما من الأعياد ذات الطابع المذهبي، ورغم أن هذه الأعياد تخص الشيعة الفاطميين إلا أننا نلاحظ من استعراضنا للاحتفال بهذه الأعياد أن جمهور الشعب المصري لم يكن يأنف من الاشتراك فيها والاقبال على ما تغدقه الدولة خلالها من بذخها وثرانها ممثلاً في الهبات والموائد والصدقات التي لا يخلو عيد من أعياد الدولة الفاطمية منها رغم أن البعض لم يكونوا على مذهب الدولة الشيعي.

كما نلاحظ أن الفاطميين لم يحتفلوا بهذه الأعياد الشيعية أثناء وجودهم بالمغرب، فالمصادر التي أرخت للدولة الفاطمية في المغرب لم تذكر شيئاً من ذلك وخصوصاً كتابي افتتاح الدعوة والمجالس والمسائرات اللذين تتبع فيهما القاضي النعمان تاريخ الدولة والدعوة الفاطمية في المغرب منذ نشأتها حتى عصر المعز لدين الله، اللهم إلا إشارات طفيفة عن القاء خطبة للنعمان بمناسبة ذكرى عاشوراء تحدث فيها عن مناقب الحسين وأهل البيت وكان النعمان قد عرض الخطبة على المعز قبل قراءتها فأقرها^(١) ونحن لا ندري سبب إغفال ذكر هذه الأعياد أو عدم الاحتفال بها، فلا يمكن تعليل ذلك بأن الدولة الفاطمية كانت في حالة اضطراب^(٢) خلال وجودها بالمغرب فقد تمتعت بفترات من الهدوء خاصة في نهاية عهد المنصور وخلافة المعز لدين الله.

(١) راجع: المجالس والمسائرات، تونس، ١٩٧٨، ص ٣٩٧، ٣٩٨.

(٢) عاذف قيام الدولة الفاطمية في المغرب العديد من المشاكل الداخلية والخارجية، وفيما يتعلق بالمشاكل الخارجية كانت أخطرها عداء العلماء الإسلاميين لطلب الدولة=

١ - الاحتفال بذكرى مقتل الحسين:

كانت ذكرى مقتل الحسين فى مذبحة كربلاء فى العاشر من اغرم سنة ٦١ هـ / ٦٨٠ م من المناسبات الحزينة فى الدولة الفاطمية، ويروى ابن رولاق فى كتابه "سيرة المعز لدين الله" أحداث أول احتفال بتلك الذكرى فى مصر فى العصر الفاطمى سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م وذلك بخروج جماعات كبيرة من الشيعة إلى الطرقات فى حراسة جنود المغاربة وهم يصيحون بالنياحة والبكاء على الحسين ويوجهون السباب إلى من يتجرأ على فتح حانوته وممارسة العمل من الناس^(١) فى تلك الذكرى الحزينة، وقاموا بمهاجمة الأسواق وأتلفوا أوانى السقائين ومزقوا روايا الماء، ومنعوا التجار وأصحاب اخوانيت من ممارسة نشاطهم المعتاد، مما أدى إلى وقوع اشتباكات بينهم وبين هؤلاء، وتدخل القائد الغربى أبو محمد الحسن بن عمار وفصل بين الفريقين وحسم الأمر قبل وقوع الفتنة^(٢).

= الناشئة، وقتل هذا العداء بوجه خاص بين المغرب الفاطمى الشيعى والأندلس الأموى السنى لتجاوز حدود الدولتين، فى تلك الفترة، وأخذت الحرب بينهما طابع الدعاية المذهبية والحروب الساخنة وتآليب الشوار وتأييدهم، كما تحالف الأمويون مع القوى الأجنبية المعادية للدولة الفاطمية وأهمها الدولة البيزنطية للقضاء على الخصم المشترك.

(راجع: ابن عذارى، البيان المغرب، بيروت، ١٩٥٠، ج ٢، ص ١٧٤، عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس، بيروت، ١٩٦٢، ص ٢٨٧).

كما تعرضت الجهة الداخلية للعديد من الفتن والثورات، لعل أخطرها ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد الزناتى الخارجى (٣٣٢ - ٣٣٦ هـ) التى استنزفت جهود الدولة الفاطمية ومواردها وكادت تقضى عليها.

(راجع: ابن عذارى، البيان، ج ٢، ص ٣١٨) ثم نعمت بعد ذلك بفترة من الاستقرار والقوة وخاصة فى عهد الخليفة المعز لدين الله.

(١) خطط، ج ١، ص ٤٣٠ نقلا عن ابن رولاق.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٣١.

ويبدو أن الطريقة العنيفة التي لجأ إليها الشيعة في التعبير عن حريتهم في ذلك اليوم كانت متنفسا عن الضغط والاضطهاد الذي نعرع له في عهد الدولة الإخشيدية في تلك المناسبة، فكان الجند السودا في عهد كافر الإخشيد يقبضون على الشيعة في ذكرى عاشوراء ويجردونهم من ثيابهم ويوجهون لهم الاتهامات لذلك "قويت أنفس الشيعة بكون المعز في مصر" على حد تعبير ابن زولاق وانطلقوا في الاحتفال بتلك المناسبة.

وكان هذا اليوم يحتفل به عند أعداء الدولة الفاطمية ومخالفها كمظهر للفرح والابتهاج لذلك كان الفاطميون يردون على هذا في خطبة الجمعة التالية لهذا العيد، فيذكرون مصاب الحسين وتكريم الله سبحانه وتعالى له بالشهادة في هذا اليوم، ويهاجمون بنى أمية ويتهمونهم بالفسق ويلعنونهم لأنهم السبب في مقتل الحسين^(١).

وكان الخلفاء الفاطميون يحتجبون في ذكرى مقتل الحسين عن الظهور تعبيراً عن حزنهم وجزعهم، وتعطل الأسواق وتقف حركة التعامل. وتخرج جماعات الشيعة والمنشدون في الطرقات يتصايحون بالبكاء وإنشاء المراثي وتتجه الجموع إلى الجامع الأزهر^(٢) حيث يجري الاحتفال الرسمي الذي يرأسه قاضي القضاة، فيركب في الضحى إلى الأزهر وبصحته الشهود والأعيان وقراء الحضرة والعلماء، ثم يحضر الوزير فيجلس في صدر المجلس وبجانبه قاضي القضاة وداعي الدعاة، ويبدأ الاحتفال بقراءة

(١) نفسه، اتعاط، ج ١، ص ١٤٥، ١٤٦.

(٢) راجع: المجالس والمسايرات، ص ٣٩٧، ٣٩٨.

(٣) كان الاحتفال بهذه المناسبة يجري في الجامع الأزهر ثم نقل بعد ذلك إلى المشهد

الحسيني الذي أنشئ في عهد الوزير طلائع بن رريك سنة ٥٤٩ هـ - ١١٥٤ د

(خطط، ج ١، ص ٤٢٧، ماجد، نظم، ج ٢، ص ١٢٩).

القرآن ثم يتبارى الشعراء والمنشدون في ذكر المراثي في الحسين وأهل البيت، فيضج الحاضرين بالبكاء والنحيب^(١).

وعند الظهر يتوجه المجتمعون بالأزهر إلى القصر الذي يجرد في هذا اليوم من مظاهر الزينة وتخلى دهاليزه من البسط وتفرش بأخضر، فيجلس القاضي والداعي وكبار رجال الدولة على الحصر أو الدكك الخشبية، ويستمع الحاضرون إلى القراء والمنشدين مرة أخرى، ثم يفرض سباط الحزن الذي يحتوى على أنواع خاصة من الطعام تتفق مع الذكرى الحزينة في هذا اليوم، فلا يقدم فيه غير "العدس والملوحات والمخللات والأجبان والألبان الطازجة والأعسال النحل والفطير والخبز المغير لونه بالقصد"^(٢) ولا يوضع هذا الطعام على خوان مرتفع بل على سفرة كبيرة من الجلد تفرش على الأرض والطعام فوقها مباشرة بدون مرافع^(٣) ثم يدعى الحاضرون إلى تناول الطعام ولا يجبر أحد على تناوله وقد أظهر الجميع الحزن، فاذا انتهت المائدة خرج الجميع إلى دورهم^(٤).

وقد جرت العادة بعد إقامة المشهد الحسيني سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م أن ينحدر عند قبر الحسين في هذا اليوم عدد من الإبل والبقر والغنم وتوزع لحومها على الفقراء والمحتاجين^(٥).

ولم يذكر المؤرخون اشتراك الخليفة في هذه الذكرى الحزينة في بداية عهد الدولة الفاطمية، ويبدو أن هذا لم يحدث إلا في وقت متأخر، فيروى ابن

(١) خطط، ج ١، ص ٤٣٩، النجوم، ج ٥، ص ١٥٣.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٣٩ (راجع الفصل الخاص بالطعام والشراب).

(٣) راجع، حلمي سالم، المرجع السابق، ص ٢٩٧.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٣٩، ٤٣٢، النجوم، ج ٥، ص ١٥٤.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٢٧.

المأمون في أحداث سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م أن الخليفة الأمر جلس في ذكرى عاشوراء في القصر على كرسى من جريد بغير محدة مثلثاً هو وجميع أفراد الحاشية، ودخل إلى مجلسه الوزير والأمراء المقربون للسلام، كما سمح للقاضي والداعي وكبار رجال الدولة بالدخول للسلام وهم بغير عمامة حفاة ملثمون، وأمر الخليفة بإخراج الهبات التي جرت العادة بتوزيعها على المتصدين للتدريس بالجوامع والوعاظ والشعراء وغيرهم^(١).

وكان تعبير الشيعة عن حزنهم في تلك الذكرى يحمل الكثير من مظاهر المغالة والفوضى والخروج عن المألوف، وكانت تحدث نتيجة لذلك اضطرابات واعتداءات على أموال الناس وحرمانهم، مما دعا الخليفة الحاكم بأمر الله إلى إصدار قرار بمنع النساء من الخروج من دورهن في تلك المناسبة^(٢) وجمع القاضي عبد العزيز بن النعمان سنة ٣٩٦ هـ / ١٠٠٥ م سائر المنشدين الذين كانوا يتخذون من النوح على الحسين يوم عاشوراء مصدراً للتكسب والحصول على الصدقات، ويتأقلون على التجار وأصحاب الحوانيت في الأسواق في طلب الهبات المالية، وألزمهم القاضي أن يقتصر النوح والنشيد في تلك المناسبة بعيداً عن الأسواق بل في الأماكن الخلوية وفي الصحراء^(٣).

وتدل الشواهد التاريخية أن عامة الناس كانوا يعبرون عن مشاعرهم في ذكرى عاشوراء بطريقة عنيفة لا توحى بالحب والتقدير للحسين وآل البيت، وتعلقهم بمذهب الدولة الرسمي، بقدر ما تعبر عن رغبة دفينية في الخروج عن النظام والتعبير عن الغضب لسوء أحوالهم الاجتماعية، فيروى المقرئ في

(١) خطط، ج ١، ص ٤٣١.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) الكندي، ذيل الولاة والقضاة، ص ٦٠٠، خطط، نفسه.

أحداث سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م^(١) وفيها تجمع الرعاع والعامّة في يود عاشوراء بمشهد السيدة نفيسة، وجبروا بسب الصحابة، وهدموا عدة قبور فسير الأفضل إليهم ومنعهم من ذلك، وأدب والى القاهرة جماعة وضربهم^(٢).

٣ - يوم الغدير:

من الأعياد الخاصة التي يحتفل بذكرها الشيعة الفاطميون، فهذا العيد يحمل ذكرى دعامة هامة من دعائم دعوتهم التي تؤكد أحقية علي بن أبي طالب في الخلافة بعد وفاة النبي^(٣) وأحقية الخلفاء الفاطميين بالتالي لهذه الخلافة بسبب انتسابهم إلى علي وزوجته فاطمة، ويجرى الاحتفال بهذا العيد في الثامن عشر من ذي الحجة ففي مثل هذا اليوم أوصى النبي لابن عمه علي بالإمامة على المسلمين من بعده، فيروى المؤرخون أن النبي عند عودته من حجة الوداع سنة ١٠ هـ / ٦٣٢ م نزل بمكان بين مكة والمدينة يعرف بغدير خم به عين ماء وحوله شجر كثير وبعد أن صلى الظهر مع جماعة من صحابته أخذ بيد علي بن أبي طالب وقال: أستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسي. قالوا: بلى، فقال: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حديث دار^(٤) ويفسر فلاسفة المذهب الشيعي هذا الحديث بما يؤكد أن النبي كان يقصد الوصاية بالخلافة من بعده لعلي بن أبي طالب وأن من جاء بعده من الخلفاء قد اغتصبوا حقه الذي أوصى به النبي^(٥).

(١) اتعاظ، ج ٣، ص ٢٠، ٢١.

(٢) صبح، ج ١٣، ص ٢٩٤.

(٣) المجالس المؤيدية، ص ٦٥، صبح، ج ٢، ص ٤٠٦، ج ١٣، ص ٢٤١، خطط، ج ١، ص ٣٨٨.

(٤) راجع في هذا الشأن: المجالس المؤيدية، ص ٦٢ - ٦٦.

وقد بدأ الاحتفال بهذا العيد في مصر الفاطمية منذ دخول المعز لدين الله إليها في سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م فقد تجمع عدد كبير من أهل مصر والمغاربة من الشيعة للدعاء والاحتفال، فابتهج المعز لذلك^(١) ويبدو من أقوال المؤرخين أن الاحتفال في أول أمره كان بسيطاً ثم أصبح بعد ذلك من الاحتفالات الكبيرة التي تتناسب وأهمية المناسبة المحتفل بها.

ويذكر المقرئى نقلاً عن المسبحى طريقة الاحتفال بهذا العيد في عهد الخليفة العزيز بأن المتشيعين قد اجتمعوا في الجامع الأزهر في أعداد كبيرة ومعهم القراء والفقهاء والشعراء، وأقاموا احتفالاً كبيراً اشتمل على قراءة القرآن والوعظ والإنشاد وذكر المناسبة المحتفل بها ودلائلها المذهبية، واستمر الاحتفال حتى الظهر حيث توجهت الجموع إلى القصر فأخرج لهم العزيز الهبات^(٢).

ومن الغمط أن أعداداً من عامة أهل مصر كانوا يسايرون هذا الحشد من الشيعة لينالوا نصيبهم مما تغدقه الدولة الفاطمية على أتباعها في هذه المناسبة^(٣) وكان من عادة جمهور الشيعة احياء ليلة هذا العيد بالصلاة، ويرتدون فيه الملابس الجديدة ويعتقون الرقاب ويكثرون من الصدقات وأعمال البر وذبح الذبائح وتوزيع لحومها^(٤).

وقد تطور الاحتفال بعيد الغدير في أواخر عهد الدولة الفاطمية فأصبح له رسوم محددة وركوب خاص يطلق عليه "ركوب عيد الغدير"^(٥). وكان هذا

(١) انعاظ، ج ١، ص ١٤٢، خطط، ج ١، ص ٣٥٣، ٣٨٩.

(٢) خطط، ج ١، ص ٣٨٩.

(٣) راجع، خطط، ج ١، ص ٣٩٠.

(٤) صبح، ج ٢، ص ٤١٧، خطط، ج ١، ص ٣٨٩.

(٥) خطط، ج ١، ص ٣٨٩.

الركوب يتم بصورة مختصرة فيخرج موكب الخليفة فيه بدون مظلة ولا يتعدى الموكب نطاق القاهرة. وتبدأ مراسم الموكب باستدعاء الوزير إلى القصر فيخرج الخليفة راكباً ومن حوله الأستاذون المنحكون رجالة ومن خلفه الأمراء بترتيب رتبهم ثم طوائف الجند كل طائفة أمامها قائدها والرايات والبنود ترفرف حولهم بتسيق جميل، ثم يتبع هؤلاء الوزير في حاشيته ثم أرباب الرتب في الدولة كل فرد منهم في حاشيته وفي النهاية إلى القاهرة وإلى مصر (القساط) ويتحرك هذا النظام حتى يصل إلى المشهد الحسيني فيكون في انتظار الخليفة القاضي وحوله الشهود، فيسلم القاضي بتقبل رجل الخليفة التي قبالة^(١). ثم يعود الموكب إلى القصر ويدخل المشتركون فيه إلى الإيوان الكبير وقد فرش بالستور الفاخرة، ونصب فيه كرسى الدعوة الذى أعد للخطابة وهو مرتفع عن الأرض بتسع درجات، فيجلس تحته القاضي والشهود وحشد كبير من الأمراء والأجناس والمتشيعين على اختلاف طبقاتهم، ويكون الخليفة قد جلس بالشباك المطل على الإيوان وهو يشاهد المجتمعين فيه ثم يقف القاضي مرتدياً البدلة الحريرية التي منحها له الخليفة بهذه المناسبة، ويرتقى كرسى الدعوة ويتلو خطبة من كراس أعدت له في ديوان الإنشاء يتضمن حديث النبي (ﷺ) بالوصاية لعلى بن أبى طالب الذى ذكره في يوم غدیر خم، وبعد انتهاء الخطبة ينزل القاضي ويصلى بالحاضرين ركعتين. وبعدها يتوجه الوزير إلى الإيوان لخدمة الخليفة، ويتبادل أنصار المذهب الإسماعيلي التهانى بهذه المناسبة ثم ينصرف الحضور^(٢).

وكان من مظاهر الاحتفال بهذا العيد عتق الرقاب وتوزيع الأيامى لمن يرغب في ذلك دون مقابل، فيذكر ابن المأمون في معرض حديثه عن الاحتفال بعيد الغدير في عهد الخليفة الأمر سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٣ م "وهاجر إلى باب الأجل يعنى

(١) خطط، ج ١، ص ٣٨٩.

(٢) خطط، ج ١، ص ٣٨٩.

الوزير المأمون البطانحي الضعفاء والمساكين من البلاد ومن انضم إليهم من العوائى والأدوان على عاداتهم فى طلب الخلال وتزويج الأياامى، وصار موسماً يرصده كل أحد ويرتقبه كل غنى وفقير^(١) كما كانت الدولة توزع فى هذا العيد الملابس والهبات المالية على رجال الدولة وأرباب الوظائف فيها^(٢).

وكان الخليفة يتوجد فى الصباح الباكر من هذا اليوم إلى المنحر ويذبح بنفسه أعداداً كبيرة من الأضاحى تفوق ما يذبح فى عيد الأضحى فهذا العيد^(٣) عندهم أعظم من عيد النحر^(٤) كما يذبح الجزارون أعداداً كبيرة من الكباش توزع لحرمها على الخاصة من المتشيعين وأنصار المذهب الفاطمى، وكان المؤذنون من قبل الصلاة يكبرون تكبير العيد.

وكانت فى هذه المناسبة ثلاثة أسطة فى القصر تفوق نظيراتها فى عيذى الفطر والنحر، وهو العيد الوحيد الذى يقام فيه هذا العدد من الأسطة وكان السماطان الأول والثانى بمخصان لأرباب الرسوم المتبعة فى الأعياد، أما السماط الثالث فكان خاصاً بأقارب الخليفة والمقربون من الحاشية^(٥).

وكان الوزير بعد انصرافه من القصر إلى داره يجلس لاستقبال أعيان مصر والقاهرة ويتقبل منهم التهانى بالعيد، ويجتمع الشعراء فى داره للإنشاد وتفرق خلال ذلك الهبات والصدقات على الضعفاء والمحتاجين^(٦).

(١) خطط، ج ١، ص ٣٩٠.

(٢) خطط، ج ١، ص ٣٩٠.

(٣) خطط، ج ١، ص ٣٨٩.

(٤) خطط، ج ١، ص ٣٩٠.

(٥) اتعاظ، ج ٣، ص ٩٥.

وكان الخليفة الأمر يجلس في هذا اليوم في إحدى المناظر التي بناها وزيره المأمون بين باب الذهب وباب البحر من أبواب القصر ليستعرض العساكر في ذكرى يوم الغدير^(١) وهذه أول إشارة إلى جلوس الخليفة لاستعراض الجند في عيد من أعياد الدولة الفاطمية كما يوضح أهمية العيد واهتمام الخلفاء الفاطميين في إبراز مظاهر الاحتفال به.

٣ - الاحتفال بمولد الأجداد ومولد الخليفة الحاضر:

من الأعياد الشيعية ذات الطابع الخاص والتي انقرضت بزوال الدولة الفاطمية الاحتفال بمولد علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة والحسن والحسين والخليفة الفاطمي الحاضر، وكانت هذه الأعياد لها تواريخ محددة يعرفها الشيعة ويحتفلون بها ولم تحصل على تفاصيل احتفال الدولة الفاطمية الرسمي بهذه الأعياد إلا أنها كانت على غرار الاحتفال بالمولد النبوي الشريف^(٢) وتوزع فيها الهبات المالية والصدقات والأطعمة على الناس وأرباب الوظائف في الدولة^(٣).

وليس لدينا أى تفاصيل عن الاحتفال بمولد الخليفة الأمر الذي ذكره ابن المأمون في أحداث سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م^(٤) ولعل الموالد الأخرى كانت تجري على منواله، وكان الاحتفال يشمل توزيع كميات كبيرة من الطعام والحلوى التي صنعت في دار الفطرة لهذه المناسبة توزع على المتصدين للتدريس بالجوامع والطلبة والقراء بالإضافة إلى الفقراء والمحتاجين. وكانت الحلوى الممنوحة للمدرسين وطلبة العلم والقراء توزع في أطباق. أما الفقراء والمحتاجون فكانت تقدم لهم الحلوى على أرغفة من الخبز.

(١) صحيح، ج ٣، ص ٣٤٧، خطط، ج ١، ص ٤٠٤.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٣٣.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٩١.

(٤) راجع: خطط، ج ١، ص ٤٣٢.

وفى الليل كان يقام احتفال فى القصر يحضره القاضى والداعى والشهود والفقهاء ورجال العلم وقراء الحضرة، ويمنع فى هذا اليوم سلوك الناس للطريق بين القصرين؛ ويجلس الخليفة فى المنطرة التى تعلو باب الذهب فى القصر ويتقبل النهائى من الحاضرين وكبار رجال الدولة الذين يقبلون الأرض بين يديه ويقراء القرآن، وتلقى خطبة بهذه المناسبة يمدح فيها الخطيب الخليفة ثم ينشد الشعراء والمشدون الأبيات المناسبة لهذا المقام فى ذكر فضائل الشهر والمولود فيه^(١).

وبعد انتفاء اجناب الدينى واخطابة فى الحفل، توزع اهبات المالية والصدقات فيخرج متولى بيت المال صندوقاً يحوى مائة دينار وألف وثمانمائة وعشرين درهماً لتوزع على الفقراء والمحتاجين من أهل القرافة وساكنيها، كما كان يطلق فى هذه المناسبة للعاملين على خدمة المشاهد الشريفة كميات كبير من السكر والعسل واللوز والدقيق والزيت، وما وزنه خمسة قناطير من الحلوى وألف رطل من الدقيق توزع على المساكن بجامعى الأزهر بالقاهرة والعينى بالفسطاط وبالقرافة^(٢).

وكانت تصنع أنواع راقية من الحلوى فى دار الفطرة لتوزع فى صوانى على الوزير والحاشية وكبار رجال الدولة ومتولى دار العلم وقراء الحضرة وأئمة الجوامع بالقاهرة والفسطاط^(٣).

٤ - عيد النصر:

بدأ الفاطميون احتفالهم بهذا العيد فى عهد الخليفة الحافظ لدين الله (٥٢٤ - ٥٤٤ هـ / ١١٣٠ - ١١٤٩ م) واستمر الاحتفال به حتى نهاية

(١) خطط، ج ١، ص ٤٣٢.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٣٢.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٣٤.

عصر الدولة الفاطمية. وهذا العيد يحكى ذكرى خلاص الخليفة من السجن الذى اعتقله فيه الوزير أبو على أحمد بن الأفضل (ذو القعدة ٥٢٤ هـ - آخره ٥٣٦ هـ / ١١٣٠ - ١١٣١ م) حيث حجر عليه وحجبه عن الناس وأدار شئون الدولة بنفسه حتى تمكن حرس الخليفة الخاص من القضاء على الوزير وإطلاق سراح الخليفة فى السادس عشر من المحرم سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م^(١).

وكان هذا العيد بمثابة انتصار للمذهب الشيعى واستعادة الدولة الفاطمية لمكانتها والقضاء على أخطر أعدائها، فالوزير أبو على أحمد كان من غلاة الإمامية، وعمل خلال فترة وزارته على القضاء على المذهب الإسماعيلى^(٢) الدعامة الأساسية للدولة الفاطمية^(٣).

(١) راجع التفاصيل: خطط، ج ١، ص ٣٨٩، ٣٩٠.

(٢) يؤثر الشيعة بوجه عام إطلاق لقب إمام على زعمانهم ومن يتولى منهم الخلافة، والإمام الأول عندهم هو على بن أبى طالب ويسمونه كذلك تشبيهاً له بإمام الصلاة فى وجوب اتباع الناس له والافتداء به.

ويتفق الإمامية فيما بينهم فى أحقية الإمامة فى نسل على بن أبى طالب وابنه الحسين حتى الإمام السادس جعفر الصادق (ت ١٤٨ هـ) ثم يقع الاختلاف بينهم فىمن يخلفه من أبنائه: فىرى فريق أحقية موسى الكاظم بن جعفر الصادق فى الإمامة وهم المعروفون بالموسوية أو الإثنا عشرية لأن إمامهم الثانى عشر محمد المنتصر دخل سرداباً فى مدينة سامرا سنة ٢٦٠ هـ واختفى فيه ولم يعد، ولا يزال أنصاره ينتظرون عودته إلى اليوم، ويطلقون عليه الإمام المنتظر وهم المختصون بلقب الإمامية.

والفريق الآخر رأى أحقية إسماعيل بن جعفر الصادق وهم المعروفون بالإسماعيلية وتشكروا من بث دعوتهم فى بلاد المغرب. وإقامة الدولة الفاطمية هناك ثم انتقالها إلى مصر.

وكانت مظاهر الاحتفال بهذا العيد لا تختلف كثيراً عن مظاهر الاحتفال بالموالد فتقام الاحتفالات في قاعة "اخول" الواقعة في صدر الإيوان الكبير في القصر، الذي يظل على زينته وفرشه منذ الاحتفال بعيد الغدير، فيخرج الخليفة إلى هذه القاعة من غير ركوب، حيث يجلس على مرتبة كبيرة في صدر المجلس، ويجتمع رجال الدولة من أرباب السيوف والأقلام وهم واقفون صفين أمام الخليفة إلى باب المجلس، ويصعد قاضي القضاة على كرسي الدعوة، ويلقى خطبة في هذه المناسبة سبق إعداد نصها في ديوان الإنشاء^(١) وتحتوي على ذكر ما أصيب به الأنبياء والصالحون والملوك من إيذاء على يد أعدائهم. وكيف كتب الله لهم الفرج بعد الشدة، حتى يصل الخطيب إلى ذكر ما أصاب الخليفة الحافظ من آلام على يد أعدائه، ويمدحه بما يناسب المقام، فإذا انتهى القاضي من خطبته توجه إلى الخليفة لتقديم التحية وتمنح للقاضي بهذه المناسبة هبة مالية مقدارها خمسون ديناراً بالإضافة إلى بدلة مميزة يرتديها أثناء الخطابة^(٢).

وكان يقام في هذا العيد من مظاهر الاحتفالات الأخرى - ما يفعل في الأعياد من الخطبة والصلاة والتزينة والتوسعة في النفقة^(٣).

= (راجع: الشهرستاني، الملوك والنحل، تحقيق عبد اللطيف محمد، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٦٦، ١٦٩، ص ١٧٤، الشيباني، مجموعة الوثائق الفاطمية، ص ٩١، حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٣٥).

(٣) (راجع: الشيباني، مجموعة الوثائق الفاطمية، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٩٠ وما بعدها، النجوم، ج ٥، ص ٢٣٩، ٢٤٠).

(١) ختبط، ج ١، ص ٤٩٠.

(٢) نفسه، ص ٣٩٠.

(٣) نفسه، ص ٤٩٠.

وكان الحافظ يحتفل بهذا العيد في مجلسه الخاص بالغناء والطرب. وتقبل عليه الجوارى مهنتات. وغنت إحدى الجوارى للحافظ في هذه المناسبة وهي تضرب بعود في يدها قول الشاعر أبي العتاهية:

أنته الخلافة منقادة :. إليه تجرُّر أذيالها
 فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
 ولو نالها أحد غيره لزلزلت الأرض زلازها
 فكافأها الحافظ بأن ملأ فاهها من نفيس الجوهر^(١).

٥ - الاحتفال بتنصيب ولي العهد:

كان من عادة الخليفة الفاطمي النص أو الوصية بولاية العهد لأحد أبنائه ليخلفه بعد موته، ومن الشروط الهامة لصحة الإمامة عند الفاطميين تلك الوصية فهي بمثابة أمر بالتعيين صادر عن الخليفة لن يخلفه من أولاده، وإذا صدر عن الخليفة أكثر من نص بولاية العهد، فإنه يتولى الخلافة آخر من نص عليه الخليفة قبل وفاته^(٢).

ولأهمية النص بولاية العهد في الدولة الفاطمية، فإن الخليفة غالباً ما كان يجمع إخوته وأبناء عمومته وسائر أفراد أسرته بالإضافة إلى كبار رجال الدولة في مجلس يعلن أمامهم فيه اسم ولي العهد الذي اختاره ليخلفه من بين أولاده. ويطالبهم بالسمع والطاعة^(٣).

ورغم أهمية هذه المناسبة إلا أننا لا نملك تفاصيل محددة للاحتفال بها إلا ما ذكره المقرئزي عن الاحتفال بتولية المستنصر لولاية العهد. فيروى في

(١) خطط، ج ٢، ص ٤٤٨.

(٢) راجع: الشيبان، الوثائق الفاطمية. ص ٤٨.

(٣) تاريخ الأنطاكي. ص ١٤٦. بيريوس الدوادار، مخطوط زبدة الفكر، لوحة ٢٣٠.

أحداث سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م بايع الناس بولاية العهد للمستنصر بن الظاهر وعمره ثمانية أشهر فخلع على كافة أهل الدولة، وعمل من الطعام ما كفى أهل القاهرة ومصر والطارنين من البلاد؛ ونثر مال عظيم، فلم يبق أحد متى وصل إليه خبر هذه البيعة. واجتمعت العامة تحت المنظرة من القصر؛ واستغاثوا أن يشرفوا برؤية أمير المؤمنين، فأشرف عليهم الظاهر من المنظرة؛ فقبلوا الأرض وانصرفوا^(١).

ومن النص يتضح أن الاحتفال كان قاصراً على توزيع الكساوى والأطعمة، ونثر الأموال على الناس، ولعل هذا ما كان يحدث عند تولية ولي العهد طوال عهد الدولة، وكان ولي العهد يخرج في موكب ليراه الناس ويشق طريقه من القصر مخترقاً طرقات القاهرة والفسطاط، فكان إذا أقبل على الناس قبلوا له الأرض، وعندما ركب المستنصر سنة ٤٢٤ هـ / ١٠٣٢ م "نثر على العامة خمسة آلاف دينار، ونثر على الخاصة عشرون ألف دينار، فكان يوماً عظيماً"^(٢).

(١) انعاظ، ج ٢، ص ١٧٩، قارن: خطط، ج ١، ص ٣٥٥.

(٢) انعاظ، ج ٢، ص ١٨١، خطط، ج ١، ص ٣٥٥.

الفصل الثالث

الأعياد والاحتفالات القبطية

- ١ - عيد النوروز.
- ٢ - عيد الغطاس.
- ٣ - خميس العهد.
- ٤ - عيد الميلاد.
- ٥ - عيد الصليب.
- ٦ - عيد الشهيد.
- ٧ - عيد الزيتونة.

مدخل:

كان القبط في مصر يحتفلون على مدار السنة بأربعة عشر عيداً، منها سبعة أعياد كبار هي: عيد البشارة والزيتونة والفصح وخميس الأربعين والخميس والميلاد والغطاس، وسبعة أعياد صغار هي: عيد الختان والأربعين وخميس العهد وسبت النور وأحد الخدود والتجلى والصليب. بالإضافة إلى عيد النيروز الذي لم يكن من الأعياد القبطية ولكن الاحتفال به توارث عن الأسلاف وكان يحتفل به في رأس السنة القبطية^(١).

ورغم أن هذه الأعياد ذات طابع مسيحي ويحتفل به الأقباط لأحياء مناسبات دينية، إلا أن المسلمين غالباً ما كانوا يشاركون الأقباط في احتفالاتهم ويقدمون لهم التهنئة والهدايا في هذه المناسبات، وكان الخلفاء الفاطميون في معظم الأوقات يظهرهم قدراً كبيراً من التسامح مع رعاياهم من القبط ويشاركونهم الاحتفال بالابتهاج بأعيادهم ويهيئون لهم فيها الأكسية والأطعمة والأموال.

وكانت هذه الأعياد مناسبة للانطلاق والزويج عن النفس، وتعد من اللهو والغناء والطرب، وكان أهل مصر على اختلاف طبقاتهم وأعمارهم ودياناتهم يخرجون في أيام النيروز والغطاس والميلاد والميترجان وعيد الشعانين وغيرها من الأعياد القبطية إلى المنزهات، وخاصة "بركة الحبش"^(٢) فكان ينصب فيها الخيام على اختلاف أنواعها وأحجامها، ويقام فيها الناس بأهلهم وأولادهم وبصحبتهم المغنيات والراقصات، فيأكلون أشهى الأطعمة. ويشربون

(١) صبح، ج ٢، ص ٤١٥ - ٤٢٠، خطط، ج ١، ص ٢٦٤.

(٢) وهي تقع جنوب مدينة القسطاط فيما بين جبل المقطم والبل. وكانت محاطة باخذائق والزهور ويقصدها الناس للترفة وقد ذكرها الشعراء وصفوها جمافاً وحسنها راجع: خطط، ج ١، ص ١٥٢ - ١٥٥.

أخمر ويطربون بسماع الغناء ويتفكهون ويمرحون، وكان الأمير تميم بن المعز يحتفل بهذه المناسبات بما عرف عنه من حب الغناء والطرب والشراب- فإذا جاء الليل أمر الأمير تميم بن المعز مائتي فارس من عبيدة العس عليهم في كل ليلة إلى أن يقضوا من اللهو والنزهة أربعهم وينصرفوا فيسكرون وينامون كما ينام الإنسان في بيته ولا يضع لأحد منهم ما قيمته حبة واحدة، ويركب الأمير في عشارى ويتبعه أربعة زواريق مملوءة فاكهة وطعاماً ومشروباً- فإذا مر على طائفة واستحسن من غنائهم صوتاً، أمرهم بإعادته وسأطخه عما عز عليهم فيأمر لهم به ويأمر لمن يغنى فهم، وينقل منهم إلى غيرهم بمثل هذا الفعل عامة ليلة، ثم ينصرف إلى قصوره وبساتينه التى على هذه البركة، فلا يزال على هذه الحال حتى تنقضى هذه الأيام ويفرق الناس^(١).

وسنعرض فى الصفحات التالية لأهم هذه الأعياد ومراسم الاحتفال بها من جانب الدولة الفاطمية وعامة الشعب.

١ - عيد النيروز^(٢):

وهو من الأعياد القديمة التى احتفلت بها كثير من الشعوب على اختلاف جنسياتها وعقائدها ويرجع تاريخ الاحتفال به إلى سليمان بن داود^(٣) وهو يعد بمثابة الاحتفال برأس السنة القبطية، فكان القبط يحتفلون به فى أول ثورت^(٤).

(١) راجع: الخطط، ج ٢، ص ١٥٤، ١٥٥.

(٢) هو تعريب للكلمة الفارسية نوروز أى اليوم الجديد (راجع: صبح، ج ٢، ص ٤٠٨).

(٣) راجع: خطط، ج ١، ص ٤٩٤، حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة.

١٩٥٨، ص ٦٦٠، ٦٦١.

(٤) صبح، ج ٢، ص ٣٧٣.

كما كان الفرس يحتفلون به فى أول يوم من السنة أيضاً^(١) أما أهل الشام فكانوا يحتفلون بالنيروز فى اليوم الأول من يناير ويسمونه "القلندس"^(٢).

فهذا العيد ليس له تاريخ ثابت، بل يحتفل به كل شعب حسب تاريخ بداية السنة عنده.

ويذكر المؤرخون أول إشارة للاحتفال بهذا العيد فى العصر الفاطمى فى عهد الخليفة المعز سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م ويبدو أن المعز أراد أن يمنع الاحتفال بالنيروز فى هذا العام لما كان يجرى فيه من تعاطى الخمر علانية وما يصاحب ذلك من مظاهر الاغلال والتهتك، فمنع المعز من وقود النيران وصب الماء فى الطرقات يوم النيروز^(٣) ولكن المعز بما يتسم به من الكياسة والرغبة فى كسب قلوب رعاياه، خفف قبضته بعض الشئ، ففى العام التالى انطلق الناس فى الاحتفال بالنيروز وانتشر اللعب بالماء ورشه على بعضهم البعض وإيقاد النيران، وطافوا يحتفلون بالأسواق وهم يحملون تمثالا على شكل الفيل وتمثيل وعرانس ملونة وهم يعرضون ألعابهم ومضاحكهم واستمروا على هذا الحال مدة ثلاثة أيام وخرجوا عن الحد فى ذلك مما دفع المعز إلى إصدار أوامره بالكف عن ذلك ومنع إشعال النيران واللعب بالماء وقبض على جماعة وحسوا وشهر بالبعض الآخر على الجمال^(٤) لعدم التزامهم بالأوامر.

(١) المسعودى، مروج الذهب، تحقيق محى الدين عبد الحميد، ١٩٥٨، ج ٢، ص ٢٠٢.

صبح، ج ٢، ص ٣٨٠.

(٢) مروج الذهب، ج ٢، ص ١٩٨، صبح، ج ٢، ص ٤١٩.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٩٣.

(٤) انعاظ، ج ١، ص ٢١٤، ٢٢٤، خطط، ج ١، ص ٤٩٣، ابن اباس، بدائع الزهور.

ج ١، ص ٤٦.

واستمر الاحتفال بالنيروز في عهد خلفاء المعز، فاحتفل به في عهد الخليفة العزيز^(١) وكان من عادة الناس أكل الرطب قبل النيروز^(٢) كما احتفل به في عهد الخليفة الحاكم. فقد أهدى القواد الأتراك وكبار رجال الدولة إلى الحاكم في هذه المناسبة هدايا نفيسة من الخيل والسلاح فقبل منهم بعضاً شاكرين لهم صنيعهم ورد الباقي إليهم^(٣).

ويبدو أن هذا الاحتفال كانت له رسوم متبعة في الدولة الفاطمية، ولم تذكر هذه الرسوم إلا في عهد الخليفة الأمر، فيذكر ابن المأمون تفاصيل الاحتفال بيوم النيروز سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م وكان يوافق التاسع من رجب، وقد وصلت بهذه المناسبة الكسوة الجارية توزيعها بمناسبة النيروز من الطراز وثغر الإسكندرية^(٤) وأطلق

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٧، ٤٨.

(٢) انعام، ج ٢، ص ١٨، حوادث سنة ٣٨٨ هـ - ويذكر القلقشندي أن أول من فتح باب الهدية في هذا العيد أحمد بن يوسف كاتب الخليفة العباسي المأمون، فأهدى إليه في يوم النيروز سبط ذهب فيه قطعة عود وكسب معه: هذا يوم جرت فيه العادة بانحاف العيد السادة (ج ٢، ص ٤١٠).

ولما كان عيد النيروز هو عيد فارسي الأصل، لذلك يمكننا أن نفسر التقاليد والعادات التي كان يمارسها المصريون خلاله بالرجوع إلى ميلاتها لدى الفرس فمهداة المصريين الحلوى لبعضهم البعض ترجع إلى أن الفرس كانوا يتهادون في النيروز بالسكر لاكتشافهم لأول مرة خلال احتفالاتهم بعيد النيروز في عهد الملك جمشيد، أما عادة رش الماء في هذا العيد فترجع إلى اعتقاد الفرس بأن هذا الماء يظهر أبدانهم من ادراغ العام النصرم، أما عادة الراشق بالبيض، فترجع إلى أن الفرس كانوا يتهادون البيض من أقدم العصور لاعتقادهم بأن البيض منشأ كل الموجوات.

راجع: طه ندا، الأعياد الفارسية في العالم الإسلامي، مقال بمجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - المجلد ١٧، سنة ١٩٦٣، ص ٧ - ٣١، حلمي سالم، المصدر السابق. ص ٣٠٠ هامش^(٥).

جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الأصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها وأربابها^(١).

وكانت توزع بهذه المناسبة على أرباب الرسوم أصناف معينة من الأطعمة والفاكهة وهي البطيخ والرمان والموز والتمر والسفرجل، ومن الأطعمة الهريسة المصنوعة من لحم الدجاج ولحم الضأن ولحم البقر بالإضافة إلى الخبز.

ومما يوحى بأن هذه التقاليد في الاحتفال بعيد النيروز كانت متبعة قبل هذا التاريخ ما قاله ابن المأمون^(٢) وأحضر كاتب دفتر الحسابات بما جرت به العادة من إطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها في يوم النيروز وغير ذلك من جميع الأصناف وهو أربعة آلاف دينار ذهباً وخمسة عشر ألف درهم فضة والكسوات عدة كثيرة^(٣).

وكان يختص بالأموال والكسوات حاشية القصر ودار الوزارة والمستخدمين ورؤساء السفن وبحارتها، أما الفاكهة والأطعمة فكانت تشمل جميع أرباب الرسوم والوظائف في الدولة^(٤).

وكان من عادة الخليفة الأمر الركوب يوم النيروز إلى منظرية اللؤلؤة المطلة على الخليج وكان بها قصر من أعظم القصور وأجملها زخرفة وكانت تطل على البستان الكافورى وتعد من أجمل المتنزهات فى مصر^(٥)، فيجلس الخليفة لمشاهدة مظاهر الاحتفال بالنيروز، ويتجمع أسفل المنظرية أهل الطرب والغناء والموسيقى، ويحتشد حولهم الناس، فيغنون ويطربون ويشربون الخمر

(١) خطط، ج ١، ص ٤٩٢.

(٢) خطط، ج ١، ص ٢٦٩.

(٣) خطط، ج ١، ص ٢٦٩. ٤٩٣.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٦٧.

علانية ويتراشون بالماء واخمر وتأخذ الجميع حالة من المرح والانتطافق الذى يصل إلى حد التهتك والفجور^(١).

ومن مظاهر الاحتفال بهذا اليوم ركوب أمير يسمى "أمير النيروز" وحوله جمع كبير من الناس يهزلون ويتضحكون ويقف على دور الأكابر الذين يقدمون له الهبات المالية البسيطة على سبيل المزاح^(٢).

وكان الشعراء يمدحون الخلفاء فى هذه المناسبة؛ ومثال ذلك ما ذكره الأمير تميم فى مدح العزيز بالله فى يوم النيروز من قصيدة جاء فيها:

فإن طاب نوروز وعبر فائما بنورك أنضحى ذا وذا وهو طيب^(٣)

٣ - عيد الغطاس:

يحتفل الأقباط فى مصر بهذا العيد فى يوم الحادى عشر من طوبخة، وهو إحياء للذكرى قديمة عن المسيحيين، فيقال أن النبى يحيى بن زكريا المعروف بيوحنا المعمدان عمد المسيح عليه السلام فى هذا اليزم أى غسلك فى بحيرة الأردن، وعندما خرج عيسى من الماء اتصل به روح القدس، لذلك كان من تقاليد النصرى غطيس أولادهم فى الماء فى هذه المناسبة ويطلقون عليها "يسره الغطاس"^(٤) أو "ليلة الحميم"^(٥).

(١) خطط، ج ١، ص ٢٦٩، صبح، ج ٢، ص ٤١٩.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٩٣.

(٣) راجع: ديوان تميم بن المعز، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٥٢.

(٤) صبح، ج ٢، ص ٤١٦، خطط، ج ١، ص ١٥.

(٥) تاريخ الأنطاكي، ص ١٩٦.

واعتماد المنصريون الاحتفال بعيد الغطاس في العصر الإسلامي، وكان من أعيادهم العظيمة، ويروى المسعودي تفاصيل الاحتفال بهذا العيد كما شاهدها بنفسه سنة ٣٣٠ هـ - ٩٤١ م وكان على رأس الاحتفال محمد بن طفج الإخشيد الذي خرج مع حاشيته وكبار رجال دولته بالمواكب إلى داره المعروفة بالمختار بالجزيرة في وسط النيل، وقد أمر رجاله فأشعلوا على ضفتي النيل ألف مشعل غير ما أضواء أهل مصر من المشاعل والشموع^(١) وقد احتشد الآلاف من أهل مصر من المسلمين والنصارى على ضفتي النهر واجتمع الكثيرون في الزوارق النيلية والبعض في الدور المظلة على النيل وهم يحملون معهم حاجتهم من الطعام والشراب ويرتدون أفخر الثياب ويعزفون بآلات الطرب، ويظهرون الألعاب المسلية والملاهي فكانت ليلة الغطاس من أجمل ليالي مصر وأشملها سروراً، وتظل الناس ساهرة حتى قرب الفجر ولا تغلق أبواب الحارات في هذه الليلة، وفي نهاية الاحتفال يغطس الناس في النيل ويزعمون أن في ذلك أمان من المرض^(٢).

أما من مظاهر الاحتفال بعيد الغطاس في عهد الدولة الفاطمية، فيروى الأنطاكي أن متولى الشرطة كان يخرج في أول الليل في موكب كبير وقد ارتدى أجمل ثيابه، ويحيط به حملة المشاعل والشموع الموكبية، ويطوف في الطرقات منادياً في الناس لا يختلط المسلمون مع النصارى في تلك الليلة حتى يمارس النصارى شعائهم في سلام ورغم هذا التحذير فإن الاحتفال كان

(١) كان سوق الشماعين يكظ بالحركة والنشاط في موسم الغطاس مثل أيام شهر رمضان في العصر الفاطمي وكانت تعلق به كميات كبيرة من الفوانيس ويقبل الناس على شرائها (خطط، ج ٢، ص ٩٦).

(٢) مروج الذهب، ج ١، ص ٣٤٣، خطط، ج ١، ص ٢٦٥، مخطوط الفيض المديد، ورقة ٤٤.

يشمل العنصرين لأنه من الصعب عمليات التفريق بينهما. وكان النصارى يخرجون فى فجر هذا اليوم إلى النيل بأهلهم وأولادهم ويغطس أكثرهم فيه^(١).

ولكن الأقباط ممن يدينون بالمذهب الكاثولىكى لهم رسوم خاصة فى احتفالاتهم بالغطاس فيخرجون من كنيستهم فى قصر الشمع^(٢) فى جمع كبير يحملون الصلبان ومن حولهم الشموع المضاءة وهم يرتلون بأصوات ملحنة ونغمات عالية حتى يصلوا إلى شاطئ النيل فيؤدون صلاة خاصة بهذه المناسبة. ثم يقف رئيس الأساقفة فى هذا الحشد ويلقى خطبة تحوى مناسبة الغطاس ومغزاها الدينى وفى نهايتها يتهل بالدعاء الخليفة الفاطمى والوزير ولئن شاء من كبار رجال الدولة، ثم ينصرف الموكب إلى كنيسة قصر الشمع فى نفس نظامهم ويكملون بها احتفالاتهم وصلواتهم^(٣) ومن الطريف ما رواه الأنطاكى من أن الخليفة لما كان يحضر احتفال الكاثوليك بالغطاس فى كثير من الأعرام ويشاهد طقوسهم وهو متكرر^(٤) فلا يعرفه أحد من شهود الاحتفال.

ونلاحظ أن الخلفاء الفاطميين حتى عصر الخليفة الحاكم لم يشتركوا فى مظاهر الاحتفال بهذا العيد، وأكبر من شارك من الرسميين فى هذا العيد فى عهد الحاكم الكاتب فهد بن إبراهيم النصرانى، فيروى المسيحي أنه فى سنة

(١) تاريخ الأنطاكى، ص ١٩٦، وكثيرا ما كانت تقع حوادث غرق فى هذا اليوم نتيجة لتزاحم الناس ووجود أعداد كبيرة من الصبية وعدم احكام مراقبتهم. (راجع: الدرر المضية، ص ٤٢٦).

(٢) وهى الكنيسة المعلقة التى كانت جزءاً من قصر الشمع، وهو من الآثار القديمة التى صادفها المسلمون عند الفتح وكان يعرف أيضاً بقصر الروم وما زالت آثاره موجودة حتى الآن. (راجع: خطط، ج ١، ص ٢٨٧، ج ٢، ص ٥١١).

(٣) تاريخ الأنطاكى، ص ١٩٦.

(٤) تاريخ الأنطاكى، ص ١٩٦.

٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م كان عيد الغطاس، فنصبت الخيام في أماكن متعددة على شاطئ النيل وحضر الاحتفال فهد بن إبراهيم النصراني كاتب الاستاذ برجوان الذى كان يتولى الوساطة للحاكم، واحتشد أمامه عدد كبير من المغنين وأصحاب الملاهى وهم يعرضون فنونهم وألعابهم على أضواء الشموع والمشاعل، وجلس فهد مع أسرته وحاشيته يطرب ويشرب إلى موعد الغطاس فغطس وانصرف^(١).

وحتى اشتراك الخليفة الحاكم فى هذه المناسبة - طبقاً لرواية الأنطاكي - فإنها كانت تتم خلسة بحيث لا يشاهده أحد، ولعل هذا الإحجام من جانب بعض الخلفاء عن المشاركة فى عيد الغطاس، كان راجعاً إلى تحفظهم من الانغماس فى مظاهر العبث التى تجرى فى هذه المناسبة، فكان الناس يجاهرون بالفسق واحتساء الخمر وإظهار الملاهى^(٢)، ووقوع هذه الأمور على مرأى وسمع من الخلفاء يضعف من هيئتهم ويعطى الفرصة لأعدائهم للهجوم عليهم والتشهير بهم.

ولعل هذا كان من أهم الأسباب التى دفعت بعض الخلفاء إلى تحريم الاحتفال بهذا العيد أو الحد من المظاهر الاجتماعية السيئة التى كانت تحدث خلاله. حتى أن الخليفة المعز لم يتردد فى التهديد بعقوبة الشنق لمن يحتفل بعيد الغطاس سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م^(٣) كما أصدر الخليفة العزيز سنة ٣٦٧ هـ /

(١) خطط، ج ١، ص ٢٦٥، اتعاض، ج ٢، ص ١٧٠.

(٢) يبدو أن من أهم مظاهر هذا العيد الإقبال على شرب الخمر، فيذكر ابن الصيرفى (ت

٥٤٢ هـ) أنه: "جرت العادة فى الغطاس بأعمال الكاس والطاس". (راجع، ابن سعيد.

النجوم، ص ٢٥٣).

(٣) بدائع الزهور. ج ١، ص ٤٦، ٤٧.

٩٧٧ م تحذيراً من اجتماع الناس في يوم الغطاس ونزول الماء وإظهار الملاحى^(١) وهدد من يفعل ذلك بالنفى^(٢).

ورغم أن الاحتفال بالغطاس قد أعيد في عهد الحاكم سنة ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م كما ذكرنا إلا أنه لم يستمر طويلاً، إذ أصدر الخليفة أوامر سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م بمنع النصارى من الغطاس^(٣) واستمر الخطر حتى سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م في عهد الخليفة الظاهر حيث جاء ذكر الغطاس في رواية المسيحي عن أحداث هذا العام^(٤) وقد بدأ لأول مرة يأخذ طابعاً رسمياً بإشتراك الخليفة في الاحتفال بعد أن أصدر الإذن لأقباط مصر بإظهار طقوسهم والاحتفال بالغطاس، فاحتشد المسلمون والأقباط على ضفتي النيل أمام المقياس، وضربت أعداد كبيرة من الخيام ووضعت فيها الأسرة لأعيان القبط، وقد اكتظ النيل بالمراكب والزوارق وازدحم فيها خلق كثير من العامة والخاصة مسلمين ونصارى، وعند دخول الليل زينت المراكب بالقناديل واشتعلت الشموع، كما أضيئت الشواطئ بآلاف المشاعل والفوانيس^(٥) ونزل الخليفة الظاهر بأحد المناظر المظلة على النيل لمشاهدة الاحتفال، ومعه حرمه، وأمر متولى الشرطة بحفظ النظام ومراقبة الناس، ونودي بألا يختلط المسلمون بالنصارى عند نزولهم في النيل، فضرب متولى الشرطة خيمته عند الجسر لمراقبة الاحتفال مع أعوانه، وحضر الرهبان ورجال الدين المسيحي يحملون الصلبان وحولهم الشموع ورتلوا صلواتهم وأدعيتهم حتى تم الغطاس^(٦).

(١) انعاظ، ج ١، ص ٢٤٢.

(٢) خطط، ج ١، ص ٢٦٥.

(٣) خطط، ج ١، ص ٢٦٥.

(٤) خطط، ج ١، ص ٢٦٦.

(٥) بدائع الزهور، ج ١، ص ٥٨.

(٦) خطط، ج ١، ص ٢٦٦.

سنة ٤١٥ هـ ١٠٢٤ م كانت من سنوات الشدة في الدولة الفاطمية فتعرضت البلاد خلالها للمجاعة وانتشرت الأمراض وهلك الكثيرون من الأهالي، فإن الظاهر شارك النصارى في احتفالاتهم بهذا العيد دون اكتراث لما يحدث لرعيته فيروى المقرئى: أن الظاهر عند عودته من الاحتفال بعيد الغطاس فى آخر الليل إلى قصره، شاهد فى طريقه عدداً من الموتى مطروحين فى الطرقات، فأمر لهم بأكفان ونفقة لدفنهم^(١).

وقد أصبحت لهذا العيد رسوماً مقررة من الأطعمة والفاكهة تمنح لأرباب الرتب والوظائف من المسلمين والنصارى، فكانت تحمل فى المراكب أطنان من الأترج والنانج والليمون والقصب والسلك البورى، وتوزع عليهم أثناء الاحتفال كما كانت الدولة الفاطمية تهادى رؤساء القبط فى هذه المناسبة بالبورى والقصب والحلوى والزهور^(٢).

٣ - خميس العمد:

يأتى هذا العيد قبل "عيد الفصح" بثلاثة أيام، ويحتفل الأقباط به فى كنائسهم بأن يحضروا إناء مملوء بالماء ويرتل عليه رجال الدين ويتلون الأدعية المناسبة، ثم يقوم البطريك بغسل أرجل الحاضرين فى هذا الاناء. وفى اعتقادهم أن المسيح عليه السلام قد قام بهذا العمل مع تلاميذه فى مثل هذا اليوم بهدف تعليمهم التواضع، ثم أخذ عليهم العهد ألا يتفرقوا، وأن يتواضع بعضهم لبعض^(٣).

(١) اتعاظ، ج ٢، ص ١٦٣، حوادث سنة ٤١٥ هـ.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٩٤-٤٩٥، بدائع الزهور، ج ١، ص ٥٩.

(٣) صبح، ج ٢، ص ٤١٧، خطط، ج ١، ص ٢٦٦.

والعامة يطلقون على هذا العيد خميس العدس لأن من عادة النصارى طبخ العدس فى هذا اليوم على أنواع مختلفة، ويطلق عليه أهل الشام خميس الأرز أو خميس البيض^(١) ويبدو أن هذه التسميات راجعة إلى نوع الطعام الذى اشتهر أهل كل إقليم بتناوله فى هذه المناسبة.

وكان من عادة أهل مصر من المسلمين والنصارى تبادل الهدايا من الأطعمة فى خميس العهد، فيتبادلون البيض الملون الذى يباع بكثرة فى أسواق القاهرة فى هذه المناسبة، كما يتبادلون أنواع السمك المختلفة والعدس المصفى^(٢).

ومن مظاهر احتفال الدولة الفاطمية بهذا العيد: إعداد عملة خاصة تضرب بهذه المناسبة فى دار الضرب تسمى "خروبة"^(٣) تفرق على رجال الدولة وأرباب الرتب من المسلمين والنصارى طبقاً لرسوم مقررة^(٤).

٤ - عيد الميلاد:

يحتفل أقباط مصر بهذا العيد فى التاسع والعشرين من كيهك، وهو ذكرى ميلاد السيد المسيح، ودائماً يوافق يوم الإثنين، فتبدأ الاحتفالات منذ مساء الأحد وهى ليلة الميلاد فتزين الكنائس وتكثر فيها الإضاءة^(٥) ويجتمع فيها أعداد كبيرة من المصلين.

(١) خطط، ج ١، ص ٢٦٦.

(٢) خطط، ج ١، ص ٢٦٦.

(٣) الخروبة قطعة صغيرة من النقود النحاسية مقدارها عشر دراهم.

() (راجع: Dozy: Supp. dict. Ar.)

(٤) خطط، ج ١، ص ٢٦٦.

(٥) صبح، ج ٢، ص ٤١٦، خطط، ج ١، ص ٢٦٥.

وكان النصارى يظهرون بهجتهم وسرورهم بهذه المناسبة بإضاءة دورهم بالفوانيس الملونة البديعة الصنعة وبداخلها الشموع المصبوغة، كما كانوا يقبلون على أنواع من الملاحى واللعب بالنار، وكانت الأسواق تزدهر بالفوانيس والشموع والمشاغل فى هذه الليلة، وبلغ من كثرة عرض الفوانيس فى هذه المناسبة فى الأسواق أن النصارى كانوا يتصدقون بها على الفقراء^(١).

وكانت الدولة الفاطمية تشارك الأقباط فى احتفالاتهم بهذا العيد، فتوزع على كبار رجال الدولة من الأستاذين المخنكين والأمراء على سائر رتبهم والكتاب وغيرهم أصناف مختلفة من الحلوى وشراب الجلاب وصوانى الزلاية^(٢) ولال السمك البورى، والخبز المصنوع من الدقيق الأبيض^(٣).

٥ - عيد الصليب:

يحتفل النصارى بعيد الصليب فى اليوم السابع عشر من توت الموافق الرابع عشر من يوليو، ويعتقدون أنه فى مثل هذا اليوم سنة ٣٢٨ م عثرت الملكة هيلانة أم الامبراطور قسطنطين على الصليب الذى صلب عليه السيد المسيح، فصنعت له الملكة غلافاً من ذهب وأمرت ببناء كنيسة القيامة فى بيت المقدس وأودعت فيها الصليب^(٤).

وكان أقباط مصر يحتفلون بهذا العيد احتفالاً كبيراً، ويخرجون عن الحد فى الإقبال على شرب الحمر وأنواع المحرمات والفسق^(٥) مما دفع الخليفة العزيز

(١) خطط، ج ١، ص ٢٦٥.

(٢) راجع الفصل الخاص بالطعام والشراب.

(٣) خطط، ج ١، ص ٢٦٥، قارن: ماجد، نظم، ج ١، ص ١٣٤.

(٤) صح، ج ٢، ص ٤١٧، خطط، ج ١، ص ٢٦٧.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٦٧.

إلى إصدار أوامره بمنع النصارى من الاحتفال بهذا العيد، وحرّم عليهم الخروج إلى ضواحي القسطنطينية حيث كانوا يظهرون مبادلتهم، وأمر صاحب الشرطة بإحكام الرقابة على الطرق والدروب المؤدية إلى ضواحي القسطنطينية، وذلك فى رجب سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ / (١).

ولكن الخليفة العزيز بما عرف عنه من تسامح مع أهل الذمة. ترك للنصارى حرية الاحتفال بهذا العيد فى العام التالى. فيروى المقرئى - ولأربع عشر خلت من رجب سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م: كان عيد الصليب، فجرى الناس فى الاجتماع فيه للهوى على ما كانوا عليه (٢).

ولكن الحاكم أصدر قراراً بمنع الاحتفال بهذا العيد فى سنة ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م وقرئ سجل بذلك فى جامع عمرو وفى الطرقات. ويبدو أن مظاهر الاحتفال بهذا العيد أخذت فى الانقراض بعد ذلك، فيذكر المقرئى أن الاحتفال بعيد الصليب قد أبطل حتى لم يكن يعرف اليوم (زمن المقرئى) بديار مصر نهائياً (٣).

٦ - عيد الشهيد:

يحتفل أقباط مصر بهذا العيد فى الثامن من شهر بشنس، ويرتبط الاحتفال به بنهر النيل مصدر الحياة والنماء، والنصارى يعتقدون أن النيل لا يبلغ زيادته وتنام فيضانه فى كل عام إلا إذا ألقوا فيه تابوتاً من خشب فيه أصبع من أصابع أسلافهم الموتى (٤).

(١) اعطاء. ج ١. ص ٢٧٥.

(٢) اعطاء. ج ١. ص ٢٧٦. خطط. ج ١. ص ٢٦٧.

(٣) خطط. ج ١. ص ٢٦٧.

(٤) خطط. ج ١. ص ٦٩ ٦٩.

وفى هذا اليوم يحتشد على ضفتى نهر النيل أعداد كبيرة من أهل مصر وترحل النصارى من جميع القرى ويركبون فيه الخيل ويلعبون عليها، ويخرج عامة أهل القاهرة والفسطاط على اختلاف طبقاتهم، ويتصبون أعداداً كثيرة من الخيام على شاطئ النيل وفى الجزائر التى فى وسط مجراه حيث يجتمع المغنون والمغنيات وأرباب الملاحى والألعاب المختلفة، وكان يندس بين هذه الجموع أهل الخلاعة والفسق، مما ينسب فى إثارة الفتن وإزهاق الأرواح، لأن معظم الناس فى هذا اليوم يكونون سكارى^(١).

وكان بعض الناس يتجمعون فى ضاحية شبرا فى تلك المناسبة، ويقبلون على شراء الخمر لاشتجار المنطقة بزراعة الكروم وصناعة النبيذ، وكان أهل شبرا يعتمدون فى وفاء خراجهم على ما يباع فى هذا العيد من خمر^(٢).

ولم تذكر المصادر التى بين أيدينا شيئاً عن موقف الدولة الفاطمية من هذا العيد وما يحدث فيه من مظاهر الفسق والتهتك وإقبال الناس خلاله على الخمر بعكس ما كان يصدر فى المناسبات الأخرى من أوامر وقرارات عن الخلفاء بمنعها أو الزجر والتهديد لمن يجيد خلالها عن الأخلاق العامة، ولعل ذلك راجع إلى أن عيد الشهيد كان فى مظهره يوماً شعبياً يخرج الناس فيه على اختلاف دياناتهم وطبقاتهم للنزهة والاستمتاع بالفناء والطرب واحتساء الخمر، ولم يكن يخص ديانة أو عقيدة، رغم ارتباطه بالقاء التابوت المذكور.

(١) يروى المقرئى أنه كان يباع فى يوم عيد الشهيد من الخمر ما يزيد على مائة ألف درهم فضة وقد باع فى يوم واحد ما قيمته اثنا عشر ألف درهم من الخمر (خطط،

ج ١ ص ٦٩).

(٢) خطط، ج ١، ص ٦٩.

٧ - عيد الزيتونة:

يحتفل الأقباط بهذا العيد في الأحد السابع من صومهم. الذى يوافق اليوم الثانى والأربعين من بداية الصوم، ويعرف هذا العيد بعيد الشعانين ومعناه التسييح. وهو يحى ذكرى ركوب السيد المسيح حماره ودخوله إلى بيت المقدس ومن حوله النصارى يسبحون وهو يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر^(١).

وكانت مظاهر الاحتفال بهذا العيد تتميز بتزيين القبط لكنائسهم بأغصان الزيتون وقلوب النخل، ويفرق منها عليهم على سبيل التبرك بها. ويخرجون فى جماعات من الكنائس حاملين سعف النخل^(٢).

وقد أصدر الخليفة الحاكم بأمر الله عدة قرارات بمنع النصارى من الاحتفال بهذا العيد وتزيين الكنائس وحمل الخوص وأمر بالقبض على من وجد لديه شئ منه، وأمر بمصادرة ما علق فى الكنائس من أغصان الزيتون والزينات وأحرق كثيراً من الصلبان وقد امتد أمر المنع إلى سائر أقاليم الدولة الفاطمية بما فيها المقدس^(٣).

ولكن الاحتفال بهذا العيد وغيره من أعياد النصارى فى مصر، أعيد الاحتفال بها فى عهد خلفاء الحاكم، فكان الأقباط بالإسكندرية يظهرون احتفالهم بعيد الزيتون فى عهد الخليفة المستنصر، فيروى صاحب سيرة البيعة المقدسة بأن أقباط الإسكندرية كانوا يخرجون فى هذه المناسبة فى موكب كبير حاملين أغصان الزيتون وسعف النخيل والصلبان، وهم يرتلون الأدعية والقراءات، وكان موكبهم يخترق شوارع المدينة فى هدوء دون أن يعترض طريقهم أحد وفى حراسة وإلى الإسكندرية وأعوانه^(٤).

(١) مسيح، ج ٢، ص ٤٢٥، خطط، ج ١، ص ٢٦٤.

(٢) تاريخ الأنطاكي، ص ١٩٤.

(٣) راجع: تاريخ الأنطاكي، ص ١٩٤، خطط، ج ١، ص ٢٦٤، اتعاذ، ج ٢، ص ٧١.

(٤) سيرة البيعة، ج ٣، لوحة ٧٧.

الفصل الرابع

الاحتفالات القومية والأسرية

١ - تخليق عمود المقياس وفتح الخليج.

٢ - احتفالات الزواج.

٣ - الاحتفال بالمولود.

٤ - الاحتفال بالختان.

٥ - المآتم.

١ - الاحتفال بتخليق عمود المقياس وفتح الخليج:

كان الاحتفال بوفاء النيل ومراقبة زيادته ونقصانه تقليداً قديماً يتبعه المصريون منذ أقدم العصور، واستمر هذا التقليد قائماً في العصر الإسلامي بعد أن أدخل عليه المسلمون من التعديلات ما يتناسب مع تعاليم الإسلام^(١).

وكانت مراقبة زيادة النيل موكلة إلى جماعة من رهبان النصارى يتوارثون هذا العمل، ولما قدم القاضي بكار بن قتيبة إلى مصر سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م ورأى ذلك كتب إلى الخليفة العباسي المتوكل بأنه لا ينبغي أن يسند هذا العمل الجليل إلا إلى مسلم، فأمره المتوكل أن يعين في هذه الوظيفة من يشاء، وفي العام التالي أمر المتوكل ببناء مقياس الجزيرة^(٢)، واختار بكار بن قتيبة أبا الرداد عبد الله بن عبد السلام لتولى أمر المقياس واستمرت الولاية في ذريته يتوارثونها^(٣).

(١) راجع: الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص ٦٥، المقدس، أحسن التقاسيم، ص ٢٠٧، ج ١، ص ٥٧، ٥٨.

(٢) المقياس عمود من الرخام الأبيض مثنى الشكل في موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه إليه، وهذا العمود مقسم إلى اثنين وعشرين ذراعاً، وكل ذراع مقسمة إلى أربعة وعشرين قسماً تعرف بالأصابع، ما عدا الاثنى عشر ذراعاً الأولى، فإن كل ذراع منها مقسمة إلى ثمان وعشرين أصبعا.

(راجع: ابن جبير، الرحلة، بيروت، ١٩٦٤، ص ٢٩، ٣٠، ابن دقماق، الانتصار، ج ٤، ص ١١٤، خطط، ج ١، ص ٩٥).

وكان النيل يصل إلى معدل في الوفاء عندما يبلغ ارتفاع الماء في المقياس ستة عشر ذراعاً (خطط، ج ١، ص ٤٧٦).

(٣) أحمد بن عبد السلام الشافعي، النبض المديد في أخبار النيل السعيد، نسخة خطية بمكتبة محافظة الإسكندرية رقم ٢٥٩١ ورقة ١٧، ابن حجر، رفع الاصر ص ١٤٢ ويذكر ابن خلكان أن أبا الرداد قد تولى أمر المقياس سنة ٢٤٦ هـ وعندما وضع مقياس الروضة سنة ٢٤٧ هـ استمر في وظيفته وتوارثها أولاده من بعده (ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ٢٧٠، الشهاب الحجازي، نيل الرائد، مخطوط مصور بمكتبة الإسكندرية رقم ٣٦٩٨ ب، لوحة ٤ ب، ٥ أ).

ويروى ابن رسته (توفي في أوائل القرن الرابع الهجري) الطريقة التي كان يتم الإعلان بها عن زيادة النيل قبل العصر الفاطمي فيقول: "وقد اتخذت علامات تعرف بها زيادة الماء ونقصانه، ووكل به جماعة يتعهدونه ويثبتونه فإذا زاد نظروا إلى بعض هذه العلامات فوقفوا على مقدار هذه الزيادة في الخراج على حسب زيادة الماء، فيسر هؤلاء الموكلون إلى المسجد الجامع بأيديهم الرياحين، ويقفون على حلقة حلقة، ويرمون بما معهم من الرياحين إليهم وينادون إلى الله عز وجل قد زاد في النيل كذا وكذا، فيستبشر الناس ويكثرون حمد الله والشكر له"^(١).

وقد اتبع الفاطميون سنة جديدة في الإعلان عن زيادة النيل، فكانت تطورات الزيادة تكتب في رقعة لا يطلع عليها إلا الخليفة والوزير، فمنذ وصول المعز إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م منع "من النداء بزيادة النيل فلا يكتب ذلك إلا إليه وإلى جوهر، فلما تم أباح النداء"^(٢) وكان يظل أمر الزيادة طي الكتمان إلى أن يبقى عن ذراع الوفاء أصبع أو أصبعان، فتصدر التعليمات بأن يبست قراء الحضرة في جامع المقياس تلك الليلة، وأن يبست معهم المتصدرون بالجوامع ومن يجرى مجراهم ختم القرآن الكريم، ويمد لهم السماط بالأطعمة الفاخرة وتوقد عليهم الشموع حتى الصباح"^(٣).

ولا شك أن كتمان زيادة النيل حتى تمام وفاته كان تصرفاً حكيماً من الوجهة الاقتصادية يستهدف الحد من مشاعر القلق لدى الناس، وقد يدفع عدم زيادته تجار الغلال إلى إخفائها رجاء ارتفاع السعر، ويجتهد من يملك مالاً في الإقبال

(١) ابن رسته، الأعلام النفيسة، مجلد ٧ من المكتبة الجغرافية، ليدن، ١٨٩٢، ص ١١٦.

(٢) اتعاظ، ج ١، ص ١٣٨، خطط، ج ١، ص ٦١.

(٣) القلقشندي، صبح، ج ٣، ص ٥١٢، خطط، ج ١، ص ٤٧٦.

على شراء الحبوب وتخزينها إما بغرض التجارة أو لطعام أسرته مما يحدث اضطراباً في الأسواق وتندر الغلال - ففي كتمان الزيادة عن العامة أعظم فائدة^(١).

وقد أظهر الفاطميون منذ استقرار المعز لدين الله في مصر سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م اهتماماً خاصاً بالنيل، فبالغوا في الاحتفال بتخليق عمود المقياس وفتح الخليج فركب المعز في هذا العام لفتح الخليج في موكب عظيم يضم كبار رجال الدولة والأعيان^(٢) كما سار على هذه السنة باقى الخلفاء الفاطميين^(٣).

وكان يتولى أمر مقياس الروضة في العصر الفاطمي شخص من أسرة أبى الرداد وهى الأسرة التى توارثت مهمة الإشراف على المقياس ورعايته وتنظيفه ابتداء من سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م كما ذكرنا، وكانت الرقعة التى يرسلها ابن أبى الرداد إلى الخليفة بقرب وفاء النيل لبلوغ معدله بمثابة إشارة البدء بالاحتفالات بهذه المناسبة المهمة التى كانت ولا تزال لها أعظم الأثر على أهل مصر الذين يعتمدون فى حياتهم على النيل، فيتهجون لهذه المناسبة ابتهاجاً عظيماً^(٤).

ويركب الخليفة فى صبيحة ذلك اليوم لتخليق عمود المقياس فى موكب فخم مهيب يضم كبار رجال الدولة والأجناد قاصداً دار الصناعة^(٥).

(١) خطط، ج ١، ص ٦١.

(٢) انعاظ، ج ١، ص ١٣٩.

(٣) راجع: انعاظ، ج ١، ص ٢١٤، ٢٧٥، خطط، ج ١، ص ٤٧٠، الداودارى، الدرة المضية، ص ١٧٥.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٧٦.

(٥) دار الصناعة هى المكان المخصص لصناعة السفن، وأول دار صناعة أنشئت فى مصر فى العصر الإسلامى هى دار صناعة الجزيرة فى سنة ٥٤ هـ / ٦٧٣ م فى ولاية مسلمة بن مخلد الأنصارى، والجزيرة المذكورة عرفت بأسماء عدة منها جزيرة مصر وجزيرة القسقاط لوقوعها قبال مدينة مصر (القسقاط)، وقد فقدت تلك الدار =

بالفسطاط، وقد زينت الطرق واخوانيت وجميع النور وأبواب الخانات فى طريق الموكب بالستور الحريرية والأعلام الزاهية. وقد احتشد الناس على جانبي الطريق وتوزع الصدقات خلال ذلك وتشمل العاملين بالجوامع وبوابي الخانات والسقاة والفقراء وذوى الحاجة^(١).

وعندما يصل الموكب إلى دار الصناعة يخترق الدهاليز المفروش باخضر العبداني^(٢) ويستمر فى السير حتى يصل إلى المنطرة المعروفة بدار الملك المطلة على النيل فيكون العشارى^(٣) الخاص بالخليفة فى انتظاره، وقد حمل إليه من

= أهميتها فى العصر الفاطمى الأول عندما أنشأ المعز دار صناعة القس التى أصبحت مركز صناعة السفن فى مصر (خطط، ج ٢، ص ١٩٥، ١٩٦) ولكن أعيد لصناعة الجزيرة أهميتها فى عهد الخليفة الفاطمى الأمر ونشطت فى صناعة أنواع من السفن، وعرفت فى ذلك الوقت بدار صناعة الروضة نسبة إلى البستان الذى أنشأه الأفضل بن بدر الجمالى فى شمال الجزيرة سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م وسماه الروضة (خطط، ج ٢، ص ١٩٧) وهى دار الصناعة المقصودة هنا فى نص الاحتفال بتخليق عمود القياس.

(١) خطط، ج ١، ص ٣٧٤.

(٢) الحضر العبدانى، نسبة إلى عبادان وهى قرية صغيرة بنواحى البصرة. (راجع: النجوم، ج ٤، ص ١٤١، هامش "٣١").

(٣) العشارى نوع من المراكب الصغيرة التى تستخدم كملحقات للمراكب الكبيرة وذلك لنقل المسافرين فيها إلى الساحل إذا استحال على المركب الكبير دخول الميناء لضخامته أو لضحالة مياه المرسى، وكانت لحقتها تتبع الرماة وقت الحرب.

. (راجع التويرى السكندرى، الإلمام بالأعلام، مخطوط رقم ٦٦٧ م مكتبة كلية الآداب بالإسكندرية، لوحة ١٢٤، خطط، ج ٢، ص ١٥٤، ١٥٥، درويش النخيلى، السفن الإسلامية على حروف المعجم، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٩٥)

وكانت أهم وظائف العشماوى فى العصر الفاطمى هو استخدامه لتزود الخلفاء والأمراء ورجال الدولة، كما كان يركبه الخليفة بمناسبة الاحتفال بتخليق عمود القياس وفتح الخليج. (راجع: خطط، ج ٢، ص ١٥٤، ١٥٥)

القصر بيت مضمن من العاج والأبنوس، كل جانب منه ثلاث أذرع وطوله قامته رجل وعليه قبة من خشب دقيق الصنعة، وكلها مغطاة بصفائح الفضة المذهبة^(١) ويدخل الخليفة في هذا البيت بعد نصبه على العشارى ومعه عدد من الأستاذين المخنكين يتراوح بين ثلاثة وأربعة ليكونوا في خدمته، ويركب خواص الخليفة في العشارى خارج البيت، ولم يكن يجلس في العشارى من الركابين سوى الخليفة باطناً، والوزير ظاهراً^(٢).

ثم يأخذ العشارى طريقه في النيل متجهاً إلى باب المقياس العالى على الدرج التى يعلوها النيل فينزل الخليفة ويدخل إلى فسقية المقياس^(٣) وبصحبه الوزير وخواص الأستاذين المخنكين، فيصلى الخليفة والوزير تَجِيلاً لهذه المناسبة وشكراً لنعم الله، فإذا فرغ الخليفة من الصلاة أخذ بيده طاسة من الفضة بها الزعفران^(٤) والمسك وناولها لصاحب بيت المال الذى يعطيها بدوره لابن أبى الرداد، فيلقى هذا بنفسه في الفسقية وعليه ملابسه وعمامته ويتعلق في عمود المقياس برجليه ويده اليسرى ويخلقه بيده اليمنى وفى أثناء ذلك يقوم قراء الحضرة بتلاوة القرآن، ثم يخرج الخليفة راكباً العشارى المذكور، وقد يتوجه إلى دار الملك مباشرة ويركب منها عائداً إلى القاهرة، أو ينحدر العشارى إلى المقس

(١) صبح، ج ٣، ص ٥١٣، خطط، ج ١، ص ٤٧٦.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٧٦.

(٣) يروى ابن دقماق أنه قبل دخول الخليفة إلى الفسقية، كانت تجهز له مائدة تحوى الشواء والحلوى والفاكهة، فيتصلى الخليفة المائدة، ويعطى إشارته فتقبل العامة على الطعام ولا يمنع أحد من ذلك، فإذا فرغ السماط يتوجه الخليفة إلى المقياس.

(راجع: ابن دقماق، الانتصار، بولاق، ١٣٠٩ هـ، ج ٤، ص ١١٥).

(٤) ابن دقماق، ج ٤، ص ١١٥.

حيث يشاهد الخليفة السفن الخرية وهى تلعب أمامه وتقوم ببعض التحركات
والمناورة وقد زينت جميعها بالستور والأهلة من الذهب والفضة^(١).

ويكون فى النيل فى ذلك اليوم نحو ألف مركب " قرقورة"^(٢) مشحونة
بالعامه للفرج والمشاركة فى الابتهاج بهذه المناسبة.

والطريف أن عامة أهل مصر يحتفلون بهذا العيد بتزيين الأسواق والدور
والاحتشاد لرؤية المركب الخلاقى، كانوا يحرصون على تخليق وجوه صيانتهم
بالطيب^(٣) تيمناً بتخليق عمود المقياس فى ذلك اليوم.

وفى اليوم التالى لتخليق عمود المقياس، يتوجه ابن أبى الرداد إلى الإيوان
الكبير بالقصر فيخلع عليه الوزير خلعة مذهبة ويمنحه خمسة أكياس فى كل
كيس خمسمائة درهم^(٤) فيخرج ابن أبى الرداد من باب العيد^(٥) أحد أبواب
القصر، وقد أعد له خمسة بغال على ظهر كل منها راكب من بيت المال يحمل
بيده أحد الأكياس الخمسة ظاهرة، وقد أحاط به أقاربه وأصدقائه، وأمامه
النقارات والأبواق، ووراءه الطبول مثل الأمراء، فيشق موكبه بين القصرين،

(١) خطط، ج ١، ص ٤٧١، ٤٧٣.

(٢) القرقورة جمعها قراقير، وهى من السفن الكبيرة التى كانت تستخدم فى نقل المؤن
والعتاد للأسطول الحربى، ولكن النوع المستخدم فى التزهة والفرج على الاحتفالات
فى النيل أقل حجماً من المستخدم فى الأسطول، كما كانت تستخدم أيضاً للنقل
الخفيف فى النيل (راجع: صبح، ج ٢، ص ٥١٣، خطط، ج ١، ص ٤٧٦، ماجد،
تاريخ الحضارة الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٧٥).

(٣) انعاظ، ج ٢، ص ١٥٠.

(٤) صبح، ج ٣، ص ٥١٣، وينصرها المقرئى على أربعة أكياس. (خطط، ج ١، ص ٤٧٧).

(٥) سمي بهذا الاسم لأن الخليفة كان يخرج منه فى عيدى الفطر والأضحى متوجهاً إلى المصلى
الذى بظاهر باب النصر حيث تجرى مراسم الصلاة والخطبة، خطط، ج ١، ص ٤٣٥.

وكلما مر على باب من أبواب القصر التى يجتازها الخليفة نزل وقبلة ويسير فى موكبه مخترقاً شوارع القاهرة والفسطاط حتى يصل إلى المقياس، فيأخذ لنفسه من الأكياس قدرأله ويوزع الباقي على بنى عمه وأرباب الرسوم المقررة^(١).

وفى اليوم الثالث أو الرابع من الاحتفال بتخليق عمود المقياس، وبعد أن يأخذ النيل فى الزيادة، يبدأ الاحتفال الكبير بفتح الخليج، فينصب للخليفة الخيمة العظيمة المعروفة بالقاتول^(٢) فى بر النيل الغربى على حافته عند منظرة السكره^(٣) وكان يضرب لأرباب الرتب والأمراء وكبار رجال الدولة إلى الشمال من القاتول، خيمات كثيرة، وعلى قدر مراتبهم فى الوظائف يكون قربهم من خيمة الخليفة.

(١) صح، ج ٣، ص ٥١٣، ٥١٤، خطط، ج ١، ص ٤٧٧، وكان للمقياس فى الدولة الفاطمية رسوم لتظيف مجارى الماء مقدارها خمسون ديناراً فى السنة تدفع لابن أبى الرداد لهذا الغرض. (راجع: خطط، ج ١، ص ٦١).

(٢) كانت هذه الخيمة تسمى بالنوب الكبير الأفضلى، وقد عرفت بالقاتول لأنه عند بدء استعمالها فى أيام الأفضل بن بدر الجمالى تسببت فى إصابة جماعة، وقتل رجلان أثناء تركيبها لشدة ضخامتها، فسميت بالقاتول، وتبلغ مساحتها حوالى فدانين. (راجع: خطط، ج ١، ص ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٧).

(٣) منظرة السكره من جملة مناظر الخلفاء الفاطميين، وكانت تقع فى بر النيل الغربى فيجلس فيها الخليفة يوم الاحتفال بفتح الخليج، وكان حولهيا بستان جميل وبها عدة أماكن معدة لنزول الوزير وعدد من الأساذين. وبيت فى عهد الخليفة العزيز بالله، وكانت السكره تزين فى يوم الخليج ففرش بأنفس المفروشات وتعلق بها أجمل الساتر، وتوضع فيها تماثيل فى غاية الدقة على أشكال الصور الآدمية والحيوانات المختلفة من الغزلان والفيلة والزرافات والسياء وغيرها المصنوعة من الذهب والنفضة والعبر فى غاية من الاتقان والجمال. (راجع: خطط، ج ١، ص ٤٧٠، ٤٧٢، ٤٧٧).

ويخرج الخليفة بهذه المناسبة من القصر في مركب حافل وقد ارتدى ثوباً من حرير مرقوم بالذهب يقال له "بدنه" وحوله الأستاذون المخنكون، ويسلك المركب نفس الطريق التي يسلكها يوم تخليق المقياس، ويتقدم عازفوا الموسيقى من نافخى الأبواق النحاسية والمنقرين بالطبول، ويشترك فى المركب عشرة آلاف فارس على خيولهم سروج من ذهب وألجمة مرصعة، كما تشترك الجمال التى تحمل الهوادج المرصعة بالذهب والجواهر^(١) وبداخلها حريم الخليفة وحظاياه وجواريه، وأمام جواد الخليفة يسير ثلاثمائة من المشاة يرتدون ثياباً مذهبة وقد حزموا أوساطهم ويحملون بأيديهم السهام والنشاشيب. وعلى يمين ويسار الخليفة جماعة من الفراشين يحملون الحماير المرصعة ويجرقون فيها العنبر والعود والناس متحشدين على جانبي الطريق ويستقبلون الخليفة بالدعاء والسجود، ويتبع الخليفة فى ترتيب المركب الوزير وقاضى القضاة وعدد كبير من رجال الدولة والعلماء^(٢) فإذا وصل المركب إلى جامع ابن طولون، يقوم بعض الفرسان المدربين على الألعاب ببعض الحركات والألعاب البهلوانية على الحبال المدلاة وهم يتقلبون فى الهواء^(٣).

وينتهى المركب عند شاطئ النيل، فيدخل الخليفة إلى الخيمة القاتول ويجلس على الحشية المعدة له فوق سرير الملك، ويحيط به الأستاذون المخنكون والأمراء المطوقون، ويجلس الوزير على كرسى مخصوص له، ويقف أرباب الرتب فى صفين من سرير الملك إلى باب الخيمة، وقراء الحضرة يتلون آيات من القرآن لمدة ساعة، فإذا فرغوا من القراءة استأذن صاحب الباب فى دخول الشعراء فينشدون قصائدهم حسب مراتبهم، ومما قيل فى هذه المناسبة ونال

(١) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٥٢.

(٢) سفرنامه، ص ٥٤.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٧٧.

إعجاب الحاضرين وحصل الشاعر على منحة مقدارها خمسين ديناراً قصيدة
منها هذه الأبيات:

لن اجتماع الخلق في ذا المشهد .: لليل أم لك يا ابن بنت محمد
أم لاجتماعكما معاً في موطن .: وافيتما فيه لأصدق موعد^(١)

فإذا ما انتهى الاحتفال في الخيمة انتقل الخليفة إلى منظره السكره،
فيجلس الخليفة ومعه الوزير وكبار رجال الحاشية والأستاذون، فتفتح إحدى
طاقات المنظره ويطل منها الخليفة على الخليج، وطاقة تقاربها يطل منها أستاذ
من الخواص، ويشير بالفتح، فيفتح السد بأيدي عمال البساتين بالمعاول^(٢) إيذاناً
بتدفق ماء النيل إلى أنحاء البلاد حاملاً الخير والرخاء، وفي أثناء ذلك تنطلق
أصوات الطبول والأبواق من الشاطئين وقد احتشد آلاف المصريين على
الجانين وهم في غاية من الابتهاج والسرور وتجري خلال ذلك أنواع من
الألعاب المسلية^(٣) وكان الناس يضعون ألواحاً من الخشب بعضها فوق بعض
ويقفوا عليها للفرجة وحتى يمكنهم مشاهدة مراسم الاحتفال، ولكن الخليفة

(١) خط، ج ١، ص ٤٧٨، ويذكر عمارة اليمنى في ديوانه أشعاراً في هذه المناسبة بمدح
فيها الخليفة الفاطمي العاضد، منها:

شرفت أمير المؤمنين مواسم أضحت تؤرخ باسمكم وتسطر
وأجلها يوم الخليج فإنه من بينها يوم أغر مشهر
واقاك فيه النيل وهو من الحيا خجل يقدم رجله ويؤخر

(راجع: النكت العصرية، ج ١، ص ٢٢٣ - وأمثلة أخرى: ص ٢٢٤ وص ٢٣٥).

(٢) خط، ج ١، ص ٤٧٨ - ويذكر ناصر خسرو الذي شاهد هذا الاحتفال أن الخليفة
المستصر هو الذي ضرب السد بنفسه بمزراق، ثم قام الرجال بهدمه بالمعاول والفؤوس
فانساب الماء دفعة واحدة في الخليج. (راجع: سفرنامه، ص ٥٤).

(٣) سفرنامه، ص ٥٤.

الآمر أمر سنة ٥١٨ هـ / ١٢٤٤ م ببناء دار واسعة على شاطئ النيل ليتفرج الناس فيها عند فتح الخليج وذلك نظير أجر معلوم^(١).

وفى أثناء ذلك يصل السحاط من القصر، فيوضع فى خيمة واسعة معدة لذلك فتوزع الأطعمة على شهود الاحتفال، وكان الطعام يقدم فى صوانى محمولة بمرافع من الفضة يحملها الفراشون، وقد غطت الأطعمة الشهية الرائحة بأغطية من حرير، وكان يخص الوزير فى هذا اليوم ثلاث صوان عليها تحايل الحلوى^(٢) وبعد تناول الحاضرين للطعام يفرق عليهم منه على سبيل البركة^(٣) وكان يوزع من الطعام فى هذا اليوم ما قيمته ألفا دينار، كما تصنع من أصناف الحلوى فى دار الفطرة ما قيمته سبعة آلاف دينار وتوزع على الناس بهذه المناسبة^(٤).

والطريف أن ناصر خسرو يذكر أن أول سفينة نزلت الماء أثناء مشاهدته لاحتفال فتح الخليج كانت لجماعة من الخرس، ويقول: "لعلهم يتفاءلون بهم". وقد منح المستنصر هؤلاء الخرس الهبات والصدقات^(٥).

وكان من عادة الخلفاء الفاطميين إبلاغ عمال الولايات والأقاليم الخاضعة لهم بهذا الموسم، فتكتب رسائل بوفاء النيل وأخرى بمناسبة فتح الخليج، وكان المتبع فى هذه الحالة أن يطلب من المسئول الموجه إليه الرسالة دفع الرسوم التى جرت العادة بتوظيفها لابن أبى الرداد محمولة من جهتك إلى حضرتنا^(٦) مما يوحى بأن ابن أبى الرداد كان يحصل فى هذه المناسبة على

(١) انعاظ. ج ٣، ص ١٠٧.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٧٩.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٧٢.

(٤) مخطوط الفيض المديد، ورقة ٤٣.

(٥) سفرنامه، ص ٥٤.

(٦) صبح، ج ٨، ص ٣٢٩، خطط، ج ١، ص ٤٧٩.

هبات ورسوم من ولاية الأعمال احتفالاً بهذه المناسبة الجليلة، بالإضافة إلى ما كان يحصل عليه من خلع وهبات مالية من الخليفة الفاطمي.

٣ - احتفالات الزواج:

كان نظام الترسى بالإمام ظاهرة اجتماعية شائعة في العصور الإسلامية وقد انتشر الترسى وامتلاك الخطايا في العصر الفاطمي في مصر ولم يكن قاصراً على الخلفاء وكبار رجال الدولة من القادرين اقتصادياً، بل كان يشمل من يملك ثمن الآمة من عامة الناس، إلا أن الزواج من حرة كان من الأمور المستحسنة لاقامة الأسرة المصرية في ذلك الوقت^(١).

وكان الزواج يتم طبقاً لعقد مكتوب يوقع عليه عدد من الشهود قد يزيد على العشرة في بعض الأحيان^(٢) ويتولى عقد زواج العامة أحد رجال الدين أو الشهود العدول ولا يحق له ممارسة هذا العمل إلا بأمر من القاضى أو نوابه في الأقاليم^(٣) أما الخلفاء وكبار رجال الدولة والحاشية فإن قاضى القضاة بنفسه كان يتولى عقد الزواج لهم^(٤) وأحياناً كان يقوم الخليفة الفاطمي بعقد الزواج بنفسه لأحد أبنائه^(٥).

(١) راجع: عمارة اليمنى، النكت العصرية، ج ١، ص ١٤٧.

(٢) راجع: جورهمان، أوراق البردى، ج ١، القاهرة، ١٩٣٤، ص ٨٠، ٨١.

(٣) أوراق البردى، ج ١، ص ١٠١.

(٤) اتعاظ، ج ١، ص ٢٥٢ - فعند زواج الخليفة العزيز سنة ٣٦٩ هـ منح من وقع العقد ألف دينار، وخلع على قاضى القضاة والشهود، وحلهم على البغال، فطافوا البلد بالطبول والأبواق.

(٥) راجع: اتعاظ، ج ١، ص ٢٥٢.

(٥) راجع: اتعاظ، ج ٣، ص ٨٥.

وينص عقد الزواج على قيمة الصداق السى كان يتناسب وحالة الزوج الاجتماعية وأقل ما ورد من قيمة للصداق فى العقود البردية التى وصلت إلينا والتى يرجع تاريخها إلى القرن الثالث والرابع والخامس هـ دينار واحد وأكثرها ثمانون ديناراً^(١) ومعظمها عقود تخص طبقة العامة وأواسط الناس، وكان الزوج يحصل على إيصال من زوجته بقيمة ما دفع لها من صداق يوقع عليه عدد من الشهود^(٢)، كما كانت الزوجة بدورها تحصل على سند بقيمة ما تأخر لها من الصداق^(٣).

أما صداق الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة فى العصر الفاطمى فكان ضخماً بالقياس إلى ما سبق ذكره، فعندما عقد العزيز قرانه على ابنة عمه سنة ٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م أمهرها مائتى ألف دينار ذهباً^(٤)، كما أن الأمر عندما تزوج السيدة "علم الآمرية" سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م كتب صداقها، وجعل المقدم منه أربعة عشر ألف دينار^(٥). وعند زواج ابنتى قائد القواد الحسين بن جوهر سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م، عقد قرانهما فى القصر، وخلع الحاكم على الزوجين ودفع عنهما المهر ومقداره ألف دينار^(٦).

وكان عقد الزواج غالباً ما ينص على أمور تشترطها الزوجة على زوجها أثناء حياتهم المشتركة، ومن هذه الشروط التى وردت فى الوثائق البردية نرى الزوجة تلزم الزوج فى حالة اقترانه بزوجة أو أكثر غيرها أن تكون لها اليد

(١) أوراق البردى، ج ١، ص ٧٦.

(٢) راجع: أوراق البردى، ج ١، ص ١١٢، ١١٣.

(٣) أوراق البردى، ج ١، ص ٧٧.

(٤) البويرى. نهاية الأرب، ج ٢٦. لوحة ٤٧، اعطاء، ج ١، ص ٢٥٢.

(٥) خطط، ج ٢، ص ٤٤٦.

(٦) اعطاء، ج ٢، ص ٩٨.

العليا في شئون الدار ولها الأمر والتدبير^(١) كما تشترط إحدى الزوجات على زوجها في حالة اتخاذه لجارية أو حظية يكون أمرها بيدها- إن شاءت عتقت وإن شاءت بيعت، فعتقها وبيعها جائز عليه ولازم له^(٢).

كما كانت هناك شروط أخرى لصالح الزوجة مثل اشتراطها على زوجها ألا يمنعها من زيارة أهلها ولا يمنع أهلها من زيارتها^(٣) وأن يتقى الله فيها ويحسن عشرتها ويعاملها بالمعروف^(٤).

وكان نص العقد في العصر الفاطمي غالباً ما يحتوي على الدعاء للخليفة وآبائه الطاهرين، ونلاحظ هذا الأمر في عقد زواج مؤرخ في ١٥ جمادى الأولى سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٢٨ م في عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله^(٥) وكان الخليفة أحياناً يسجل بعض العبارات بخطه في عقد قرآن كبار رجال الدولة والأمراء، ومثال ذلك ما كتبه الخليفة الحاكم في سجل زواج ابنتي الحسين بن جوهر^(٦) يعقد هذا النكاح بمشيئة الله وعونه، والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل^(٧).

وكانت التقاليد الاجتماعية في هذا العصر تقضى بعدم اختلاط الأشراف بغيرهم عن طريق المصاهرة حفاظاً على نقاء الدم الشريف^(٨) كما كان من غير اللائق أن يشاهد الرجل المرأة التي يرغب الزواج منها قبل عقد الزواج^(٩).

(١) أوراق البردى، ج ١، ص ٧٤.

(٢) أوراق البردى، ج ١، ص ٨٩.

(٣) أوراق البردى، ج ١، ص ٧٨، ٨٩.

(٤) أوراق البردى، ج ١، ص ٧٣، ٧٨، ٨٩، ٩٧.

(٥) أوراق البردى، ص ٩٨.

(٦) اتعاظ، ج ١، ص ٢٩٨.

(٧) راجع: صحيح، ج ١٠، ص ٤٠٠.

(٨) تاريخ أبي صالح الأرمسي، ص ٥٩.

وكنما كان الصداق يختلف باختلاف حالة الاجتماعية للزوج. من قيمة ما تجهز به العروس كان خاضعاً حالة أسرته المالية، ويبدو أن الزوج كان يتكفل بدفع قيمة المهر وإعداد دار الزوجية، وعلى أسرة الزوجة إعداد الجهاز اللازم للدار. ويروى المقرئى^(١) أن جهاز العروس كان غالباً ما يحتوى على دكة مثل السرير مصنوعة من النحاس المكفت، أو من الخشب المطعم بالعاج والأنوس، أو من خشب مدهون، وهذه الأنواع تختلف أثمانها طبقاً لجودة خامتها ودقة صناعتها، بالإضافة إلى سعة أوان من النحاس الأصفر المكفت بالفضة مختلفة الأحجام بعضها أصفر من بعض، وسبعة أطباق مختلفة الأحجام أيضاً وغير ذلك من الملابس الجديدة والطشت والأبريق والمبخرة، وتقدر قيمة هذا الجهاز بما يزيد على مائتى دينار ذهباً، وهذا على ما يبدو كان جهاز العروس من الطبقة المتوسطة والعامة، لأن المقرئى ينص على أنه لا بد أن يكون فى شورة العروس^(٢) ثم يذكر التفصيل.

أما إذا كانت العروس من طبقة الخاصة من بنات الوزراء والأمراء وأعيان الكتاب أو طبقة أثرياء التجار، فإن جهازه كان يتكون من سبع دكك على أشكال مختلفة أى أنها كانت تتجهز بما قيمته سبعة أضعاف مثلتها من بنات العامة وأواسط الناس^(٣).

وكانت طبقة الخاصة تغالى فى إعداد جهاز بناتها كنوع من المباهاة واطهار النفوذ والثراء، ومن الأمثلة على ذلك، أنه فى جمادى الآخرة سنة

(١) راجع: خطط، ج ٢، ص ١٠٥.

(٢) خطط، ج ٢، ص ١٠٥ - ورغم أن رواية المقرئى عن شورة أو جهاز العروس تعتبر وصفاً لهذا الجهاز كما عاصره إلا أنه من المحتمل أن هذا الجهاز كان بهذه الصورة أيضاً فى العهود التى سبقت ذلك. فالمعروف أن التقاليد الاجتماعية بطيئة التغير.

(٣) خطط، ج ٢، ص ١٠٥.

٣٨١ هـ ٩٩١ م زفت أخت كاتب- السيدة العزيزية^(١) إلى زوجها بلتكين التركي، وحملت معها جهازاً قيمته مائة ألف دينار. سوى صناديق محملة على ثلاثين بغلاً تحمل الملابس والتحف الثمينة، وعملت له مائدة ضخمة ذبح فيها عشرون ألف حيوان وطائر ما بين كيش وخروف وجدى وأوزة ودجاجة^(٢).

وعند زواج الخليفة العاضد من أخت الوزير العادل رزبك، حمل معها جهاز فخيم يليق بالخليفة بالإضافة إلى عدد من الصناديق بها عدة قناطير من الذهب^(٣).

وكانت الموائد الفاخرة جزءاً من الاحتفال بالزواج، ولدينا مثال على ذلك لطبقة الخاصة في مائدة بلتكين التركي، وإن كانت المصادر لم تذكر شيئاً عن الموائد التي تقام في احتفالات العامة بالزواج إلا أنه من المسلم به أن الطعام والحلوى والشراب كانوا يمثلون مظهراً رئيسياً للاحتفال بهذه المناسبة.

وكانت توجد في الدولة الفاطمية دور مخصصة لإقامة حفلات الزفاف تستأجر من أصحابها لهذا الغرض، وكان على ملاك هذه الدور التزام جانب الأخلاق الحميدة والمحافظة على حرمة أصحاب الحفل، وعدم تسور أسطح الدور للتطلع إلى النساء المجتمعات في الحفل، وكانت الدولة تأخذ عليهم عهداً بذلك ويوقع صاحب الدار وثيقة بعدم التعرض لموجرى داره للأفراح، وإلا حرم من تأجيرها لهذا الغرض^(٤).

(١) يقصد بالسيدة العزيزية زوجة العزيز، وكانت العادة أن تنسب زوجات الخلفاء إليهم

خطوط، ج ٢، ص ٣١٨.

(٢) اتعاظ، ج ١، ص ٢٧١.

(٣) عمارة اليمنى، النكت، ج ١، ص ٥٣، ٥٤.

(٤) اتعاظ، ج ٣، ص ١٠٠، ١٠١.

وكانت العروس تجلس في مكان الاحتفال على دكة عالية بمفردها بحيث تصل إليها أنظار الحاضرات وهي في أبهى زينة وأجمل ثياب، وقد التفت حولها أفراد أسرته والمدعوات، وكان هذا الحفل قاصراً على النساء^(١).

ومن جهة أخرى يخصص مكان آخر للزوج ومعه أصدقاؤه والمدعوون من الرجال للاحتفال به على غرار ما يحدث في مجلس العروس، وكانت مظاهر البهجة والسرور تعم الاحتفال فتغنى المغنيات^(٢) وتعمل فيه أنواع الملامى والمضحكات والرقص وتوزع أنواع الخلوى والأطعمة على الحاضرين^(٣) حسب مكانة صاحب الحفل وثرانه.

وكانت احتفالات طبقة الخاصة بمناسبة الزواج، تكون على درجة كبيرة من الفخامة وتتميز بمظاهر الشراء. فتوزع فيها الهبات الثمينة، وتشر خلالها الأموال على العامة، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر ظافر الحداد يمدح أمير الجيوش بدر الجمالي ويهنته بزواج ولده:

فتحت للناس أبواب السرور به .: فالعرس في كل قلب غير مختصر
لله ملك وأمالك قد اقترنا .: إلى السعادة في أمن من الغير^(٤)
نشرت للناس من عين ومن ورق .: فيه فلم يبق من لم يحظ بالبدر^(٥)

(١) اتعاظ، ج ص، ص ١٠٠.

(٢) الأدفوى، الطالع السعيد، تحقيق سعد محمد حسن، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٢٥١.

(٣) الغزوى، مطالع البدور، ج ص. ص ٤٤.

ويحسر التوبة أنه رغم أن الأدفوى والغزوى كانا يعاصران العصر المالكي إلا أنه من الغمّل أن ما ذكرناه عن تقاليد احتفالات الزواج ما هي إلا امتداد لتقاليد التبعة في العصور السابقة.

(٤) الغير: الأحداث.

(٥) راجع: ديوان ظافر الحداد، تحقيق حسين نصار، القاهرة، ١٩٦٩، ص ١٥٠، وراجع

قصائد أخرى في مثل هذه المناسبة، ص ١٤٨ وما بعدها، ص ١٧٠ وما بعدها.

العيون: الذهب. الورق: الدراهم، والبدر: جمع بكرة وهي كيس النقود.

٣ - الاحتفال بالمولود:

ومن الاحتفالات الأسرية التي كانت موضع اهتمام العامة والخاصة في العصر الفاطمي، الاحتفال بالمولود، ورغم أن ما لدينا من معلومات مقصور على مظاهر احتفال الخلفاء وكبار رجال الدولة بهذه المناسبة، إلا أنه من المسلم به أن هذه الاحتفالات كانت موضع اهتمام أواسط الناس وعامتهم، مع اختلاف مظاهر الاحتفال وفخامته وما يقدم فيه من ألعاب وغناء وطعام تبعاً لثراء المخفل ومكانته الاجتماعية فمن التقاليد المتبعة إقامة الولائم في هذه المناسبة^(١).

ونلاحظ أن المصادر التي رجعنا إليها تصمت فيما يتعلق بالاحتفال بالمواليد الإناث، ومن المرجح أن ذلك راجع إلى أن الذكر يتولى منصب ولى العهد في بعض الأحيان، كما أنه يعبر عن الدور الثانوى الذى تلعبه المرأة فى الحياة العامة بالقياس إلى الرجل، ويظهر هذا جلياً فى أسلوب التهنة بالمولود الأنثى، فنلاحظ أن صاحب التهنة يحاول التخفيف عن الخليفة لما أصيب به من مكروه وضيق عند معرفته خير إنجابه لأنثى^(٢).

وكان الاحتفال بالمولود الذكر يبدأ فى اليوم التالى لولادته، فكان الخليفة الفاطمى يجلس فى هذا اليوم فى القصر ويتقبل التهانى من الأقارب والحاشية وكبار رجال الدولة^(٣). وفى اليوم السابع للمولود، يقام احتفال عظيم فى الإيوان الكبير بالقصر، فيزين الإيوان لهذه المناسبة بالستور الزاهية، وتعلق على حوائطه أنواع الأسلحة الخفيفة المطعمة بالذهب والفضة والجواهر، ويخرج المولود اغتشى به من مهده يحملته أحد كبار رجال الدولة أو قاضى القضاة^(٤).

(١) راجع: الغزولى، مطالع البدور، ج ٢، ص ٤٤.

(٢) راجع أمثلة على التهانى بالمولود الأنثى: صبح، ج ٩، ص ٦٠، ٦٩.

(٣) اعاظ، ج ٢، ص ٥٥، ٥٨.

(٤) اعاظ. ج ٣، ص ١٢٨.

فيقوم المزين بأخذ الطفل ويخلق شعره ويزينه، ثم تحضر الشاة التي يضحي بها عن المولود في هذه المناسبة وتسمى "العقيقة"^(١) وعليها كساء من حرير وفي عنقها قلاند الفضة^(٢) فتنحر الشاه بيد أحد الأشراف وبحضور الخليفة^(٣) وفي أثناء ذلك يبخر المولود بأزكى أنواع البخور من العنبر والعود حتى يمتلئ المكان بشذاه^(٤). ويقوم أحد الحجاب بحمل العقيقة والدم من مكان الاحتفال. ويروى المقرئى أن عثمان الحاجب عندما حمل الدم والعقيقة عند الاحتفال بمولود للحاكم سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م أهدى له بهذه المناسبة ألف دينار وغرس بلجامة وعدة ثياب، كما منح المزين مائتي دينار وقرس^(٥).

وخرج قائد القواد الحسين بن جوهر إلى طوائف الجند اغتشدة للتهنئة حول القصر وأعلن لهم عن انعام الاحتفال بالمولود، وأخبرهم باسمه وكنيته^(٦) فقبل الجميع الأرض ورددوا الدعاء للخليفة والمولود^(٧).

وكان الاحتفال بمواليد الخلفاء لا يقتصر على القصر، بل يشمل أنحاء البلاد التي يعمها الأفراح والزينات، ويروى ناصر خسرو مظاهر الاحتفال

(١) أصل العقيقة الشعر الذى يولد به المولود، فسميت الشاة التي تذبح عنه في حين خلق ذلك الشعر، عقيقة، والرسول (صلم) أمر بخلق الشعر الذى يولد به المولود عن رأسه يوم سابعه، أو يوم الرابع عشر، على ألا يتأخر ذلك عن اليوم الحادى والعشرين.

راجع: القاضى النعمان، دعائم الإسلام، ج ٢، ص ١٨٧.

(٢) اتعاط، ج ٢، ص ١٢٨.

(٣) اتعاط، ج ٢، ص ٥٥، ٥٨.

(٤) اتعاط، ج ٣، ص ١٢٨.

(٥) اتعاط، ج ٢، ص ٥٥.

(٦) كانت التقاليد فى ذلك الوقت تقضى بأن يسمى المولود يوم سابعه) راجع: دعائم

الإسلام، ج ٢، ص ١٢٨.

(٧) اتعاط، ج ٢، ص ٥٥.

العام بمولود للخليفة المستنصر سنة ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧ م " فأمر الناس بإقامة الأفراح فزينت المدينة والأسواق زينة لو وصفتها لما اعتقد الناس صحة ما أقول، ولما صدقوني" (١) كما كانت الاحتفالات بهذه المناسبة تمتد إلى الشام عندما كانت خاضعة للفاطميين فيروى صاحب الدولة المنقطة " وكان موارد المستنصر في جمادى الآخرة سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٦٩ م، وزينت البلاد لمولده أحسن زينة بمصر والشام، وأنفق بمصر في زينتها من الأموال ما لا يحصى" (٢).

وكان الخلفاء الفاطميون يغمرون رجال دولتهم في هذه المناسبة بالهدايا والهبات فتوزع الملابس الجديدة على الجند وكبار رجال الدولة وأرباب الرتب والوظائف وتمد الأسمطة الفاخرة التي تمتاز في هذه المناسبة بوجود كميات وافرة من الفاكهة تجلب لها من بساتين الخليفة في الفيوم والقلوبية والدرقية (٣) كما كانت تقام احتفالات صاخبة تقام أنواع الملاحى والموسيقى والغناء في قاعات القصر للخاصة وكبار رجال الدولة، وعلى أبوابه ليشاهدها العامة ويشاركون في البهجة التي تغمر الجميع بهذه المناسبة، وتستمر الاحتفالات والزينات والأفراح أربعة عشر يوماً (٤).

وكان الخلفاء الفاطميون يقدمون الهدايا الثمينة إلى وزراءهم وكبار رجال دولتهم عندما يرزق أحدهم بمولود ذكر. فيروى المقرئ في حوادث سنة ٣٦١ هـ / ٩٧٩ م أنه ولد للوزير يعقوب بن كلس ولد ذكر، فأرسل إليه الخليفة العزيز هدية تحتوي على مهد من صندل مرصع بالجواهر، وثلاثمائة

(١) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٦٢.

(٢) راجع: مخطوط أخبار الدول المنقطة، لوحة ٧٢.

(٣) اتعاط، ج ٣، ص ١٢٨.

(٤) اتعاط، ج ٣، ص ١٢٨.

ثوب. وعشرة آلاف دينار، وخمسة عشر فرساً بسرّوجها، وكمية كبيرة من العطر، فكان مقدار هذه الهدايا مائة ألف دينار^(١).

كما كانت زوجات الخلفاء يشاركن في تقديم الهدايا لكبار رجال الدولة في هذه المناسبة، ومن أمثلة ذلك ما قدمته "السيدة العزيزية" إلى أحد القواد عندما ولد له مولود ذكر، فبعثت إليه "مائة ثوب صحاح من كل فن. وثلاثمائة دينار، ومهدين أحدهما أبوس محلى بذهب، والآخر صندل محلى بفضة وهما أغشية ومخاد وثياب وفرش مثقلة"^(٢).

وكان الشعراء ينظمون قصائدهم في المدح والتهنئة للخلفاء وطبقة الخاصة بهذه المناسبة^(٣). كما كانت العادة المتبعة في الدولة الفاطمية، إرسال الكتب إلى ولاية الأعمال في الأقاليم والمناطق الخاضعة للدولة بالبشارة بالمولود الذكر للخليفة^(٤) ليعلم الجميع ذلك وتشمل الأفراح والاحتفالات أرجاء الدولة.

٤ - الاحتفال بالختان:

كانت عادة ختان الصبيان منتشرة في مصر الإسلامية بين المسلمين والقبط^(٥) ونلاحظ من رسائل التهاني بالختان في العصر الفاطمي والتي أورد بعضها القلقشندي أنه كانت من المناسبات التي يحتفل بها المصريون^(٦) رغم أن المصادر التي بين أيدينا لم تذكر تفاصيل عن هذه الاحتفالات.

(١) انعاظ، ج ١، ص ٢٥٢، حوادث سنة ٣٦٩ هـ.

(٢) انعاظ، ج ١، ص ٣٨١.

(٣) راجع: ديوان ظافر الحداد، ص ٣٠٨ وما بعدها.

(٤) راجع: صبح، ج ٨، ص ٣٥٦، ٣٥٧.

(٥) راجع: صبح، ج ٩، ص ٧٤، ٧٥.

(٦) يذكر أبو صالح الأرمي أنه لا بد لتحصير الطفل من ختانه. (راجع: تاريخ أبي صالح، ص ٥٩).

وقد أورد المزرخون تفاصيل احتفالات الختان الجماعى فى الدولة الفاطمية فى المغرب، ففي سنة ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م كتب الخليفة المعز لدين الله إلى عماله بالمغرب من برقة إلى سجلماسة وجزيرة صقلية أن يسجلوا جميع الأطفال الذين فى أعمارهم على اختلاف طبقاتهم وجنسياتهم ودياناتهم، ليختنوا مع أولاده^(١) على أن يقوم كل وال فى مكانه بالتكفل بجميع نفقات الأولاد من كسوات وطعام وشراب وطيب بمقدار ما يحتاجه كل فرد منهم^(٢).

" فكان من جملة ما أنفق فى ذلك مما حمل إلى جزيرة صقلية وحدها من المال سوى الخلع والثبات، خمسون حملاً من الدنانير كل حمل عشرة آلاف دينار^(٣) أى نصف مليون دينار، كما أرسل مثل هذا المبلغ من المال إلى كل عامل من عمال الدولة الفاطمية، وابتدئ فى الختان فى أول ربيع الأول سنة ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م واستمر حتى نهاية الشهر، وبدأ الختان بظهور أولاد الخليفة وأهل بيته وأولاد خاصته وكبار رجال الدولة ثم استمر فى سائر أولاد الطبقات الأخرى^(٤) وختن خلال هذا الشهر من أهل صقلية فقط خمسة عشر ألف صي^(٥).

ويضيف القاضى النعمان طريقة الاحتفال بهذا الختان الجماعى كما شاهده بنفسه فى المتصورة عاصمة الدولة الفاطمية بالمغرب، فيذكر أن الخليفة المعز كان يجلس بنفسه فى السرداق الضخم الذى أقيم بساحة القصر، وكان يسمح للصبيان بالدخول ومعهم من يشاء من آباءهم وأمهاتهم وخدمهم،

(١) نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٣٨.

(٢) النعمان، المجالس والمسائر، ص ٥٥٦.

(٣) الذخائر والتحف، ص ١٢٤، ١٢٥، انعاظ، ج ١، ٩٤.

(٤) نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٣٨.

(٥) الذخائر والتحف، ص ١٢٤، ١٢٥، انعاظ، ج ١، ص ٩٤، ٩٥.

والختانون يجلسون على كراسي، وأمامهم قوم يسكون الأطفال في حجورهم حتى يتم ختانهم ومعهم المساحيق التي تشر على مكان الختن لمنع نزول الدم. ويرشون على رؤوس الأطفال ووجوههم ماء الورد، حتى يفيقوا لما اعتزاهم من الألم والخوف، وكان أصحاب الملاهي والألعاب المضحكة يلهونهم أثناء عملية الختان حتى يصرفونهم عن الألم والبكاء، وكان الطفل بعد ختانه يمر محمولاً أمام الخليفة فيمنح ما خصص له من كساوى وعطاء، ويصحب بعض أصحاب الملاهي من ختن من الأطفال في جماعات يزفونهم إلى منازلهم^(١).

وقد حصل أبناء الخاصة في هذه المناسبة من الخلع والكسوات ما يتفاوت ومكانة كل صبي من هذه الطبقة، أما ما كان يحصل عليه أطفال العامة من المال غير الكسوة يتراوح بين مائتي درهم إلى مائة وخمسين، "وأقل ما أعطى المجهولون من أهل البوادي ونظرانهم وعبيدهم، كل صبي منهم عشرة دراهم"^(٢).

واستمرت الاحتفالات طوال هذا الشهر الذي أصبحت أيامه أعياداً ومسرات وأفراح^(٣).

ورغم أن هذه هي المرة الوحيدة التي ذكر فيها هذا النوع من الاحتفال في العصر الفاطمي، إلا أنه من المحتمل أن مثل هذا كان يحدث بصورة أو بأخرى في عصر الدولة الفاطمية بمصر. فيروى أبو صالح الأرمي أنه لا بد لتتصير الطفل من ختانه^(٤) كما أن رسائل التهاني بالختان في العصر الفاطمي كانت لها تقاليد متبعة توضح أن الختان كان من شروط الإيمان الصحيح وما

(١) النعمان، المجالس والمسايرات، ص ٥٥٦، ٥٥٧، حسن إبراهيم، المعز، ص ٢٧٣، ٢٧٥.

(٢) المجالس والمسايرات، ص ٥٥٧.

(٣) المجالس والمسايرات، ص ٥٥٨.

(٤) تاريخ أبي صالح، ص ٥٩.

تفرضه الشريعة الإسلامية^(١) لذلك فهو منتشر بين الخاصة والعامة ويحتفل بهذه الحادثة بما يناسبها من وجوه الاحتفال، وكان من التقاليد المتبعة في تلك العصور إقامة الولائم بمناسبة الاحتفال بالختان^(٢).

٥ - المآتم:

كانت مظاهر الحزن على الميت وإعداده للدفن لا تختلف كثيراً عما هو معروف في العصور الإسلامية، وإن كانت قد تميزت في العصر الفاطمي بمظاهر البذخ والثراء التي كانت طابع الحياة في عصر الفاطمية وخاصة فيما يتعلق بطبقة الخاصة.

وكان الميت يغسل طبقاً للتقاليد المتبعة في هذا الشأن، ونلاحظ أن قاضي القضاة أو داعي الدعاة كان يقوم بنفسه بغسل الخلفاء وكبار رجال الدولة وأحياناً كان يشترك معه "شيخ القرافة" كما حدث عند وفاة الخليفة الظاهر^(٣) وقام داعي الدعاة بمهمة غسل الأفضل بن بدر الجمالي^(٤).

ويبدو أن عادة أخذ الفاسل بعض ملابس المتوفى ترجع إلى عهود متأخرة فيروى المقرئ أن غاسلة زوجة الخليفة العزيز أخذت ما كان تحتها من الفرش وعليها من الثياب، فكان مبلغ ما نالها ستة آلاف دينار^(٥) وكان هذا التقليد يشمل قاضي القضاة إذا قام بهذه المهمة، فعندما غسل قاضي القضاة الخليفة

(١) راجع: صبح، ج ٩، ص ٧٤، ٧٥.

(٢) راجع: الغزولي، مطالع البدور، ج ٢، ص ٤٤.

(٣) مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٦١، مخطوط أخبار الدول النقطعة، لوحة ٥٤.

(٤) اتعاظ، ج ٣، ص ٦٥، وراجع أمثلة على ذلك في: ابن خلكان، وفیات، ج ١،

ص ٩٨، اتعاظ، ج ١، ص ٢١٧.

(٥) اتعاظ، ج ١، ص ٢٨٩.

الظاهر، أخذ ما عليه من ملابس^(١) كما منح داعي الدعاة الذي قام بغسل الوزير الأفضل بذلتين، أحدهما مذهبة والأخرى حرير^(٢) عوضاً عما كان على الأفضل من ثياب الدم لأنها لم تنزع عنه^(٣) بعد أن قتل.

وكان الكفن متناسب قيمته وثراء الميت ومكانته الاجتماعية، فعندما مات الأمير تميم بن المعز كفن في ستين ثوباً^(٤) وكفن الوزير يعقوب بن كلس في خمسين ثوباً بالإضافة إلى حنوطه من الكافور والمسك وماء الورد^(٥) فكان ما كفن به وحنط به عشرة آلاف دينار^(٦)، وأحياناً كان يكرم الميت إذا كان من الشخصيات البارزة في الدولة، فيكفن ببعض ملابس الخلفاء التي سبق استعمالها ومن أمثلة ذلك الوزير الأفضل الذي كفن بملابس الخلفاء، بما قد مازجه عرق الأنمة^(٧). وغالباً ما يخرج الكفن الخاص بالأمرء وكبار رجال الدولة من خزائن القصر، وأحياناً من خزائن الوزير القائم بالأمر، وكان الكفن في هذه الحالة يحوى الثياب الحريرية والعطور والطيب، وعند الصلاة يتجمع كبار الشخصيات والمشيعين في الإيوان الكبير بالقصر، حيث يؤمهم الخليفة في الصلاة على الميت^(٨) وكانت الدولة الفاطمية تتكفل بسد نفقات كفن الموتى من الفقراء، وتخصص لذلك الأوقاف للإتفاق منها على هذا الغرض^(٩).

(١) نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٦٩.

(٢) اتعاض، ج ٣، ص ٦٥.

(٣) ابن خلكان: وفيات، ج ١، ص ٩٨.

(٤) اتعاض، ج ١، ص ٢٦٨، قارن مخطوط أخبار الدولة المنقطعة، لوحة ٥٤.

(٥) اتعاض، ج ٣، ص ٦٥.

(٦) (راجع: اتعاض، ج ٣، ص ٥٧).

(٧) اتعاض، ج ٢، ص ١٠٦.

ولم نحصل على معلومات توضح كيفية حمل الميت وعلام يحمل أثناء الجنازة^(١) ولكن المقرئ يروى أن الأمير عبد الله بن المعز خرج عند دفنه في تابوت^(٢) كما أن الأفضل بن بدر الجمالي وضع أيضاً عند وفاته في تابوت^(٣) ودفن في قبره بالتابوت^(٤) مما يوحي بأن كبار رجال الدولة كانوا عند وفاتهم يوضعون في تابوت تحمل على الأكتاف إلى مقابرهم حيث يدفنون وهم بداخلها، ومن المحتمل أن العامة كانوا يستعملون نفس الطريقة حسب ثراء المتوفى، أو يحملون بدون تابوت إلى مدافنهم.

وكان من عادة الناس الخروج خلف الجناز لتشييع الميت إلى مشواه الأخير وهم متجولون، ولم يكن يركب في هذه المناسبة إلا الخليفة إذا حضر تشييع الجنازة^(٥) وكان الخليفة يحضر بنفسه جنازة أفراد أسرته وكبار رجال دولته، ومن أمثلة ذلك حضور الخليفة العزيز لجنازة الأمير تميم بن المعز^(٦) كما حضر العزيز جنازة وزيره يعقوب بن كلس^(٧) وصلى عليه وألحده بيده في قبره^(٨) وخرج الخليفة الحافظ بنفسه لتشييع جنازة بهرام الأرمني وسار خلف تابوته راكباً بغلة شهباء، ونزل عن بغلته عند حافة القبر وبكى بكاءً شديداً^(٩).

(١) اتعاض، ج ١، ص ٢١٨.

(٢) اتعاض، ج ٣، ص ٦٥.

(٣) اتعاض، ج ٣، ص ٦٧.

(٤) اتعاض، ج ٣، ص ٦٧.

(٥) ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ٩٧، ٩٨.

(٦) ابن الصرقي، الإشارة، ص ٢٣.

(٧) مخطوط أخبار الدول النقطعة، لوحة ٥٤، الغزولي. مطالع البدور، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٨) اتعاض، ج ٣، ص ٧٥.

ويبدو أن النساء كنَّ يخرجن خلف الجنائز سافرات الوجوه^(١) باليكاء والعويل، وكانت النائحات اللاتي يحترفن هذا العمل. يخرجن خلف الجنازة أيضاً ينشدن المراثي بعبارة حزينة، يصاحبهن الطبل والزممر^(٢) لالهاب حماس المشيعين وأقارب الميت.

وكانت توجد نساء محترفات لكتابة المراثيات التي تقال أثناء الجنازة ومن أمثلة ذلك، ما رثت به نائحة تدعى "خسروان" الوزير ابن السلار عقب اغتياله فقالت:

ما تقبل الغفلة .: يا شهيد الدار
يا شيه ذى النورين .: صاحب المختار^(٣)

وكانت المدافن الرئيسية فى العصر الفاطمى تقع فى القرافة بظاهر جبل المقطم^(٤) وكانت القرافة موضع عناية واهتمام بها جوامع ومساجد يتجمع بها العباد وطلاب الآخرة للخلوة والتعبد، وكان الناس يهتمون ببناء المقابر وإعدادها^(٥).

ونحن لا ندرى الهيئة التى كانت عليها المقبرة فى ذلك العصر، وإن كانت الآثار التى ترجع للعصر الفاطمى توضح أن القبر كان يوضع عليه شاهد من الرخام تكتب عليه البسملة وآية قرآنية، مع كتابة اسم المتوفى وتاريخ وفاته^(٦).

(١) راجع: مخطوط زبدة الفكرة، لوحة ٢٠٥ أ

(٢) تاريخ الأنطاكي، ص ١٨٦.

(٣) العاظم، ج ٣، ص ٢٠٥.

(٤) راجع: خطط، ج ٢، ص ٤١٣ وما بعدها.

(٥) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ٢٠٩.

(٦) راجع: دليل معرض الفن الإسلامى، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٢٦٥.

وكان بعض الناس يهتمون بصنع المقبرة وترينها في حياتهم^(١) للاطمئنان على مثواهم الأخير. أما الخلفاء وأفراد الأسرة الفاطمية فكانوا يدفنون في تربة الزعفران أو التربة المعزية الواقعة بالقصر الكبير الشرقي^(٢) وكان بعض الوزراء وكبار الشخصيات في الدولة يدفنون في دورهم^(٣) وهناك أمثلة متعددة على ذلك منها الوزير يعقوب بن كلس الذي دفن في دار الوزارة^(٤) كما أوصى الوزير أبو القاسم أحمد بن علي الجرجاني بأن يدفن في داره في المكان الذي كان يجلس فيه. وقد نفذت وصيته^(٥) ودفن الأمير المظفر ابن أمير الجيوش بدر الجمالي في الدار التي أنشأها والده لتكون مقراً للوزارة ثم آلت إليه بعد وفاته^(٦).

وكانت الملابس السوداء اللون تعبر عن الحزن قبل العصر الفاطمي^(٧) والمثال الوحيد الذي لبس فيه السواد كان تعبيراً عن الحزن بوفاة الخليفة الفاطمي الفائز سنة ٥٤١ هـ / ١١٥٤ م حيث سار طلائع بن رزيك ومعه كبار رجال الدولة في جنازة الفائز مرتدياً السواد وهو حافياً مكشوف الرأس وقد شق ثيابه واقتدى به الناس^(٨) وقد اعتبر المؤرخون هذا الحدث نذير شؤم

(١) راجع: دليل معرض الفن الإسلامي، ص ٢٨٤، لوحة ٣٦.

(٢) راجع: خطط، ج ١، ص ٤٠٧، ٤٣٥.

(٣) اتعاط، ج ٢، ص ٧٠.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ص ٣٦٦، ابن القلانسي، ذيل، ص ٣٢.

(٥) نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٦٤.

(٦) خطط، ج ١، ص ٤٦١.

(٧) خطط، ج ١، ص ٢٠٩.

(٨) راجع: ابن ميسر، أخبار مصر، ص ٨٤، مخطوط أخبار الدول النقطعة، لوحة ٨٦.

مخطوط في التاريخ، ورقة ٨٢، ٨٣.

راجع: صح، ج ٣، ص ٣٧١، اتعاط، ج ٣، ص ٢١٧.

على الدولة الفاطمية فلم تمضى خمسة عشرة عاماً حتى دخل العباسيون القاهرة بأعلامهم السود وأزالوا الأعلام البيضاء شعار الدولة الفاطمية^(١).

أما ملابس الحداد في العصر الفاطمي فكانت غالباً من اللون الأخضر الذي لا يشاركه لون آخر، ويبدو أن اتخاذ هذا اللون كان راجعاً لكره الفاطميين استخدام اللون الأسود شعار الدولة العباسية، ويروى المقرئ أن الخليفة الحافظ عند خروجه لتشييع جنازة بهرام الأرمني^(٢) ركب بغلة شهباء وعليه عمامة خضراء وثوب أخضر بغير طيلسان^(٣)، وعند موت الخليفة الفاطمي الفائز وتولية الخلافة للعاضد، أمر صاحب خزانة الكسوة أن يحضر بدلة ساذجة خضراء، وهي لبس ولي العهد إذا حزن على من تقدمه^(٤).

وكان خلع العمامة وتشويه الهيئة تعبر عن الحزن الشديد في ذلك الوقت ومثل ذلك ما رواه المقرئ عن وفاة الأمير عبد الله بن المعز سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م "فجلس المعز للعزاء، ودخل الناس من غير عمامم، ومنهم من شوه نفسه وأظهر الجزع الشديد"^(٥)، كما كان لبس اللثام يعبر عن الحزن، ونلاحظ هذا الأمر في الاحتفال الحزين بذكرى مقتل الحسين^(٦) ويروى المقرئ أن الخليفة الفاطمي الأمر "أظهر الحزن على فقد وزيره

(١) راجع: صحيح، ج ٣، ص ٣٧١، انعاظ، ج ٣، ص ٢١٧.

(٢) توفي بهرام في ٢٠ ربيع الأول سنة ٥٣٥ هـ / أكتوبر ١١٤٠ م، وكان قد تولى الوزارة للحافظ ما يقرب من السنتين، وطرد من الوزارة على يد رضوان بن ولخشي.

(٣) راجع: صحيح، ج ٦، ص ٤٦١، انعاظ، ج ٣، ص ١٥٩.

(٤) انعاظ، ج ٣، ص ٧٥.

(٥) انعاظ، ج ٣، ص ٢٤٤.

(٥) انعاظ، ج ١، ص ٢١٧.

(٦) راجع الفصل الخاص بالأعياد الشيعية.

الأفضل فتلثم وتلثم جميع اغتكين والحاشية^(١) وأظهر الناس الحزن على الأفضل في حضرة الخليفة بالبكاء والعويل^(٢) وخرق كل أحد ما عليه، ورميت المناديل، يعنى العمائم، إلى الأرض^(٣).

وكان أهل الميت يجتمعون ليلة تشييع الجنازة لتلقى العزاء^(٤)، وإن كانت مظاهر العزاء تختلف من طبقة إلى أخرى، ومن أمثلة ذلك أن زوجة العزيز عند وفاتها أقامت ابنتها عند قبرها شهراً تقيم العزاء، والخليفة العزيز يأتيها كل يوم وتوزع على الناس الأطعمة والصدقات^(٥).

وكانت قراءة القرآن من مظاهر الترحم على الميت، فتتلى الآيات القرآنية أثناء غسل الميت وإعداده للدفن^(٦) كما كانت تلاوة القرآن تستمر على قبر الميت لمدة شهر^(٧) في بعض الأحيان حسب مكانة المتوفى الاجتماعية. وكان يقام احتفال في اليوم التالى للدفن يعرف "بالصبحة"^(٨) يجتمع فيه الناس للاستماع إلى تلاوة القرآن والترحم على الميت، وكان يتكرر نفس الاحتفال في اليوم الثالث للوفاة ويعرف "بالثالث"^(٩) وكانت القراءة والترحم على الميت تستمر طوال الشهر كما ذكرنا، وفي نهايته

(١) اتعاظ، ج ٣، ص ٦٣.

(٢) اتعاظ، ج ٣، ص ٦٣.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٩٠.

(٤) اتعاظ، ج ١، ص ٢٩٨.

(٥) اتعاظ، ج ١، ص ٢١٧، ج ٣، ص ٦٥.

(٦) اتعاظ، ج ١، ص ٢٨٩، ج ٣، ص ٦٩.

(٧) اتعاظ، ج ٣، ص ٦٧.

(٨) نفس المصدر السابق.

يقام عزاء كبير يعرف - بتمام الشهر^(١) ويستمر خلال الشهر توزيع الصدقات والأطعمة عند مقبرة المتوفى ترجماً عليه^(٢).

وكان من مظاهر الحداد على الوزراء وكبار رجال الدولة إغلاق الدواوين وتعطيل الأعمال عدة أيام^(٣) وأحياناً كانت تغلق الأسواق^(٤) ومن أمثلة ذلك أن الخليفة العزيز أمر بإغلاق الدواوين في الدولة ثمانية عشر يوماً حزناً على وفاة وزيره يعقوب بن كلس^(٥).

أما عن جناز النصارى: فكان المتبع في ذلك العصر أن يقوم بطريق الطائفة التابع لها الميت بغسل الميت وتجهيزه إذا كان من كبار الشخصيات. ويقوم بهذه المهمة أحد القساوسة إذا كان الميت من العامة^(٦). وكان الميت يخرج في تابوت ومن حوله المشيعون من النصارى يطلقون البخور، وتحمل طائفة أخرى الشموع الموقدة، ويغطي التابوت بثوب ثمين ورجال الدين يحيطون به وهم يرتلون. ومن أمثلة جناز النصارى في ذلك العصر، جنازة الطبيب أبى الحسن سهلان بن كيسان طبيب العزيز (توفى سنة ٣٨٠ هـ ٩٩٠ م) الذى خرجت جنازته من داره إلى كنيسة الروم بقصر الشمع وقد غطى تابوته بثوب منسوج بالذهب وحوله حملة الشموع يحملون خمسين شمعة موقدة وخلف التابوت يسير المطران والأطباء وعدد كبير من النصارى، وبعد أن تمت الصلاة عليه في الكنيسة طوال الليل دفن في دير

(١) العاظم، ج ٣، ص ٦٩.

(٢) العاظم، ج ٣، ص ٥٧.

(٣) ابن الصغرى، الإشارة، ص ٢٣، ابن الفلانى، ذيل، ص ٣٢.

(٤) العاظم، ج ١، ص ٢١٧.

(٥) راجع: مخطوط شرح لمعة، لوحة ٥ ب. مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٤.

(٦) العاظم، ج ٣، ص ٧٥.

القصر^(١). وحدث مثل ذلك في جنازة يعقوب بن سطاس النصراني طبيب الحاكم^(٢) وبهرام الأرمني وزير اخافظ^(٣).

وكل من عادة الناس زيارة المقابر في الأعياد والمواسم وليالى الوقود الأربع^(٤) للترحم على موتاهم وتوزيع الصدقات. ولكن الزيارة غالبا ما كانت تخرج عن الترحم وقراءة القرآن على المقابر إلى اللهو والمرح ونصب الخياد للاقامة فيها. فكان الناس يجتمعون بالقرافة على عاداتهم فى كثرة اللعب والمزاح^(٥) ولعل هذا ما دفع الحاكم فى سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م إلى إصدار أوامره بجمع النساء من نصب الخياد فى المقابر أيام الزيارة^(٦).

وكانت القرافة فى العصر الفاطمى تجمع بين غرضى الترفيه والتعبد، فكان بها عدد من القصور الفخمة والجوامع والمساجد^(٧) التى اعتاد أن يغشاها الناس فى أوقات التعبد والزيارة، وكان جماعة من كبار رجال الدولة الفاطمية يقضون لىالى الصيف فى جامع القرافة يتسامرون فى صحفه، وفى الشتاء ينامون عند المنبر ويحملون معهم كميات كبيرة من الأطعمة والأشربة وأصناف الحلوى، وكان هذا يحدث فى معظم مساجد القرافة، فكان الناس يتجمعون فى لىالى الجمع للمبيت فى القرافة من أجل ما يحمل إليها من "الحلاوات واللحومات والأطعمة"^(٨) حيث يحصلون على نصيب وافر من هذه الأطعمة.

(١) ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء، القاهرة، ١٢٩٩ هـ. ج ٢، ص ٨٩.

(٢) راجع: اتعاط، ج ٢، ص ٧٠.

(٣) راجع: اتعاط، ج ٣، ص ٧٥.

(٤) خطط، ج ٢، ص ٤٥٠، ص ٤٥٣.

(٥) اتعاط، ج ٢، ص ٨٩.

(٦) اتعاط، ج ٢، ص ٧٦.

(٧) راجع: خطط، ج ٢، ص ٤٥٢، ٤٥٣.

(٨) خطط، ج ٢، ص ٤٤٤.

وكانت هذه المجالس لا تخلو بجانب التعبد من الطرب والمرح^(١) وقد اعتاد الخليفة الأمر النزول في قصر القرافة الذى بنته السيدة تغريد أم العزيز سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م، وكان قد أضاف إلى هذا القصر مصطبة للصوفية. فيجلس فى شباك بالمنظرة التى بناها بأعلى القصر ليشاهد الصوفية وهم يرقصون أمامه^(٢).

(١) وفى هذا يقول أحد الشعراء:

إن القرافة قد حوت ضدين من دينا وأخرى فهى نعم المنزل
يفشى الخليج بها السماع مواصلا ويطوف حول قبورها المتل

خطط، ج ٢، ص ٤٤٤.

(٢) خطط، ج ٢، ص ٤٥٣.

الفصل الخامس

اللهو والطرب ووسائل التسلية

أولاً : الغناء والموسيقى.

ثانياً : الألعاب ووسائل التسلية:

١ - النرد والشطرنج.

٢ - الملاهى والألعاب.

٣ - خيال الظل.

ثالثاً : الصيد والقنص.

أولاً: الغناء والموسيقى:

انتشر الغناء والطرب في عصر الدولة الفاطمية بين كافة طبقات المجتمع المصرى ولعل هذا الذبوع راجع إلى تشجيع الخلفاء وكبار رجال الدولة على هذا الاتجاه، فلم يكن يخلو مجلس من مجالسهم الخاصة ومآذبهم المتعددة من سماع الغناء والموسيقى ومشاهدة فنون الرقص والألعاب المسلية، بالإضافة إلى كثرة الأعياد التي كان من أهم مظاهر الاحتفال بها الخروج إلى المتنزهات للانطلاق والمرح وما يصاحب ذلك من أنواع الملاهي والغناء والعرف.

وقد جذب انتشار الموسيقى والغناء في هذا العصر المؤرخ المشهور عز الملك المسبحي (ت ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م) إلى تأليف كتاب في هذا الفن بعنوان "مختار الأغاني ومعانيها"^(١) وقد صور الفاطميون العديد من مظاهر ما يدور في مجالسهم من الغناء والرقص على جدران قصورهم وحفروها على أبوابها ورسموها على قطع الخزف التي كانوا يستعملونها، كما عبر عنها الفنانون بطرق متعددة، ومازالت الآثار المتبقية من العصر الفاطمي تنطق بتلك المعاني، وتوجد في دار الآثار العربية مجموعة من التحف الخشبية الثمينة مصدرها القصر الفاطمي الغربي، صور فيها الفاطميون مجالسهم المرحية وما كانت تحويه من غناء وطرب وشراب، ومن المناظر المنقوشة على تلك الآثار نقش يمثل أميراً جالساً على أريكة ويحمل كأساً في يده اليمنى، وزهرة في يده اليسرى، وإلى يساره الساقى يصب له الشراب في كأسه، كما توجد رسوم المطربين والمطربات وهم يعزفون على الآلات الموسيقية^(٢)، وتدل بعد تلك الآثار

(١) راجع: فارمر، مصادر الموسيقى العربية، ترجمة حسين نصار، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٧٤.

(٢) زكى حسن، كنوز الفاطميين، لوحة ٤٧، أحمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها،

ج ١، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٦، لوحة ٣.

على أن الرقص لم يكن قاصراً على النساء فقط، بل توجد رسوم لصور الراقصين، كما توجد رسوم تمثل رقصة عسكرية بين رجلين يحمل كل منهما سلاحه وكانهما في معركة^(١). ونلاحظ في إحدى القطع الخشبية نقش لاثنتين من الضازين على العود، وحولهما أشخاص يرقصون رقصاً توقيعياً^(٢).

وتوجد العديد من صور الراقصات على القطع الخزفية التي ترجع إلى العصر الفاطمي، فعلى طبق خزفي صورة لراقصة ترتدي ثوباً طويلاً الأكمام وسروالاً واسعاً وفي يديها منديلين طويلين لإبراز حركاتها في الرقص وقد ألقت على كتفها بشال^(٣) وعلى جزء من شباك قلة فخار رسم راقصة تبدو شبه عارية^(٤) وعلى قطعة ماثلة صورة راقصة عارية تماماً^(٥) مما يوحي بأن الراقصات كن يرقصن عاريات في بعض الأحيان.

ومن صور العازفين نرى ذلك على طبق من الخزف يمثل سيدة تعزف على آلة ذات وترين تشبه القيثارة^(٦) كما يوجد على حشوة من العاج رسم يمثل عازفاً على الناي^(٧) كما عثر على تمثال صغير من البرونز يرجع للعصر الفاطمي يمثل امرأة تضرب بالدف^(٨) وكان للعامة شغف بسماع الغناء

(١) راجع: زكي حسن، نفسه، ص ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٤، ٢٠٥، دليل متحف الفن الإسلامي، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٢٨.

(٣) الفن الإسلامي في مصر (٩٦٩-١٥١٧م) دليل لوزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٩.

ص ١٦٠.

(٤) المرجع السابق ص ١٧٣.

(٥) المرجع السابق ص ١٧٤.

(٦) المرجع السابق ص ١٥٧.

(7) Wiet: Album du musee Arabe du oaire, Cairo, 1930, Plate 38.

(8) Wiet, Op. Cit., Plate 40.

والطرب والإقبال على مجالس الأنس والبهجة وكانوا يعبرون عن هذا الشغف في المواسم والأعياد التي تعددت في الدولة الفاطمية، فكان الناس يخرجون في تلك المناسبات إلى المتنزهات المنتشرة في ضواحي القاهرة والفسطاط ويقيمون السرايدات والخيام ومعهم أهلهم وأولادهم وبصحبتهم المغنيات والراقصات ويقضون وقتهم في تناول الطعام والشراب والاستماع إلى فنون الغناء والموسيقى، ويقضون عدة ليال على تلك الحال فكانوا ينامون في أماكنهم ليواصلوا احتفالاتهم في اليوم التالي^(١) وكان موسم فيضان النيل من أجل المواسم في مصر وأحسنها، فتغمر أرض مصر الزهور والورود الزاهية، وتصبح متنزهاتها في أبهى صورة و" يطرقتها أهل الخلاعة والقصف ويتناوبها ذور الآداب والظرف"^(٢).

وكانت في مصر متنزهات تشتهر بجماها الأخاذ، منها بركة الحبش التي كانت محط أنظار الشعراء والأدباء وعشاق اللهو والطرب، وكان الأمير تميم بن المعز يملك قصرًا وبساتين تطل عليها^(٣) وجرت عاداته أن يجتمع بأصحابه في تلك الرياض ويختلط بعامة الناس ويقدم إليهم الطعام والشراب على سبيل الهدية وقد عبر عن حبه لهذه المنطقة في أشعاره^(٤)

(١) راجع: خطط، ج ٢، ص ١٥٤، ١٥٥.

(٢) راجع: أبو الصلت، الرسالة المصرية، ص ١٩، ٢٠.

(٣) خطط، نفس المصدر والصفحات.

(٤) وقد عبر تميم عن ذلك في ديوانه كثيرا ومنها على سبيل المثال:

قد اجمع البستان والروض الخمر . . . وحركت الأوتار وارتفع الزمر
فيا لك لا تغدو إلى السراح غدوة . . . ييحك فيها كل ما تشهى السكر

(راجع: ديوان تميم، ص ١٦٣، راجع أيضا: ص ١٦٩).

وللشاعر أبي الصلت أيضاً أشعار في بركة الحبش تعبر عما فيها من مطاهر
الجمال والحسن^(١).

وكانت توجد مجموعة من الأديرة تطل معظمها على النيل يقصدها الناس
للتنزه حيث تعقد مجالس الطرب والغناء والرقص والشراب، من تلك الأديرة
دير نهيا بالجيزة^(٢) ودير طرا القريب من بركة الحبش الذي كان لا يخلو من
قصب وشرب^(٣) ودير شهران وكان به قصر للخليفة الحاكم يقيم فيه عند
خروجه للتنزه والصيد^(٤).

ومن أشهر تلك الأديرة، دير القصر الواقع في أعلى جبل المقطم مطلاً
على الصحراء والنيل وتحيط به البساتين والحدائق الزاهرة، وكان ملتقى أهل
الطرب واللهو، وقصده الشعراء وأبدعوا في وصف جماله ومجالسه الصاخبة^(٥).

وكان من عادة الخلفاء الفاطميين الخروج إلى قرية الخلقانية في ضواحي
قليوب للتنزه لما تشتهر به تلك القرية من انتشار حدائق الزهور بها، وكانت
من ممتلكات الفاطميين الخاصة وتمد القصر بحاجته من الزهور التي تستخدم في

(١) من ذلك قوله:

فه يومسى بركة الحبش . . والجو بين الضياء والغش
والنيل تحت الرياح مضطرب . . كصارم فى عين مرتعش
فماضى الراح إن تاركهها . . من سورة الغم غير مرتعش
(راجع: الرسالة المصرية، ص ٢١، على بن ظافر، بدائع البدانة، ص ٣٢).

(٢) راجع: الشابستى، الديارات، بغداد، ١٩٥١، ص ١٩١، ابن فضل الله العمري،
مسالك الأبصار، ج ١، تحقيق دكتور أحمد ذكي، القاهرة، ١٩٢٤، ص ٣٦٢.

(٣) العمري، نفسه، ص ٣٧٣.

(٤) تاريخ أبى صالح الأرمي. ص ٦٠.

(٥) راجع: ديوان نعيم، ص ٤٤ - ٤٧، ص ٤٤٣، الشابستى، الديارات، ص ١٨٤.

الموارد والحمامات وخزانة الكسوة^(١) وغيرها، وكان يجري بتلك القرية في موسم كثرة الزهور احتفالاً كبيراً يحضره الخليفة بنفسه، فيعمل بتلك المناسبة قصر فخيم كله من الورد على هيئة متناسقة من الفن والجمال، ويقضى الخليفة يومه في التزهة في ضواحي القرية ثم يشاهد القصر وخلال ذلك تجرى الاحتفالات بتقديم فنون الغناء والطرب والتسلية بحضرة الخليفة^(٢).

وكان الخلفاء الفاطميون وكبار رجال دولتهم يقبلون على الغناء والطرب وسماع الموسيقى ولا تخلو مجالسهم من تلك المظاهر، فقد عرف عن الخليفة العزيز شغفه بالاستماع إلى الغناء ومشاهدة الألعاب والملاهي، وكانت له جماعة من الجوارى الحسنات والراقصات المبدعات يلازمنه في أوقات خلوته ويقضى معهن أوقاتاً مريحة وهو يحتسى الخمر ويشاركهن العزف والغناء. ويغفق عليهم بسخاء فكان ينثر عليهن في نهاية مجلسه نفيس الجوهر والأحجار الثمينة^(٣).

وكان برجوان وصي الحاكم يقبل على سماع الغناء والموسيقى شديد الشغف بذلك، وكان يجمع بداره المغنين من الرجال والنساء وتبسط معهن ويكون معهم كأحدهم^(٤).

وقد اتسم عهد الخليفة الحاكم بأمر الله بالتطرف في العديد من مظاهر الحياة الاجتماعية، فأصدر عدة قرارات بمنع الناس من الغناء أو الاستماع إلى الأغاني، وأمر بكسر سائر ما يعثر عليه من آلات الموسيقى وإحراقها، والنهي عن بيع المغنيات، ثم أصدر أوامره بنفى "سائر المغنين وأصحاب الملاهي"^(٥).

(١) خطط، ج ١، ص ٤٢٢، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٢٤.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٨٨، اتعاض، ج ٣، ص ٩٦.

(٣) راجع: الذخائر والتحف، ص ١٣، ١٤.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤، اتعاض، ج ٢، ص ٢٦.

(٥) راجع: تاريخ الأنطاكي، ص ٢٠٠، ٢٠٢، ابن سعيد، النجوم، ص ٦٢.

ورغم هذا الموقف فإن طبيب الحاكم الخاص يعقوب بن نسطاس استطاع إقناع الحاكم بأهمية شرب النبيذ وفوائده الصحية، فاستجاب الحاكم لمشورته وأخذ يتعاطى الخمر. واستدعى مجلسه جماعة من المغنين وأصحاب الملاحى وكان يشرب على غنائهم وتبسط معهم وأحسن إليهم^(١).

والمعروف أن ابن نسطاس أنه كان محباً للخمر حتى أن وفاته كانت بسبب سقوطه فى بركة ماء وهو سكران^(٢)، والواضح أنه رغب فى جذب الحاكم إلى شرب الخمر حتى لا يحرم منها طبقاً لقرارات الحاكم فى هذا الشأن. وكان ابن نسطاس بالإضافة إلى ذلك بارعاً فى الموسيقى ويجيد الحكم على الأصوات والألحان التى يستمع إليها. ويصفه المقرئى بقوله "ما يغنى له قط صوت إلا حفظه، ولو غناء مائة مغن فى مجلس واحد حفظ سائر ما غنوه وتكلم على ألحانها وأشعارها وكانت له يد فى الموسيقى"^(٣).

وأباح الخليفة الظاهر كل ما منحه والده، وأقبل الناس فى عهده على شرب الخمر واللهو وسماع الأغانى والاستغراق فى لذاتهم^(٤)، ويبدو أن ذلك كان تعويضاً لفترة الحرمان التى عانى منها الخاضعة والعامة فى عهد الحاكم. والواقع أن الخليفة الظاهر نفسه قضى مدة حكمه مشغولاً بملذاته مقبلاً على مجالس الغناء والطرب، فتأنق الناس فى أيامه بمصر، واتخذوا المغنيات والراقصات، وبلغوا من ذلك مبلغاً عظيماً^(٥)، ولم يتورع البعض عن إظهار تلك الأمور حتى فى الشهور التى اعتادت الدولة الفاطمية أن تترهبها من مظهر

(١) تاريخ الأنطاكي، ص ١٩٢.

(٢) اتعاظ، ج ٢، ص ٧٠.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٧٠.

(٤) تاريخ الأنطاكي، ص ٢٣٨، اتعاظ، ج ٢، ص ١٢٩.

(٥) خطط، ج ١، ص ٣٥٥.

الخلاعة والإثم: وهى شهر رجب وشعبان ورمضان، مما دفع الخليفة الظاهر إلى اغماظة على مظهر الخلافة الإسلامى، فأصدر سجلاً فى رجب سنة ٤١٤ هـ أكتوبر ١٠٢٣ م^(١) برفع المناكير وترك التظاهر بشئ منها، وأن تنزه هذه الأشهر الشريفة من المناكير وألا يجتمع الناس كما كانوا يجتمعون بالجزيرة والحيزة والقرافة على شئ منها ومن المحظورات، وأن يمنع الغناء ظاهراً^(٢).

وكانت الجوارى المغنيات المدربات فى القصور الفاطمية من الهدايا النفسية التى تهذى إلى كبار رجال الدولة وعمال الولايات، فقد أهدى الظاهر عدداً من مغنيات القصر إلى والى ضقلية سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م^(٣) كما يروى صاحب الذخائر والتحف أن الظاهر أرسل هدية إلى المعز بن باديس والى المغرب سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م من بينها^(٤) حسان الجوارى المغنيات والراقصات المقتات^(٥).

وكانت مجالس الخليفة المستنصر لا تخلو من مظاهر الغناء والطرب، وقد اشتهر فى عهده عدد من المغنيات والمغنين، ومن أشهر المغنيات فى عهد المستنصر^(٦) نسب الطبالة^(٧) ويصفها المقرئى بأنها^(٨) طبالة المستنصر^(٩). وكانت من عاداتها الوقوف تحت القصر الفاطمى الكبير فى المواسم والأعياد ومعها فرقتها لتزديد الأغاني فى تلك المناسبات السعيدة، وتسمر فى ركاب الخليفة أيام المراكب ومن حولها فرقتها وهى تضرب بالطل وتنشد الأغاني^(١٠).

(١) اتعاط، ج ٢، ص ١٣٥.

(٢) نفسه، ص ١٣٦.

(٣) الذخائر والتحف، ص ٧٠.

(٤) خطط، ج ٢، ص ١٢٥.

(٥) خطط، نفسه، اتعاط، ج ٢، ص ٢٥٤.

وعندما ورد الخبر إلى مصر باستيلاء أبي الحارث البساسيري^(١) على السلطة في بغداد وإقامة الدعوة للخليفة المستنصر سنة ٤٥٠ هـ - ١٠٥٩ م عمت الأفراد البلاد وأقبلت نسب الطبالة وغنت بين يدي المستنصر وهي تضرب بدف في يدها:

يا بنى العباس ردوا ملك الأمير معمد
مسلحكم ملك معمار والعساورى تسرد^(٢)

فأعجب المستنصر بهذه الأبيات. وقال لها غنى. فسألت الخليفة أن يقطعها الأرض المجاورة للمقس، فاستجاب الخليفة لرغبتها وأصبحت تعرف منذ ذلك الوقت بأرض الطبالة نسبة إليها^(٣).

ومن اشتهر بالغناء في عهد المستنصر ابن ميسرة الكتامي الذي كان يغنى في مجالس المستنصر^(٤) ومن أسهر الملحنين في ذلك العصر أبو الحسن بن الطحان الذي كان قمة في صناعة التلحين فقد لحن معظم الأغاني التي شاعت في مصر آنذاك، وكان الوزير اليازوري يجعله ويقدره وأسند إليه مهمة تعليم

(١) هو أبو الحارث أرسلان البساسيري أحد قادة الأتراك في الدولة العباسية وكند على عداء مع الخليفة العباسي القائم بأمر الله. ونيل إلى الدعوة الفاطمية، وأعلن عن رغبته في إقامة الدعوة للفاطميين في بغداد، وقد تمكن بفضل جهود الداعي هبة الله الشيرازي وما قدمه له المستنصر من مساعدات من الانتصار على العباسيين ودخل بغداد سنة ٥٤٠ هـ / ١٠٥٩ م وأقام الدعوة للخليفة المستنصر على منابرها.

(راجع: ابن الصيرفي، الإشارة، ص ٤٤، انعاظ، ج ٢، ص ٢٥٢، ٢٥٣).

(٢) راجع: ابن ميسر، أخبار مصر، ص ١٠، النويري، مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٦٥.

(٣) راجع: ابن ميسر، أخبار مصر، ص ١٠، ابن دقماق، الانتصار، ج ٥، ص ٤٣.

النجوم، ج ٥، ص ١٢.

(٤) خطط، ج ٢، ص ٤٤٨.

جواريد الغناء والموسيقى. ولأن الطحان كتاب فى التلحين والغناء اسمه جامع
الغناء وسلسلة الغناء، فى ذكر الغناء والمغنين^(١).

وكان الخليفة الفاطمى الظاهر مقلداً على سماع الغناء كثير اللهو واللعب
والشغف بالجوارى الحسن^(٢) كما عرف الوزير الأفضل حبه للترف وإقباله فى
مجالسه على سماع الغناء والموسيقى واقتناء الجوارى المغنيات والراقصات^(٣).
وأنشأ قصرًا وحدائق فى الجزيرة أطلق عليها الروضة وكان يزدد على المكان
فى المراكب ومعه حاشيته حيث تعقد مجالس الغناء والطرب. وصارت الجزيرة
كلها منذ ذلك الوقت تعرف بالروضة^(٤).

واشتهر الخليفة الفاطمى الأمر بحبه للهو والعزف والغناء، واعتاد الخروج إلى
بساتينه بمظاهر القاهرة ثلاث أيام فى الأسبوع وكان الناس فى يوم ركوبه يخرجون
من القاهرة ومعهم طعامهم وشرابهم للاحتفال به والتطلع إلى مركبه وكان يوم
عيد^(٥) وكان يقتنى الجوارى اللاتى يجدن فنون الغناء والرقص والموسيقى^(٦).

وقد عبر شعراء العصر الفاطمى فى أشعارهم عن الكثير من مظاهر الحياة
الفنية وخاصة ما يتعلق بالغناء والطرب ووصف الآلات الموسيقية والراقصات
ومن أمثلة ذلك ما ذكره الشاعر السكندرى ابن قلاؤس^(٧):

(١) راجع: ابن سعيد، النجوم، ص ٣١٥.

(٢) ابن خلكان، ج ١، ص ٧٧، ٨٧، اتعاط، ج ٣، ص ٢٠٩.

(٣) النويرى، مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٨٣، اتعاط، ج ٣، ص ٧١.

(٤) خطط، ج ٢، ص ١٨١.

(٥) اتعاط، ج ٣، ص ١٢٩.

(٦) راجع: نجوم، ج ٥، ص ٢١٨.

(٧) نصر الله بن عبد الله بن قلاؤس من أهل الإسكندرية وتوفى بعيداً عن عودته من
اليمن سنة ٥٦٣ هـ.

(راجع: الخريدة، قسم شعراء مصر، ج ١، ص ١٤٥).

وممن تناولت يده العود . . . فعادت بنسب الأفراح
جس أو تساره فأصلح منا . . . صاحباً صار في يد الإصلاح^(١)

وكان الشعراء يوجهون النقد إلى أهل الغناء والموسيقى إذا لم يتقنوا
صناعتهم أو دخل فيها من ليس أهلاً لهذا الفن، ومن ذلك قول ابن قلاقس يذم
مغنياً موسيقياً:

ينافر إيقاعه صوتيه . . . فهذا يزيد وذا ينقص
ويتبعه زامر مثله . . . تبع له نفس أوقص^(٢)
فإن قام ما بيننا راقصاً . . . فكل إلى يته يرقص^(٣)

ووصف الشعراء اتقان الرقصات وخفة حركاتهن، ومن أمثلة ذلك ما
ذكره الشاعر الفاطمي محمد بن هاني^(٤):

ولطيفة في الرقص يعطف قدها . . . كتعطف اليزنية السماء
تخص بالحركات منها سرعة . . . كتخصص الأرواح بالأعضاء
خفت فلو رقصت بأعلى لجة . . . ما بل أحصها حبات الماء^(٥)

وكان بعض الشعراء يجمع بين موهبة قرض الشعر واتقان العزف على
الآلات الموسيقية والغناء، ومن أمثلة من اشتهر في هذا المجال الشاعر المصري

(١) الخريدة، ج ١، ص ١٤٥.

(٢) أوقص: قصر.

(٣) يرقص: يسرع، راجع: الخريدة، ج ١، ص ١٦٢.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأزدي الأندلسي، ينسب إلى ابن هاني الأندلسي.

كان مقيماً في مصر، وتوفي قبل سنة ٥٦٠ هـ. (راجع الخريدة: ج ١، ص ٢٤٨).

(٥) الخريدة: ج ١، ص ٢٦٢.

قمر الدولة ابن دواس الذي وصفه الخريدة بأنه "صاحب نوادر ومضاحك. يلعب ويطرب، ويشعر ويكتب، ويغنى بالعود ويضرب، إن لعب بالشطرنج فاق، أو بالنرد راق. أو ضرب بالبربط، انشرح القلب الذي ضاق"^(١).

ثانياً: الألعاب ووسائل التسلية:

١ - النرد والشطرنج:

من وسائل التسلية التي كانت منتشرة في مصر في العصر الفاطمي النرد وهي لعبة ذات أصل فارسي^(٢) وتشبه في تكوينها وطريقة لعبها ما يطلق عليه العامة في وقتنا الحالي "الطاولة" وكان يمارس لعب النرد العامة والخاصة فكان أمراء المصريين ورجال الأدب والشعراء يهرون لعب النرد والشطرنج^(٣).

ويبدو أن النساء كان هن ولع بهذه الألعاب في البيوت والقصور، لقضاء وقت الفراغ الطويل الذي كان من سمات حياة المرأة في تلك العصور.

(١) راجع: الخريدة، ج ٢، ص ٢١٨، ٢١٩، وقد ترجم له ابن سعيد، وقال عنه أنه من أمراء المصريين وأصحاب الألقاب في الدولة العبيدية، وكان حياً سنة ٥١٨ هـ. (راجع: ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص ٢٢٤ - ٢٢٦).

(٢) وقد صنع النرد مثلاً للدنيا وتقليها بأهلها واختلاف أمورها، فرتبت الرقعة اثني عشر بيتاً بعدد شهور السنة، وجعل قطع اللعب ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر، وجعل الفصين بمثابة الأفلاك ورميها مثل تقليها ودورانها والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة كل وجهين فيها سعة، وما يأتي به اللاعب من رمي الفصين من أعداد كالتقضاء والقدر، تارة له وتارة عليه وهو يحرك قطع اللعب طبقاً لما جاء به الفصين، وأن القطعة والخبر لا تجدى اللاعب إلا إذا أسعده الحظ أو القدر. ولكن يمكن لمن يملك بعد النظر أن يتحايّل على خصمه حتى ينال منه ويهزمه.

(راجع: السعدي، مروج الذهب، ج ١، ص ٨٠، صبح، ج ٢، ص ١٤٨، ١٤٩).

(٣) راجع: الخريدة، ج ٢، ص ٢١٨، ٢١٩.

وقد وجد في تركة السيدة عبدة ابنة الخليفة المعز عند وفاته - من الشطرنج والنرد اعمولة من سائر أنواع الجوهر والذهب والفضة والعاج والانسوس براقع الخرب والمذهب ما لا يحصى كثرة ونفاة^(١).

كما كان اللعب بالشطرنج^(٢) منتشراً في مصر الفاطمية، ولكن يبدو أنها أخذت طابع المقامرة أو اشغل الناس بلعبها عن أداء أعمالهم. فقد أصدر الحاكم قراراً في سنة ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م بمصادرة ما يعثر عليه من رباغ الشطرنج، فجمع منها أعداداً كبيرة وأحرقها^(٣) وفي العام التالي - قبض على جماعة بسبب اللعب بالشطرنج وضربوا وحسوا^(٤).

ولا يأتي ذكر لمثل هذا الخطر إلا في عهد الحاكم مما يوضح أن النرد والشطرنج كانا منتشرين في عهود غيره من الخلفاء كوسيلة من وسائل التسلية.

٢ - الملاهي والألعاب:

من الألعاب الطريفة التي كانت منتشرة في العصر الفاطمي ويقبل على مشاهدتها العامة والخاصة، الحواة الذين يلعبون بالنعابين وغيرها من الزواحف طبقاً لميلتهم وسيطرتهم عليها، وكان لهم في ذلك فن ومقدرة كبيرة وكان بعض كبار الشخصيات لهم هواية جمع الأفاعى والحيات، وكان الحواة في مصر يصيدون الحيات الضخمة، ويتباهون فيما بينهم بأحجامها وبالنادر من أجناسها ويعرضون ألعابهم في المجالس الخاصة^(٥).

(١) خطط، ج ١، ص ٤١٥، اتعاط، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٢) الشطرنج من أصل هندي، راجع تفاصيل تكوينها وصناعتها.

(المسعودي، مسوح الذهب، ج ١، ٨٠، ٨١، صبح، ج ٢، ص ١٥٠، ١٥١)

(٣) اتعاط، ج ٢، ص ٩٠.

(٤) اتعاط، ج ٢، ص ٩٤.

(٥) اتعاط، ج ٢، ص ٣١٩.

وقد عرف القصر الفاطمي أنواعاً متعددة من الملاهي والألعاب المسلية والهزليات، فكانت هناك فرقة هزلية مهمتها التهريج والاضحاك والقيام ببعض الألعاب التي تدخل السرور والبهجة على الخليفة وأفراد الحاشية وكانت تلك الفرقة تعرف - بالضاحكية^(١) - وكانت ترجع في أصلها إلى المغرب ومعظم أفرادها من المغاربة الذين صحبوا المعز عند حضوره إلى مصر^(٢) وقد استمرت في القيام بدورها بعد أن انضم إليها عناصر أخرى من المضحكين. وكان يشرف على فرقة الضاحكية أحد الأمراء المرموقين في الدولة، ويوصف المقرئ هينة أفراد الفرقة والمناسبات التي يقدمون فيها ألعابهم بأنهم - يلبسون الناديل، ويرخون العذب، ويلبسون الثياب بالأكمام الواسعة، وفي أرجلهم الصاجات، وفي الأعياد يشدون أوساطهم بالعراضي الديبقي، ولا يتقدمهم أحد إلى الخليفة على ما جرت به عادتهم في المغرب^(٣).

ومن الألعاب المسلية التي كانت تجرى في القصر، ما كانت تقوم به الحيوانات المدربة على ألعاب التسلية التي يمكن تشبيهها بما يقدم في ألعاب - السرك - حديثاً ويسرى صاحب الذخائر والتحف أن ملك الروم أهدى إلى الخليفة المستنصر في سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م هدايا جلييلة من جملتها - دياب عظام تلعب بالملاهي^(٤) - كما كانت الفيلة من الحيوانات المدربة على الألعاب المسلية وكانت لها في خزائن القصر أجلة من الحرير المذهب^(٥) ترتديها في المراكب وعند قيامها بألعاب التسلية، وكان الفاطميون يهتمون باستيراد الفيلة

(١) اتعاط، ج ٣، ص ٥٧

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

(٤) الذخائر والتحف، ص ٧٦

(٥) اتعاط، ج ٢، ص ٢٨٤

من مواظبتها وترتيبها^(١) كم كانت ترد إلى القصر الفاطمي الحيوانات من الأقطار المختلفة^(٢) وكان بالقصر مدربون وظيفتهم تدريب تلك الحيوانات على اللعب بالماهي، ومن أمثلة ذلك شيخ يدعى "الابرار" كان موجوداً في عهد الخليفة الحاكم، مهمته تدريب القروود على ألعاب الإضحاك وشفع الخارجين على الدولة أثناء موكب التشهير بهم، وكان القرد المدرب يركب مع المشهر به على جمل ويضربه أثناء الطريق بكرة في يده بين صيحات الجماهير وضحكاتهن وكان لذلك المدرب أجر ثابت من الدولة^(٣).

٣ - خيال الظل^(٤):

عرف العصر الفاطمي التمثيلات الضاحكة الهزلية وذات الموعظة واليأس في فن خيال الظل، الذي ترجع جذوره التاريخية في مصر إلى ذلك العصر فيروى صاحب مطالع البدور أن صلاح الدين الأيوبي خلال توليه وزارة العاضد أخرج من القصر الفاطمي من "يعانى خيال الظل ليفرجه (للقاضى الفاضل) فقام الفاضل، فقال له صلاح الدين: إن كان حراماً فما تحضره. وكان حديث عهد بخدمته قبل أن يلي السلطنة، فما آثر أن يتكدر عليه، فقعد إلى آخره، فلما انقضى ذلك قال له السلطان: كيف رأيت ذلك؟ فقال: موعظة عظيمة، رأيت دولاً تضي ما كانها، ودولاً تأتي، ولما طوى الأزارطى السجل للكتاب، إذ باحرك واحد، فأخرج هذا الجد في هذا الهزل"^(٥).

(١) راجع: أخبار الدول المنقطعة. لوحة ٥٢.

(٢) راجع: الذخائر والتحف، ص ٧٤، انعاظ، ج ٢، ص ١٢٤، ١٤٣.

(٣) راجع: أخبار الدول المنقطعة. لوحة ٥٧، ٥٨، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٥٤.

(٤) المقصود بخيال الظل الصورة الظلية التي يعكسها الخيال المادي للشخص من الدمى التي تقوم بالأدوار أمام الضوء الخلفي. فيشاهدنا النظارة وكثرتها خيالات تتحرك أمامهم.

(٥) راجع: إبراهيم حمادة. خيال الظل و تمثيلات ابن دانيال. القاهرة. ١٩٦٣. ص ١٥، ١٦.

(٥) الغزولي. مطالع البدور. ج ١. ص ٧٨، ٧٩.

وهي أول إشارة واضحة عن وجود فن خيال الظل فى مصر الإسلامية وهذه الإشارة تدل على أن هذا الفن كان له أصالة وعراقة فى العصر الفاطمى ولم يكن يكتفى بعرض الهزليات والمضحكات وهى سمة حياة القصور التى تتسم بالبذخ والثراء، ولكنه اشتمل على تمثيلات تاريخية

جادة، يدل على ذلك قول القاضى " رأيت دولاً تمضى ما كأنها كانت ودولاً تأتى " وأن اعجاب صلاح الدين الأيوبى والقاضى الفاضل بتمثيلات خيال الظل يدل على أن هذا الفن قد وصل فى العصر الفاطمى إلى درجة من التطور كانت له نصوص تمثيلية جيدة تشجع على المشاهدة^(١).

فكانت توجد فى القصر الفاطمى فرق ظلية تقصر نشاطها على عرض فنونها لتسلية الخليفة وأسرته ورجال الحاشية، ومن المحتمل أن هذا الفن قد لعب دوره السياسى والدينى فى الترويج للدعوة الفاطمية^(٢).

ويروى المقرئى أنه كان يوجد بالقصر الفاطمى " مجلس اللعبة " ^(٣) ويبدو أن هذا المجلس كان مسرحاً لآلعب خيال الظل وغيره من أنواع الفنون والملاهى التى كانت تعرض فى القصر.

ولم يكن خيال الظل فناً ملكياً مخصصاً للقصر وأهله، بل كانت هناك العديد من الفرق الخيالية المتنقلة التى تعرض فنونها وتمثيلاتها بين الناس فى أماكن تجمعهم وخاصة فى الأعياد والمواسم، ويبدو أن الدمى المشتركة فى الخيال كانت تخرج فى المراكب وأمام الأسمطة بوجه خاص ليتفرج عليها الناس ويسرروا بأشكالها المعبرة، وهناك العديد من الإشارات إلى هذا الأمر فى المصادر

(١) راجع: إبراهيم حمادة، خيال الظل، ص ٤٠، ٤١.

(٢) إبراهيم حمادة، خيال الظل، ص ٤١.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٦٣.

التاريخية فكان سماء عيد الفطر في الدولة الفاطمية يخرج على العادة في نهاية رمضان في حراسة صاحب الشرطة ويشق به البلد "بالخيال والطبالين"^(١) كما يروى المقرئ في حوادث سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م في عهد الخليفة الحاكم أنه حمل سماء عيد التحر يوم التاسع من ذي الحجة على عادته، غير أنه أبطل منه الملامح والخيال واللعب الذي كان يعمل في كل سنة^(٢).

كما كانت توجد في عهد الخليفة الفاطمي الأمر فرقة تمثيلية تعرف "بالرمادية" كانت تلعب في مجلسه وفي المناسبات المختلفة "بالتماثيل والمضاحك والخيال والحكايات"^(٣).

والنص واضح في أن تلك الفرقة كانت تستخدم الدمى أو الشخصيات في تقديم فنونها من الهزليات والقصص المختلفة عن طريق خيال الظل. وكانت فرق الخيال تخرج في مناسبات الأعياد والاحتفالات المختلفة لتعرض فنونها أمام العامة الذين يحشدون للفرجة والاستمتاع^(٤) ويبدو أن التمثيليات كانت تأخذ في تلك الحالة طابع الهزليات للترويح عن الناس، وجذب قلوبهم إلى طاعة الدولة والولاء لها.

ومن الألعاب التي كانت منتشرة في العصر الفاطمي بين كبار رجال الدولة والأمراء لعبة الكرة، فيروى المقرئ أن الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل خرج في المحرم سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م إلى الميدان بالبستان الكبير

(١) اتعاض، ج ٢، ص ١٦٠.

(٢) اتعاض، ج ٢، ص ٧٩.

(٣) خطط، ج ١، ص ٢٠٧.

(٤) راجع: اتعاض، ج ٢، ص ١٤٤ - ١٤٦.

خارج باب الفتح من القاهرة للعب بالكرة على عادته^(١). كما كان
 ضرغام وزير الخليفة العاضد يجيد اللعب بالكرة^(٢). وكانت هذه اللعبة لها
 رسوم وتقاليد في الدولة الأيوبية. ومن عادة السلطان والأمراء وكبار رجال
 الدولة الخروج في موكب كبير مرة في الأسبوع كل يوم سبت ثلاث مرات
 متوالية بعد وفاء النيل لممارسة هذه اللعبة^(٣). إلا أن موزعي الدولة الفاطمية
 قد أغفلوا ذكر تفاصيل هذه اللعبة ورسومها في العصر الفاطمي. ولكن
 النصوص التي رجعنا إليها تدل على أنها كانت منتشرة في ذلك العصر منذ
 بدايته. فيروى المقرئ أن الخليفة العزيز - أول من ضرب بالصولجة -^(٤)
 والمعروف أن من أدوات هذه اللعبة الصولجان الذي تضرب به الكرة. وهو
 عبارة عن عصا مدفونة برأسها خشبة معقوفة^(٥).

ومن الألعاب التي كان الخليفة الحاكم يهوى مشاهدتها القفز إلى الماء من
 مكان مرتفع. وكان يخصص للفائزين في هذه الرياضة هبات مالية^(٦).

كما كانت رياضة التحطيب من الألعاب المنتشرة في العصر الفاطمي.
 يدل على ذلك ما وجد على طبق من الخزف يرجع للعصر الفاطمي يزين باطنه
 رسم رجلين يتبارزان بالعصا^(٧).

(١) راجع: نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٨٨، ابن سعيد، النجوم، ص ٤٨، انعاظ، ج ٣، ص ١٤٣.

(٢) انعاظ، ج ٣، ص ٢٧٤.

(٣) صح، ج ٤، ص ٤٧.

(٤) خطط، ج ٢، ص ٢٨٥.

(٥) راجع: صح، ج ٤، ص ٤٧، ح ٥، ص ٤٥٨، خطط، ج ٢، ص ١٩٨.

(٦) انعاظ، ج ٢، ص ١٤.

(٧) راجع: عبد الرؤوف يوسف، الرسوم الأدمية، مجلة الغلة، العدد ٢١، سبتمبر ١٩٥٨.

ص ٧٩، شكل ١١، الفن الإسلامي، ص ١٦١.

وكانت المصارعة بين إنسان وإنسان أو بين إنسان وحيوان من الرياضات الشائعة في هذا العصر^(١) وكانت المصارعة ذات طابع شعبي يحضرها حشد من الناس للمشاهدة، فعلى طبق من الخزف يرجع للعصر الفاطمي. يرى في وسطه رسم رجلين يتصارعان، وإلى اليمين رجلان يتابعان المصارعة، ويرى أيضاً رجلان عن يمين المتصارعين وشماهما وهما يرفعان أيديهما كما لو كانا يتحلان حكمي المصارعة^(٢).

ثالثاً : الصيد والقنص:

كانت رياضة الصيد منتشرة في العصر الفاطمي وخاصة بين الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة^(٣) يدل على ذلك الرسوم التي خلفها الفاطميون على آثارهم والتي تحوى العديد من مناظر الصيد، فتشاهد على أحد النقوش رسم صياد يمسك بازاً ويمتطي حصاناً وبالقرب منه محارب يمسك رمحاً ودرعاً وجلاً يحمل هودجاً تطل منه سيدة^(٤) مما يوحي بأن السيدات كن يشاركن أحياناً في رحلات الصيد.

كما نلاحظ العديد من أمثال تلك المشاهد في الآثار الخشبية التي ترجع للعصر الفاطمي، تحوى زخارف تمثل مناظر الصيد والقنص وبعض الفرسان يهاجمون الوحوش وبعض الرجال يهاجمون أسيداً باستخدام الرمح^(٥).

(١) ابن سعيد، النجوم، ص ٥٨.

(٢) راجع: عبد الرزوف يوسف، المرجع السابق، ص ٧٩، شكل ١٣. الفن الإسلامي، ص ١٦٥.

(٣) راجع: عمارة اليمنى، النكت العصرية، ج ١، ص ٩٤.

(٤) Migeon: Manuel d'art musulman, 2 vols (Paris, 1927), i, Plate, 154.

wiet, Album, plate, 38.

راجع أيضاً: الفن الإسلامي، ص ٥٨، انظر لوحة ١١ المرفقة.

(٥) راجع: دليل متحف الفن الإسلامي، ص ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٦٥، ١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٠، ١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥، ١٥٧٦، ١٥٧٧، ١٥٧٨، ١٥٧٩، ١٥٨٠، ١٥٨١، ١٥٨٢، ١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦، ١٥٨٧، ١٥٨٨، ١٥٨٩، ١٥٩٠، ١٥٩١، ١٥٩٢، ١٥٩٣، ١٥٩٤، ١٥٩٥، ١٥٩٦، ١٥٩٧، ١٥٩٨، ١٥٩٩، ١٦٠٠، ١٦٠١، ١٦٠٢، ١٦٠٣، ١٦٠٤، ١٦٠٥، ١٦٠٦، ١٦٠٧، ١٦٠٨، ١٦٠٩، ١٦١٠، ١٦١١، ١٦١٢، ١٦١٣، ١٦١٤، ١٦١٥، ١٦١٦، ١٦١٧، ١٦١٨، ١٦١٩، ١٦٢٠، ١٦٢١، ١٦٢٢، ١٦٢٣، ١٦٢٤، ١٦٢٥، ١٦٢٦، ١٦٢٧، ١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣٠، ١٦٣١، ١٦٣٢، ١٦٣٣، ١٦٣٤، ١٦٣٥، ١٦٣٦، ١٦٣٧، ١٦٣٨، ١٦٣٩، ١٦٤٠، ١٦٤١، ١٦٤٢، ١٦٤٣، ١٦٤٤، ١٦٤٥، ١٦٤٦، ١٦٤٧، ١٦٤٨، ١٦٤٩، ١٦٥٠، ١٦٥١، ١٦٥٢، ١٦٥٣، ١٦٥٤، ١٦٥٥، ١٦

وقد اجمع المؤرخون على حب الخليفة العزيز للصيد وشدة كلفه به^(١) ووعفه المسيحي بأنه- يصيد باخيل، والجراح من الطير، محبا للصيد مفرى به، ويصيد السباع^(٢) حتى أنه كان يلقب- الخليفة الصياد-^(٣).

وكان الخليفة العزيز مغرمًا بصيد السباع بوجه خاص، وكان يخرج إلى الصحراء بمنطقة الجيزة لهذا الغرض^(٤) كما كان من أفضل الهدايا إلى نفسه الضباع الصغيرة^(٥) وكان يحتفظ بها ويعني بتربيتها، وكانت لثل هذه الحيوانات في الدولة الفاطمية ديوان خاص يعرف بديوان الكراع وكانت مهمة العاملين فيه الإشراف على تربية الدواب الخاصة بالخليفة بالإضافة إلى الفيلة والزرافات والوحوش^(٦).

ولم يكن قاصراً على الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة، بل أن بعض الناس كانوا يتخذون من الصيد حرفة يتعيشون منها^(٧) أما الصيد للخلفاء وكبار رجال الدولة فكان بمثابة ترويح عن النفس وتقوية للأبدان وممارسة رياضة عنيفة تبعدهم عن التكاسل والدعة لعدم ممارستهم الحروب بأنفسهم

(١) راجع: تاريخ القضاء، مخطوط مصور بمكتبة محافظة الإسكندرية رقم ٦٨٠٩ ج، لوحة ١١٨ أ، مخطوط أخبار الدول النقطمة، لوحة ٥٥، أبو الحسن على، بلغة الظرفاء في ذكر تاريخ الخلفاء، القاهرة، ١٩٠٩ م، ص ٧١.

(٢) ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٥٢، خطط، ج ٢، ص ٢٨٤.

(٣) أبو عبد الله الحسن بن الحسين، كتاب البيزرة، تحقيق محمد كرد علي، دمشق، ١٩٥٣، ص ٧.

(٤) انعاظ، ج ١، ص ٢٧٧، ٢٩٢.

(٥) انعاظ، ج ١، ص ٢٧٢.

(٦) راجع: صحيح، ج ٣، ص ٤٩٢.

(٧) كتاب البيزرة، ص ١٩.

غالباً، فكان الصيد بمثابة حرب بين الصائد وفريسته تظهر فيها فنون القتال من خطط وكر وفر تحفر الصائد وتجعله مستعداً لمواجهة الأخطار وعدم الاستسلام للأمان والدعة^(١).

ويصف مؤلف كتاب البيزرة رحلات الخليفة العزيز للصيد بمنطقة دير القصير وعلى ذروة جبل المقطم وما كان يجرى خلالها من فنون الصيد بالطيور الجارحة والكلاب الضخمة المدربة، وكانت رحلة الصيد غالباً ما تنتهى بقضاء أوقات سعيدة مريحة وإقامة مأدبة تستخدم فيها خرم الطيور والحيوانات التى وقعت فى قبضة الصائدين وتصلح للأكل، ويشترك فى المأدبة المطربات والراقصات وتدور فيها كزوس الشراب، وفى هذا يقول صاحب كتاب البيزرة:

وخمان لما أمسكته كلابنا .. علينا وما صيد بالشبكات
وكأس وإبريق ونأى ومزهر .. وساق عزيز فاتر اللحظات^(٢)

وكان الخليفة العزيز يهتم باستيراد النادر من الطيور المستخدمة فى الصيد من جميع الجهات، ووصل إليه فى ليلة واحدة مائة باز^(٣) وكان يشرف على تمرينهم لممارسة الصيد وتعقب الطيور والحيوانات البازيار المتخصص فى هذا العمل^(٤) ومن الهدايا القيمة التى كانت تصل إلى الخلفاء

(١) راجع: كتاب البيزرة، ص ١٩، ٢٠، طبرغا الأشرفى، مخطوط الجهاد والفروسية وفنون

الآداب الحربية، مكتبة محافظة الإسكندرية رقم ١٢٠١ ب، فنون حربية، ورقات ١ - ٤.

(٢) كتاب البيزرة، ص ٤٧.

(٣) البراق: من أقوى الطيور الجوارح، وأحرصها على طلب الصيد، ويكنه أن يصيد بدون تدريب، ويطلق على مدربه البازيار، ثم أصبح هذا اللقب يطلق على من يقوم بتدريب الحيوانات والطيور للصيد.

(راجع: مطالع البدور، ج ٢، ص ٢١٤، صبح، ج ٢، ص ٥٥ - ٥٧).

(٤) كتاب البيزرة: ص ٦٩، ٧٠.

الفاطمين- كلاب الصيد^(١) وكانت ترد إليهم غالباً من بلاد المغرب. ومن أباطرة الدولة البيزنطية^(٢).

ويبدو أن الخليفة العزيز بالإضافة إلى شدة تعلقه بالصيد، فقد كان أيضاً خبيراً بفنونه، فيروى صاحب كتاب البيزرة أن الخليفة العزيز قد ركب يوماً للصيد فصاد بواحدة من العقبان^(٣) ثمانية كراكي^(٤) وهو، عليه السلام. الذي عرفنا أن نصيد بالعقبان الكراكي لأننا لم نسمع بذلك في الشرق ولا في الغرب^(٥).

ويضيف إلى ذلك أنه تربى في كنف الخليفة العزيز منذ حداثة سنه. وأنه تعلم على يديه وترقى في سلم وظائف الصيد حتى صار مقدماً لليازرة ووصل دخله في الشهر عشرين ألف دينار، وكان مجموع ما يتفق على اليازرة في عهد الخليفة العزيز خمسين ألف دينار سنوياً، تنفق على رواتبهم وإطعام الطيور والفهود والكلاب السلوقية^(٦) التي يشرفون على تدريبها وتعليمها فنون الصيد. وهذا غير الدواب التي تشتري في كل سنة^(٧) لاستخدامها في رحلات الصيد.

(١) اتعاط، ج ١، ص ١٧٩.

(٢) راجع: الذخائر والتحف، ص ٧٤، ٧٦.

(٣) العقاب: ويعرف العنقاء أيضاً، وهو طائر جارح حنيف الخاج. سريع الطيران. ويمكنه صيد حمر الوحش وأجود أصنافها ما جلب من بلاد المغرب.

(٤) راجع: مطالع البدور، ج ٢، ص ٢١٢، نهاية الأرب، ج ١٠، ص ١٨١، ١٨٣.

(٥) الكركي: طائر يشبه الوز، أبرز الذنب، رمادي اللون. قليل اللحم، صلب العظم. يأوى الماء أحياناً.

(٦) راجع: نهاية الأرب، ج ١٠، ص ١٨٧، صبح، ج ٢، ص ٦٢، ٦٣.

(٧) كتاب البيزرة، ص ١١١.

(٨) تنسب إلى قرية سلوق باليمن، ويقال أن الكلاب تسفد الذئاب هناك فيتولد بينهما الكلاب السلوقية.

(٩) راجع: مطالع البدور، ج ٢، ص ٢١١، نهاية الأرب، ج ١٠، ص ١٤٠.

(١٠) كتاب البيزرة، ص ٧.

وكانت تربية الطيور والاهتمام بالنادر منها من الأمور التي حظيت باهتمام الخلفاء الفاطميين ورجال دولتهم، وكانت توجد دار تحوى الطريف من الطيور تسمى "دار الطيور"^(١) وكان الخليفة العزيز يملك مجموعة نادرة من الطيور المدربة على الألعاب والسباق، وكان لوزيره يعقوب بن كلثوم أيضاً مجموعة ممتازة من الطيور وكانت تجرى مباريات فى السباق بين حمام الخليفة والوزير، وحدث أن سبق حمام الوزير فى إحدى السباقات حمام الخليفة، وأراد أعداء ابن كلثوم استغلال الفرصة للطعن فيه لدى الخليفة مظهريين أن الوزير يختار لنفسه الجيد من كل صنف ويترك للخليفة ما دون ذلك، فعندما بلغ هذا الأمر إلى ابن كلثوم كتب للخليفة:

قل لأمر المؤمنين الذى . . له العلا والنسب الثاقب
طائرنا السابق لكنه . . جاء وفى خدمته الحاجب^(٢)
فأعجب الخليفة العزيز بذلك ووزير، وزال ما بنفسه منه^(٣).

وكان الأمير تميم بن المعز من هواة الصيد، وقد وصف ذلك فى ديوانه^(٤) ومن أمثلة ذلك ما كتب به إلى أحد أصدقائه يستهديه طائراً جارحاً فقال:

(١) خطط، ج ٢، ص ٢٠.

(٢) يروى صاحب الدول النقطية هذه الحادثة ولكنه يذكر اليتيم بهذه الصورة:

قل لأمر المؤمنين الذى . . له العلا والنسب الثاقب
طائرنا السابق لكنه . . لم يأت إلا وله حاجب
(راجع: مخطوط أخبار الدول النقطية، لوحة ٤٩، ٥٠).

(٣) راجع: ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٣٣٤، الغزولى، مطلع البدور، ج ٢، ص ٢٦٠، ابن سعيد، النجوم، ص ٢١٥.

(٤) راجع: ديوان تميم بن المعز، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٢٠، ٢١.

قد عزمنا على التصيد والنز
فيه ضرب من الياسة والعز
ولدينا من الجوارح للطب
ولديك البواشق فى اللانى قدرجـ
فتفضل بياشوق كل ما فىـ
هـة والصيد فى التز ه فضل
م وفيه للحزم عقد وحل
ر ضروب فهن للطير قتل
ن كما رحت ما لفضلك مثل
ه جناح ومخلب فيه نضل^(١)

كما كان الخليفة الحاكم كثير الخروج للصيد إلى ضواحي القاهرة^(٢)
ويبدو أنه كان مغرمًا بصيد الوحوش وخاصة الأسود. ففي غمرة قراراته العنيفة
ضد رجال دولته واغيطين به، نلاحظ.

أنه يحتفل بـ "متولى الأسود" ويخلع عليه^(٣) كما أصدر أماناً لسانر
اليازرة والفهادين^(٤).

وكان الخليفة الظاهر محباً للصيد، وكان كثير الخروج في رحلات خارج
القاهرة لهذا الغرض^(٥) وكان مغرمًا بصيد الطيور واقتنائها وخاصة البيغاء وكان
يتفق في شرائها أموالاً طائلة^(٦) ويروى المقرئى خبراً طريفاً يدل على مدى
حب الخلفاء الفاطميون للطيور النادرة وتربيتها وتدريبها، فيذكر أن الخليفة
الظاهر كان يملك في قصره بيغاء^(٧) تقرأ المعوذتين وتستدعى كثيراً من الأستاذين
بأسمائهم ونعوتهم^(٨).

(١) ديوان نعيم. ص ٣٥٥.

(٢) مخطوط درر التيجان، ورقة ٢٦٩، اتعاض، ج ٢، ص ٣٩.

(٣) اتعاض، ج ٢، ص ٤٨.

(٤) خطط، ج ٢، ص ٢٩، اتعاض، ج ٢، ص ٥٦.

(٥) اتعاض، ج ٢، ص ١٦٥.

(٦) اتعاض، ج ٢، ص ١٤٨.

(٧) اتعاض، ج ٣، ص ٢١٠.

الباب الثالث

الطعام والشراب والملابس في العصر الفاطمي

الفصل الأول : الطعام والشراب .

الفصل الثاني : الملابس في العصر الفاطمي .

الفصل الأول

الطعام والشراب

- أولاً : الحبوب والبقول .
- ثانياً : اللحوم .
- ثالثاً : الألبان ومنتجاتها .
- رابعاً : الأسماك .
- خامساً : الحلوى والفاكهة .
- سادساً : أنواع الشراب .

مدخل :

تميزت الديار المصرية على مر العصور بوفرة خيراتها وكثرة إنتاجها الزراعى والحيوانى والذى كان غالباً ما يزيد عن حاجتها فلا تبخل بخيراتها على جيرانها وتسد حاجاتهم من الغلال والأطعمة والصناعات الراقية ^(١) فمصر "تميز ولا تمار من قمح وشعير وأرز وفول" ^(٢) حتى يمكن القول أنها كانت تتمتع بما يعرف فى الاقتصاد الحديث بالاكثفاء الذاتى، فأهلها "يستغنون بها عن كل بلد، حتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور، لاستغنى أهلها بما فيها عن جميع الأرض" ^(٣).

ويبدى الرحالة الفارسى ناصر خسرو دهشته من كثرة ما شاهده فى أسواق مصر فى يوم واحد من أصناف الأطعمة والخضروات والفاكهة والزهور التى يستحيل أن تجتمع بمثل تلك الصورة من التنوع والوفرة فى أى قطر آخر ^(٤)، فيوجد بمصر فى كل وقت "المأكول والمأدوم" ^(٥) والمشموم ومسائر البقول والخضر، جميع ذلك فى الصيف والشتاء ^(٦) وتلك الخيرات الوفيرة بهرت الأجانب الذين زاروا مصر وجعلهم يشيدون بخيراتها وتراثها، وقد سجل

(١) راجع ما اعتادت مصر أن تميز به جيرانها فى العصر الإسلامى وخاصة بلاد الخجاز والحرمين من الأطعمة والغلال والأقمشة. (عمر بن يوسف الكندى، فضائل مصر، تحقيق دكتور ابراهيم العدوى، القاهرة، ١٩٧١م، ص ٢٣، المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ١٩٥).

(٢) ابن طهيرة، الفضائل الباهرة، ص ١٨٥. (نقلاً عن ابن زولاق).

(٣) عمر بن يوسف، فضائل مصر، ص ٤٥، خطط، ج ١، ص ٢٨.

(٤) سفرنامه، ص ٦٠.

(٥) الأدم والادام، ما يؤتدم به. تقوم أدم الخبز باللحم. (القاموس المغيبط).

(٦) عمر بن يوسف، فضائل مصر، ص ٧٠.

الرحالة ذلك فى مشاهداتهم، ومثال ذلك بنيامين التيطلى زار مصر فى أواخر العصر الفاطمى، والذى تجول فى العديد من البلدان يقرر أنه " ليس فى العالم كله بقعة أهلة بالسكان، كثرة الزروع مثل مصر الواسعة المليئة بالخيرات " (١).

وقد أظهر الفاطميون اهتماماً واضحاً بالتأنق فى طعامهم وشرابهم والاهتمام بالجيد من أصنافه والانفاق على مآديهم العامة والخاصة بسخاء وبذخ، وكان توزيع واقامة الأسطة الفخمة مقترناً بجميع أعيادهم واحتفالاتهم (٢)، كما كانت الدولة الفاطمية تسد حاجة موظفيها وأرباب الرواتب فيها من الغلال (٣) وسائر ما يلزم مطابخهم من الأطعمة المختلفة (٤).

وسنعرض فى الصفحات التالية لأهم أصناف الطعام والشراب التى انتشرت فى مصر فى العصر الفاطمى.

أولاً : الحبوب والبقول :

تمتاز مصر بوفرة إنتاجها من الغلال والبقول مثل القمح والشعير والعدس والحمص والبقول وغيرها (٥) ومعظم هذه الزراعات تدخل فى غذاء الشعب المصرى، وبعد الخبز من أهم عناصر الطعام على المائدة المصرية، سواء فى ذلك طعام العامة أو الخاصة، حتى مائدة الخليفة الفاطمى لم تكن تخلو من الخبز (٦).

(١) رحاة بنيامين التيطلى، ص ١٧٥.

(٢) راجع التفاصيل فى الباب الخاص بالأعياد.

(٣) صح، ج ٣، ص ٤٧٥.

(٤) صح، ج ٣، ص ٤٧٣، خطط، ج ١، ص ٤٢٢.

(٥) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٤، ١٠١.

(٦) خطط ج ١، ص ٣٨٧.

لذلك كانت جودة صناعة الخبز وانحافضة على نظافته موضع اهتمام الدولة الفاطمية والمسئولين فيها.

فكانت الدولة تراقب المطاحن عن طريق المختسب وأعوانه، وتشترط على الطحانين ضرورة غربلة الغلة لفصل ما قد يكون قد علق بها من مواد غريبة والعناية بتنقيتها قبل طحنها، وألا يخلطوا الغلة بأنواع أخرى أقل قيمة من القمح مثل الشعير أو الفول أو الحمص^(١).

وقبض على جماعة من الخبازين سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م فى عهد الخليفة الظافر وضربوا لاستغلالهم ظروف المجاعة التى اجتاحت البلاد وخلطوا التراب بالدقيق^(٢).

كما كانت عملية عجن الدقيق تخضع لشروط دقيقة الهدف منها المحافظة على نظافة الخبز، فكان على العجان الاهتمام بغسل الأوعية التى يستخدمها ولا يستعمل فى العجن قديمه ولا ركبته ولا مرفقيه، وقد أصدر الخليفة الحاكم مرسوما فى سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م يحرم على الخبازين استخدام أرجلهم فى العجن^(٣)، كما كان العجان يلتزم بلبس ملابس تحول دون وصول العرق الذى قد ينزل من أبطيه فى الطعام^(٤) ويكون ملثما حتى إذا عطس أو تكلم ولا ينزل رزاز من فمه أو أنفه فى العجين، ويشد على جبينه عصابة بيضاء حتى تمتص عرقه فلا يتسرب منه شئ فى العجين^(٥).

(١) الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٢١، ابن الأخوة، معالم القربة، ص ١٥٢.

(٢) اتعاظ، ج ٢، ص ١٦٦.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٥٣.

(٤) راجع ملابس العجان فى الفصل الخامس بالملابس.

(٥) الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٢١، معالم القربة، ص ١٥٢.

ويخبز العجين بعد التأكد من تحمره، ويضاف إليه أنواع من التوابل ليتصلح مذاقه ^(١) ولا يخرج الخبز من الفرن إلا بعد التأكد من تمام نضجه. وكان يشترط على أصحاب المخازن أن يفصلوا بين الخبز، وما قد يصل إليهم من الناس من أطعمة لإنضاجها مثل الأسماك وغيرها، حتى لا يسيل شئ من هذه الأطعمة على الخبز فيفسد مذاقه ورائحته ^(٢).

وعرف من أنواع الخبز في العصر الفاطمي، الخبز الخشكار ^(٣) وهو أقل أنواع الخبز ثمناً ولا يقبل عليه الناس بسبب سواد لونه لأنه يصنع من الدقيق الغير منخول ^(٤) وكان هذا النوع من الخبز ينتشر أثناء المجاعات حيث تقل الغلال لتكالب الناس على الخبز مما يؤدي إلى تلاعب الطحانين والخبازين في صناعة الخبز، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م عندما تعذر وجود الخبز وظهر في الأسواق الخبز الأسود، فضج الناس ورفعوا شكواهم للخليفة الحاكم ومعها رغيغ ^(٥) ليشاهد بنفسه ما عليه حال الخبز.

وكان معظم ما يخبزه أهل القاهرة والفسطاط هو الخبز الحواري ^(٦) وهو مصنوع من الدقيق الأبيض المنخول، وكان أغلى سعراً من الخشكار ^(٧)، أما

(١) نهاية الرتبة، ص ٢٣.

(٢) نفسه، ص ٢٤.

(٣) الخشكار : هو الدقيق الخشن الذي لم تنزع نخاله. (راجع ابن البيطار، الجمع لمفردات الأدوية والأغذية، القاهرة، ١٢٩١ هـ، ص ٦١، ابن عبد ربه، كتاب الطعَام والشراب، بيروت، ١٩٥٤، ص ٦٩).

(٤) اتعاض، ج ٢، ص ١٥١.

(٥) اتعاض، ج ٢، ص ٧٤.

(٦) أحسن التقاسيم، ص ١٩٩.

(٧) اتعاض، ج ٢، ص ١٥١.

الحبز " السميد " فكان أغلاها ثمناً لأنه يصنع من أرقى أنواع الدقيق^(١) وكان يصنع للخليفة الفاطمي خبز خاص يسمى " الحبز المواندى"^(٢)، ولا شك أنه أرقى أنواع الحبز دقيقاً وصناعة.

وكان الحبز اليابس المعروف بالكعك^(٣) يؤكل في القرى ويخزن لفترات طويلة، كما كان الكعك يعتبر طعاماً أساسياً لرجال الأسطول في عهد الدولة الفاطمية^(٤) لإمكان تخزينه لفترات طويلة.

والطريف أن الحبز اليابس كان يستخدم في ذلك الوقت كوسيلة للتعامل والتبادل، فيشتري به الناس بعض الأشياء، ويدفعونه ثمناً لدخول الحمامات^(٥) وكان الحبز يصنع أيضاً من الشعير، وكان طعام الفقراء لخص ثمنه عن الحبز المصنوع من دقيق القمح^(٦).

وكانت الدولة الفاطمية تراقب عملية إنتاج الحبز حتى يظل متوفراً في الأسواق ومن وظيفة المحتسب تسجيل أسماء الحبازين وأماكن حوانيتهم، ويحدد لكل حباز كمية من الدقيق يخبزها كل يوم ويلتزم الحباز بذلك^(٧).

(١) ابن عبد ربه، الطعام والشراب، ص ١٢، اتعاط، ج ٢، ص ١٥١.

(٢) خطط، ج ١، ص ٣٣٩.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٤، الجواليقي، المغرب، ص ٣٤٥.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٦٥.

(٥) المقرئ، إغاثة الأمة، ص ٦٧، ٦٨.

(٦) خطط، ج ١، ص ٤٣١، الغزولي، مطالع الدور، ج ٢، ص ٤٢.

وفي ذلك المعنى يذكر الشاعر :

خبز شعير بفسر آدم . عند فقير من الكرام

ألذ عندى من ألف لون عند غنى من اللعام

(راجع : الغزولي، نفسه، ص ٤٣).

(٧) راجع : الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٢٢، ٢٣.

وكان الفول من الأطعمة التي يقبل عليها الناس، وكان يؤكل أخضر^(١) كما كان يؤكل مسلوقة ويضاف إليه الفلفل والملح والبهارات^(٢) وكان أحياناً يطبخ بالسمن واللبن ويطلق عليه اليسار^(٣).

وكان التمر من الحبوب التي يقبل الناس على أكلها، فكان يسلق وينقع في الماء عدة أيام لتذهب مرارته^(٤) وكان يخلى أو يملح بعد ذلك^(٥) والمعروف عن التمر أنه إذا ترك لفترات طويلة عند الباعة يصبح غير صالح للأكل ويضر بأكله، لذلك أصدر الحاكم في سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م قراراً بمنع بيع بعض أنواع من الأطعمة من بينها " التمر المعفن " ^(٦).

وكان الحمص المسلوقة من الحبوب التي ينتشر بيعها في الأسواق، وكان يحملها الباعة الجائلون في القدور ويأع أيضاً في الحوانيت^(٧) كما كان يستخدم الحمص والتمر والحلبة وغيرها من الحبوب في أنواع مختلفة من الأطعمة^(٨).

(١) ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، نقلاً عن ابن زولاق، ص ١٣٠، خطط، ج ١، ص ١٠١.
(٢) الشيزري، نفسه، ص ١١٦، النويري، نهاية الأرب، ج ١١، ص ١٨ - وكان الباعة الجائلون يطوفون بقدور الفول على عرباتهم في الأسواق وبين الدروب لبيع بضاعتهم، وفي ذلك المعنى يقول الشاعر :

أنا ابن الذي في الليل تسطع ناره
كثير رماد القدر للعب بمحمل
يدور بأقداح العوافى على الوري
ويصبح بالخمر الكثير بنسول
(راجع : الغزولي، نفسه، ص ٢٣).

(٣) الشيزري، نهاية الرتبة، ص ٢٣، هامش (٢).

(٤) ابن البيطار، الجامع لفردات الأدوية، ص ١٣٤.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٠٤.

(٦) اتعاظ، ج ٢، ص ٧٧، ص ٨١.

(٧) خطط، ج ١، ص ٣٣١.

(٨) خطط، ج ١، ص ٤٤، ابن ظهيرة، الفضائل، ص ١٣٩.

أما الأرز فكان يزرع في مصر بكميات وفيرة^(١) وكان من الأطعمة الرئيسية لسكان السواحل المصرية حيث يطبخونه مع السمك^(٢) وكثيراً ما يدخل الأرز في صناعة أنواع متعددة من الحلوى^(٣) فكان يطبخ باللبن ودهن اللوز^(٤) وبطرق أخرى متعددة.

أما العدس الأسود والمقشر فكان من الأطعمة التي يقبل عليها العامة، وكان يوضع على مائدة الخليفة في سماط الحزن بمناسبة الاحتفال بيوم عاشوراء^(٥).

وكان الكشك من الأطعمة المنتشرة في ذلك العصر وهو من أصناف الأطعمة التي تمنع لأرباب الوظائف في الدولة الفاطمية^(٦) ويعرف هذا الصنف من الطعام أيضاً بالكشكية^(٧) وهو ما هرس من الخنطة أو الشعر حتى ينسلخ قشره، ويضاف إليه اللبن وأحياناً يطبخ باللحم^(٨).

ومن الأطعمة التي تدخل الحبوب في صنعائها "السويق"^(٩) وطريقة صنعها أن تخلص الحبوب جيداً ثم تطحن ويصنع من دقيق الخنطة أو الشعر أو

(١) ابن ظهيرة، نقلاً عن ابن زولاق، الفضائل، ص ١٣٩.

(٢) البغدادي، الإفادة، ص ٤٣.

(٣) سنتناول هذا الموضوع في الجزء الخاص بأنواع الحلوى.

(٤) نهاية الأرب، ج ١١، ص ٢٣.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٣١.

(٦) خطط، ج ١، ص ٤٠٠.

(٧) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٣، القاهرة، ١٩٧٣، ص ١٩٨.

(٨) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، القاهرة، ١٣٤٢ هـ، ص ١٠٠.

راجع أيضاً : Dozy, suppl. 2, p. 472.

وقد ورد ذكر هذا الطعام (السويق) في بردية ترجع للقرن الثالث الهجري.

(٩) راجع : أوراق البردي، ج ٦، ص ١٧٣.

(٩) راجع : أوراق البردي، ج ٦، ص ١٦٩.

القول^(١). وأحياناً يطحن مع الحبوب الملح والسكر ويمكن فى هذه الحالة ان يصنع منه شرباً حلواً^(٢) والسويق طعام يصلح للرحلات لأنه سهل التجهيز وتصنع منه غالباً العصيدة أو الشريد بإضافة الماء أو الزبد إليه.

كما كان السويق يصنع أيضاً من الفواكه بعد تجفيفها وقليلها ثم طحنها^(٣) وكان السويق الناعم من الأطعمة التى تقصد للخليفة الفاطمى على مائدة السحر فى شهر رمضان^(٤).

ثانياً : اللحوم :

تعد اللحوم من عناصر الغذاء الرئيسية التى تدخل فى صناعة الكثير من الأطعمة فى مصر على مر العصور، وتعتبر من العناصر التى تعتمد عليها الأسرة المصرية فى العصر الفاطمى، فكانت من بين المشريات اليومية للأسرة المصرية كما ورد فى برديات ترجع إلى القرن الرابع الهجرى^(٥).

وكانت الأسواق فى مصر الفاطمية تحتوى على أعداد كبيرة من حوانيت باعة اللحوم النينة والشوانين والطباخين الذين يستخدمون فى طبائهم لحوم الحيوانات المختلفة والطيور. وكانت الدولة الفاطمية تصدر قرارات فى بعض الأحيان بمنع ذبح الأبقار محافظة على الثروة الحيوانية وحتى تستخدم فى أعمال

(١) ابن عبد ربه، الطعام والشراب، ص ٧، تذكرة داود، القاهرة، ١٩٢٦م، ص ١٩٥.

(٢) ابن قتيبة، كتاب الأطعمة، ص ٢٠٦، ٢٠٧، Dozy, suppl, I, p. 700.

(٣) تذكرة داود، ص ١٩٥.

(٤) خطط ج ١، ص ٤٩١.

(٥) راجع : أوراق البردى العربية. ج ٦. ص ١٦٨ - ١٧١. ص ١٧٣ - ١٧٥.

الزراعة ولا يصرح بذبحها إلا فى عيد الأضحى^(١) وقد ضج الجزارون بالشكوى عندما منع الخليفة الظاهر سنة ٤١٥ هـ، ١٠٢٤ م ذبح الأبقار، لأن فى حوزتهم أعداداً كبيرة منها أنفقوا عليها الأموال فى علفها وتسمينها وإعدادها للذبح وأعلنوا فى شكواهم أن تلك الأبقار لا تصلح لأعمال الزراعة، وسألوا الأذن فى ذبحها، فاستجاب لهم الخليفة، وحدد لهم ثلاثة أيام فقط لتصريف ما عندهم من لحوم، فازدحم الناس فى طلب اللحوم خلال تلك الفترة، ثم أحضر المحتسب الجزارين والمهراسين ومنعهم من بيع اللحوم وذبح الأبقار^(٢) ولعل هذه الحادثة هى أول إشارة تاريخية لتحديد بيع اللحوم فى أيام معينة من الأسبوع حفاظاً على الثروة الحيوانية وعدم انقراض الحيوانات التى كانت عماد الحياة الزراعية فى ذلك الوقت.

وكانت حوانيت بيع الشواء تنتشر فى أسواق مصر والقاهرة، وكانت الخراف تشوى كاملة فى الأفران، وللتأكد من تمام نضجها لابد أن ينقص وزنها بمقدار الثلث^(٣) وكانت الخراف الصغيرة المشوية من أفضل الأطعمة على مائدة الخليفة الفاطمى^(٤) كما كانت توزع الخراف المشوية التى تعمل بمطبخ القصر على أرباب الوظائف فى الدولة احتفالاً بموسم رأس السنة الهجرية^(٥)، وفى مناسبات أخرى متعددة.

(١) راجع : انعاظ، ج ٢، ص ٥٣، ٩٥، ١٤٩.

(٢) انعاظ، ج ٢، ص ١٤٩، ١٥٠.

(٣) نهاية الرتبة، ص ٣٠.

(٤) خطط، ج ١، ص ٣٨٧.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٩٠.

وكان للخليفة الحاكم ولع بالتجول فى الأسواق، وكان من عادته الوقوف بجانب ابن الأزرق الشواء والتحدث اليه ^(١) ويبدى اهتمامه بصناعته وما يقدمه من ضروب الشواء.

وكانت " الهريسة " من أهم أنواع الأطعمة المنتشرة فى مصر فى العصر الفاطمى وتدخل فى صناعتها لحوم الضأن والبقر والدجاج ودقيق بعض الحبوب مثل القمح بالإضافة إلى البصل والترايل بنسب محددة ^(٢). وكانت الهريسة من الأطعمة التى تفرقها الدولة الفاطمية على أرباب الوظائف فيها بمناسبة الاحتفال بعيد النوروز ^(٣).

وكان المحتسب وأعوانه فى الدولة الفاطمية يشرفون على صناع هريسة فى الأسواق ويراقبونهم أثناء صناعتها حتى لا يخلون بالشروط الضرورية

(١) اتعاط، ج ٢، ص ١٢١.

(٢) راجع : الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٣٦، مخطوط الوصلة إلى الحبيب فى وصف الطيأت والطيب، مؤلف مجهول، دار الكتب رقم ٧٤ صناعات، ورقة ١٠٥، ومن الأوصاف التى تشرح طريقة صناعة الهريسة والمواد التى تدخل فى صناعتها ما ذكره أحد الشعراء :

إذا أتى من صيفه نبيان	الذ ما يأكله الإنسان
هريسة يصنعهما السوان	وطالت الجديان والحرفان
يجمع فيها الطير والخمائل	فن طيب الكف والإتقان
واللحم والألية والثحمن	وتلتقى فى قدرها الأدهان
والحنطة البيضاء والجلبان	وبعد أوزة سمعان
جودها يطحنه الطحان	وبعد هذا اللوز والابان
قد نعت لعقدتها الألسان	وبعد الملح وخولجان

(راجع : السعدى، مروج الذهب، ج ٤، ص ٣٦٧).

(٣) خطط، ج ١، ص ٢٩٣.

لإخراجها في أفضل صورة. ويلزمونهم بعملها طبقاً للنسب المقررة من اللحم والدقيق والبصل والتوابل ثم يجتمعون على قدور الهريسة بعد إتمام صناعتها لمنع تغير ما فيها أو إضافة مواد أخرى إليها^(١).

وهناك نوع من الهريسة تسمى "هريسة الفستق" يدخل في صناعتها الفستق وخم الدجاج^(٢) وكانت الهريسة تعد من أفضل الأطعمة في فصل الشتاء^(٣) لما تمتاز به من دسم وتوابل ومواد تبعث على الدفء.

ومن الأطعمة المشهورة في ذلك الوقت أيضاً "النقائق" وهي تصنع بحشو أمعاء الحيوانات المذبوحة باللحم المدقوق يضاف إليه البصل والتوابل^(٤) وكانت النقائق تباع في الأسواق مقلية^(٥) ويقبل الناس على شرائها، وكانت تخضع لمراقبة محتسب مثل غيرها من الأطعمة حتى لا ينافها غش في صناعتها.

كما كانت اللحوم تدخل في صناعة "السنوسك"^(٦) وهو طعام يعمل من فخذ الضأن بوجه خاص، وطريقة صنعه أن يقطع اللحم قطعاً صغيرة ويسلق

(١) نهاية الرتبة، ص ٣٦، خطط، ج ١، ص ٤٦٣.

(٢) البغدادى، الإفادة، ص ٤٢.

(٣) ابن ظهيرة، الفضائل، نقلاً عن ابن زولاق، ص ١٣٨.

(٤) نهاية الرتبة، ص ٣٨.

(٥) معالم القربة، ص ١٥٨.

(٦) ومن الأشعار التي وصفت صناعة السنوسك ما قاله إسحق بن إبراهيم الموصلى :

يا سائلنى عن أطيب الطعام	سألت عنه أبصر الأنام
اعمد إلى اللحم اللطيف الأحمر	فدقه بالشحم غير مكث
واطرح عليه بصلًا مدورًا	وكرنا رطبًا جيبًا أخضرًا
واللق السذاب بعدد موفرًا	ودار ميني وكسف كزبرًا
وكسف كمون وشي من مري	وملن كفين بملح تدمر =

إلى أن ينضج ثم يصفى عنه الماء ويدق إلى أن ينعم ويوضع في إناء ويضاف إليه دهن وتوابل وحمص، فإذا نضج يوضع عليه بقدونس ونعنع، ويضاف إليه الخل وماء الليمون ويغلى، ثم يحشى في الرقاق^(١).

ومن الأطعمة ألتى اشتهرت دار الفطيرة بصناعتها " البرماورد " أو " الزماورد " ^(٢) وهو طعام يدخل في صناعة اللحم وخاصة لحوم الجداء وصدور الدجاج التى تقلى بالزبد والبيض^(٣)، وكان " الزماورد " يوزع فى المناسبات وبعض الأعياد على أرباب الوظائف فى الدولة الفاطمية^(٤).

ومن أصناف اللحوم التى اشتهرت صناعتها فى ذلك العصر " الطباهجة المشقة " ^(٥) وتصنع من اللحم المقطع شرائح وتلقى فى الدهن، ويدخل فى صناعتها

«فدقه يا سيدى شديدا ثم أوقد النار له وقودا
واجعله فى القدر وصف الماء : من فركه واجعل له غطاء
حتى اذا الماء فى وقلا ونشفت النار عنه كلا
فلله ان شئت فى رقاق ثم احكم الأطراف بالالزاق
(المسعودى، مروج الذهب، ج ٤، ص ٣٦٥).

والسبوك تعرب لسبوسة الفارسية التى تعنى فطير بلحم مثلث الشكل.
(راجع : حلمى سالم، رسالة دكتوراه، غير مطبوعة، ص ١٣٩).

(١) راجع : مخطوط الوصلة إلى الخبيب، ورقة ٢٢.

(٢) يسميه الجواليقى " الزماورد " ويقول أن العامة تسميه بزماورد، وهى كلمة فارسية معربة. (راجع : العرب، ص ٢٢١).

(٣) راجع : الرازى، منافع الأغذية، القاهرة، ١٣٠٥ هـ، ص ٣٤.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٢٦، ٤٥٦، النجوم، ج ٤، ص ٩٦.

(٥) خطط، ج ١، ص ٣٣٨. وطباهجة : كلمة فارسية معربة من طباهجة وقد عرفت بأنهم

الكباب وكان من عادة المصريين أن يضيئوا إليه قلابات مقلوا بالشرج.

(راجع : ابن سيدة، المخصص، ص ١٢٧. حلمى سالم، المرحع السابق، ص ١٣٨)

أحياناً البصل والبيض ويطلق عليها في هذه الحالة " الكباب الشامى " وذلك بأن يدق اللحم دقاً ناعماً ويضاف إليه البصل ثم يقلى فى دهن الشرج^(١).

وكان الطباخون ملزمون بأن يعلنوا عن نوع اللحم الذى يستخدمونه فى مطابخهم حتى لا يخلطوا لحوم الضأن مع لحوم المعز، ولا لحوم الابل مع لحوم البقر. وكان المحتسب يراقب هذه الأمور تحاشياً من وقوع الغش^(٢) لاختلاف أثمان كل نوع من هذه اللحوم. ولما قد تسببه من أضرار للناس الذين لا يحملون بعض أنواعها أو لا تستسيغون طعمها.

وكانت كبد الحيوانات المذبوحة من الأطعمة المنتشرة فى الأسواق وتقبل الناس على شرائها وتقدم مسلوقة مع البصل أو مشوية^(٣).

وقد انتشرت حوانيت بيع الرؤوس فى العصر الفاطمى^(٤) وكانت الرؤوس والأكارع تباع نية أو ناضجة، وكان الناضج منها يسلق بالماء المضاف إليه التوابل المناسبة والمسلح لطيب مذاقها، وكانت تباع فى بعض الأحيان مشوية^(٥). ومن وظيفة المحتسب مراقبة إجادة تنظيف الرؤوس والأكارع وتنقية ما عليها من شعر وصوف قبل بيعها^(٦)، وكانت الرؤوس المشوية تخرد من مطابخ القصر الفاطمى وتوزع على رجال القصر بمناسبة الاحتفال برأس السنة الهجرية^(٧).

(١) الرازى، منافع الأغذية، ص ٣٠، ابن عبد ربه، العقد الفريد (الطعام والشراب)، ص ٩٨.

(٢) نهاية الرتبة، ص ٣٤، خطط، ج ١، ص ٤٦٣.

(٣) معال القرية، ص ١٥٩.

(٤) كان يوجد سوق الرواسير فى مصر فى عصر المماليك ومن المحتمل أن مثل هذا السوق كان له مثل فى العصر الفاطمى. (راجع : خطط، ج ٢، ص ٩٥).

(٥) معال القرية، ص ١٧٢.

(٦) نهاية الرتبة، ص ٣٢.

(٧) خطط، ج ١، ص ٤٩٠.

ويبدو أن هذا الصنف من الطعام كان موضع إقبال لدى الخليفة الظاهر وحاشيته، فيذكر المقرئ في حوادث سنة ٤١٤ هـ، ١٠٢٣ م أنه " وكل بدكاكين الرواسين في جميع الأسواق. وأخذ ما فيها من الرءوس، وكان قد طلب حسمانة رأس، وألف رطل رقاق " (١).

وقال الشاعر الفاطمي ظافر الحداد في الرءوس :

غدونا للعداء غداة قر ... لأكل رءوس أبناء النعاج
صغار السن وافرة سمان ... تربك صفاء ناعمة نضاج
كأغشية مطنة بقطن ... مقدرة على أدراج عجاج (٢)

وكانت معظم تلك الأطعمة تصنع في حوانيت الطباخين في الأسواق ويقبل أهل مصر على شرائها ولا يطبخون في منازلهم إلا نادراً، فمن عادة أهل مصر عدم إدخار الطعام بل يتناولون أغذية كل يوم من الأسواق (٣) ولعل هذا هو السبب وراء انتشار حوانيت الطباخين في معظم أسواق القسطنطينية والقاهرة.

وكان أهل مصر يطبخون اللحوم مع البقول والخضر بأن تقطع من البامية (٤) أو القلقاس (٥)، ويقال أن الملوخية انتشرت في مصر في عهد الخليفة الفاطمي المعز عندما اقترح عليه الأطباء أكلها كعلاج من يس في مزاجه.

(١) انعاظ، ج ٢، ص ١٣٣.

(٢) راجع ديوان ظافر الحداد، ص ٧٥، وله في نفس المعنى أيضاً ص ١٧٣، ص ٢١٦.
٢١٧. وظافر الحداد من شعراء العصر الفاطمي الذي. ومدح من الخلفاء الأمر والخلفاء
ومن الوزراء الأفضل والمأمون وأب على أحمد وتوفي سنة ٥٢٩ هـ ١١٣٤ م.

(٣) خطط، ج ١، ص ٥١.

(٤) اس البيطار، الجامع، ص ٨١.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٠٤.

وعوفى من مرضه فأكثر المز وحاشيته من أكلها وسموها ملوكية. وحرثت العامة وقالت ملوخية^(١) وعند طبخ اللحوم مع الخضروات أو البقول كانت تنسب إليها الطبخة مثل الكرنية والقنيطية واللفتية والجزرية^(٢).

واشتهرت مصر بزية أنواع الطيور التي تؤكل وخاصة الدجاج، وكانت معامل إنتاج الفرائيج بطريقة صناعية منتشرة في أنحاء البلاد وكان المعمل ينتج في المرة الواحدة ما بين عشرة وعشرين ألف فروج وكانت هذه العملية صناعة يتخذها الناس للتجارة والكسب^(٣).

وكان الاهتمام بزية هذه الفرائيج كبيراً، حيث أن الدجاج كان له أثماناً مختلفة تبعاً لتغذيتها وأنواعها، ويقدم لنا المقريزى فى حوادث سنة ٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م أنواع الدجاج وأثمانها: الدجاج المعروق^(٤) وسعره ستة بدينار والمصدر أى كبير الصدر، أربعة بدينار، والمسمن ثلاثة بدينار، والفائق اثنان

(١) راجع : الخوارزمى، مفاتيح العلوم، ص ١٠٠، نهاية الأرب، ج ١١، ص ٤٧. هامش (٥)، ويصف ظافر الحداد إعداد الملوخية ويدعو صديقاً له إلى مشاركته فيها :

أيا مبدى وأخى لا تغف	فعدى لك اليوم ما يستح
ملوخية سبقت أوقاتها	وجاءت كهينة حضر الرغب
وقد نقيت قبل تقطيعها	بكنسى ليبس خمر درب
وقد أحكمت بفسراخ الحمام	ودهن الدجاج وصفر الكب

(راجع : ديوان ظافر الحداد، ص ٦١).

(٢) الرازى، منافع الأغذية، ص ٣٠. ٣١، البغدادى، الإفادة، ص ٧ - ١١.

(٣) راجع التفاصيل : البغدادى، الإفادة، ص ١٧، خطط، ج ١، ص ٢٦.

(٤) المعروق قليل اللحم أو العظم بلحمه. (راجع : ابن سيدة، المعصن، ج ٥٤، ص

بدينار، وكانت مائدة الوزير اليازورى تحوى الدجاج الفائق أم أهل داره وحاشيته فكان طعامهم من الدجاج المسمن^(١).

ومن مشهيات الطعام المخللات، وكان الباذنجان ينقع فى الماء والملح بعد تقطيعه ثم يقلب فى الزيت، بالإضافة إلى تمليحه حيث يضاف إليه بعد سلقه الخل الحاذق والقلقل وأنواع التوابل وذلك بعد قلع أقماعه اليابسة^(٢) كما كانت المخللات تصنع من الخيار والبصل والثوم والزيتون وغيرها^(٣)، وكانت الملوحة والمخللات تقدم فى سباط ذكرى عاشوراء على مائدة الخليفة^(٤) تعبيرا عن الحزن.

ومن المواد المستخدمة فى المطبخ المصرى بالإضافة إلى اللحوم والخضروات زيت الزيتون والشيرج (زيت السمسم) والتوابل والخل وغيرها مما ورد فى الحسابات اليومية للأسر المصرية فى القرن الثالث والرابع الهجرى^(٥).

(١) انعاظ، ج ٢، ص ٢٣٩ - وقد احتج الخليفة المستنصر لصاحب مطبخه لأن راتب مائدة الوزير اليازورى الدجاج الفائق وراتبه دون ذلك، وكان المستنصر يحضر دار

اليازورى كل ثلاثاء على عادته فتقدم إليه المائدة. (راجع : انعاظ، ج ٢، ص ٢٤٠).

وكان الدجاج المسمن من الأطعمة التى تحويها مائدة الخليفة فى سباط العبيد بالإضافة إلى الفراخ وفراخ الحمام. (راجع : خطط، ج ١، ص ٣٨٧).

(٢) نهاية الأرب، ج ١١، ص ٤٤، معالم القرية، ص ١٦٠.

(٣) الرازى، منافع، ص ٣٢، ٣٣.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٣١.

(٥) راجع : أوراق البردى، ج ٥، ص ٥٢-٥٣، ص ٧٨، ١٨٥، ج ٦، ص ١٧٩-١٨٣.

ثالثاً : الألبان ومنتجاتها :

كانت الألبان ومنتجاتها من الأطعمة التي يقبل عليها العامة والخاصة في ذلك العصر^(١)، وأهم تلك المنتجات الجبن التي انتشرت صناعته في مصر ومن أضافه الجبن الحالموم والجبن الأقراص الذي يصنع من لبن الجاموس^(٢) والمصريات يجدن صناعة الجبن في البيوت^(٣).

وكان الجبن من الأطعمة اليومية للأسر المصرية وكان يفضل مع اللبن كغذاء للأطفال^(٤). وكان توزيع الألبان من بين رسوم الدولة الفاطمية في احتفالها ببليلة رأس السنة الهجرية^(٥) كما كان الجبن واللبن الحالى من الدسم من الأطعمة في سماط الاحتفال بعاشوراء^(٦) وكان اللبن الطازج والذي نزع منه الزبد من الأطعمة التي تقدم على مائدة السحور للخليفة الفاطمي^(٧)، كما كان اللبن الرائب^(٨) والجبن القريش^(٩) من الأطعمة المنتشرة بين المصريين في العصر الفاطمي وتقدم إلى أرباب الدولة من بين ما يصرف لهم من رواتب الأطعمة.

(١) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٥.

(٢) محمد بن الشيخ، الكواكب السائرة، مخطوط مصور بمكتبة محافظة الإسكندرية رقم ٦٨٠١ ج، لوحة ١١٨.

(٣) راجع : ديوان نعيم بن المر، ص ٤٢١.

(٤) راجع أمثلة على ذلك في حسابات الأسر المصرية في القرنين الثالث والرابع والتي يدخل فيها اللبن والجبن : أوراق البردى، ج ٦، ص ١٧٣ - ١٧٥، ١٧٧ - ١٧٨، ١٩٠ - ١٩٦.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٩٠.

(٦) خطط، ج ١، ص ٤٣١.

(٧) خطط، ج ١، ص ٤٩١.

(٨) خطط، ج ١، ص ٢٧٠.

(٩) خطط، ج ١، ص ٤٢١.

رابعاً : الأسماك :

تعددت مصائد الأسماك التي امتازت بوفرة إنتاجها في مصر كنتيجة طبيعية لما تمتاز به البلاد من سواحل طويلة تطل على بحرين كبيرين بالإضافة الى البحيرات الداخلية ونهر النيل^(١) حتى أن أهل مصر يأكلون صيد البحر الأحمر والبحر المتوسط طازجاً^(٢) لقرب المسافة بين البحرين.

ويذكر عبد اللطيف البغدادي أن عوام المصريين يعتمدون في غذائهم على " الصير والصحناء " " والخبز والنبدة " " وينقل عنه هذا الزعم بعض المؤرخين^(٣)، ويبدو أن وفرة إنتاج الأسماك في مصر ورخص ثمنها دفعت المصريين إلى الإقبال على أكلها^(٤) وعدم إكثارهم من أكل اللحوم^(٥) ولكن ليس معنى ذلك اعتماد المصريين على الصير والصحناء في غذائهم^(٦) فأوراق

(١) راجع : خطط، ج ١، ص ١٠٧، ١٠٨.

(٢) مخطوط الكواكب السائرة، لوحة ١١٩.

(٣) الصحناء كلمة فارسية وهي ما يطلق عليها العرب الصير. (راجع : العرب للجولقي، ص ٢٦٤) والصير هي السمك الصغير الذي يصاد من النيل عند الفيضان وانصراف الماء ولا يزيد عن الأصبع في حجمه ويسمى أيضاً ملوحة إذا كبس بالملح ويسمى إذا كان طازجاً السرية وتؤكل مشوية ومقلية.

(راجع : خطط ج ١، ص ١٠٨، قازن : الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٠٠.

(Dozy, suppl, I, p, 857).

(٤) البغدادي، الإفادة، ص ٤٣.

(٥) ابن سعيد، النجوم، ص ٢٨، خطط، ج ١، ص ٣٦٧.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٠٢.

(٧) نفسه، ص ٢٠٥.

(٨) لا يصلح الاعتماد على الصحناء كغذاء للإنسان فهي نسب له اصراً صعبة

(راجع : برزى، منافع الأغذية، ص ٢٦).

البردى العربية تحوى وثائق هامة عن حسابات نفقات بعض الأسر المصرية فى القرنين الثالث والرابع الهجريين تبين عناصر الغذاء اليومى التى تشتريها هذه الأسر لم يذكر فيها السمك المملح بل نجد ذكر اللحم والجبن واللبن والفول والزيت والفواكه^(١).

وكانت الأسماك تصاد بكميات كبيرة فى أيام الفيضان، فعند حفر الخلدجان والقنوات ليتدفق إليها ماء الفيضان، يدخل معه السمك الوفير ويبقى فى الخلدجان بعد انحسار الماء فيصبح من السهل اصطیاده، فيأخذه الناس ويأكلون كفاتهم ويكسبون ما بقى منه بالملح ويبيعونه إلى التجار فينقل إلى أنحاء البلاد^(٢).

وكان من أشهر أنواع السمك فى مصر فى العصر الفاطمى البورى واللبس^(٣) وكان البورى يملح ويحمل إلى جميع الأقطار^(٤) وكان من رسوم الدولة الفاطمية توزيع السمك البورى وأنواع أخرى من الأطعمة على أعيان القبط وكبار رجال الدولة بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاد المسيح وموسم الغطاس^(٥).

ومن الأسماك النيلية ذات الشهرة فى ذلك الوقت، سمك "الراى" وهو نوع من السمك النيلي فى حجم البورى لونه أحمر، ويصفه الشاعر تميم بن المعز بقوله :

(١) راجع : أوراق البردى، ج ٥، ص ١٥١ - ١٥٢، ج ٦، ص ١٧٣ - ١٧٥، ص ١٧٧ - ١٧٨، ص ١٩٠ - ١٩٦.

(٢) راجع : بنامين التيطلى، ص ١٧١، قارن : تاريخ أبى صالح الأرمنى، ص ٢٥، خطط، ج ١، ص ١٠٧، ١٠٨.

(٣) اللبس نوع من السمك يشبه البورى وقد أطلق عليه ذلك لأنه لابس به.

(٤) راجع : مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٢.

(٥) المقرئى نقل عن المسبحى. خطط. ج ١، ص ٦٧، مخطوط الكواكب السائرة، لوحة ١١٨.

(٥) خطط. ج ١، ص ٤٩٤. ص ٤٩٥.

كان الراى حين أتى طريقاً .: بذئاب كمحمر العقيق
بلسقيات بلور لطاف .: بأسفلها بقايا من رحيق^(١)

وكان السمك يؤكل مشوياً أو مقلياً^(٢) وأحياناً كان يسلق بالقائه فى
الماء المغلى^(٣) أما السمك المملح فكانت العادة أن ينقع قبل أكله بالخل والزيت
والتوابل^(٤) حتى ينصلح مذاقه.

وقد أصدر الخليفة الحاكم قراراً بالنهى عن تناول بعض أنواع الأطعمة
والأشربة^(٥) من بينها السمك الدلنى الذى لا قعر له، وأخذ اليهود على بانعى
السمك بامتناعهم عن بيعه وهدد من يخالف أو امره بالقتل^(٦).

ويبدو أن هذا القرار كان يهدف إلى المحافظة على صحة الناس الذين كانوا
يقبلون على هذا النوع من السمك^(٧) ولعل خلوه من القشر يجعله سريع التلف.

(١) راجع : ديوان نعيم، ص ٣٠٣ - والبلسقيات جمع بلسقية وهى الزجاجاة أو القارورة.
وقال الشاعر الفاطمى ظافر الحداد يصف الراى :

أمالك فى الراى رأى فان .: له مفة أوجبت أن يحسب
تربى مع النيل حتى ربا وعار من الشحم ضحما خذب
ولا حسن للعظم فى جسمه فليس على الضرس منه تعب
يروفك نينا وفى قلبه فتصر من حالته العجب

(راجع: ديوان ظافر الحداد، ص ٥، ٦، الخريدة، قسم شعراء مصر، ج ٢، ص ١٥، ١٦).

(٢) نهاية الرتبة، ص ٣٣، معالم القرية، ص ١٧٨، ١٧٩.

(٣) التويرى، نهاية الأرب، ج ١٢، ص ٣٠٧، ٣٠٨.

(٤) الرازى، منافع الأغذية، ص ٢٦.

(٥) Lane - pool, A history of Egypt, p. 120.

(٦) ابن خلكان، وفیات، ج ٢، ص ١٦٦.

(٧) البهدادى، الاعتبار، ص ٤٣.

خامساً : الحلوى والفاكهة :

تعد " النيدة " من أشهر أنواع الحلوى التى يقبل عليها عامة المصريين فى العصر الفاطمى، وقد أعجب المقدسى بحلاوة مذاقها ^(١) وطريقة عمل النيدة هى أن يطبخ القمح حتى يخرج نشاء فى الماء ثم يصفى ويطبخ ذلك الماء حتى يغلظ ثم يذر عليه الدقيق وعندما يتماسك قوامه يرفع عن النار ^(٢) وكان هذا الصنف رخيصاً يباع بسعر الحيز وتسمى نيدة البوش. أما النيدة المعقودة التى لا يضاف إليها الدقيق فأعلى سعراً من الأولى ^(٣)، وكان طباطبائي النيدة فى الأسواق لا يستعملون إلا الدقيق الأبيض ويكثرون من إضافة النشا إليها لتزداد حلاوتها ^(٤).

ومن أصناف الحلوى التى كانت تنتشر فى حوانيت الحلّالين فى الدولة الفاطمية الزلاية ^(٥) وتصنع من الدقيق بعد عجنه وتخميره. ثم تقلى بزيت الشيرج وتزكل بالعسل أو السكر ^(٦).

وكان من رسوم الدولة الفاطمية توزيع الزلاية مع أصناف أخرى من الأطعمة والحلوى على أرباب الرسوم بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاد المسيح ^(٧).

(١) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ٢٠٣، ويعرفها ابن سعيد بأنها حلاوة القمح، ويذكر

أنها لا تصنع إلا بالديار المصرية.

(٢) راجع : النجوم، ص ٥٨.

(٣) البغدادى، الإفادة، ص ٤٧.

(٤) راجع : عمر بن يوسف، فضائل مصر، ص ٦٩، الإفادة، ص ٤١.

(٥) معالم القرية، ص ١٠٨.

(٦) راجع الجوالقى، المغرب، ص ٢٢٣.

(٧) الرازى، صنائع الأغذية، ص ٥١، نهاية الرتبة، ص ٢٥، معالم القرية، ص ١٨٠.

(٨) خطط، ج ١، ص ٤٩٤.

وقد اسدى الفاطميون اهتماماً بصناعة الحلوى لتوزيعها في الأعياد والمواسم على أرباب الوظائف في الدولة وتزيين مواندهم بها والتي كان يصل منها الكثير إلى أيدي العامة^(١) وقد عبروا عن هذا الاهتمام منذ عهد الخليفة العزيز الذي بنى داره الفطرية^(٢) وهو أول من قرر رسوم توزيع الحلوى في الدولة الفاطمية^(٣).

وكانت تصنع في دار الفطرية قصور السكر الضخمة التي تزن الواحدة منها سبعة عشر قنطاراً ويحملها العتالون ليزينوا بها سحاط عيد الفطر وكانت تلك القصور تدهن بأوراق الذهب وفيها شخوص بارزة كأنها مسبوكة في قوالب^(٤) وكان السماط يزين أيضاً بأطباق من تمثيل السكر على أشكال مختلفة^(٥) وكانت تباح كل هذه الأصناف للحاضرين وتوزع منها كميات وفيرة على أهل القاهرة والفسطاط^(٦).

وكانت تصنع في دار الفطرية العديد من أنواع الحلوى التي يدخل في تكوينها السكر والعمل وقلوب اللوز والبندق والفسق والزعفران وأنواع الطيب والدقيق^(٧) ويبدأ العمل لصناعة الحلوى منذ النصف الثاني من شهر رجب ويستمر العمل ليلاً ونهاراً لأعداد الكميات الهائلة من أصناف الحلوى

(١) راجع الباب الخاص بالأعياد.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٢٥.

(٣) راجع : مخطوط أخبار الدول النقطعة، لوحة ٥٣.

(٤) خطط، ج ١، ص ٣٨٨.

(٥) نفسه، ص ٣٨٧.

(٦) نفسه، ص ٣٨٨.

(٧) خطط، ج ١، ص ٤٢٥.

التي توزع في الأعياد والمراسم وأشهر هذه الأصناف الخشكانج^(١) والبسندود^(٢) والقانيذ^(٣) الذي يقال له كعب الغزال^(٤) وكان يعمل في دار

(١) الخشكاس أو الخشكانك : لفظ فارسي (راجع المغرب، ص ١٨٢). وهي نوع من الحلوى التي تصنع من الدقيق الأبيض الذي يعجن وبسط مثل الرقاق ويضاف إليه السكر وقلوب اللوز والكافور وماء الورد، ويكون الرقاق أحياناً على شكل حلقة مجوفة يملأ وسطها باللوز والفسق (راجع : الرازي، مافع الأغذية، الحبيب، ورقة ١٢٧) وكان الخشكانج من الحلوى التي تصنع يومياً في مطابخ القصر الفاطمي، وتقدم إلى الخليفة الأمر ووزيره المأمون وكان يخصص لصنعها يومياً قطاراً من السكر (راجع : انماط، ج ٣، ص ٨٢. حوادث سنة ٥١٥ هـ).

(٢) البسندود : لفظ فارسي الأصل، وهو نوع من الحلوى التي يدخل في صنعها الدقيق والبلح (راجع : صبح، ج ٣، ص ٥١٠) ويبدو أنها كانت تصنع على هيئة أقراص صغيرة، فيصف أحد الشعراء البسندود بقوله :

أقرصة هشة مدورة : كأنها في القفا كافور
كأنها في الصحاف مطبقة : دراهم فوقها دنانير
(راجع : مطالع البدور، ج ٢، ص ٨٤).

كما كان يشكل على هيئة قرص مثقوب من الوسط ينحز في القرن، ثم يوضع كل قرصين على بعضهما، وبينهما حلوى بها لوز وفسق (راجع : حلمي سالم، المرجع السابق، ص ٥ من الملحق).

وكان البسندود من بين الأطعمة التي تقدم على مائدة سحور الخليفة الفاطمي.
(راجع : خطط، ج ١، ص ٤٩١، ٤٩٢).

(٣) القانيذ : ضرب من الحلوى التي تدخل في صنعها الدقيق والعل. راجع :

Dozy , suppl. II, p. 284.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٢٦.

الفطرة مائة صانع من المهرة فى هذا الفن^(١) على رأسهم مقدم للحلاوين ومقدم للخشكانيين^(٢) ويخزن فى دار الفطرة ما ينتج من أصناف الحلوى. وكان الخليفة الفاطمى يحضر بنفسه بصحبة الوزير لمشاهدة ما صنع من الحلوى قبل توزيعها، وبدأ التوزيع من نصف رمضان حتى آخره وكان يخصص لهذه المهمة مائة فراش يحملون أطباق الحلوى إلى أرباب الرسوم المقررة ويتراوح ما يخص كل فرد حسب مكانته فى الدولة من ربع قنطار إلى رطل واحد. ولا يفوت أحد شيئاً من ذلك ويتهاداه الناس فى جميع الأقاليم^(٣).

كما كان يوزع أيضاً فى دار الفطرة الكعط والزيب والتمر والبندق^(٤) وكان الدجاج يصنع منه أصناف محلاة^(٥) تسمى الفستقية، والبندقية والخشخاشية والوردية نسبة إلى ما يضاف إليها من هذه الأصناف، ويصف عبد اللطيف البغدادي طريقة عمل تلك الأصناف بقوله :

" وذلك أنهم يتخذون الدجاج بأصناف من الحلويات، وسبيل ذلك أن تسلق الدجاج ثم ترمى فى الجلاب^(٦) ويلقى بندق مدقوق أو فستق أو

(١) كان الفاطميون يهتمون باقتناء المهرة فى فن الطبخ وصناعة الحلوى، ويذكر المقرئى أن بمصر جوار طبابخات أعمل تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين فن فى الطبخ صناعة عجيبة ورياسة مقدمة.

(راجع، ج ١، ص ١٦٧).

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٢٦.

(٣) راجع تفاصيل توزيع الحلوى وكمياتها : خطط، ج ١، ص ٤٢٦.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٢٧.

(٥) المقرئى نقلا عن المسبحى، خطط، ج ١، ص ٣٨٨.

(٦) الجلاب : هو ماء الورد المغلى فى السكر، وهو مركب من الكلمة الفارسية كل أى ورد. وآب أى ماء.

(راجع : العرب، ص ١٥٤).

خشخاش أو ورد ويطبخ حتى يتعقد ويرفع، وتسمى هذه الأطبحة بالفستقية والبندقية والخشخاشية والوردية^(١)، وكانت هريسة الفستق من أصناف الحلوى التى تصنع من لحم الدجاج والجلاب والفستق المقشور^(٢).

وهناك أصناف متعددة من الحلوى أوردتها الشيزرى (ت ٥٨٧ هـ) فى كتابه نهاية الرتبة وهو قريب العهد بالدولة الفاطمية ونقلها عنه صاحب كتاب معالم القرية^(٣) ومعظم هذه الأصناف قد عرفت فى عهد الدولة الفاطمية ومن أشهر هذه الأنواع " الخبيص " وهى نوع من الحلوى تصنع من دقيق الحنطة مع دهن اللوز أو الشرج، ثم يضاف إليها بعد الطبخ شئ من السكر والعمل وترفع على النار لتجمد^(٤) أما الحلوى المسماه " نواطف " ^(٥) فكانت من الأصناف التى تصنع فى دار الفطرة وتقدم على مائدة الخليفة الفاطمى كل يوم خلال شهور رجب وشعبان ورمضان^(٦). ومن أشهر أنواع الحلوى على المائدة المصرية فى العصر الفاطمى "

(١) الإفادة، ص ٤٢.

(٢) نفسه.

(٣) راجع : نهاية الرتبة، فى الحسبة على الحلوانيين، ص ٤٠ وما بعدها، معالم القرية، ص ١٨٩ وما بعدها.

(٤) راجع : مخطوط الوصلة إلى الخبيص، ورقة ١٠١، ابن عبد ربه، الطعام والشراب، ص ١٤، وقارن : عبداللطيف الهمداني، الافانية، ص ٤١، الذى يذكر بأن البيدة بمنزلة الخبيص، ويبدو أن الخبيص نوع راق من البيدة. (راجع أيضاً : الرازى، منافع الأغذية، ص ٥٠).

(٥) الناطف : نوع من الحلوى يدخل فى تركيبه العمل أو السكر والفستق والبندق، انظر : الرازى، منافع، ص ٥١.

(٦) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٢٢.

الجوداب" ^(١) وكانت صناعتها منتشرة فى الأسواق ويقبل الناس على أكلها ^(٢).

كما كانت تصنع أنواع متعددة من الحلوى التى يدخل فى تكوينها الأرز واللبن والسمن مثل الهبطة ^(٣) واللبنية ^(٤) وكان عادة الفاطميين توزيع الأرز

(١) الجوداب : ضرب من الحلوى تدخل فى صناعته اللحم والأرز والسكر، وجوداب مغرب كوداب بالفارسية، وهو عبارة عن دجاج يقلى ويوضع فى قدر فوق أرز مطبوخ باللبن مصبوغ بالزعفران، ويغطى القدر ليكمل نضجه بداخل الفرن فيسبل دهنه على الأرز، وأحيانا كان الدجاج يوضع فى الفرن لشوى وهو معلق فوق قدر به أرز أو قطايف أو خبز منقوع فى اللبن ليسبل دهنه عليه.

(راجع : الشيرزى، نهاية الرتبة، ص ٣٥، لسان العرب، الرازى، منافع الأغذية، ص ٥٩، حلمى سالم، رسالة دكتوراه، ص ١٣٨).

ويصف أحد الشعراء الجوداب بقوله :

جودابة من أرز فائق : مصفرة فى اللون كالعاشق
عجيبة مشرقة لونها من كف طاه محكم خاذق
بكر الأهواز مصبوغة : فطعمها أحلى من الرائق

كما يوحى بأن الجوداب كان يضاف إليه السكر أحيانا.

(راجع : مروج الذهب، ج ٤، ص ٣٦٨، ص ٣٦٩).

(٢) راجع : ديوان ظافر الحداد، ص ٣٥٤، ٣٥٥.

(٣) الهبط : كلمة سندية وهى الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلا ماء، واستعملته العرب بالهاء فقالت : بهطة طيبة (راجع : المخصص لابن سيدة، ج ٥، ص ٣، لسان العرب مادة بهط، قارن : ابن قتيبة، ج ٣، من عيون الأخبار، ص ٢١٠، الخوارزمى، مفاتيح العلوم، ص ١٠٠).

(٤) الشيرزى، نهاية الرتبة، ص ٣٤.

المطبوخ مع السكر واللبن فى المناسبات المختلفة على أبواب الرسوم والوظائف وخاصة بمناسبة الاحتفال برأس السنة الهجرية^(١).

وكانت القطائف من أصناف الحلوى المنتشرة فى العصر الفاطمى بين الخاصة والعامة، ويزداد الإقبال على تناولها خلال شهر رمضان، فيذكر الشاعر المصرى عبد الرحمن بن هبة الله :

وفى الصيام فوافتنا قطائفه .: كما تست الكتيان من كسب
ما بين محشوة صفت إلى آخر .: حمر من القلى تشفى حنة السغب^(٢)

وكانت القطائف من بين الأطعمة التى تقدم فى سحور الخليفة الفاطمى فى شهر رمضان كما كانت تقدم إلى المشتركين فى الاحتفال بليالى رمضان من القراء والوعاظ والصوفية وغيرهم ممن يحتشدون فى القصر بهذه المناسبة^(٣).

وكان الناس يتهادون القطائف فى شهر رمضان، ومن أمثلة ذلك ما رواه صاحب الخريدة من أن مقدم الشعراء فى أيام الوزير الأفضل كتب إليه بعض المصرين أبياتاً فى القطائف منها :

جاءت مناسبة أخلاق مهديها قطائف كل طرف مودع فيها^(٤)

(١) خطط، ج ١، ص ٤٩٠.

(٢) كان الشاعر المذكور موجوداً بالقاهرة سنة ٥٧٢ هـ. (راجع : ابن سعيد، النجوم، ص ٢٦٦).

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٥٢، ٤٩١.

(٤) راجع : الخريدة، قسم شعراء مصر، ج ٢، ص ٥١، ٥٢.

وقد أسهب الشعراء المعاصرين للدولة الفاطمية فى وصف القطنانف^(١) وما يستخدم فى صناعتهما من الجلاب والمسك والفسق وغيرها.

كما كانت الكثافة من أصناف الحلوى المشهورة فى مصر^(٢) فى العصر الفاطمى فىصف ظافر الحداد خباز الكثافة فىقول :

وحاذق يحكم كفافه .. لا تشيع العين منه بالنظر
كأنما يسطه العجين على .. إكراه لما حفت بمسعر
ينسج فيما من السحاب على .. وامض برق يكتن بالمطر^(٣)
ويذكر الغزولى أبياتا طريفة فى القطنانف والكثافة فىقول :

قال القطنانف للكثافة ما .. بالى أراك رقيقة الجسد
أنا بالقلوب حلاوتى حشيت .. فتقطعى من كثرة الحسد^(٤)

كما عرف العصر الفاطمى صناعة العديد من الحلوى التى تدخل فى صناعتها الفاكهة^(٥) وكان الخليفة الفاطمى يتناول افطاراً فى أول أيام عيد

(١) ومن أمثلة ذلك ما ذكره الشاعر ظافر الحداد يصف وعاء من القطنانف فىقول :

جام جوى فى الطرف كل باب	مستلح منه ومستطاب
قطنانف لطائف رواب	لم تحش بل عفت على اصطحاب
فى المسك والفسق والجلاب	كأنها ألانة الأحباب
نزل فى الخلق بلا حجاب	فهى طعام وهى كالشراب

(راجع : ديوان ظافر، ص ٨٧،) .

(٢) الأدفوى، الطالع السعيد، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٨٢ .

(٣) راجع : ديوان ظافر الحداد، ص ١٣٢ .

(٤) مطالع البدور، ج ٢، ص ٨٤ .

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٠٠ .

الفطر فى مقدمته صنف من التمور التى يستخرج ما فيها وتحشى بالطيب وقلوب اللوز والفستق وغيره وتحنم وتقدم إليه فى أوانى من الذهب^(١).

الفاكهة :

امتازت مصر على مر العصور بوفرة إنتاجها من الفاكهة وتنوعه على مدار العام وإقبال الناس على شرائها^(٢) وكانت أصناف الفواكه المختلفة مثل التفاح والمشمش والخوخ والعنب من المشتريات اليومية للأسرة المصرية فى القرن الرابع الهجرى^(٣).

وكان من رسوم الدولة الفاطمية توزيع الفاكهة على أرباب الوظائف فى الدولة فى الأعياد والمواسم، فكان يوزع فى موسم النىروز من الفاكهة البطيخ^(٤) والرمان والموز والتمر وغيرها وفى الغطاس يوزع القصب والليمون والتارنج^(٥).

ورغم وفرة إنتاج مصر من الفواكه فإن الدولة الفاطمية كانت تستورد الفواكه من الأقطار المحيطة بها، ويذكر القلقشندى رواية طريفة عن خليفة العزيز بالله الذى اشتاق فى حضرة وزيره يعقوب بن كلس إلى القراصيا

(١) خطط، ج ١، ص ٤٥٢.

(٢) راجع : ابن سعيد، النجوم، ص ٣١، ابن ظهير، الفضائل، نقلاً عن ابن زولاق، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٣) راجع : أوراق الردى، ج ٥، ص ١٥٢ - ١٥٣، ج ٦، ص ١٩٠، ١٩٢.

(٤) وصف الشاعر الوجيه بن الذروى (ت ٥٧٧ هـ) بطيخه فيقول :

أتانا الفلام يطيخه : : وكبة قد أجندت مقالا

فقسم بالبرق شمس الضحى وأعطى لكل هلال هلالا

(راجع: ابن سعيد، النجوم، ص ٣٣٣).

(٥) خطط، ج ١، ص ٣٩٩.

البلبلية وكانت الرسائل بين القاهرة ودمشق تنقل عن طريق الحماد. فكتب ابن كلثوم بطاقة يأمر فيها أعرانه هناك بأن يجمع الخمام ويعلق في كل طائر حبات من القراصية البلبلية، وترسل إلى مصر، فلم يمض النهار حتى حضرت القراصيا وقدمها ابن كلثوم إلى العزيز^(١)، ورغم ما في القصة من مبالغة إلا أنها توضح أقبال رجال الدولة الفاطمية على الحياة والذخ يصل حد الأسراف في تحقيق رغباتهم.

سادساً : الشراب :

إذا كان الخبز هو الطعام الذي لا تخلو منه المائدة المصرية على مر العصور فإن الماء يعتبر الشراب الرئيسي على تلك المائدة. والمصدر الرئيسي لماء الشرب في مصر هو نهر النيل ويتفرع عنه من ترع وقنوات. وكان يفضل شرب ماء النيل من مكان يجري فيه الماء حتى لا يكون عفناً^(٢) وكان الماء ينقل إلى الدور والخوانيت عن طريق السقائين الذين يخضعون لمراقبة المحتسب وأعرانه. وكان المحتسب في الدولة الفاطمية يلزم السقائين بتغطية ما ينقلونه من ماء للمحافظة على نظافته^(٣) ورغم ذلك، فمن المعتقد أن مهمة السقائين كانت تقتصر على حمل الماء من مصادره الأصلية وتوصيله إلى الناس، دون الالتزام بأعداده ليكون صالحاً للشرب. فكان هذا الأمر يقوم به الشاربون أنفسهم وقد أورد المقرئى العديد من الطرق التي كانت تتبع لتقية ماء النيل وذلك بترسيب المواد الغريبة العالقة بالماء باستخدام الطباشير وأنواع من الطين وقلوب نوى المشمش، أو بتقطيره في أواني من الخزف والفخار أو الجلود وذلك بعد غليه وتركه حتى يبرد^(٤).

(١) راجع : صبح، ج ٢، ص ٩٧، ج ١٣، ص ٣٩١.

(٢) خطط، ج ١، ص ٦٥.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٦٤.

(٤) راجع التفاصيل : خطط، ج ١، ص ٦٥.

وكان عامة المصريين يهتمون بتبريد الماء فى الصيف وذلك باستخدام آنية من الخزف والفخار لهذا الغرض^(١) وفى الشتاء يوضع الماء فى آنية من الزجاج المدهور، وغالباً ما كان يضاف إلى ماء الشرب القليل من ماء الورد، وأحياناً يبخر الاناء بأنواع الأبخرة الطبية لتجويد مذاق الماء^(٢).

وكان يقدم أثناء الموائد التى تقام فى القصر الفاطمى طوال شهر رمضان إلى الحاضرين " الماء المبخر فى كيزان الفقاع "^(٣) وكانت أوانى الماء الثلج تخرج من عند سيدات القصر الفاطمى ملفوفة فى الأقمشة الفاخرة لتوضع بين يدى القراء فى ليلة آخر شهر رمضان لتشملها بركة ختم القرآن^(٤).

وكان تبريد الماء وغيره من المشروبات يتم باستخدام الثلج فى القصر الفاطمى وفى دور كبار رجال الدولة، فيروى ناصر خسرو أن خزانة الشراب فى العصر الفاطمى التى تحمل إليها كميات كبيرة من الثلج وكان لمعظم الأمراء ورجال الحاشية وأرباب الرتب والوظائف راتب يومى من هذا الثلج^(٥) وكان التليج يتم بوضع الآنية التى تحوى الشراب على الثلج حتى يبرد ما فيها^(٦).

(١) كانت تصنع أوانى الخزف التى يحفظ فيها الماء فى شهر أশير، وكان بعض العامة يعتقدون أن ما يصنع من أوانى فى هذا الشهر يبرد الماء أكثر مما يصنع فى أى وقت. (

راجع، ج ١، ص ٢٧٠).

(٢) خطط، ج ١، ص ٦٥.

(٣) خطط، ج ١، ص ١٨٧.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٩١.

(٥) سفرنامه، ص ٦٤، صبح، ج ٣، ص ٤٧٢، انعاظ، ج ٢، ص ١٣.

(٦) مطالع البدور، ج ٢، ص ٧١.

وكان الثلج يستورد من الشام وينقل إلى مصر فى عهد الدولة الإخشيدية^(١) وفى عهد المماليك^(٢)، ولكن المصادر التى رجعنا إليها لا تشير إلى استيراد الثلج فى العصر الفاطمى، ومع ذلك فمن المستبعد أن تكون طريقة صناعة الثلج قد عرفت فى هذا العصر وإلا كان قد استمر ذلك فى العصر المملوكى، ومن اغتمل أن الثلج كان يأتى من الشام فى العصر الفاطمى أيضاً.

ومن الأشربة الشائعة فى مصر فى العصر الفاطمى " المزر " وهو شراب يتخذ من القمح وكان العامة يقبلون عليه^(٣) وخاصة أثناء الاحتفال بالأعياد مثل عيد النوروز^(٤) و " الشمسى " ويدخل فى صناعته الزبيب والعسل ويصفه المقرئى بأنه " أجود الأشربة " ^(٥).

ومن أكثر الأشربة شهرة فى مصر شراب العسل أو نبيذ العسل الذى يصنع من ماء النيل وقت الفيضان مضاف إليه العسل^(٦) وكان هذا الشراب ينقل من مصر إلى سائر الأقطار^(٧) حتى أنه أطلق عليه " الشراب المصرى " لاختصاص مصر بصناعته^(٨).

(١) مطالع البدور، ص ٧١.

(٢) راجع : صبح، ج ١٤، ص ٣٩٥.

(٣) البغدادى، الإفادة، ص ٤٣.

(٤) خطط، ج ١، ص ٣٩٣.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٤.

(٦) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٦٦.

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض، قسم ١، ص ١٦١.

(٨) الرازى، منافع الأغذية، ص ١٧.

وكانت صناعة الخمر منتشرة في العصر الفاطمي ويختص بصناعتها الأقباط في موسم نضج الكروم ^(١) فكانت تعتصر الكروم ويضاف إليها العسل ^(٢). لذلك نجد الخليفة الحالى عندما أصدر أوامره بمنع الناس من شرب الخمر، حدد كمية ما يباع من العسل بما لا يزيد عن ثلاثة أرتال ولا يتجاوز ما يباع من العنب عن أربعة أرتال وحذر من اعتصاره ^(٣).

ونحن لا نصادف مثل هذا الحظر على الخمر إلا في عهد الخليفة الحاكم وإن كانت العادة المتبعة أن يحرم تناول الخمر ابتداء من أول شهر رجب حتى آخر رمضان فتغلق جميع قاعات الخمارين ويمنع بيع الخمر ^(٤).

وكان " شراب الفقاع " من المشروبات المنتشرة في العصر الفاطمي ويبدو أن بعض أنواعه كانت مسكرة لذلك حرم الخليفة الحاكم شرب الخمر والفقاع ^(٥).

وهناك عدة أنواع من الفقاع كانت منتشرة في ذلك الوقت من بينها " شراب الكشكاب " الذى كانت تنتشر صناعته في المدن الساحلية ^(٦) وهو يصنع من دقيق الشعير ^(٧) ومواد أخرى، و " شراب الاقسما " وكان يصنع من السكر الأبيض النقى المضاف إلى الماء وماء الورد ويطيب بالمسك ويسرد بالثلج ^(٨)، كما كان يطلق عليه الحرجى، وكان يصنع من شعير يبل حتى يلسأ

(١) خطط، ج ١، ص ٢٧٢.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٤.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٩١.

(٤) خطط، ج ٦، ص ٤٩١.

(٥) سفرنامه، ص ٤٩، اتعاظ، ج ٢، ص ٧٧.

(٦) سفرنامه، ص ٣٨.

(7) Dozy : suppl, II, p. 412

(٨) مطالع البدور، ج ٢، ص ٨٨. معالم القرية، ص ١٩٧.

فى الانبات ثم يجفف ويسحق ويضاف إليه دقيق الحنطة. ثم يسكب عليها ماء فى درجة الغليان، ويترك الشراب حتى يتخمر ثم يؤخذ ما يصفر من مائه بعد أن يبرد فيحلى بالسكر ويطيب بالأفاوية^(١).

كما كان هناك صنف من الفقاع يصنع من دقيق القمح النقى أو الشعير ويضاف إليه كرفس ونعنع وماء الرمان ويحلى بالسكر الأبيض^(٢) وكان العسل يدخل فى صناعة الفقاع فى كثير من الأحيان بديلاً عن السكر، ففى إحدى الوثائق البردية التى ترجع للقرن الثالث الهجرى نجد هذه العبارة " اخرج مما فى ايديك من العسل لعمل فقاع لأبى ذكر أبقاده الله " ^(٣).

وكان الفقاع منتشرأ فى العصر الفاطمى على موائد العامة والخاصة ويبدو أنه كان يشرب بعد الفراغ من الطعام فيذكر الشاعر ظافر الحداد :

جاءنا بعد أكلنا فقاع .: قد أجادت احكامه الصناع^(٤)

وكانت كيزان الفقاع تصنع من نوع من الطين يوجد فى جبال أسوان^(٥) وكان الصناع يتأنقون فى صنعائها وحسن منظرها حتى تسر الشاربين وفى هذا المعنى يذكر ظافر الحداد :

عندنا كيزان فقاع .: ع لها حسن ومنظر
كل كوز قد تزيى .: وتروى وتعطر^(٦)

(١) راجع : حلمى سالم، المرجع السابق، ص ١٥١.

(٢) مطالع البدور، ج ٢، ص ٨٨.

(٣) أوراق البردى، ج ٥، ص ١٤٧.

(٤) راجع : ديوان ظافر الحداد، ص ٣٦٦.

(٥) تاريخ أبى صالح الأرمنى، ص ٢٦، الأدفوى، الطالع، ص ٣٣.

(٦) ديوان ظافر الحداد، ص ١٥٣.

ومن الأهمية المنتشرة في العصر الفاطمي شراب يعرف بالجوارشى^(١) كان يوضع بصفة يومية على مائدة الخليفة الفاطمي ويصنع في دار الفطرة^(٢). وكان الخلفاء الفاطميون يتناولون الأشربة في أواني صنعت من مادة البازهر^(٣) وقد أخرج من القصر الفاطمي أثناء الشدة العظمى مائة كأس من هذا النوع، ويمتاز هذا المعدن بتغير لونه إذا كان بالشراب شئ من السم^(٤). وكانت الأشربة المختلفة من بين الرواتب المقررة لأرباب الوظائف في الدولة الفاطمية مثل أصناف الأطعمة الأخرى^(٥).

ورغم ما كانت تقدمه الدولة لموظفيها من أصناف الطعام والشراب، فإن تأنق الفاطميين في هذا المجال وشدة اسرافهم في البذخ قد ترك آثاره على من حولهم " حتى أن الخادم والسائس من غلمانهم ينفق في كل يوم على طعامه العشرة دنانير والعشرين ديناراً، لسعة أحوالهم " ^(٦).

(١) وهو شراب فارسي الأصل ومعناه المأضم للطعام، وكان له أثر مفيد في فتح الشهية للطعام وتقوية المعدة ومنفعة للسدد، ويبدو أن مصر قد عرفت هذا الشراب عن طريق العاسيين الذين كانوا يقبلون على تناول أنواع الجوارشات على موائدهم، ويعمله لهم الأطباء لفوائد السالفة.

(راجع : صبح، ج ١٤، ص ٣٦٥، حلمي سالم، المرجع السابق، ص ١٥١).

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٢٢.

(٣) توجد معادن البازهر بافند والصين وهو نافع من جميع السموم، والبازهر اسم فارسي من باك زهر، وباك بمعنى النظافة وزهر : السم، فمعناه منظف السم من الجسد، ولما عرب سقطت الكاف وقيل بازهر.

(راجع : التيفاشي، أزهار الأفكار في جواهر الأحجار، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٢٥، ابن الأكفاني، نخب الذخائر في أحوال الجواهر، القاهرة، ١٩٣٩، ص ٧٥، ٧٦).

(٤) راجع : الذخائر والتحف، ص ٢٥٤، خطط، ج ١، ص ٤١٤.

(٥) خطط، ج ١، ص ١٨٧.

(٦) اتعاظ، ج ٣، ص ٣٤٣.

الفصل الثاني

الملابس في العصر الفاطمي

- ١ - ازدهار صناعة النسيج ودور الطراز.
- ٢ - ملابس الخلفاء.
- ٣ - ملابس الوزراء والأمراء والحاشية.
- ٤ - ملابس القضاة ورجال الدين.
- ٥ - ملابس النساء.
- ٦ - ملابس العامة.

١ - ازدهار صناعة النسيج ودور الطراز :

تمتعت مصر بشهرة واسعة في فن صناعة النسيج منذ أقدم العصور واستمرت تلك النهضة خلال العصر الإسلامي ^(١) وقد عبر المؤرخون والرجال الذين زاروا مصر عن تقدم صناعة النسيج ورواج تجارته في الداخل والخارج في العصر الفاطمي ^(٢). وقد اشتهرت بعض المدن المصرية بإنتاج أنواع راقية من المنسوجات أصبحت تنسب إليها، وكانت موضع الإعجاب لجمالها وجودة صناعتها.

فكانت مدينة الإسكندرية تشتهر بإنتاج المنسوجات الكتانية الرقيقة التي يقال لها الشرب ^(٣) وكانت لجودتها تبايع بقيمة وزنها فضة ^(٤).

كما اشتهرت مدينة تيس والقري المحيطة بها بصناعة أرقى أنواع النسيج من الشرب الرقيقة، وكانت تنتج من الخيوط الكتان نسجاً راقياً يسمى القصب ^(٥) كانت تصنع منه العمامات وملابس النساء ^(٦) " والحلل التمهية لبس

(١) راجع : السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، ١٩٦١، ص ١٥٦، ١٧٢.

(٢) راجع على سبيل المثال : عمر بن يوسف الكندي، فضائل مصر، تحقيق إبراهيم المدوي، القاهرة، ١٩٧١، ص ٦٧، ٦٨، ابن حوقل، صورة الأرض، قسم ١، ص ١٥٢، ١٥٣، ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٣٨ - ٤٠، ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، الذي ينقل فصلاً عن الطعام والشراب والملابس في مصر عن المؤرخ ابن زولاق (ت ٣٨٧ هـ) ص ٦٣، ٦٧، ١٣١، ١٤٦.

(٣) راجع : Dozy : suppl. I, P. 740.

(٤) ابن حوقل، نفسه، ص ١٥٢، خطط، ج ١، ص ١٦٣.

(٥) القصب ثياب كان رقيقة ناعمة. (راجع : ابن سيده، المخصص، بولاق، ١٣١٦ هـ.

ج ٤، ص ٦٤).

(٦) ابن ظهيرة، الفضائل. نقلاً عن ابن زولاق، ص ١٣١.

فى جميع الأرض ما يدانها فى القيمة والحسن.. والرقعة والدقة " (١) وتبلغ قيمة الخلعة المذهبة من نسيجها مائتى دينار، وما لا ذهب فيها مائة دينار (٢). وكانت تلك الصناعة الراقية من أسباب اتجاه معظم أهالى تيس للعمل فى الحياكة وتجارة المنسوجات، فكان بها مائة وخمسين حانوتاً تباع فيها أنواع الأقمشة المختلفة (٣) واشتهرت تيس بإنتاج أنواع من المنسوجات لم تكن تنتج فى غيرها، وكانت بها مصانع خاصة بالخلفاء الفاطميين لإنتاج ما يحتاجه القصر من المنسوجات التى تستخدم فى الأغراض المختلفة، فيروى ناصر خسرو أنه " ينسج بتيس القصب الملون ولا ينسج هذا القصب فى جهة ما غير تيس (٤)، وما ينسج منه فى مصانع السلطان لا يباع ولا يعطى لأحد، وبتيس صناع مختصون بنسج ملابس السلطان.. وينسجون فى مدينة تيس هذه البوقلمون (٥) وهو قماش يتغير

(١) ابن حوقل، نفسه، ص ١٥٢.

(٢) خطط، ج ١، ص ١٧٧.

(٣) راجع: محمد بن أحمد بن بسام، أنيس الجليس فى أخبار تيس، بغداد، ١٩٦٧، ص ٣٧.

ويعطيان ابن بسام احصائية عن عدد الناس الموجودة بتيس وعدد عمالها فى عصر الخليفة الحاكم بأمر الله فيروى أن بها من الناس التى تعمل فيها الثياب حمسة آلاف منسج عدد عمالها عشرة آلاف سوى من يعمل بالصباغة والتلوين من الرجال والنساء، وعدد ما بها من الأسقاط التى تخزن فيها الثياب ألف وخمسمائة سبط، منها أربعمائة برسم ما يحمل إلى خزانة القصر من الثياب المذهبة التى يصل ثمن الثوب منها ألف دينار والعمامة خمسمائة دينار. (راجع : نفس المصدر والصفحة).

(٤) يؤكد هذا المعنى ابن حوقل بقوله: " وجميع ما ينسج بتيس من الكنان. (نفسه، ص ١٥٢).

(٥) يسميه ابن سيده " القلمون " ويعرفه بأنه ثوب كثير الألوان. (المخصص، ج ٤، ص ٦٨) ولكن ياقوت يذكره " البوقلمون " على أنه من المنسوجات التى تشتهر تيس بها. (معجم البلدان، ج ١، بيروت، ١٩٥٥، ص ٤١٩) وكانت تصنع من هذا النسيج أحتار هوداج الجمال وسروج الخيل الخاضعة بالخليفة. (سفرنامه. ص ٤٠).

لونه بمتغير ساعات النهار وتحمل أثوابه من تنيس إلى المشرق والمغرب ^(١) كما اشتهرت تنيس بصناعة أصناف من المناشف الفاخرة للأبدان والأرجل ^(٢).

وكانت القرى المحيطة بتنيس ذات شهرة واسعة في صناعة النسيج، مثل شطا التى تنسب إليها الملابس الشطوية الراقية ^(٣) وديبق ^(٤) التى تشتهر بصناعة الثياب المذهبة والعمائم الشرب الملونة، والمذهبة التى تصل طول العمامة منها مائة ذراع وتبلغ قيمة ما فيها من ذهب خمسمائة دينار ^(٥) ودميرة وتونة ^(٦) التى كانت تصنع بها كسوة الكعبة الشريفة ^(٧).

(١) سفرنامه، ص ٣٨.

(٢) ابن ظهيرة، الفضائل، نقلاً عن ابن زولاق، ص ٥٣.

(٣) جروهان، أوراق البردى، ج ٥، ص ٧١، ٧٢، خطط، ج ١، ص ٢٢٦.

(٤) اختلف الجغرافيون فى تحديد اسم هذه القرية، فيذكر البكرى أن المراكب فى طريقها إلى الشام تمر بمدينة " دبقوا " التى تصنع فيها الثياب الديقية. (راجع : أبو عبد الله البكرى، المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب، الجزائر، ١٩١١، ص ٨٦). ويذكر ياقوت أن " دبيق " بلدة تقع بين القرما وتنيس من أعمال مصر تنسب إليها الثياب الديقية. (معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٤)، ولكنه عند ذكر " دبقا " يذكر نفس المعلومات السابقة، ويستطرد قائلاً : " وسألت المصريين عنها قالوا : دبيق بلد قرب تنيس. (نفسه، ص ٩٣) مما يؤكد صحة اسم دبيق تلك القرية المصرية التى لا يكاد يخلو مصدر من ذكر نسيجها الديقى المشهور.

(٥) خطط، ج ١، ص ٢٦٦.

(٦) ابن حوقل، نفسه، ص ١٥٢، خطط، ج ١، ص ١٨١.

(٧) كانت تنيس والقرى المحيطة بها تخدم مكة بالهدايا القيمة فى موسم الحج خلال العصر الفاطمى، وكانت هذه الهدايا تشمل بالإضافة إلى كسوة الكعبة على القباب الديقية بمراتبها والبنود وأنواع الأقمشة المختلفة وحسين جملا بزيتها. ومائة رأس من الخيل بسروجها وجمعها.

(راجع، خطط، ج ١، ص ١٨١).

ومن المدن المصرية ذات الشهرة الكبيرة فى صناعة المنسوجات. مدينة دمياط. وكانت تختص بصناعة النسيج الأبيض الذى تبلغ قيمة الثوب منه ثلاثمائة دينار^(١) وكان بها مصانع ضخمة للنسيج، والحاككة يستاجرون غرفاً بهذه المصانع لمباشرة صناعتهم^(٢)، وبلغ من إتقان صناعة النسيج بها وجودته أن بيعت فى سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م حلتان من إنتاجها بثلاثة آلاف دينار، ويذى ياقوت دهشته من عظم هذا الثمن فيقول: "وهذا مما لم يسمع بمثله فى بلد" ^(٣). كما اشتهر صعيد مصر بصناعة الأقمشة الراقية وكان يوجد العديد من المدن التى اشتهرت فى هذا الشأن وخاصة نسيج الصوف الذى يستخدم فى الأردية والعمائم^(٤) وغيرها من الملابس.

ويبدو أن عهد الخليفة العزيز قد تميز بظهور أنواع من المنسوجات الراقية ازدهرت صناعتها فى أيامه، إذ يروى صاحب أخبار الدول المنقطعة تحت عنوان: "ذكر ١٠ جدد فى أيام العزيز مما لم يعهد بمثله قبل ذلك : الثياب المثقل والعمائم الشرب الملونة، والديقى المعلم المذهب، والعمائم الشرب المذهبة طول مائة ذراع، ونسج السقلاطون^(٥) بمصر ونسج العنابى^(٦)

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٨٦.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

(٤) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٨٦، ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص ٦٣، ١٣٩، سيد خليفة، تاريخ المنسوجات، ص ٣٧.

(٥) السقلاطون : من الأقمشة التى اشتهرت الدولة البيزنطية بإنتاجها وكانت تصنع من الحرير وخيوط الذهب.

(٦) كان فى بغداد حى يسمى العتية نسبة إلى عتاب بن أسيد الذى ينتهى نسبه إلى أمية بن عبد شمس، وقد أسلم يوم فتح مكة واستعمله النبى عليها بعد الفتح.

(راجع : كتاب حذف من نسب قريش، لمؤرخ بن عمرو السدوسى، القاهرة. ١٩٦٠، ص ٣٦) ويبدو أن العنابى نسبة إليه.

عصر " (١). والفقرة الأخيرة توضح أن السقلاطون والعنابي وهى منسوجات ليست مصرية أدخلت صناعتها فى مصر فى عصر الخليفة العزيز.

كما أنشأ يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز " دار الديباج " بالقاهرة وكانت تلك الدار مخصصة لصناعة الحرير الديباج (٢) وقد أسند الأشراف على إدارتها إلى موظف من كبار رجال الدولة (٣).

وكانت مصانع النسيج ودور الطراز (٤) الخاصة بالدولة الفاطمية، المنتشرة فى أنحاء البلاد وبوجه خاص فى الاسكندرية ودمياط وتيس (٥) ترسل

(١) مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٢.

(٢) الحرير الديباج المقصود به الحرير النقوش، والديباج كلمة فارسية الأصل تعنى النقش أو التزين.

(راجع : ابن سيدة، النخوص، ج ٤، ص ٧٦، الجوالقى، العرب، ص ١٨٨، ١٩٢).

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٦٤.

(٤) الطراز كلمة فارسية الأصل بمعنى التطرز، أو الثوب الموشى بأشرطة من الكتانة، وأخيراً أصبحت تطلق على المصنع الذى تطرز فيه تلك الأشرطة. وكان من عادة ملوك الفرس قبل الإسلام تزين ملابسهم بالصور وبشكال مميزة حتى لا يقلد ملابس الملوك عامة الناس وأحياناً كانوا يحضون القربى من حاشيتهم وموظفى دولتهم ببعض هذه الملابس، وقد عرف المسلمين عنهم هذه العادة ولكنهم اعتاضوا عن الصور والرسوم بكتابة أسماء خلفائهم مصحوبة بصيغة خاصة من الدعاء أو المدح، وكانت هذه الكتابة تسجح أحياناً فى حمة الثوب وسداه أو تطرز بعد نسجه بخيوط من الذهب أو الفضة أو الحرير الذى يختلف فى لونه عن لون الثوب المطرزة عليه، وقد اهتم الخلفاء الفاطميون بتسجيل أسمائهم على قطع النسيج الثمينة، ويمتحن الفن الإسلامى بالقاهرة أمثلة عديدة من المنسوجات التى تحمل أسماء الخلفاء الفاطميين. وتدل الآثار على وجود نوعين من دور الطراز: طراز الخاصة، وطراز العامة. ومن المحتمل أن طراز الخاصة كان ينسج ملابس الخلفاء وكبار رجال الدولة وطراز العامة محتص بنسج ثياب من هم دون ذلك الرتبة.

(راجع : الجوالقى، العرب، ص ٢٧١، ٢٧٢، محمد عبد العزيز مرزوق، الزخرفة

المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية، القاهرة، ١٩٤٢، ص ٢١، ٢٢، ٢٥، زكى =

يانتاجو، إلى القصر الفاطمي لتخفظ في خزان الكسوة. وكان يشرف على
 يد هذه المنسوجات موظف كبير فلا تسند إلا إلى أحد " أعيان المستخدمين
 من أرباب العمائم والسيوف ^(١) يطلق عليه " ناظر الطراز " وكان يعمل تحت
 إمرته مائة رجل لمساعدته في إدارة دور الطراز والمناسج الخاصة بالخليفة وعندما
 يصل ناظر الطراز إلى القاهرة حاملا ملابس الخليفة الخاصة، كان يعد له
 استقبال حافل، وتمنح له دابة من دواب الخليفة لركوبه. ويقام في مشرفة
 الغزالة ^(٢) وتجري عليه الضيافة كأنه أحد السفراء الواردين على الدولة ^(٣).

وكان بالقصر الفاطمي خزانتان للكسوة : الخزانة الظاهرة أو الخزانة
 العامة وكان يشرف عليها موظف من كبار رجال الحاشية، وكانت الخزانة مقراً
 للخياطين الذين يقومون بحياكة الثياب واعدادها حسب ما يصدر إليهم من
 تعليمات، ويرأس هؤلاء الخياطين صاحب المقص وهو " مقدم الخياطين " ^(٤).

والخزانة الباطنة أو الخزانة العالية الخاصة ^(٥)، وكانت تنقل إليها الملابس
 التي تخص الخليفة مما صنع في الخزانة الظاهرة، وتشرف على تلك الخزانة امرأة
 تلقب دائما " زين الخزان " يساعدتها ثلاثون جارية ولا يرتدى الخليفة ثيابه إلا

=حسن، كنوز الفاطميين، ص ١١٤، دليل متحف الفن الإسلامي، القاهرة، ١٩٥٢.

ص ٢٧، الفن الإسلامي، ص ٣٣٦، ٣٥٥).

(٥) صبح، ج ٣، ص ٤٧٢، خطط، ج ١، ص ٤١٣.

(١) خطط، ج ١، ص ٤٦٩.

(٢) منظر الغزالة من جملة مناظر الفاطميين على شاطئ الخليج، وكان يقطنها الأمير أبو
 القاسم بن المستنصر، ثم أصبحت مخصصة لاقامة ناظر الطراز عند قدومه إلى القاهرة.
 (خطط، ج ١، ص ٤٦٩).

(٣) المقرئ، نفسه.

(٤) صبح، ج ١٠، ص ٣٤٦، خطط، ج ١، ص ٤١٢.

(٥) صبح، نفسه.

في هذه الخزانة وليس عند أحد من زوجاته أو جواريه ثياب له، وكانت تجلب لتلك الخزانة يومياً الزهور العطرة لتوضع في صناديق الثياب لتكسيها رائحة^(١) قبل ارتداء الخليفة لها.

وكانت خزانة الكسوة العامة تخزن فيها الملابس بعد إعدادها حتى يأتي موعد توزيعها على موظفي الدولة، فيروى المقرئ أن الفاطميين " كانوا يخرجون من خزائن الكسوة إلى جميع خدمهم وحواشيهم ومن يلوذ بهم من صغير وكبير ورفيع وحقير، كسوات الصيف والشتاء من العمامة إلى السراويل، وما دونه من الملابس والمنديل من فاخر الثياب ونفيس الملبوس " ^(٢).

وكانت تلك الملابس تختلف في مكوناتها وقيمتها تبعاً لوظيفة الشخص الممنوحة له ومكانته الاجتماعية، فالملابس غالباً ما تعبر عن الوضع الاجتماعي لمرتديها فهي ذات طابع طبقي في كل مكان وزمان، وللأسف فإن المصادر التي بين أيدينا - رغم وفرتها - قد أسهت في ذكر تفاصيل ملابس الخاصة من الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة، ولكنها أغفلت ذكر ملابس العامة إلا بعض الإشارات المتفرقة التي لا تعطي صورة واضحة عن ملابس هذه الطبقة وسنحاول إعطاء صورة عن الملابس التي تميزت بها فئات المجتمع المختلفة في العصر الفاطمي.

(١) صبح، ج ٣، ص ٤٧٢، خطط، نفسه.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٠٩، وبلغت عدد قطع الملابس التي وزعت على موظفي الدولة في كسوة الشتاء سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م أربعة عشر ألفاً وثلاثمائة وخمسة قطع، وكانت الكسوة توضع في شدة أو ربطة تحمل اسم صاحبها ومعها رقعة من ديبان الإنشاء موجهة إلى صاحب الكسوة تين فضائل الدولة الفاطمية على رجليه. وانعدهم عليهم، وحققها في إخلاصهم وطاعتهم. (راجع : خطط، ج ١، ص ٤١٠، ٤١٢).

٢ - ملابسات الخلفاء :

اتخذ الفاطميون اللون الأبيض شعاراً لدولتهم. وألقوا اللون الأسود شعار الدولة العباسية^(١) من جميع مظاهر الحياة الرسمية، فما كاد جوهر الصقلي يستولى على مقاليد الأمور في مصر حتى أصدر أوامره بمنع الخطبة لبنى العباس، وألبس الخطباء البياض إعلاناً عن قيام الدولة الفاطمية^(٢) " وأزال من مصر السواد "^(٣) وقد تشدد جوهر في هذا الأمر، فيروى المقرئ في حوادث ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م أن عبد الله بن طاهر الحسيني دخل على جوهر في مجلسه وبرفته القضاء والعلماء والشهود، وكان يرتدى طيلساناً^(٤) كحلياً، فاستاء جوهر من لبسه هذا اللون، ومد يده فشق الطيلسان، فغضب ابن طاهر وتكلم محتجاً، فأمر جوهر غلمانه بتمزيق الطيلسان وهو يضحك، ثم أمر بإحضار عمامة خضراء ورداء أخضر وقام بنفسه وألبس ابن طاهر وعممه^(٥). وكان اللون الأخضر من الألوان المحببة لدى

(١) كان العباسيون يتخذون اللون الأسود شعاراً لدولتهم، وبروى القلقشندي أن سبب ذلك أن النبي (صلعم) عقد لعمه العباسي يوم حنين يوم الفتح راية سوداء، ورواية أخرى تذكر أن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية عندما قتل إبراهيم بن محمد العباسي، أول مطالب بالخلافة من بني العباس، حزن عليه العباسيون ولبسوا السواد. فلزمهم ذلك وصار شعاراً لهم. (راجع : صبح، ج ٣، ص ٢٧١).

(٢) راجع : ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ١٢٠، السبوطي، تاريخ الخلفاء، القاهرة. ١٩٥٢، ص ٤٠٢.

(٣) المقرئ، اتعاط، ج ١، ص ١١٩، نقلاً عن ابن زولاق.

(٤) الطيلسان : ثوب يلتبس على الكتف مثل الطرحة، وغالباً ما يكون خال من التفصيل والحياطة، ويذكر ابن جبير أن الطيلسان هو الذي يسمى في المغرب الإحرام.

(راجع : ابن جبير، الرحلة، بيروت. ١٩٦٤، ص ٢٤، ٢٥، الحوالقي، المغرب.

ص ٢٧٥. هامش (١) صبح، ج ١، ص ٤٢٨، Dozy : vet, P, 278.

(٥) اتعاط، ج ١، ص ١٣٢.

الفاطميين. وتروى المصادر التاريخية أن الخليفة المعز عندما حضر إلى مصر ظهر أمامه الناس وقد ارتدى الحرير الأخضر^(١).

ومن الجدير بالملاحظة أن اللون الأسود لم يكن منبوذاً تماماً لدى الفاطميين، بل كان أخفاء يستعملونه في ملابسهم وفرشهم^(٢) وهناك من الدلائل على أن لبس السواد في الدولة الفاطمية كان يعبر عن الخوف على الدولة والتحفز للدفاع عنها^(٣) وكان المقصود بذلك التحذير من عواقب الكارثة التي قد تؤدي إلى عودة سيطرة الدولة العباسية.

(١) العيني، عقد الجمان، ج ١٩، ورقة ٢٦٧، أبو الخاسن، النجوم، ج ٤، ص ٧٤.

(٢) من أمثلة ذلك نسيج من الكتان الأسود موجود في متحف الفن الإسلامي بيزه شريطان من الكتابة الكوفية ومسجل عليه اسم الخليفة الحاكم بأمر الله.

(راجع : الفن الإسلامي، ص ٢٣٦)، فقد عرف عن الحاكم لبسه الملابس السوداء.

(راجع : تاريخ الأنطاكي، ص ٣٠٥)، كما يروى المقرئ أن الخليفة الظاهر كان تدي في مواكبه عمامة شرب وثوب ديبقي وكلاهما مدير بسواد.

(راجع : اتعاظ، ج ٢، ص ١٣٧).

لعل ذلك يفسر ارتداء منجوتكين والى دمشق في عهد الخليفة الحاكم بالسواد عندما أرسل له برجوان كتاباً يحذره فيه بالخطر الذي يتعرض له الخليفة نتيجة سيطرة ابن عمار على شئون الدولة، فسارع منجوتكين إلى المسجد الجامع في دمشق مرتدياً السواد. وجمع قواده وكبار رجال الولاية وخطب فيهم يحثهم على طاعة الخليفة الحاكم والزود عنه، "ويكي وخرق ثيابه السود".

(راجع : ابن القلائسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٤٤ - ٤٦، النويري، مخطوط نهاية

الأزب، ج ٢٦، لوحة ٥٠، ٥١. وعندما قتل الخليفة الظاهر سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م واضطربت الأمور في القاهرة، واستجد بأهل القصر بالصالح طلائع بن رزيك والى الصعيد. الذي أقبل إلى القاهرة حاملاً أعلاماً سوداء، ويرتدى ملابس سوداء للقضاء على الفتنة ورغم نجاحه في مهمته إلا أن ذلك اعتبر قتل سي، فيروى المقرئ تعليقا على هذا الحدث "فإن الأعلام العباسية السود دخلت القاهرة وأزالت الأعلام العلوية البيض بعد خمس عشرة سنة".

(راجع : ابن الأثير، الكامل، ج ١١، ص ٧٢، ابن خلكان، وفیات، ج ١، ص ٣٩٥.

٣٩٦، صبح، ج ٣، ص ٢٧١، اتعاظ، ج ٣، ص ٢١٧).

وكانت ملابس الخليفة الفاطمي تختلف باختلاف المناسبة التي يرتديها فيها، كما كانت ملابسه في المراكب الرسمية تغاير ما يرتديه داخل القصر وطبقا للمعلومات التي أوردها المقرئ، عن ملابس الخليفة في موكب عيد الفطر يمكن تحديد زيه على الوجه التالي : لباس الرأس وهى العمامة وكانت تتكون من ثلاثة قطع " شاشية طميم"^(١) ومنديل بعمود ذهب^(٢) وبطانة

(١) الشاشية ما يلبس على الرأس من قماش الشاش المعروف، وتوضع قبل لف العمامة وقد تلبس على الرأس بدون عمامة أو ما يدار حول العمامة، وطميم بمعنى رقيق (المحيط).

(راجع : Dozy : vet, P, 240، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٥٢).

(٢) المقصود بالمنديل هنا قماش العمامة التى تلف حول الرأس. (راجع: اتعاظ، ج ٣، ص ٢٤٨). والعمود الذهب آلة توضع عليها العمامة بعد ربطها كعلاقة بعد تميم المنديل فوق الشاشية.

(راجع : اتعاظ، ج ٢، ص ٣٠).

ويوضح المقرئ ذلك فى ذكره لما يمتلكه أحد رجال الدولة الفاطمية من ملابس، فيقول أنه كان يملك ثلثمائة وستون بدلة مذهبة، فكان يلبس كل يوم بدلة " وكل منديل، وهى العمامة، على مسمار فضة ".

(اتعاظ، ج ٣، ص ١٤٨).

وهذا ينقض التفسير الذى ذكره الدكتور محمد حلمى محقق كتاب اتعاظ الحنفيا (الجزء الثانى والثالث) عند ذكر خلعة أحد الأمراء الفاطميين التى تحتوى على " بدلة طميم منديلها مائة ذراع " ففسر المنديل هنا بأنه " يجعل فى النطقة المشدودة فى الوسط بمعنى الخزام ".

(راجع : اتعاظ، ج ٣، ص ١٠١، وهامش (٢) من نفس الصفحة).

ولكن المقصود بالبدلة ومنديلها : العمامة التى تلبس معها. (راجع : نفسه، ص ١٠٢). فالمعروف أن هذا التصنيف من المناديل كانت تشتهر بصناعاته مدينة ديبق التى تنتج العمامات الشرب المذهبة ويبلغ طولها مائة ذراع. (راجع : خطط، ج ١،

للمندبل " (١). وكانت عمامة الخليفة غالبية الثمن: ويروى ناصر خسرو أن أحد صنّاع تيس قد صنع عمامة للخليفة المستنصر بلغت قيمتها أربعة آلاف دينار غير ما تحويه من الجواهر (٢).

= وكان المندبل يستخدم أيضاً لأغراض مسح اليد والوجه وهى نفس الأغراض التى يستخدم فيها حالياً، ويوجد بالمتحف الإسلامى مندبل مربع طول ضلعه ٤٠ سم من نسيج الكتان الرقيق بزخارف على شكل أشرطة من حرير، وعليه اسم الخليفة الفاطمى العزيز بالله.

(راجع : الفن الإسلامى، ص ٣٣٥، قارن، ابن سعيد، المغرب، القسم الخاص بالفساط، ص ١٨٥).

كما يروى صاحب الذخائر والتحف أن من بين التحف التى أخرجت من القصر الفاطمى فى الشدة العظمى " قطعة مندبل من نسيج زغب ريش سمندل، وهو طائر معروف ينسج من زغب ريشة مناديل للفم لا تحترق بالنار ". (راجع : الذخائر والتحف، ص ٢٥٩).

ونجد هذا المعنى فى عبارة " مندبل سلام " التى وردت بين ملابس الخليفة الفاطمى فى موكب فتح الخليج، والمعروف أن الخليفة كان يشتر بمندبله للقاضى رداً على تحيته له فى هذه المناسبة.

(راجع : خطط، ج ١، ص ٤٧١، ٤٧٤، وراجع التفاصيل فى موسم الاحتفال بفتح الخليج فى الفصل الخاص بالأعياد المصرية).

كما أن المندبل كان يعنى أحياناً اللغة التى توضع داخلها الملابس فى العصر الفاطمى.

.. (راجع : اتعاظ، ج ٢، ص ٩، ج ٣، ص ٦٥، راجع أيضاً : Dozy : vet, P, 414.

(suppl, 2, P, 653.

(١) خطط، ج ١، ص ٤١٠.

(٢) سفرنامه، ص ٣٨.

وكان يطلق على عمامة الخليفة "منديل الجواهر" ^(١) لكثرة ما تحويه من الجواهر الثمينة، كما كانت تسمى "شدة الوقار" أو "التاج الشريف" ^(٢) وكان يرتدى الخليفة هذه العمامة فى المواكب العظام ويقوم بشدها وإعدادها موظف كبير من خواص الخليفة من طبقة "الأستاذين المحنكين" قد تمرس على هذا العمل، فكان يرصع العمامة بالجواهر على هيئة هلال من الياقوت الأحمر وفى الوسط جوهرة لا تقدر بثمن تعرف بالتيمة تكون فوق جبين الخليفة عند لبس العمامة ^(٣). وكان الخليفة يضع على رأسه أحياناً الكلوتة ^(٤) المرصعة بالجواهر التى كانت تلبس بمفردها أو مع العمامة، وتقدر قيمتها بمائة وثلاثين ألف دينار ^(٥).

أما باقى ملابس الخليفة فكانت تتكون من ثوب حريرى مزين بالرسوم المذهبة مفصل على قدر جسده، يليه ثوب آخر من الحرير الديبى وسطانى

(١) تاريخ أبى صالح الأرمنى، ص ٣٢.

(٢) صح، ج ٣، ص ٣٢.

(٣) راجع : صح، نفسه، ص ٤٦٨، ٤٨٠، أبو المحاسن، النجوم، ج ٤، ص ٨٤.

(٤) يصفها دوزى بأنها طاقية يلبسها عليه القوم وجمعها كلاوات وكلوتات.

(راجع : Dozy : vet, P, 387)

ويذكر المقريزى الكلوتات من بين الملابس التى يرتديها البحارة وتمنع لهم من الدولة فى العصر الفاطمى.

(راجع : خطط، ج ١، ص ٤٧٢)

ولا شك أنها نوع من الطواقى كما ذكر دوزى وأن كلوته الخليفة كانت على درجة عالية من الصنعة والقيمة غير التى يرتديها البحارة وغيرهم من الطبقة الوسطى.

(راجع أيضاً : ديوان تميم، ص ٣٥٣)

(٥) الدختر والتحف، ص ٢٥٨. تعاض، ج ٢، ص ٢٩٠.

وبعدها قميص حرير. ^(١) بالإضافة إلى سروال " حجرة " ^(٢) له حزام مطرز بالذهب ^(٣) ولا شك أنه كان يرتدى في قدمه حذاء من صنف ولكن لم يذكره المقرئى هنا، ولكنه ذكر فى كتابه اتعاض الحنفا أن الخليفة العزيز خرج فى

(١) كان القميص يلبس فى ذلك الوقت فوق السروال وليس تحته كما هو معروف، ويصل فى الطول حتى منتصف الساقين، وأنه كان واسعاً يصلان إلى المعصم.

(راجع : Dozy : vet, PP, 387، أوراق الردى، ج ٦، ص ٧٣، ٧٤).

(٢) يرى الدكتور عبد النعم ماجد أن كلمة " حجرة " التى أوردها المقرئى بين ملابس الخليفة وغيره من موغنى الدولة الفاطمية لا تعنى شيئاً، ويقترح أنها " حجرة " بمعنى حزام.

(راجع : خطط، ج ١، ص ٤١٠ - ٤١٣، حيث تكررت كلمة " حجرة " وقارن: ماجد، نظم، ج ٢، ص ٥٢).

ولكن صاحب لسان العرب يذكر " الحجر بالفتح والكسر للحاء : الثوب. - حجر الانسان وحجره : ما بين يديه من ثوب. (راجع : مادة حجر) والمقصود بكلمة حجرة فى نص المقرئى السروال، ويؤكد هذا المعنى ما أورده المؤرخون عن تركة برجوان التى كانت تحتوى على " ألف سروال ديبقى بألف تكة حرير ".

(راجع : ابن الصرفى، الإشارة، ص ٢٨، ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ٨٨، النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٥٢).

ولكن صاحب أخبار الدول المنقطعة يذكر أن تركة برجوان " اشتملت على ألف حجرة جديدة ما لبست، وفى كل حجرة تكة جديدة قيمتها وحدها ثلاثة دنانير ".

(راجع : مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٤).

وهكذا وضع النص كلمة حجرة مكان كلمة سروال، والمعروف أن كلمة تكة أو دكة كما يسميها العامة رباط السراويل. (راجع : Dozy : vet, PP, 99, P, 203).

بما يوضح أن كلمة حجرة تعنى السروال.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤١٠، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٥٢.

مركب صلاة الجمعة وعليه طيلسان وفي رجله حذاء^(١) وإن كنا لا نملك تفاصيل هيئته ومادة صناعته^(٢).

وكانت تلك الملابس لا تختلف كثيراً عما يرتديه الخليفة في المراكب الأخرى إلا في غدد القطع التي تتكون منها أو الألوان التي تميزها. فكان الخليفة يرتدى عند خروجه لصلاة الجمعة في شهر رمضان الثياب الحريرية البيضاء غير المذهبة توقيراً للصلاة، والعمامة والطيلسان المقور^(٣) أما رداءه في عيد الأضحى فكان يغلب عليه اللون الأحمر^(٤) ولعل هذا اللون تمييزاً لهذه المناسبة التي تذبح فيها الضحايا، وكان الخليفة يقوم بنفسه بنحر الذبائح^(٥).

(١) اتعاط، ج ١، ص ٢١٤.

(٢) ومن المحتمل أن الخلفاء كانوا يرتدون الحذاء العربي المكشوف الذي يحفظ في الرجل بواسطة زمام بين الأصبع الوسطى والتي تليها، فيروى المقرئ أن الخليفة الحاكم كان يرتدى في ركوبه "حذاء عربي بقبالين".

(اتعاط، ج ٢، ص ١٠١).

وقال النعل : زمام بين الأصبع الوسطى والتي تليها (القاموس المحيط).

(٣) انظر : صبح، ج ٣، ص ٥٠٦، اتعاط، ج ٢، ص ١٥٩.

والطيلسان المقور نوع من الطبالس كانت تخط وتعمل بها فتحة تسع الرقة وتسدل على الأكاف فالقصود بالقوارة ما قورت من الثوب، أى قطعت بقصد التفصيل.

(راجع : المخصص، ج ٤، ص ٦٨، ٧٩، ٨٧، اتعاط، ج ١، ص ١٣٢، Dozy

vet, P, 218).

ويذكر المقرئ هذا الضرب من الطبالسة من بين خلع الوزراء في العصر الفاطمي ويعرفه بقوله : " الطيلسان المقور الذي يسمى الطرحة ".

(راجع : خطط، ج ١، ص ٤٤، قارن : ابن حجر، رفع الاصر، ص ١٣٢).

(٤) صبح، ج ٣، ص ٥١١.

(٥) راجع : التفصيل في فصل الأعياد الدينية موضوع " عيد الأضحى ".

وكان الخليفة الفاطمي يرتدى في موسم فتح الخليج ثوبا يسمى البدنة^(١) يصنع للخليفة في مناسج تنيس ولا يدخل فيه من الغزل غير أوفيتين وبنسج باقيه من الذهب بصناعة محكمة لا يحتاج بعدها إلى تفصيل وخياطة وتبلغ قيمته عشرة آلاف دينار^(٢).

وكان الخليفة يخرج في المراكب المختصرة والتي غالباً ما تكون بهدف النزهة، مرتدياً ثياباً أقل تعقيداً من التي يرتديها في المراكب الرسمية، فكان في تلك الحالة يرتدى الملابس المذهبة البيضاء، وعلى رأسه عمامة قد أرخى نهايتها

(١) يبدو أن البدنة قد أخذت اسمها من أنها تغطي البدن وتكون فوق الملابس مثل العباءة. فقد وصفها ناصر خسرو كما رآها على الخليفة المستنصر بأنها فضفاضة كالتي تلبس في بلاد المغرب. (راجع : سفرنامه، ص ٥٤).

ويروى القلقشندي أن ولاية الأقاليم في عهد الدولة الفاطمية كان يخلع عليهم عند التعيين "من خزانة الكمسة بالبدنة وهو النوع الذي يلبسه الخليفة في يوم فتح الخليج". (صح، ج ٣، ص ٤٩٤).

ومن المستبعد أن تكون البدنة التي تخلع على والي الاقليم قيمتها عشرة آلاف دينار مثل بدنة الخليفة.

(سفرنامه، ص ٥٤، خطط، ج ١، ص ١٧٧).

ومن المحتمل أن القلقشندي قارن بين بدنة الخليفة والوالى غرد ورود البدنة كلباس للخليفة في موسم فتح الخليج، ومن المعتقد أنها أقل قيمة بكثير ولعلها تختلف عنها في الشكل فالبدنة كانت لباساً شعبياً في القرن الرابع الهجري ويصفها دوزي بأنها صديري قصير بغير أكمام يصنع من الكتان أو الحرير.

(راجع : أوراق البردي، ج ٥، ص ١٥٤، Dozy : suppl. I, P. 58, vet, P. 57).

(٢) راجع : سفرنامه، ص ٥٤، خطط، ج ١، ص ١٧٧، ٤٧١.

وتركها تتدلى من جانبها الأيسر^(١) أما ملابس الصيد فكانت تتكون من ثوب أحمر مذهب، وعلى رأسه عمامة من نفس اللون^(٢) ومن الملاحظ أن هذا اللون تعبيراً عن ما فى الصيد من قنص وذبح للحيوانات وهو نفس المعنى الذى سبق ذكره عند ارتداء الخليفة اللون الأحمر فى عيد الأضحى.

ولم تكن الملابس التى يرتديها الخلفاء ذات تقاليد جامدة لا يمكن تغييرها فال معروف عن الخليفة الحاكم أنه كان زاهداً فى كل مظاهر الحياة، وكان يلبس الصوف على ظاهر جسده رغم خشونته، وكان يرتدى اللون الأسود ويكثر من الخروج مكثفاً فى ملابسهِ بالدراعة^(٣) والعمامة وفى رجله حذاء عربى بقبالين^(٤) وفى موكب عيد الفطر سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م لم يرتد الخليفة الحاكم الملابس التى اعتاد الخلفاء ارتدائها فى هذه المناسبة، بل اكتفى بثوب من اللون الأصفر وعلى رأسه عمامة تحتك بطرفها، وليس عليه من شارات الملك إلا تاج الجواهر^(٥).

وكان الخليفة يرتدى داخل القصر ملابس بسيطة تختلف عن تلك التى يظهر بها أمام الناس فى المواكب والمناسبات تعرف بالملابس الدارية^(٦) تتميز بقصر أكمامها وقلة اتساعها^(٧) وكان يكتفى بلبس الثوب والعمامة^(٨)، ومن

(١) خطط، ج ١، ص ٤٨٤.

(٢) انعاظ، ج ٢، ص ١٣٦.

(٣) الدراعة نوع من الثياب تشبه الحجة مشقوفة من الأمام وغالباً ما تكون من الصوف (لسان العرب).

(٤) تاريخ الأنطاكي، ص ٢٠٥، انعاظ، ج ٢، ص ١٠١.

(٥) انعاظ، ج ٢، ص ٥٨.

(٦) خطط، ج ١، ص ٤١٣.

(٧) صبح، ج ٣، ص ٥١٨، خطط، نفسه.

(٨) انعاظ، ج ٢، ص ١٤٤.

الجانز أن ينتقل الخليفة بهذه الملابس بين القصرين وفي هذه الحالة كان لابد من أن تصاحبه المظلة التي غالباً ما تكون من نفس لون الملابس التي يرتديها^(١).

وكان الخليفة العزيز يتخفف من معظم ملابسه داخل القصر ويكتفى بارتداء الخفستان^(٢) وحول وسطه الحزام^(٣)، وكانت الملابس التي يرتديها الخليفة مقدسة وتعد من الهدايا النفيسة التي لا تهدى إلا في المناسبات المهمة وإلى الشخصات الكبيرة، ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن خلكان أن جوهر الصقلي عند خروجه على رأس جيوش المسلمين لفتح مصر سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م، كان الخليفة المعز في وداعه وبعد عودته إلى القصر بعث له " ملبوسه وكل ما كان عليه سوى خاتمه وسراويله " ^(٤) وكانت ملابسه تهدى أيضاً إلى اتباع الدولة والموالين لها اعترافاً بفضلهم وتكريماً لهم^(٥).

(١) اتعاظ، نفسه، ص ١٥٠.

(٢) الخفستان أو القفطان ثوب يشبه الجبة مفتوح من الأمام ومزين بأزرار حول الصدر بأكمام قصيرة تمتد حتى الكوع، ويبلغ طوله حتى منتصف الساق وأحياناً أقل انخفاضاً وإن كان لا يقصر عن الركبة، وكان الأثرياء يرتدون الخفستان مصنوعاً من الحرير أو القطيفة.

(راجع : Dozy : vet, PP, 162 - 168).

ونلاحظ أن القفطان كان من الملابس الشعبية في العصر الفاطمي وقبله وكان موضع اقبال من الناس ورغم أننا لا نملك تفاصيل هبته إلا أنه كان يصنع من الحرير بوجه خاص، وقد تكرر ذكره في قوانين بعض بائعي الأقمشة في أوراق البردى العربية.

(راجع : أوراق البردى، ج ٦، ص ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٩، ١٠٠).

(٣) اتعاظ، ج ١، ص ٢٩٣.

(٤) وفيات، ج ١، ص ١١٩.

(٥) راجع هدية الأمر إلى حرة اليمن، اتعاظ، ج ٣، ص ١٠٣.

٣ - ملابس الوزراء والأمراء والحاشية :

اعتاد الخلفاء الفاطميون أن يخلعوا على وزرائهم عند التعيين فى منصب الوزارة وبمناسبة الأعياد والمراكب ^(١) وكانت هذه الخلع تتفق وثناء الدولة الفاطمية وحبها للبذخ والفخامة فى رسومها، فكانت خلعه الوزير بمناسبة مركب عيد القطر بدلة خاصة مذهبة " موكية " بالإضافة إلى ما كان يمنح لزوجاته وأولاده ^(٢) وكانت تلك الملابس الموكية تبلغ عدد قطعها إحدى عشر قطعة مثل بدلة الخليفة ^(٣) وكان من أعظم مظاهر التكريم أن يخلع الخليفة على وزيره " ملابس جسده الطاهر " ^(٤) فعند عودة الخليفة من مركب صلاة عيد القطر إلى القصر، ينزع عنه " الثياب العبدية ويلبس سواها من خزانة الكسوات " ^(٥) ثم تمنح هذه الملابس للوزير تشريفاً له فى هذه المناسبة ^(٦) وكان يحدث نفس الشئ فى عيد الأضحى ^(٧).

وكانت ملابس الوزراء فى العصر الفاطمى الأول تتميز بالعمامة الكبيرة المكونة من عدة طبقات وينتهى طرفها ليدور حول الحنك، مع إرخاء ذؤابة

(١) انظر على سبيل المثال : النويرى، نهاية الارب، ج ٢٦، لوحة ٧٠، المقرئى، اتعاظ،

ج ٢، ص ٥، ٢٩، ابن حجر، رفع الإصر، ص ١٩٤.

(٢) اتعاظ، ج ٣، ص ٣٤٣، خطط، ج ١، ص ٤١١.

(٣) راجع : خطط، ج ١، ص ٤١٠، ٤٤٠، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٥٩.

(٤) ابن الصيرفى، الإشارة، ص ٥٩.

(٥) خطط، ج ١، ص ٣٨٨ نقلاً عن المسبحى.

(٦) نفسه، ص ٤٥٥.

(٧) صح، ج ٣، ص ٥١١، راجع التفاصيل فى فصل الأعياد الدينية عند الحديث عن

عيدى القطر والأضحى.

العمامة على الظهر تمييزاً للوزير عن سائر أرباب السيوف والأقلام^(١) وكان إرخاء طرف العمامة على الظهر يعد تكريماً لصاحبها، ولا يسمح لأى شخص أن يفعل ذلك وخاصة فى المواكب الرسمية غير الخليفة والوزير^(٢).

وكان الزى المميز للوزراء هى الدراعة أو الجبة^(٣) وهى رداء قصير لا يصل إلى الركبتين مشقوفة من الرقبة إلى أسفل الصدر، وكانت تزين بعري وأزرار غالباً ما تصنع من الأحجار الكريمة، وكانت هذه الملابس هى " علامة الوزارة " للوزراء من أصحاب الأقلام^(٤).

أما فى العصر الفاطمى الثانى عندما أصبح الوزراء من أرباب السيوف، فكان يضاف إلى الزى السابق الطيلسان، وهو الزى المميز للقضاة لأن الوزير أصبح يجمع بين وظيفتى الوزارة والقضاء، كما أنه " إشارة إلى أنه كبير أرباب السيوف والأقلام " ^(٥).

فعندما تولى بدر الجمالى الوزارة (٤٦٦ هـ - ٤٨٧ هـ / ٩٧٦ - ٩٩٧ م) فوض إليه الخليفة المستنصر أمر القضاة والدعاة، وصار من اختصاصه

(١) خطط، ج ١، ص ٤٤٠.

(٢) نفسه، ص ٤٧٣.

(٣) ذكر بعض المؤرخين عند وصفهم خلج الوزراء الجبة بدل الدراعة وهما يحملان نفس المعنى تقريباً.

(راجع : ابو شامة، الروضتين، ج ١، قسم ٢، ص ٤٣٩، السيوطى، حسن، ج ٢.

ص ٢٠، ٢١، قارن : اتعاض، ج ٣، ص ٣٠٨).

والمعتقد أن الجبة التى كان يرتديها الفقهاء أطول من الدراعة.

(-راجع : Dozy : vet, P. 170).

(٤) راجع : اتعاض، ج ٣، ص ٤٨٥، ٤٨٦، خطط، ج ١، ص ٤٤٠.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٤٠.

تعيين القاضي والداعي على أن يكون كل منهما نائب عنه، وأضيف إلى ملابسه الطيلسان المقور أو الطرحة على حد تعبير ابن حجر^(١) فكان الطيلسان في العصر الفاطمي الثاني هو الإضافة الجديدة التي ميزت وزراء هذا العصر عن وزراء القلم بعد أن أضيف إليهم مهام جديدة ويحدد ذلك النويرى بقوله " وخلق المستنصر بالله على بدر الجمالي بالطيلسان، وصار أمر المستخدمين في حكمه والدعاة والقضاة نوابه "^(٢). وبعد أن تخلص الخليفة الأمر من سيطرة الوزير الأفضل بن بدر الجمالي بقتله سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م أى أن يحكم من سلطة وزيره الجديد المأمون ابن البطانجي، فلم يخلع عليه بالطيلسان^(٣) ولم يأت ذكر الطيلسان بعد ذلك في خلع الوزراء حتى وزارة الصالح طلائع بن رزيك. فيروى المقرئى في معرض حديثه عن ملابس الوزراء قوله " ولما قام الأفضل بن أمير الجيوش خلع أيضاً عليه بالسيف والطيلسان المقور، وبعد الأفضل لم يخلع عليه أحد من الوزراء كذلك إلى أن قدم طلائع بن رزيك وجعل في خلعتيه السيف والطيلسان المقور "^(٤).

وقد استمرت ملابس الوزراء على تلك الصورة حتى نهاية عصر الدولة الفاطمية^(٥) أما كبار رجال الدولة من الأمراء فكانت ملابسهم تتسم بالفخامة

(١) راجع : ابن حجر، رفع الامر، ص ١٣٢، قارن : الإشارة : ص ٥٦، خطط، ج ١، ص ٤٤٠.

(٢) نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٣٠.

(٣) الإشارة، ص ٦٣.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٤٠.

(٥) راجع تفاصيل خلعة صلاح الدين الأيوبي آخر وزراء الدولة الفاطمية عند ولى الوزارة للخليفة العاضد سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م فى : أبو شامة، نفسه، ص ٤٣٩، انعاظ، ج ٣، ص ٣٠٨.

وتوحي بالتأنق والثراء، وكانت ملابسهم تتكون من بدلة مذهبة وعمائمهم من القصب المطرز بالذهب وتبلغ قيمتها خمسمائة دينار، وكان أكابر الأمراء من القواد يتميزون بالطرق الذهب الذى يوضع حول أعناقهم، وهؤلاء يعرفون بالأمراء المطوقين^(١) وكان وزير القلم فى العصر الفاطمى الأول يشاركهم فى لبس هذا الطرق، ثم صار فى العصر الفاطمى الثانى يتميز عنهم بلبس عقد الجوهر عوضاً عن الطرق^(٢) وكانت قيمة هذا العقد خمسة آلاف دينار^(٣).

وكانت تختلف الملابس التى يرتديها باقى موظفى القصر وأرباب الرتب فى الدولة ما بين بدلة مذهبة " وبدلة حريرى، وكانت عدد القطع المكونة للبدلة تختلف من شخص لآخر حسب مكانته فى الحاشية أو أهمية وظيفته، ولكنها غالباً تشتمل على الأجزاء الأساسية للملابس فى هذا العصر وهى والسر وال^(٤) فكانت مكونات أقل كسوة فى الدولة الفاطمية لا تقل قطعتين^(٥).

وكانت طبقة الحاشية والخدم فى القصر يتميز منها الأستاذون المخزون وكانوا يرتدون البدل المذهبة ويلقون عمائمهم حول أكتافهم، أما غير المخنكين منهم فكانوا يرتدون البدل الحريرية^(٦).

(١) خطط، ج ١، ص ٤٤٠.

(٢) نفسه، قزن : ماجد، نظم، ج ٢، ص ٥٨.

(٣) اعطاء، ج ٣، ص ٣٤٣.

(٤) كانت القمصان والسرويل هى الملابس التقليدية للرجال والنساء فى مصر قبل العصر الفاطمى وخلاله، وكانت تصنع من الكتان والقطن والحرير المغلوط وأحياناً من الجلد.

(٥) راجع : أوراق البردى، ج ٦، ص ٧٩.

(٦) راجع : خطط، ج ١، ص ٤١١.

(٦) راجع : صح، ج ٣، ص ٤٧٧، خطط، نفسه.

أما عن ملابس طوائف العسكر في الدولة الفاطمية فمعلوماتنا عنها نادرة وإن كان المقرئ يذكر أن الفرسان والمشاة كانت تخرج في المراكب على أحسن وجه من التجميل وكمال الزى^(١) وكان صبيان الركاب الذين يحيطون بالخليفة في المراكب لحراسته ويبلغ عددهم أكثر من ألف رجل تتميز ملابسهم بالعمائم الكبيرة ويشدون أوساطهم بالأحزمة وهم يشتهرون الأسلحة في أيديهم^(٢) ويروى ناصر خسرو، أنه كان يسير أمام الخليفة المستنصر في موكب فتح الخليج ثلاثمائة راجل من الديلم "عليهم ثياب رومية مذهبة، وقد حزموا خسورهم، وأكمامهم واسعة كما يلبس رجال مصر"^(٣).

وكان رؤساء السفن يرتدون الشقق^(٤) الدمياطى والعمائم الحريرية والنواتية يرتدون الشقق الاسكندراني والطواقى (الكلونات) على رؤوسهم^(٥).

٤ - ملابس القضاة ورجال الدين :

كان للفقهاء ورجال الدين في الدولة الفاطمية ملابس تميزهم عن غيرهم من فئات المجتمع^(٦) وأهم ملابسهم "العمامة" وكان الاحتفاظ بها على الرأس مظهراً اجتماعياً يضاف على لابسها الاحترام والتقدير^(٧) وكان حجم العمامة

(١) خطط، ج ١، ص ٤٤٦.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٤٩، النجوم، ج ٤، ص ٨٩، انظر لوحة (١٠) المرفقة.

(٣) سفرنامه، ص ٥٤.

(٤) الشقق نوع من الثياب القصيرة كانت تلبس فوق القميص في العصر الفاطمي.

(٥) راجع : Dozy : suppl. I, P, 773، ماير، الملابس المملوكية، ص ٤٠.

(٦) خطط، ج ١، ص ٤٧٢.

(٧) انعاظ، ج ٣، ص ٥٦.

(٨) ابن سعيد، النجوم، ص ٥٨.

غالباً ما يعبر عن مكانة لابسها بين أرباب العمامم في الدولة^(١) لذلك كان الشيوخ ورجال الدين غالباً ما يبالغون في لبس العمامم الضخمة^(٢).

وكانت العمامة ذات الذؤابة المرخاة في آخرها. والطيلسان المقور هو الزى الرسمي للقاضي في الدولة الفاطمية^(٣) وكانت عمامة القاضي ذات حجم كبير تكريماً له عن سائر أرباب العمامم في الدولة، وكان التصريح بلبس عمامة على غرار عمامة القاضي يعد تشريفاً كبيراً للشخص المسموح له بذلك. فيروى المقرئ في أحداث سنة ٤١٥ هـ - ١٠٢٤ م أنه عند تعيين والي الشرطة بمصر كانت من بين خلعه " عمامة قاضي مذهبة "^(٤).

وكان المشرف على مقياس النيل في الدولة الفاطمية يخلع عليه في مناسبة الاحتفال بفتح الخليفة بالطيلسان المقور تشريفاً له، ويبدو أن منحه الطيلسان كان بسبب انتمائه إلى وظيفة " العدول المختكين "^(٥) وهي وظيفة قضائية.

وكان زى المحتسب في الدولة الفاطمية يشتمل على حبة^(٦) وعمامة مذهبة^(٧). وكانت ملابس الفقهاء ورجال الدين وخطباء المساجد تتكون في

(١) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٦٩.

(٢) راجع : الكندي، كتاب الولاية والقضاة، ص ٤٦٠.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٤٠، تعاط، ج ٢، ص ٧١، ابن حجر، رفع الإصر، ص ٢٠٧.

(٤) تعاط، ج ٢، ص ١٥٠.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٧٧.

(٦) راجع الهامش السابق عن الحبة والدراعة، والواقع أن الحبة كانت من الملابس المنتشرة في مصر قبل العصر الفاطمي وخلالها، وغالباً ما كانت تبطن من الداخل عند خياطتها.

(٧) راجع : أوراق البردي، ج ٦، ص ٧٩.

(٧) تعاط، ج ٢، ص ٣٩.

الغالب من الجبة والبردة^(١) والطيلسان^(٢) ولذلك كانت يطلق على تلك الفئة
شعب "أرباب الطيلاس" ^(٣) في الدولة الفاطمية.

٥ - ملابس النساء :

كانت نساء القصر الفاطمي ابتداء من زوجات الخليفة إلى أقل مستخدمة
يحصلن على الكساوى فى المناسبات التى تمنح فيها للرجال من موظفى الدولة
ومن تفاصيل هذه الكساوى يمكن معرفة أهم ما كانت ترتديه نساء القصر فى
العصر الفاطمي، فكانت المرأة الأولى فى القصر التى تعرف بالجهة العالية^(٤)
ترتدى حلة مذهبة يصل عدد قطعها إلى خمس عشرة قطعة، فكان غطاء الرأس
يتكون من أربع قطع تلبس طبقاً لترتيب معين بحيث تغطى الرأس ويتدلى طرف
إحدى القطع حتى تصل إلى الأرض من جهة الظهر^(٥) وباقى الملابس تتكون
من رداءين من الحرير، وقميص مذهب بأكمام قصيرة وسروال، وملاءة واسعة
لتغطية كل تلك الثياب^(٦).

وكانت ملابس باقى نساء القصر تقل مكنوناتها تبعاً لمكانتها فى البلاط
الفاطمي وتتراوح بين حلة مذهبة وحلة حريرية وهى ما ترتديه المستخدمات^(٧).

(١) البردة كساء يلتحف به مثل العباءة (قاموس المحيط).

(٢) راجع : ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤، ٢٥.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٤١، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٦٢.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤١٠.

(٥) نفسه، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٥٦.

(٦) خطط، ج ١، ص ٤١٠، ٤١١.

(٧) خطط، ج ١، ص ٤١١.

وكانت هناك ملابس خاصة بالجوارى والراقصات الهدف منها إبراز مفاتهن ليكنوا متعة للناظرين، فكانت العازقة والمغنية ترتدى ثوباً طويلاً واسع الأكمام مزين بالزخارف، وفوق رأسها عصابة تشبه العمامة^(١) وأحياناً تضع على رأسها تاجاً^(٢) أو تترك شرائط مرصعة بالجواهر تتدل من عصابة كذؤابة^(٣).

وكانت الراقصة ترتدى ثياباً واسعة طويلة الأكمام وسراويل واسعة وتلقى على كتفها بشال ومن المحتمل أن تضع أسفل الرداء مشدات لإبراز مفاتن جسدها^(٤) وأحياناً كانت الراقصة ترتدى ملابس شبه عارية^(٥).

وكان الشعراء فى ذلك العصر يدعون الأبيات الرقيقة لكتابتها على ملابس الجوارى، وخاصة ما يضعنه على رؤسهن من عصابات، ومن ذلك ما كتبه الأمير تميم بن المعز على قطعة من ملابس جارية :

رقتى فوق رقعة الأيثار عقد سحر لأعين النظار
من رآنى رأى لهيباً وماء وعجيب لقاء ماء ونار^(٦)

وكانت المرأة فى العصر الفاطمى مثل الحال فى كل زمان ومكان تتزين ما أمكنها التزين وخاصة بالخلى المصنوعة من الأحجار الكريمة والذهب والفضة، والتى تعلق على صدرها أو تتدل من رقبتها وأذنيها مثل مشابك

(١) راجع : دليل متحف الفن الإسلامى، ص ٨٦، انظر لوحة (٤) المرفقة ولوحة (٩).

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٨، وبخصوص كلمة تاج راجع :

انظر لوحة (٩)، Dozy : suppl, I, P, 85, vet, P, 100.

(٣) نفسه، ص ١٥٩، انظر لوحة (٩).

(٤) نفسه، ص ١٦٠، انظر لوحة (٦).

(٥) نفسه، ص ٧٣.

(٦) ديوان تميم، ص ٢٣٨. انظر أمثلة أخرى فى الديوان، ص ٢٨. ص ٢٤٤.

الصدر والعقود والأساور والأقراط وغيرها ويوجد العديد من هذه الآثار التي ترجع العصر الفاطمي في متحف الفن الإسلامي^(١)

٦ - ملابس العامة :

كانت النساء من العامة يرتدين على رؤسهن العصائب، كما كان لبس السروال والغلالة^(٢) منتشراً في ذلك الوقت، بالإضافة إلى القميص. وكان لبس النساء للسراويل الواسعة يعد خروجاً عن الآداب ومناخياً لتقاليد المجتمع الفاطمي، لذلك نودى في شوارع القاهرة والفسطاط سنة ٣٦٣ هـ : ٩٧٣ د بتجنع النساء من لبس السراويل الكبار^(٣).

وكانت المرأة من العامة ترتدى فوق ثيابها ملاءة واسعة فضفاضة تخفى كل جسدها^(٤) بالإضافة إلى النقاب الذى يحجب وجه المرأة أثناء وجودها

(١) راجع : الفن الإسلامي، ص ٢٨ - ٣٢، ص ٣٤، ص ٣٨ - ٤١، انظر لوحة (٩).

(٢) الغلالة بكسر الفين ما يلبس تحت الثوب من رقيق المنسوجات. (راجع : اغيط، مادة غل). واشتهرت مصر بصناعة المنسوجات البيضاء الرقيقة التي تصنع منها غلاتل النساء في العصور الوسطى، وكان سعر الغلالة الحريرية في العصر الفاطمي تتراوح بين سبعة دنائير وعشرين ديناراً، مع أن أوراق البردى تعطى سعراً أقل بكثير، ولعل ذلك راجع إلى أن أسعار الملابس التي صنعها المقرئى من الأصناف التي تخرج من خزانة الكسوة بالقصر، فهي من النوع الرافى. أما النوع الذى تشير إليه البرديات فهو أقل قيمة لأنه من ملابس العامة.

(راجع : خطط، ج ١، ص ٤١٠، على بهجت، صناعات النسيج في مصر في العصور الوسطى، مجلة المعهد العلمى الفرنسى، القاهرة، ١٩٠٣، ص ١٠ وما بعدها، أوراق البردى، ج ٦، ص ٧٣، ٧٤).

(٣) تعاط، ج ١، ص ٢١٤.

(٤) الشيرى، نهاية الرنة، ص ١٠٨.

خارج دارها^(١) وكان من وظيفة اغتصب منع النساء من ارتداء الملابس الخلية والتي لا تلتزم ستر جسدهن وعدم إبراز مفاتهن^(٢).

وكانت النساء يرتدين فى أرجلهن الخفاف، وكان هنالك نوعاً من تلك الخفاف تحدث صوتاً عند المشى بها مما قد يلفت أنظار الرجال إلى المرأة، وكان هذا يعد من الأمور المنافية للآداب، التى تستوجب تدخل الغتصب لمنع النساء من ارتداء هذا النوع من الخفاف وتحذير الأساكفة من صنع^(٣) كما كان النساء يرتدين فى أرجلهن داخل الدور القباقيب والزبايل^(٤).

أما ملابس رجال العامة، فكان التجار وخاصة أصحاب الحوانيت منهم يرتدون ملابس لا تختلف كثيراً عما يرتديه الفقهاء ورجال الدين، فكانت ملابسهم تكون من " ثياب واسعة، وعمائم مدورة، وطيالس سابلة"^(٥). أما أرباب الحرف والصناعات، فكانوا يرتدون غطاء الرأس الذى يعرف بالقلنسوة^(٦) والتى تصنع من الحرير أو الكتان^(٧) وأحياناً يرتدون

(١) راجع : ياقوت: معجم الأدياء، ج ٤، ص ٥٩.

(٢) راجع : معالم القرية، ص ٢٤٣.

(٣) الشيرى، نهاية الرنة، ص ٧٣.

(٤) الزبايل، نوع من الخفاف تلبسه الجوارى.

(٥) راجع : صبح، ج ١، ص ٤٢٨، النجوم، ج ٥، ص ٣١.

(٦) المقرىزى، اغانة الأمة، ص ٢٦.

(٧) القلنسوة والقلنسوة جمعها قلانس وقلانس وقلنس يلبس على الرأس مثل العصامة، وهى ما يلاث على الرأس تكويراً.

(٨) راجع : ابن سيدة، المحصى، ج ٤، ص ٨١، ٨٢، قاموس المحيط، مادة قلنس.

(٩) الشيرى، نهاية الرنة، ص ٦٨.

العمائم المجدولة^(١) وكانوا يسترون أجسامهم بالسراويل والقمصان التي شيز بسعة أكمامها^(٢).

وكان بعض أرباب الحرف يرتدون ثياباً تنفق وطبيعة عملهم، فكان العجان يرتدي ثوباً بدون أكمام يسمى "ملعبة" لمنع نزول العرق من أبطيه إلى العجين، ويربط على جبينه عصاية لنفس الغرض^(٣).

وكانت سراويل السقائيين تتميز بلونها الأزرق وضيقها وقصرها لتكون "ضابطة لعوراتهم"^(٤) وتناسب عملهم الذي يحتتم عليهم الخوض في المياه للملئ قربهم، كما كان الرجال الذين يعملون في حرفة البناء يرتدون أيضاً السراويل الضيقة لسر عوراتهم أثناء صعودهم وهبوطهم^(٥).

وكان العامة يعتنون بارتداء ملابسهم على أحسن صورة ويهتمون بجودة تفاصيلها بحيث تكون معتدلة الأكمام والأطراف ومستوية الذيل^(٦)، وكانوا

(١) راجع : الفن الإسلامي، ص ١٦٢، زكى حسن، كنوز الفاطميين، ص ١٦٢، انظر أيضاً لوحة (١) المرفقة.

(٢) سفرنامه، ص ٥٤، الفن الإسلامي، ص ٥٩، ٦٣.

(٣) الشيرزى، نهاية الرتبة، ص ٢٥، ابن سيد، المخصص، ج ١٣، ص ١٦، القماموس المخطط، مادة لعب.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٦٤.

(٥) معالم القرية، ص ٣٤٣.

(٦) الشيرزى، نفسه، ص ٦٧.

يلبسون الأقمشة المزينة بصور الحيوانات والطيور^(١) والتي تزين أكتافهم الأشرطة المزخرفة^(٢).

وكان الناس يرتدون في المواسم والأعياد والمناسبات الأسرية أجل ما عندهم من ثياب، وقد يضطر الفقراء منهم إلى تأجير الثياب في تلك المناسبات ويروى الشيرازي خبراً طريفاً مفاده أن الصباغين في أيام "المواسم والأعياد" كانوا يؤجرون ما عندهم من ثياب أحضرها أصحابها لصبغها، لمن يلبسها ويتزين بها، وكان المحتسب يتدخل لمنع هذا العمل^(٣).

وكان لباس القدم المنتشر في العصر الفاطمي هو الخذاء أو النعل^(٤) وكانت صناعة النعال من الصناعات المنتشرة في مصر في العصر الفاطمي حيث انتشرت حوانيت الأساكفة في الأسواق^(٥) وكانت النعال الراقية تصنع من جلد البقر المستورد من الحبشة^(٦) أما الأصناف الأخرى فتصنع من الجلود المحلية.

وقد تعرض الأساكفة لكساد تجارتهم وخاصة ما يصنع منها للنساء^(٧) عندما حظر الخليفة على النساء الخروج من دورهن ومنع الأساكفة من صنع الخفاف لهن.

(١) معالم القرية، ص ١٦٣.

(٢) عبد الرؤوف يوسف، الرسوم الأدبية، مجلة المجلة، العدد رقم ٢١، سبتمبر ١٩٥٨.

ص ٧٩، شكل ١١، الفن الإسلامي، ص ١٦١.

(٣) الشيرازي، نفسه، ص ٧٢.

(٤) راجع: اتعاط، ج ١، ص ٢١٤.

(٥) الشيرازي، نهاية الرتبة، ص ٧٣.

(٦) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٥٩، ٦٠.

(٧) راجع التفاصيل في فصل: المرأة في المجتمع الفاطمي.

الخاتمة

الخاتمة

حكمت الدولة الفاطمية مصر زهاء قرنين من الزمان (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧١ م) وصلت خلالها إلى ذروة مجدها السياسي، وحققت أعلى أمانيتها بالدعاء خلفائها على منابر بغداد عاصمة الدولة العباسية سنة ٤٥٠ / ١٠٥٨ م وانتصرت على الد أعدائها رغم انه كان انتصاراً مؤقتاً لم يستمر طويلاً. كما بلغت الدولة خلال تلك الحقبة قمة مجدها الحضارى ونعمت بدرجة عالية من الثراء والبدخ وتعجب المؤرخون المعاصرون مما كانت تحويه خزائن الفاطميين من ضروب التحف النادرة والكنوز النفيسة ودهشوا لعظمة رسوم الدولة ونظمها الراقية. وما كانت تغدقه على موظفيها وكل من يتصل بها من صنوف النعم والهبات السخية.

وفي نفس الوقت فإن الدولة الفاطمية قد بلغت فى مراحل من تاريخها ذروة الضعف السياسى وتعرضت عاصمتها القاهرة للغزو من قبل عناصر أجنبية وكان الخلفاء عاجزين عن رد الخطر عن قصورهم نفسها، كما بلغت أحياناً درجة كبيرة من الفقر والتدهور الاقتصادى حتى وصل الحال بأحد خلفائها إلى الجلوس وحيداً فى قصره الضخم الذى تعرى من محتوياته من التحف والذخائر ونهته ايدى الجند ولا يجد ما يجلس عليه الا حصيراً، ويتناول طعامه من صدقة تقدمها له إحدى بنات الأشراف.

بلغت الدولة الفاطمية القمة فى الثراء والبدخ والمجد السياسى والاقتصادى كما عانت أيضاً من التدهور والفقر والاضمحلال.

ولكن رغم ذلك فإن الدولة الفاطمية قد تركت بصماتها واضحة فى تاريخ مصر الحضارى والاجتماعى فيما تلى ذلك من عصور.

فإذا ألقينا نظرة شاملة على النشاط السياسى والعسكرى للدولة الفاطمية حيل الينا أنها قبضت فترة حكمها مشغولة بإعداد الجيوش والأساطيل للوقوف فى

وجه أعدائها والتصدى لهم فى معارك متعددة لم يخلو منها عصر خليفة من خلفائهم حتى انهارت فى نهاية الأمر على يد أعدائها ومن كانوا يتظاهرون بصداقتها والدفاع عنها. وإذا استعرضنا نشاط الدولة الفاطمية المذهبية والعقائدى خيل إلينا فى بعض المراحل أننا أمام دولة تقوم على نظام دعائى دقيق غاية الدقة تتسلسل فيه مراحل الدعوة وإقناع الأعوان بفلسفتها ومذهبها وأحقية أصحابه فى الخلافة الإسلامية، كما يخيل إلينا فى مراحل أخرى أننا أمام نظام مفتت يوشك على الإنهيار تعددت فيه المذاهب العقائدية المنشقة التى تصارعت فيما بينها، وأن هذه الفرق المتصارعة توشك أن تحظم البناء على رأس مشيده.

وإذا ألقينا نظرة عامة على نشاط الفاطميين الثقافى، خيل إلينا أنهم قضوا حياتهم فى محراب العلم يدنون العلماء إلى مجالسهم ويتأدبون على يديهم ويحيطون أنفسهم بالشعراء والأدباء ويفدقون عليهم من فيض كرمهم وبذخهم وكان حياتهم كلها فن وثقافة وتدين.

وإذا استعرضنا مجالس اللهو والطرب والغناء وما كان يجرى فيها من ضروب التهتك والانطلاق والشراب خيل إلينا أن حياتهم لم تكن تخلو من هذا الضرب من اللهو لكثرة ما تأنقوا فيه واهتموا به.

وإذا القينا نظرة شاملة على حفلاتهم وأعيادهم ومواكبهم الفخمة ومآذبيهم العامرة خيل إلينا أن أيامهم كلها " أعراسا وأفراحا " على حد تعبير المؤرخ الفاطمى ابن زولاق وإذا استعرضنا من جانب آخر ما تعرضت الدولة له من نكبات ومجاعات وشدائد عاصفة خيل إلينا أننا أمام قوة منهارة لا تملك من أمرها شيئا.

والواقع أن الدولة الفاطمية قد أصابت من كل هذا بسهم وافر. وتعرض اغتحم المصرى خلال عصرها لكل تلك الأمور مجتمعة.

وإذا كانت طبقة الخاصة في المجتمع المصري في عصر الدولة الفاطمية قد عاشت في رخاء وبحبوحة من العيش نتيجة لما كانت تقدمه الدولة لها من ضروب الأمان والتأمين الاقتصادي، فإن طبقة العامة قد تأثرت كثيراً بمظاهر البذخ والشراء التي انطبعت بها معظم مظاهر الحياة في ذلك الوقت، وكان يصيبها بعض تلك الخيرات وكانت تسعد بكل ما تحمله مظاهر تلك الأعياد والمواسم والاحتفالات التي كانت متنفساً للجميع في الانطلاق والمرح والأخذ من الحياة بنصيب. وفي نفس الوقت فإن الخاصة والعامة كانوا يعانون من فترات الاضطراب الداخلي والخارجي وما يصاحبها من أمور قاسية.

وإذا كان يحق لنا سياسياً أن نقول أن صلاح الدين الأيوبي قد قضى على الدولة الفاطمية في سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م، وأنه أعاد إلى مصر الأعلام العباسية السوداء وأسقط أعلام الفاطميين البيضاء، وأنه قضى على المذهب الشيعي الإسماعيلي ليحل محله المذهب السني، فإنه من العث أن نقول أن المجتمع المصري قد تغير في هذا التاريخ من مجتمع فاطمي إلى مجتمع عباسي أو أيوبي فإن الأحداث السياسية تجري على السطح سريعة المهولة، ولكن التغير الاجتماعي يمضي في الأعماق بطيناً متاقلاً.

وقد لا يجانبنا الصواب إذا قررنا أن معظم مظاهر المجتمع المصري في عصر الدولة الفاطمية ظلت ممتدة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي إلا ما يتعلق منها بعقائد الإسماعيلية واحتفالاتها المذهبية.

بل لعلنا لا نغالي إذا قلنا أن الدولة الفاطمية مازالت تلقي بظلالها على بعض مظاهر حياتنا الاجتماعية في الوقت الحاضر، وإن إلقاء نظرة سريعة على بعض عاداتنا في الاحتفال ببعض المواسم والأعياد، وخاصة الاحتفال بشهر رمضان، وأنصاف الحلوى والأطعمة التي نقبل عليها في تلك المناسبات، وما يلهو به أولادنا من تمايل الحلوى والفوانيس الملونة، لدليل على صحة هذا القول.

فهارس الكتاب

أولاً: الأعلام

ثانياً: الأماكن والمواضع والبلدان

ثالثاً: المصطلحات وأسماء الدواوين

رابعاً: القبائل والجماعات

خامساً: كشاف مفسر لأهم المصطلحات

سادساً: اللوحات

أولاً: الأعلام

(أ)

- إبراهيم حمادة : ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ -

- ابن الأثير : ص ٢٢ ، ٢٨ ،

٢٨٥ ، ١١٢ ، ٧٧

- إحسان عباس : ص ٤٣ ، ١٣٧ -

- أحمد بن الأفضل : ص ٦٢ ، ٢٣٠ -

- أحمد بن عبد السلام الشافعي :

ص ١٨٣

- أحمد بن علي الجرجاني (أبو

القاسم) : ص ٢٠٩

- أحمد فكري : ص ٢١٥ -

- الأنخرم بن زكريا : ص

١٠٦ ، ١٠٧

- ابن الأخوة : ص ١١٩ -

- الأذفوي : ص ١٩٨ ، ٢٦٨ ،

٢٧٤

- أدولف جروهمان : ص ٧٢ ،

٢٧٩ ، ١٩٣ ، ٨٣

- أسامة بن منقذ : ص ٢٣٨ -

- إسماعيل بن جعفر الصادق : ص

١٦٢

- آصف بن علي فبظي : ص ٨ -

- ابن أبي أصيبعة : ص ٢٩٣ -

- الأفضل (ابن أمير الجيوش بدر

الجمالي) : ص ٢٠ ، ٢٨ ، ٢٩ ،

٣٢ ، ٣٣ ، ١١ ، ١١٢ ، ١٨٩ ،

٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ،

٢٢٣ ، ٢٥٤ .

- ابن الأكفاني : ص ٢٧٥ -

- الأمر بأحكام الله : ص ١٥ ، ١٨ ،

٢٢ ، ٢٨ ، ٥٦ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٠ ،

١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٦ ، ١٤٧ ، ١٥٥ ،

١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ٩٢ ،

١٩٤ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ ، ٣٠ ،

٢٣٨ ، ٢٥٤ ، ٢٦٣ .

- ابن إياس : ص ٧٩ ، ١٦٩ -

- أليك الداوداري : ص ٢٩ ، ٣١ -

- بئرس الداودار: ص ١٦ . ١٦٤

- ابن البيطار: ص ٢٤٦ . ٢٥٤

(ب)

- تغريد (أه العزيز بالله): ص ٢٢

٢١٤

- تميم بن المعز: ص ١٧٢ . ٢٠٧

٢١٧ . ٢١٨ . ٢٣٦ . ٢٥٧

٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٨٨

(ج)

- ابن جبر: ص ١٨٣ . ٢٨٤

٣٠٠

- جرجس (الأثبا): ١٠٠

- جعفر الصادق: ص ١٦٢

- أبو جعفر مسلم (الشريف):

ص ٢٣ . ٢٤ . ٧٤

- جمال الدين علي بن ظافر: ص ٢٣

- الجواليقي: ص ٢٤٥ . ٢٥٢

٢٦١ ، ٢٨١ ، ٢٨٤

- ابن الجوزي: ص ٩٤

(ب)

- الباز العريني: ص ٦٩

- بدر الجمالي (أمير الجيوش):

ص ٢٠ . ٢٩ . ٦٨ . ٨٢ . ١٠٢

٢٠٩ ، ٢٩٥

- برجوان (أبو الفتوح): ص ١٥

٣٠ . ٣٢ . ٩٥ . ٩٨ . ١٧٥

- البغدادي: ص ٢٤٧ ، ٢٥١

٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١

٢٧٢

- بكار بن قتيبة: ص ١٨٣

- أبو بكر الداوداري: ص ٦٨

١١٥

- أبو بكر الهمداني: ص ٧ ، ١٨٣

٢٧٢

- بلتكين: ص ١٩٧

- بنيامين التطيلي: ص ٨٢ ، ١٠٧

٢٤٢ ، ٢٥٩

- بهرام الأرمني: ص ١٠٤ ، ١٠٥

١٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٣

- ابن حجر العسقلاني: ص ٥٠.

٨٧، ١٠٤، ١٠٥، ١٨٣.

٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٩.

- ابن حجلة: ص ٥١.

- حسن إبراهيم حسن: ص ٤٤.

١٠١، ١٠٨، ١٦٨.

- حسن الباشا: ص ١٣.

- حسن عبد الحافظ: ص ٢١.

- الحسن بن علي: ص ١٦٠.

- الحسين بن جوهر: ص ١٥.

١٩٤، ٢٠٠.

- الحسين بن علي: ص ١٥١.

١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥.

١٦٠، ٢١٠.

- حسين نصار: ص ١٢٢.

- الحسين بن النعمان: ص ٥١.

- حلمي سالم: ص ١٧٠، ٢٥٢.

٢٦٦، ٢٧٤، ٢٧٥.

- ابن حمدان: ص ٨١.

- ابن حوقل: ص ٢٢، ٢٧.

٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩.

- جوهر الصقلي: ص ١٢، ١٣.

١٤، ١٥، ١٦، ٢٤، ٣٥، ٦٨.

٧٣، ٩٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠.

٢٨٤، ٢٩٣.

(ج)

- أبو الحارث الباسري: ص ٢٢٢.

- الحافظ: ص ١٨، ٥٢، ١٠٤.

١٠٥، ١٠٦، ١١٢، ١٢٩.

١٦١، ١٦٤، ٢١٠، ٢١٣.

٢٣٨، ٢٥٤.

- الحاكم بأمر الله: ص ١٥، ٢١.

٣٠، ٣٤، ٤١، ٤٨، ٥١، ٦٧.

٦٩، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨٧.

٧٩، ٨٢، ٨٤، ٨٥، ٨٩، ٩٤.

٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩.

١٠٠، ١١١، ١١٥، ١١٦.

١١٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٧.

١٥٥، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٥.

١٧٦، ١٨٠، ١٨٢، ١٩٤.

٢١٣، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠.

٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٧.

٤٤، ٢٦٤، ٢٥٠، ٢٦٠.

٢٧٨، ٢٩٢.

(خ)

- ابن الراهب (أبو شاذان): ص ٧٧
- أبو الرداد (عبد الله بن عبد السلام): ص ١٨٣، ١٩٢
- رزيق بن طلائع: ص ٣٥، ١٩٧
- ابن رسته: ص ١٨٤
- الرشيد بن الزبير: ص ١٦
- رشيدة (بنت المعز لدين الله): ص ٢١، ١١١
- رضوان بن ولحشى: ص ١٠٥، ٢١٠

(ز)

- زرة بن عيسى بن نسطورس: ص ٩٨
- زكى محمد حسن: ص ٢١٥، ٢١٦، ٢٨١، ٣٠٤
- ابن زولاق: ص ٢٣، ٢٤، ٢٥، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٥، ١٥٢
- زيدان (صاحب المظلة): ص ٨٥
- زين العابدين بن الحسين بن علي: ص ١٢٧

- ابن خلكان: ص ١١، ١٢، ٣٢، ١٨٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٦٠، ٢٥٦، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٣
- الخوارزمي: ص ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦٦

(د)

- درويش النخيلي: ص ١٨٦
- ابن دقماق: ص ١٨٣، ١٨٧، ٢٢٢
- الدمشقي: ص ٦٥، ٦٦

(هـ)

- الذاكر (الشاعر المصري): ص ١٠٢

(و)

- الرازي: ص ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٧٢

(س)

- ست مصر (بنت الحاكم بأمر

الله): ص ٢١

- ست الملك : ص ١٥ ، ٢١ ، ٨٤ ،

٩٢ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١١ ،

١١٦ ، ١١٧

- سعادة بن حيان: ص ١٤

- ابن سعيد: ص ١٢ ، ٥١ ، ٨٣ ،

١١٣ ، ١١٥ ، ١٣٣ ، ١٧٥ ،

٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ،

٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٧ ،

٢٦٩ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢

- أبو سعيد التستري (إبراهيم بن

سهل) : ص ١٠١ ، ١٠٢ ،

١١١

- ابن السلار: ص ٢٨ ، ٢٠٨

- سليمان بن داود (النبي):

ص ١٦٨

- سناء الملك بن ميسر: ص ١٢٦

- السيد عبد العزيز سالم: ص

١٥٢ ، ٢٧٧

- ابن سيدة : ص ٢٥٢ ، ٢٥٥ ،

٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤

(ش)

- ابن شاذان: ص ٤٣ ، ١٣٧

- أبو شامة: ص ٤٢ ، ٥٢ ، ٢٩٥

- الشاذلي: ص ٢١٨

- أبو شجاع (محمد بن الحسين) :

ص ٧٦

- الشهاب الحجازي : ص ١٨٣

- الشيبان (جمال الدين):

٢٩ ، ٦٨

- الشيزري: ص ٦٤ ، ٦٩ ، ٧١ ،

١١٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،

٢٥٠ ، ٢٦٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ،

٣٠٤ ، ٣٠٥

(ص)

- صاعد بن عيسى نسطورس:

ص ٩٨

- ابن خنوف: ص ١٣٨

- ابن الطوير: ص ١٢٥

(ظ)

- الظافر: ص ٢٨، ٤٣، ٢٢٣.

٢٤١، ٢٣٧

- ظافر اخذاء: ص ٢٥٤، ٢٥٥.

٢٦٠، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٤.

- الظاهر: ص ٤٨، ٧٦، ٨٢.

٨٤، ٩٩، ١٠١، ١١٧.

١٣٠، ١٤٩، ١٦٥، ١٧٦.

١٧٧، ١٩٥، ٢٠٥، ٢٠٦.

٢٢٠، ٢٢١، ٢٣٧، ٢٤٩.

٢٨٥، ٢٥٤

- ابن ظهيرة: ص ٢٤١، ٢٤٦.

٢٤٧، ٢٥١، ٢٦٩، ٢٧٧.

٢٨٠، ٢٧٩

(ع)

- عائشة (جارية عبد الله بن المعز):

ص ١١١

- أبو صالح الأرمني: ص ٩١.

١٠٤، ١٩٥، ٢٠٢، ٢٠٤.

٢١٨، ٢٣٩، ٢٥٩، ٢٤٧.

٢٨٨

- صقر اليهودي: ص ٩

- صلاح الدين الأيوبي: ص ١٨.

٢٢، ٢٣، ٢٢٨، ٢٩٦.

- صلاح الدين المتجد: ص ٢٩

- أبو الصلت أمية: ص ٤٨، ٤٩.

٢١٨، ٢١٧

- ابن الصيرفي: ص ٣٠، ٣١.

٣٢، ٣٣، ٣٤، ٢٠٧، ٢١٢.

٢٩٤، ٢٢٢

(ط)

- أبو طالب (عم الرسول): ص ٢٦

- ابن الطحان: ص ٢٢٣

- طغرل بك: ص ١٦٠

- طلائع بن رزيك: ص ١١٢.

١٥٣، ٢٥٩، ٢٨٥، ٢٩٦.

- طه ندا: ص ١٧٠

- العاضد: ص ١٨، ٢٧، ١١٢،

١٩٧، ٢١٠، ٢٢٨، ٢٩٦

- عباس الصنهاجي: ص ٢٨

- ابن عبد ربه: ص ٢٤٤، ٢٤٥،

٢٤٨، ٢٥٣

- عبد الرحمن زكي: ص ١٣، ١٤،

- عبد الرحمن فهمي: ص ١٦

- عبد الرحمن بن هبة الله (الشاعر):

ص ٢٦٧

- عبد الرزوف يوسف: ص ٢٣١،

٢٣٢، ٣٥٠

- عبد العزيز بن الحسين (الجليس):

ص ٤٣

- عبد العزيز الدالي: ص ٧٣

- عبد اللطيف البغدادي: ص ٢٥٨،

٢٦٥

- عبد الله بن أحمد الحسيني (ابن

طباطبا): ص ٢٣

- عبد الله بن المعز: ص ٨٦،

١١١، ٢٠٧، ٢١٠

- عبد النعم ماجد: ص ١١، ١٨،

١٩، ٢٣، ٣٥، ٣٧، ٣٨،

١٢٠، ١٢٥، ١٥٣، ١٨٨،

٢١٩، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٧

- عبدة (بنت المعز لدين الله): ص

٢١، ١١١، ٢٢٦

- ابن عبد الودود: ص ٧٢

- العزيز بالله: ص ٦، ١١، ١٥،

١٧، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣،

٣١، ٤٧، ٥٦، ٥٧، ٥٨،

٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨٤، ٨٦،

٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣،

٩٤، ٩٥، ٩٨، ٩٩، ١١١،

١٢٩، ١٣٢، ١٣٥، ١٣٩،

١٤٢، ١٤٧، ١٥٧، ١٧٠،

١٧٢، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٠،

١٩٧، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٧،

٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٩،

٢٣١، ٢٣٢، ٢٤٣، ٢٣٥،

٢٣٦، ٢٣٨، ٢٦٢، ٢٦٩،

٢٨١، ٢٩٣

- عيسى (المسيح): ص ١٧٢.

١٨٢

- عيسى بن نسطورس: ص ٧٦،

٨٨، ٩٣، ٩٤

(غ)

- غن: ص ٤٠

- الغزولي: ص ١٩٨، ١٩٩.

٢٠٥، ٢٠٧، ٢٢٨، ٢٣٦.

٢٤٥، ٢٤٦

(ف)

- الفائز: ص ١٨، ٤٣، ١٠٨

- فارمر: ص ٢١٥

- فاطمة (بنت الرسول): ص

١١، ٢٥، ١٦٠

- فرحات الدشراوي: ص ٦

- ابن فضل الله العمري: ص

٢١٨، ٢٣٨

- فهد بن إبراهيم: ص ٩٨،

١٧٤، ١٧٥

- عطوف: ص ١٥

- علم الأمرية: ص ٢٢، ١١٠

- علي بهجت: ص ٣٠٢

- علي بن جعفر بن فلاح: ص ٣٤،

٨٠

- علي بن الحسن البستاني (أبو

المجد): ص ٥٢

- علي بن أبي طالب: ص ١١،

٥٦، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٢،

١٧٩

- علي بن ظافر الأزدي: ص ١٣٣،

١٣٧، ٢١٨

- ابن عمار (أبو محمد الحسن): ص

٣٠، ١٥٢

- عمارة اليمنى: ص ١١٠، ١١٩،

١٣٣، ١٩١، ١٩٣، ١٧٩،

٢٣٢

- عمر بن يوسف الكندي: ص

٢٤٠، ٢٦١، ٢٧٧

- العيني: ص ٩٢، ٢٨٥

- ابن کثیر ص ۷۹، ۱۱۶

- کریسویل: ص ۱۶، ۱۷

- کلثوم بنت القاسم. ص ۱۲۷

- الكندی ص ۷۴، ۱۵۵

(2)

- مالك بن سعيد: ص ۹۹

- المأمون البطانحي: ص ٢٨، ٧٢.

272.208.109.1.2

- ابن المأمون : ص ١٥٨ . ١٧٠ .

१४१

- المتوكل (العباسي): ص ١٨٣

- أبو المحاسن: ص ٧٧، ٨١.

288, 280, 112, 103

- محمد بن أحمد بن عبد السلام: ص

YVA

- محمد حسن الأعظمي: ص ١٣٤

- محمد حلمی : ص ۶

— محمد حمدی المناوی: ص ۲۸

- محمد حميد الله: ص ۱۶

(ق)

- القائم بأمر الله: ص ١٠١

- قاسم عبده قاسم: ص ۸۹

- أبو القاسم بن المختصر: ص ٢٠،

282

- ابن قتیبه: ص ۲۴۷، ۲۴۸،

277

- قراقوش: ص ۲۷

- قسطنطين: ص ١٧٩

- القضاعى: ص ٩٥

- القفطى: ص ١٠٢

- ابن قلاقس: ص ۲۲۳

- ابن القلانسي: ص ٦، ٢٨٥

- الفلقشندی: ص ۱۸،

60,37,30,27,27,20

١٧٠ ١٠٤ ٨٨ ٥٨ ٥١

٢٩٩، ٢٦٩، ١٨٤

- قمر الدولة بن دواس: ص ٢٢٥

(ك)

- کافور (الإخشيدي): ص ۲۳،

103

- المسعودي: ص ١٦٩، ١٧٣

٢٢٥، ٢٥٠، ٢٥٢

- المظفر بن بدر الجمالي: ص ٢٠٩

- المعز بن باديس: ص ٢٢١

- المعز لدين الله: ص ١٤، ١٦

٢١، ٢٤، ٤٧، ٥٧، ٥٩

٦٥، ٩٠، ١١١، ١٣٩

١٥٢، ١٥٧، ١٦٩، ١٧٠

١٨٤، ١٨٥، ٢٠٣، ٢١٠

٢١٩، ٢٢٧، ٢٥٤، ٢٩٣

- المقدسي: ص ٦، ١٨٣، ٢٥٨

٢٦١

- المقرئ: ص ٦، ٨، ١٢، ١٣

١٥، ١٦، ٢٠، ٢٢، ٢٤

٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣٣، ٣٦

٥٤، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٢

٨٠، ٨٩، ١٠٤، ١٠٧

١٣٤، ١٣٩، ١٤٥، ١٥٧

١٨٠، ١٨٨، ١٩٦، ٢٠١

٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٠، ٢٢١

٢٣١، ٢٣٧، ٢٤٥، ٢٥٤

٢٦٤، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٨٢

٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٩

٢٩٩، ٣٠٣

- محمد بن طفج (الإخشيد):

ص ١٣٣، ١٧٣

- محمد عبد الله عنان: ص ١١٦

- محمد أبو الفضل إبراهيم:

ص ١٣٣

- محمد عبد القادر: ص ١٣٤

- محمد كامل حسين: ص ١٢

١٠١

- محمد بن المنتصر: ص ١٦٢

- محمد بن النعمان: ص ١٤٠

- محمد بن هاني: ص ٢٢٤

- مخلد بن كيداد (أبو يزيد):

ص ١٥٢

- المسيحي: ص ٧٤، ١٩٢

١٣٩، ١٥٧، ١٧٤، ٢١٥

٢٣٢، ٢٥٩، ٢٦٤

- المستنصر: ص ١١، ١٨، ٢٠

٥١، ٦٤، ٨١، ٨٢، ٨٣

٨٤، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢

١٠٣، ١١١، ١٦٥، ١٨٢

٢٨٢، ٢٢١، ٢٠١

- المستعلي: ص ٢٩

- ابن مكنسة (أبو طاهر اسماعيل):

ص ٧٢

- منشأ بن إبراهيم: ص ٧٦، ٩٢،

٩٣

- منصور بن مقشّر (أبو الفتح): ص

٤٧، ٩٨

- موسى الكاظم: ص ١٦٢

- الموفق بن الخلال: ص ٤٣

- ميخائيل (الأبنا): ص ٣٣، ٦٦

- ابن ميسر: ص ١٠١، ٢٠٩،

٢٢٢

- ابن ميسرة الكتامي: ص ٢٢٢

(ن)

- الناصر (الأموي): ص ٦٥

- ناصر خسرو: ص ١٨، ٥١،

٦١، ٦٣، ٦٤، ٦٧، ٧٠،

٧١، ١٠٩، ١٩٠، ١٩٢،

٢٠٠، ٢٠١، ٢٤١، ٢٨٠،

٣٠٥

- نجم الدين بن مصال: ص ٢٣٨

- أبو نصر عبدون: ص ٩٨

- النويري: ص ٢٤، ٢٨، ٢٩،

٣٢، ٧٦، ٨٠، ٨٨، ٩٢،

١٠١، ١١٦، ١٣٧، ١٤٨،

١٧٠، ١٩٤، ٢٢٣، ٢٤٦،

٢٦٠، ٢٨٥، ٢٩٤

- النويري السكندري: ص ١٨٦

(هـ)

- هيلانة: ص ١٧٩

(ي)

- اليازوري: ص ٢٢٢، ٢٥٦

- ياقوت: ص ٢٨٠، ٣٠٣

- يحيى الخشاب: ص ١٨

- يحيى بن زكريا (النبي): ص ١٢٧

- يحيى بن سعيد (الأنطاكي): ص

٦٩، ٨٣، ٨٥، ٨٧، ٩١،

٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠٠،

١١١، ١١٣، ١١٥، ١١٦،

١١٧، ١٦٤، ١٧٢، ١٧٤،

١٧٥، ١٨٢، ٢٠٨، ٢١٩،

٢٢٠، ٢٩٢

- يعقوب بن كلس: ص ٣١، ٣٣،

٩١، ٩٢، ١٣٧، ٢٠٦،

٢٠٧، ٢١٢، ٢٣٦، ٢٦٩،

٢٧٠، ٢٨١

- يعقوب بن لسطاس: ص ٤٨،

٩٨، ٢١٣، ٢٢٠

ثانياً: الأماكن والمواضع والبلدان

(أ)

- الإسكندرية: ص ١٠٢، ١٠٧،

١١٢، ١٧٠، ١٨٢،

٢٨١، ٢٧٧

- أسوان: ص ٨٢

- الإيوان الكبير: ص ١٥٨، ١٦٣،

١٨٨

(ب)

- باب البحر: ص ١٦٠

- باب الذهب: ص ١٧، ٣٦،

١٦٠

- باب الزهومة: ص ١١٧

- باب زويلة: ص ١٤

- باب سعادة: ص ١٤

- باب العيد: ص ١٧

- باب الفتوح: ص ١٤، ٢٣١

- باب الفرج: ص ١٤، ١٤٧

- باب القراطين: ص ١٤

- باب القصر: ص ١٤

- باب القنطرة: ص ١٤

- باب النصر: ص ١٣٩

- بحيرة الأردن: ص ١٧٢

- برقة: ص ١٤، ٢٠٣

- بركة الحبش: ص ٢١٨

(ت)

- تنيس: ص ٦٨، ٢٧٧، ٢٧٨،

٢٨١، ٢٧٩

(ج)

- الجامع الأزهر: ص ١٢٩، ١٥٣،

١٥٤

- جامع الحاكم (الجامع الأنور):

ص ١٣٧

- جامع ابن طولون: ص ١٣٨

- جامع عمرو بن العاص (الجامع

العتيق): ص ٧١، ١٠٣،

١٣٨، ١٣٢

- جامع القسطنطينية: ص ١٠٠،

١٠١

- خزنة الكسوات: ص ١٩، ٥٩.

١٠٩، ٢٨٣

(٥)

- الدار الأفضلية: ص ٢٠

- دار الضيافة: ص ١٩، ٢٠

- الدرقية: ص ٢٠١

- دار الطيور: ص ٢٣٦

- دار الفطسة: ص ١٤٢، ٢٦٢.

٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٥

- دار الوزارة: ص ٢٠، ١٤٦

- دمشق: ص ٢٧٠

- دمياط: ص ٦٨، ٢٨٠، ٢٨١

- دير شهران: ص ٢١٨

- دير طرا: ص ٢١٨

- دير طور سيناء: ص ١٠٨

- دير القصير: ص ٢١٢، ٢١٣.

٢٣٤

- دير نهيا: ص ١٠٤، ٢١٨

(٦)

- رجة باب العيد: ص ١٧، ١٩

- جامع المقياس: ص ١٨٤

- جبل المقطم: ص ٢٠٨، ٢٨٤

- الجيزة: ص ١٠٤

(٧)

- حارة الباطنية: ص ١٤

- حارة برجوان: ص ١٥

- حارة البرقية: ص ٣

- حارة اخوانية: ص ١٤

- حارة الروم العليا: ص ١٤

- حارة الروم السفلى: ص ١٤

- حارة زويلة: ص ١٤

- حارة العطفية: ص ١٥

- حارة قائد القواد: ص ١٥

- حارة كتامة: ص ١٥

- حارة ملوخيا: ص ١٥

(٨)

- خزنة الأسلحة: ص ١٢٣

- خزنة الشراب: ص ١٠٩

- خزنة الكتب: ص ١٩

(ق)

- القاهرة: ص ١، ١٢، ١٣، ١٤.
- ١٦، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٦٣،
- ٦٤، ٦٨، ٧٤، ٩١، ١٠٢،
- ١٠٦، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨،
- ١٣٣، ١٣٨، ١٤٤، ١٤٦،
- ١٤٨، ١٥٨، ١٦٥، ١٨١،
- ١٨٧، ٢٢٣، ٢٤٤، ٢٤٩،
- ٢٧٠، ٢٨١، ٣٠٢.

- القدس: ص ٩٧
- القرافة: ص ٢٠٨، ٢١٣
- القصر الشرقي الكبير: ١٣، ١٦،
- ١٨، ١٩، ١٣٩، ٢٠٩،
- ٢٢١

- قصر الشمع: ص ١٧٤
- القصر الغربي الكبير: ص ١٧
- قصر القرافة: ص ٢١٤
- قصر اللؤلؤة: ص ١٨
- القطنع: ص ١٢
- القليوبية: ص ٢٠١

(س)

- سجلماسة: ص ٢٠٣

(ش)

- الشام: ص ٤٢، ٩٢، ١٠١،
- ١٦٩، ٢٧٢

(ع)

- العسكر: ص ١٢

(غ)

- غدير خم: ص ١٥٦

(ف)

- الفسطاط: ص ١٢، ٥٤، ٦١،
- ٦٤، ٩٠، ١٠٢، ١٢٤،
- ١٣٣، ١٣٨، ١٤٤، ١٤٦،
- ١٦٥، ١٨٠، ١٨١، ٢٤٤،
- ٣٠٢

- الفيوم: ص ٢٠١

- المقياس: ص ١٨٤

- مكة: ص ١٥٦

- قوص: ص ١٠٥

(ك)

- كربلاء: ص ١٥٢

- كنيسة قصر الشمع: ص ١٧٤

- كنيسة القيامة: ص ١٠٠، ١٠١

(م)

- المارستان: ص ٤٩

- المدينة (المنورة): ص ١٥٦

- مصر: ص ١، ٥، ٦، ٩، ١١،

١٢، ١٣، ٤٢، ٤٣، ٥١،

٥٩، ٦١، ٦٣، ٧٣، ٨٢،

٨٤، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠،

٩١، ٩٢، ١٠١، ١٠٢،

١٢٠، ١٢٨، ١٥١، ١٥٣،

١٥٦، ١٥٧، ١٦٧، ١٧٢،

١٧٩، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢١٧،

٢٢٠، ٢٢٢، ٢٣٩، ٢٤٠،

٢٤٢، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩،

٢٥٠، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٧،

٢٥٨، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٢،

٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٥،

٢٩٢، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨،

- المغرب: ص ١١، ١٤، ١٥١،

ثالثاً المصطلحات وأسماء

الدواوين:

(أ)

- أدوان الأمراء: ص ٣٨

- أرباب السيوف: ص ٢٨، ٢٩،

٣٤، ٣٦، ٣٩، ٤٠، ١٦٣،

٢٩٥

- أرباب الصنائع: ص ٤٧

- أرباب الطيالس: ص ٣٠٠

- أرباب العمائم: ص ٣٦، ٤٩،

٢٩٩

- أرباب القضب: ص ٣٨

- أرباب الأقلام: ص ٢٨، ٢٩،

٣٦، ٤١، ٤٢، ٤٩، ٥٥،

١٦٣، ٢٩٥

- أستاذ الأستاذون: ص ٤٠

- الأستاذون المخنكون: ص ٣٩،

١٥٨، ١٨٧، ١٩١، ٢٨٨،

٢٩٧

- الأسفهلار: ص ٣٦

- أعيان الرأى: ص ٨

- الأمراء المطوقون: ص ٣٥، ٣٨،

١٩٠

(ح)

- حامل الرمح: ص ٣٧، ٣٨

- حامل سيف الخليفة: ص ٣٧

- حامل المظلة: ص ٣٧

(د)

- ديوان الأحباس: ص ٤٦

- ديوان الإقطاع: ص ٣٥، ٤٥

- ديوان الإنشاء: ص ٤٢، ٤٦،

١٦٣

- ديوان الثغور: ص ٤٦

- ديوان الجيش: ص ٣٤، ٣٥،

٤٤، ٤٥

- ديوان خزائن الكسوة والطرار:

ص ٤٦

- ديوان الرواتب: ص ٣٤، ٤٤

- ديوان الصعيد: ص ٤٦

- ديوان الكراع: ص ٤٦، ٢٣٣

- نقباء الأمراء: ص ٣٤، ٤٤

- نقيب الأشراف: ص ٢٥، ٢٦

(٨)

- منديل الجوهر: ص ٢٨٨

(٩)

- الوزارة الصفري: ص ٣٥

- ديوان الهلال: ص ٤٦

- ديوان الوجه البحرى (أسفل

الأرض): ص ٤٦

(١٠)

- الركابية: ص ٣٨، ٢٩٨

(ص)

- صاحب الباب: ص ٣٦، ٣٧،

٥٥

- صاحب بيت المال: ص ٤٠

- صاحب الدفتر: ص ٤٠

- صاحب الرسالة: ص ٣٩

- صاحب القلم الجليل: ص ٤٤

- صاحب القلم الدقيق: ص ٤٣،

٤٤

- صاحب المجلس: ص ٣٩

- صبيان الحجر: ص ٣٩

- صبيان الخاص: ص ٣٨، ١٢٥،

١٣٨

(ن)

- نقابة الطالبون: ص ٤٠، ٥٣

رابعاً: القبائل والجماعات

(أ)

- الأتراك: ص ٥، ٨١، ١٧٠
- الأرمن: ص ٥، ١٠٤، ١٠٥
- الأشراف: ص ٢٢، ٢٣، ٢٥
- ٢٦، ٢٧، ٢٦
- الأشراف الإسماعيليون: ص ٢٥
- الأشراف الأقارب: ص ٢٥
- الأشراف الطالبيون: ص ٢٦
- ٥٣
- الأكراد: ص ٥
- أهل النمة: ص ٩، ٨٧، ٨٩
- ٩٠، ٩١، ٩٤، ٩٥، ٩٦
- ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢

١٠٣، ١٠٨، ١٠٨

- أهل السنة: ص ٧٣

(ب)

- البربر: ص ٥
- البزازون: ص ٦٦
- البناءون: ص ٧٣

- البشاررة: ص ٢٣٧، ٢٣٨

٢٣٩

(ت)

- التجار: ص ٧، ٢٤، ٦٠، ٦٦
- ٦٧

(ج)

- الجزارون: ١٥٥، ٢٤٩
- الجند: ص ٧، ٨
- الجوارى (المستخدمات) -
- الإماء: ص ١٨، ٣١، ٨٢
- ٨٣، ٨٥، ٨٦، ١٠٩، ١١١
- ١٩٣، ٢٢١، ٢٢٣، ٣٠٠
- ٣٠١

(ح)

- الحش: ص ٥، ١٦٧
- الحلاويون: ص ٢٦١

(خ)

- الخبازون: ص ٢٤٣، ٢٤٤

٢٤٥

(ش)

- الشعراء: ص ٤٩، ١٣٢، ١٤٤،

١٤٦، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٩،

١٧٢، ١٩٠، ٢٠٢، ٢١٧،

٢٢٤، ٢٢٥، ٢٦٧، ٢٦٨،

٣٠١

- الشهود (العدول): ص ٤٩، ٥٢،

٥٣، ٥٥، ١٤٤، ١٥٣،

١٥٨، ١٩٣، ٢٨٤،

(ص)

- الصقالبة: ص ٥، ١٤٩،

- الصوفية: ص ١٣٦، ٢٦٧،

- الصيارفة: ص ٦٦،

(ط)

- الطباخون: ص ٥٤، ٧١، ٢٥٣،

٢٥٤

- طبقة الخاصة (الخاصة): ص ٦،

٩، ١٢، ٦٣، ١٩٦، ٢٠٢،

٢٠٤، ٢٤٢، ٢٧٤،

- الخطباء: ص ٦٥، ١٢٧، ٢٩٩،

- الحياطون: ص ٤٧،

(د)

- الدعاة: ص ٤٩، ٥٠، ٥١،

- الديلم: ص ٥

(ر)

- الراقصات: ص ٢١٦، ٢١٧،

٢٢٠، ٢٢٣، ٣٠١،

- رجال الدين: ص ٩، ٣٠٣،

- الرفاءون: ص ٤٧، ٧١،

- الروم: ص ٥

(ز)

- الزنوج: ص ٨٢،

- زويلة: ص ١٤،

(س)

- السقاءون: ص ١٥٢، ٢٧٠،

- السودان: ص ٥، ١٥٣،

- الفراشون: ص ١٤٧، ١٩٢

- الفرس: ص ١٦٩

- الفعلة: ص ٧٣

- الفقهاء: ص ٩، ٥٥، ٦١

١٢٩، ١٤٤، ١٥٧، ١٦١

٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٣

(ق)

- القبط: ص ٥، ٩٠، ١٦٧

١٦٨، ١٧٤

- القسراء: ص ٤٩، ٥٥، ٧٤

١٢٧، ١٢٩، ١٣٥، ١٤٤

١٥٧، ٢٦٠، ٢٦٧

-- قراء الحضرة: ص ٤٩، ٥٥

١٥٣، ١٦١، ١٨٧، ١٩٠

- القرامطة: ص ١٣

- القضاة: ص ٧، ٥٠، ٥١، ٦٥

١٤٤، ٢٨٤

- القوايل: ص ١١٣

(ك)

- الكتاب: ص ٨، ٦٥

- طبقة العامة (العامة): ص ٦، ٧

٩، ١٢، ٦١، ٦٤، ٧٧، ٧٩

٨٠، ٨١، ٨٤، ١٣٠، ١٥٦

١٩٧، ٢٠٤، ٢١٢، ٢١٦

٢٢٥، ٢٤٢، ٢٧٤، ٣٠٤

(ع)

- العبد (الخدم): ص ٩، ١٨

٣١، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٨١

٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦

٢٩٧

- العرب: ص ٥

- العلماء: ص ٨، ٩، ٢٤، ٢٤٨

- العمال: ص ٨، ٢٤، ٧٢

(ف)

- الفاطميون: ص ٥، ٢٢، ٢٤

١١٩، ١٢٠، ١٣٣، ١٤٩

١٥١، ١٥٣، ١٦١، ١٨٤

١٨٥، ١٩٢، ٢١٥، ٢١٨

٢١٩، ٢٢٧، ٢٣٥، ٢٣٦

٢٤٢، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٧٥

٢٧٨، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٤

٣٠٦، ٣٠٧

- كتامة : ص ٢٤

(و)

- الوزيرية: ص ٣١

(ي)

- اليهود: ٧٦، ٩٣، ٩٥، ٩٦.

٩٨، ١٠١، ١٠٧

(٢)

- المزيئات : ص ١١٣، ١١٧

- المصريون: ص ٥، ٦٦، ٧٨،

٧٩، ٨١، ٨٨، ١٩١، ٢٠٣،

٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٧،

٢٧١

- معلمى الصبيان: ص ٥٤

- المغاربة: ص ٥، ٧٩، ٨١، ٨٨،

٨٩، ١٥٧، ٢٢٧

- المفتيات: ص ٢١٧، ٢١٩،

٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣

- المنشدون: ص ١٢٩، ١٤٤،

١٥٤، ١٥٧

- المؤذنون: ص ٤٩، ٥٠، ٥٥،

١٣٥، ١٤٤، ١٤٧

(ن)

- النصارى: ص ٧٦، ٩٢، ٩٣،

٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠٠،

١٠١، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦،

١٧٣، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨،

١٧٩، ١٨٢، ١٨٣، ٢١٢

**كشاف مفسر لأهم المصطلحات
التي وردت بالكتاب**



- أدوان الأمراء :

هم قادة الفرق الصغيرة في الجيش الفاطمي من غير الأمراء المطوقين وأرباب القضب. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٦، خطط، ج ١، ص ٤٠٣).

- أرباب السيوف :

اصطلاح يطلق على أصحاب الوظائف من الطبقة العسكرية في العصر الفاطمي، وقد تعددت وظائفهم ابتداء من الوزارة فما دونها من الوظائف. (راجع: خطط، ج ١، ص ٣٦٣).

- أرباب الطيلاس :

اصطلاح كان يطلق على رجال الدين في الدولة الفاطمية مثل القضاة والفقهاء وخطباء المساجد، وذلك لاختصاصهم بلبس الطيلسان. (ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤، ٢٥، خطط، ج ١، ص ٤٤١).

- أرباب الأعلام :

يقصد بهم طبقة الموظفين من غير أرباب السيوف في الدولة الفاطمية وكان على رأسها الوزير في العصر الفاطمي الأول. (صبح، ج ٣، ص ٥٢٢، خطط، ج ١، ص ٤٦٩).

- أرباب القضب :

من أمراء الجيش الفاطمي، وكان ينعم عليهم بقضب من فضة تخرج لهم من خزائن التجميل لتميزهم عن غيرهم من الأمراء. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٦، خطط، ج ١، ص ٤٠٣).

- أرباب العمام :

ويقصد بهم أصحاب الوظائف الدينية مثل القضاة والدعاة والشهود العدول وقبراء الحضرة وغيرهم. (خطط، ج ١، ص ٤٠٣، ٤٠٤، انعطاف، ج ٣، ص ٣٩٦).

- أستاذ الأساذين :

لقب كان يختص به رئيس الخدم من الأساذة المحنكين فى القصر الفاطمى. (معرض الفن الإسلامى فى مصر، ص ١٤٦).

- الأساذة المحنكون :

طائفة من خدم القصر الفاطمى كانوا يشغلون أرفع المناصب فى الدولة ويعدون من خواص خدام الخليفة وأخذوا اسمهم لأنهم كانوا يدورون عمامتهم على أحنالكهم. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٧، خطط، ج ١، ص ٣٨٦، ٣٨٧).

- الاسفهلار :

اصطلاح عسكرى مركب من كلمتين : أسفه بمعنى مقدم وهى فارسية، وسلار بمعنى عسكر وهى تركية، فمعناها مقدم العسكر، وكانت تطلق على قائد الجيش فى الدولة الفاطمية. (أبو شامة، الروضتين، ص ٤٠٨، صبح، ج ٣، ص ٤٧٩، خطط، ج ١، ص ٤٠٣).

- الأشراف الأقارب :

كان هذا الاصطلاح يطلق فى العصر الفاطمى على الأشراف الذين ينتسبون إلى البيت الفاطمى، وكان يطلق عليهم أيضاً الأشراف الإسماعيليين نسبة إلى مذهب الدولة الفاطمية. (صبح، ج ٣، ص ٤٩٦، ج ١٠، ص ٣٩٥، ٤٩٦، خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

- الأشراف الطالبيون :

نسبة إلى أبي طالب عم الرسول (صلعم)، وكانت لهم نقابة تشرف على أمورهم في الدولة الفاطمية. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٩، خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

- الأقسام :

نوع من الشراب كان يصنع من السكر الأبيض النقي مضاف إليه الماء أو ماء الورد ويطيب بالمسك ويرد بالثلج. (مطالع البدر، ج ٢، ص ٨٨، معالم القربة، ص ١٩٧).

- الأمراء المطوقون :

من كبار قادة الجيش الفاطمي، وكان يخلع عليهم بأطراق من الذهب توضع في أعناقهم تمييزاً لهم عن غيرهم من الأمراء. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٦، خطط، ج ١، ص ٤٠٣).

(ب)

- باب الذهب :

من أهم أبواب القصر الكبير الشرقي، كانت تعلوه منظرية يشرف منها الخليفة في الأعياد والمناسبات ويدخل منه رجال الدولة والأجناد في هذه المناسبات. (خطط، ج ١، ص ٣٦٢، ٢٨٥).

- باب الزهومة :

هو أحد أبواب القصر الفاطمي والزهومة بمعنى الزفر وقد أخذ هذا الباب اسمه من موقعه قبالة مطبخ القصر المختص بطبخ اللحوم، ومنه كانت تدخل اللحوم الخاصة باستعمال القصر. (خطط، ج ١، ص ٤٣٥).

- باب العيد :

أحد أبواب القصر الكبير الشرقي، وتقع أمامه رحبة باب العيد وهى ميدان متسع يقف فيه الأجناد فارسها وراجلها فى أيام المراكب والأعياد فى انتظار ركوب الخليفة الفاطمى وخروجه من هذا الباب حيث يسير الموكب لصلاة العيد. (خطط، ج ١، ص ٣٦٢).

- البازهر :

نوع من المعادن يوجد فى بلاد الهند والصين كانت تصنع منه كنوز و الشراب للخلفاء ويمتاز بتغير لونه إذا كان بالشراب شئ من السم. والبازهر كلمة فارسية معربة من باك زهر، وباك بمعنى النظافة وزهر بمعنى السم، أى منظف السم. ولما عرب سقطت الكاف وقيل بازهر. (راجع : التيفاشى، أزهار الأفكار، ص ١٢٥، ابن الأكتفانى، نخب الذخائر، ص ٧٥، ٧٦).

- البردة :

كساء يلتحف به مثل العباءة (القاموس المحيط).

- بدلة موكبية :

اصطلاح كان يطلق على بدلة الوزير فى الدولة الفاطمية والى كانت تخلع عليه بمناسبة اشتراكه فى موكب عيد الفطر وتبلغ عدد قطعها إحدى عشرة قطعة. (خطط، ج ١، ص ٤١٠، ٤١١، ٤٤٠، انعاظ، ج ٣، ص ٣٤٣).

- البدنة :

نوع من الملابس أخذت اسمها من كونها تغطى البدن وتكون فوق الملابس مثل العباءة وهناك نوع من البدنة كانت لباساً شعبياً تشبه صديرى بغير أكمام يصنع غالباً من الكتان أو الحرير (سفرنامه، ص ٢٥٤، أوراق الردى، ج ٥، ص ١٥٤، Dozy, vet. p. 57).

- البرماورد أو البرماورد :

كلمة فارسية معربة، تعنى نوع من الطعام يدخل فى صناعته اللحم وخاصة لحوم الجداء وصدور الدجاج التى تقلى بالزبد والبيض. (الرازى، منافع الأغذية، ص ٣٤، الجوالقى، المغرب، ص ٢٢١).

- البزاة :

من أقوى الطيور الجارحة وأحرصها على طلب الصيد، ويطلق على مدربه البازيار، ثم أصبح هذا اللقب يطلق فى الدولة الفاطمية على من يقوم بتدريب الحيوانات والطيور على الصيد. (مطالع البدور، ج ٢، ص ٢١٤، صبح، ج ٢، ص ٥٥، ٥٧).

- البسندود

كلمة فارسية الأصل تعنى نوعاً من الحلوى التى يدخل فى صناعتها الدقيق والبلح وكان يشكل أحياناً على هيئة أقراص صغيرة تحشى باللوز والفسق. (مطالع البدور، ج ٢، ص ٨٤، صبح، ج ٣، ص ٥١٠، حلمى سالم، المرجع السابق، ص ٥ من الملحق).

- البندقية :

ضرب من الحلوى كانت تصنع من الدجاج المسلوق الذى يوضع فى ماء الورد المغلى مع السكر ويضاف إليه البندق المدقوق ويطيخ حتى يتعقد ثم يرفع. (عبد اللطيف البغدادى، الإفادة، ص ٤٢).

- البهط :

كلمة سندية وهى الأرز يطبخ باللبن والسمن بلا ماء، واستعملته العرب بالهاء فقالت : بهطة طيبة. (ابن سيدة، المخصص، ج ٢، ص ٣، الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٠٠، لسان العرب).

- البوقلمون :

من المنسوجات التى اشتهرت بها مدينة تيبس فى العصر الفاطمى، ويمتاز البوقلمون بتغير لونه بتغير ساعات النهار ويسميه ابن سيد القلمون. (سفرنامه، ص ٣٨، المخصص، ج ٤، ص ٦٨).

- البيسار :

نوع من الطعام يصنع من القول المدشوش ويضاف إليه السمن واللبن وأحياناً تضاف الملوخية الجافة إلى القول المدشوش. (الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٢٣، هامش " ٢ ").

(٣)

- تربة الزعفران :

كانت من جملة القصر الكبير الشرقى، وفيها دفن المعز لدين الله أفراد أسرته اللذين أحضرهم معه فى توابع من بلاد المغرب، وكانت تعرف أيضاً بالتربة المعزية، واستمرت مدفنًا للأسرة الفاطمية، وكان يطلق على باب القصر الذى قبالتها : باب تربة الزعفران. (خطط، ج ١، ص ٤٠٧ . ٤٣٥).

- التكة :

رباط السراويل وهى ما يطلق عليها العامة الدكة. (Dozy, vet, pp, 95 6).
(99, p, 203).

- التوقيع بالقلم الدقيق فى المظالم :

من وظائف أرباب الأقلام فى الدولة الفاطمية ويتلخص عمله فى معاونة الوزير صاحب السيف فى النظر فى المظالم، كما كان يقوم بوظيفة مزدب ومعلم الخليفة؛ وكان يطلق عليه أيضاً الجليس فمجالسته الخليفة. (صبح، ج ٣، ص ٤٨٧، ابن شاکر، فوات الوفیات، ج ٢، ص ٣٣٢).

(ث)

- الثالث :

وهو اليوم الثالث لدفن الميت، وكانت التقاليد فى العصر الفاطمى تقضى بإقامة احتفال فى هذا اليوم يجتمع فيه الناس للاستماع إلى القرآن والترحم على الميت. (اتعاظ، ج ٣، ص ٦٧).

- الثياب الديبقية :

نسبة إلى قرية مصرية كانت تقع بين الفرما وتنبس، وكانت تشتهر بصنع المنسوجات الراقية. (البكرى، المغرب، ص ٨٦، ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٤، ٩٣).

- الثياب الشطوية :

نسبة إلى مدينة شطا التى كانت تقع بالقرب من تنيس وكانت ذات شهرة واسعة فى مجال صناعة المنسوجات. (جروهمان، أوراق البردى، ج ٥، ص ٧١، ٧٢. خطط، ج ١، ص ٢٢٦).

- الثياب العبدية :

يقصد بها ما كان يرتديه الخليفة الفاطمى فى موكب عیدى الفطر والأضحى، وكانت العادة أن يخلع الخليفة على وزيره بتلك الثياب تكريماً له وذلك

بعد عودته من موكب عيد الفطر. وبعد اليوم الثالث من النحر فى عيد الأضحى.
(صبح، ج ٣، ص ٥١١، ج ١، ص ٣٨٨، ص ٤٥٥).

(ج)

- الجلاب :

هو ماء الورد المغلى فى السكر، وأصل الكلمة فارسى من : كل أى ورد.
واب أى ماء. (الجوالقى. المغرب. ص ١٥٤).

- الجهة العالية :

لقب كان يطلق على زوجة الخليفة الفاطمى، وفى حالة تعددهن كان يطلق
عليهن " الجهات العالية "، وكان يطلق على زوجة الخليفة أحياناً " الجهة المعظمة".
(خطط، ج ١، ص ٤١٠، ٤١١، اعاظ، ج ٣، ص ٨٦).

- الجوارش :

نوع من الشراب الطبى الفاتح للشهية الهاضم للطعام، المزيل للسدد، كان
يقدم على مائدة الخليفة الفاطمى لقوائده السالفة. (صبح، ج ١٤، ص ٣٦٥،
خطط، ج ١، ص ٤٢٢، حلمى سالم، المرجع السابق، ص ١٥١).

- الجوزاب :

نوع من الحلوى تدخل فى صناعتها اللحم والأرز والسكر. (الرازى، منافع
الأغذية، ص ٥١، الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٣٥).

(ح)

- حامل الدواة :

من وظائف الأساتذة المحنكين فى الدولة الفاطمية، وكان صاحبها يختص بأمر
دواة الخليفة فيضعها على المرتبة فى مجلسه، ويحملها أمامه على السرج فى المراكب
الخلافة. (صبح، ج ٢، ص ٤٨١، خطط، ج ١، ص ٤٨٦).

- حامل الرمح :

من وظائف أرباب السيوف فى الدولة الفاطمية، وهو الأمير الذى يختص بحمل رمح الخليفة فى المراكب. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٩، خطط، ج ١، ص ٤٤٨).

- حامل السيف :

من الوظائف العسكرية فى الدولة الفاطمية، وتطلق على الأمير الذى يحمل سيف الخليفة فى المراكب، وكان يعد أكبر حامل فى الموكب. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٩، خطط، ج ١، ص ٤٤٨).

- حامل المظلة :

من وظائف أرباب السيوف فى الدولة الفاطمية، وكان لصاحبها مكانة راقية لحملة مظلة الخليفة فى المراكب. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٩، خطط، ج ١، ص ٤٠٣).

- الحجرة :

السروال. (راجع : مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٤، قارن : ابن الصيرفى، الإشارة، ص ٢٨، خطط، ج ١، ص ٤١٠ - ٤١٣، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٥٢).

- الحرير الديباج :

نوع من الحرير المنقوش، والديباج كلمة فارسية تعنى النقش أو التزيين. (ابن سيده، المخصص، ج ٤، ص ٨٦، الجواليقى، المغرب، ص ١٨٨، ١٩٢).

- الخبز الحواري :

هو الخبز الذى يصنع من الدقيق الأبيض المنحول جيداً. (المقدس، أحسن التقاسيم، ص ١٩٩، اتعاط، ج ٢، ص ١٥١).

- الخبز السميد :

هو أغلى أنواع الخبز ثمناً لأنه كان يصنع من أرقى أنواع الدقيق الأبيض الذى أحكم تنقية حنطته قبل طحنه. (ابن عبد ربه، الطعام والشراب، ص ١٢، اتعاط، ج ٢، ص ١٥١).

- الخبز المواندى :

نوع من خبز الراقى المتفن صناعته كان يقدم على مائدة الخليفة الفاطمى. (خطط، ج ١، ص ٣٣٩).

- الخبيص :

نوع من الحلوى تصنع من دقيق الحنطة مع دهن اللوز أو الشيرج ثم يضاف إليها بعد الطبخ بعض السكر أو العسل وترفع على النار لتجمد. (مخطوط الرملة إلى الحبيب، ورقة ١٠١، ابن عبد ربه، الطعام والشراب، ص ١٤).

- الخرجى :

نوع من شراب الفقاع كان يصنع من الشعير بعد سحقه ويضاف إليه دقيق الحنطة وماء مغلى ويترك حتى يتخمّر ويحلى بالسكر ويطيب بالتوابل. (حلمى سالم، المرجع السابق، ص ١٥١).

- الخزوبة :

قطعة صغيرة من النقود النحاسية مقدارها عشر درهم، جرت العادة بضربها في الدولة الفاطمية بمناسبة الاحتفال بخميس العهد وتوزع على أرباب الرتب وموظفي الدولة من المسلمين والنصارى. (خطط، ج ١، ص ٢٦٦، Dozy, Supp. Dict. At حلمي سالم، نفسه، ص ١١ من الملحق).

- خزانة التجميل :

إحدى خزائن القصر الفاطمي، وكانت تحتوى على الآلات النفيسة التي تستخدم في مواكب الفاطميين التي تخرج بمناسبة الأعياد والمواسم المختلفة. (خطط، ج ١، ص ٤٤٦).

- خزانة الجواهر والطيب والطرائف :

إحدى خزائن القصر الفاطمي، وكان الفاطميون يحتفظون فيها بتحفهم النادرة ونفائسهم الثمينة. (خطط، ج ١، ص ٤١٤ - ٤١٦).

- خزانة الشراب :

إحدى خزائن القصر الفاطمي، وكانت تحتص بإعداد أنواع الأشربة المختلفة والأدوية والمعاجين الطبية، وكان يشرف عليها أحد كبار الأستاذين وتصرف منها الأدوية للمرضى برقعة من أطباء القصر. (صبح، ج ٣، ص ٤٩٢، خطط، ج ١، ص ٤٢٠).

- خزانة الطعام :

هي إحدى خزائن القصر الفاطمي الخاصة بحفظ الأطعمة اللازمة للقصور ولأرباب الوظائف في الدولة ومنها يخرج راتب المطابخ المختلفة ولا يحتاج إلى غيرها إلا في اللحم والخضر. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٢، ٤٧٣).

- خزانة الفرش والأمتعة :

إحدى خزائن القصر الفاطمي، وكانت تحوى أنواع الفرش الفاخرة والستور الحريرية المنسوجة بالذهب وغيرها من المنسوجات المستخدمة فى القصر لغير الملابس. (خطط، ج ١، ص ٤١٦، ٤١٧).

- خزانة الكتب :

وهى من جملة خزائن القصر الفاطمي، وقد أجمع المؤرخون على عظمتها وندرة ما كانت تحويه من الكتب ووصفت بأنها من عجائب الدنيا وكان عدد الكتب بها يقدر بما يزيد على المليونى كتاب. (ابو شامة، الروضتين، ج ١، قسم ٢، ص ٥٠٧، خطط، ج ١، ص ٤٠٨).

- خزائن الكسوة الباطنة :

إحدى خزائن القصر الفاطمي، كانت تعرف أيضاً بالخزانة العالية الخاصة. وكانت تختص بحفظ ملابس الخليفة الفاطمي ويغير فيها ملابسه وتشرف على إدارتها امرأة تمتع بزين الخزان وتساعدتها ثلاثون جارية. (صبح، ج ٣، ص ٣٤٦، خطط، ج ١، ص ٤١٣).

- خزانة الكسوة الظاهرة :

إحدى خزائن القصر الفاطمي كان يطلق عليها أيضاً الخزانة العامة وكانت مقراً للخياطين الذين يملكون الثياب الخاصة برجال الدولة. (صبح، ج ٣، ص ٣٤٦، خطط، ج ١، ص ٤١٣).

- الخشاشية :

ضرب من الحلوى كانت تصنع من الدجاج المسلوق الذى يوضع فى ماء الورد المغلى مع السكر ويضاف إليه الخشخاش ويطبخ حتى ينعقد ثم يرفع. (عبد اللطيف البغدادى، الإفادة، ص ٤٢).

- الخشكار :

هو الدقيق الخشن الذى لم تنزع نخالته ولم تنظف حنطته قبل الطحن وكان يطلق على الخبز الذى يصنع من هذا الدقيق الخبز الخشكار. (ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ص ٦١، ابن عبد ربه، المصدر السابق، ص ٦٩).

- الخشكانج أو الخشكانك :

كلمة من أصل فارسى تعنى نوع من الحلوى التى تصنع من الدقيق الأبيض الذى يعجن ويسط مثل الرقاق ويضاف إليه السكر وقلوب اللوز والكافور وماء الورد ويكون الرقاق أحياناً على شكل حلقة مجوفة يملأ وسطها باللوز والفسق. (منافع الأغذية، ص ٥١، الجواليقى، العرب، ص ١٨٢، مخطوط الرصلة إلى الجيب، ورقة ١٢٧).

- الخفتان :

الخفتان أو القفطان ثوب يشبه الجبة مفتوح من الأمام ومزين بأزرار حول الصدر وبأكمام قصيرة تمتد حتى الكوع، وكان من الملابس الشعبية فى العصر الفاطمى. (أوراق البردى، ج ٦، ص ٩٤-٩٦، ١٦٨ - ١٦٦ : Dozy).

- الخليفة الصباد :

لقب أطلق على الخليفة الفاطمى العزيز وذلك لشدة ولعه واهتمامه بالصيد. (كتاب البصرة، ص ٧، ابن خلكان، وفیات، ج ٢، ص ١٥٢، خطط، ج ٢، ص ٢٨٤).

- خيال الظل :

يقصد به الصور الظلية التى يعكسها الخيال المادى للشخص من الدمى التى تقوم بالأدوار أمام الضوء الخلقى، فيشاهدها النظارة خيالات تتحرك أمامهم. (ابراهيم حمادة، خيال الظل، ص ١٥، ١٦).

- دار الصناعة :

المقصود بها دار صناعة السفن، وأول دار صناعة أنشئت في مصر في العصر الإسلامي هي دار صناعة الجزيرة في سنة ٥٤ هـ في ولاية مسلمة بن مخلد الأنصاري على مصر. (راجع : خطط، ج ٢، ص ١٩٥، ١٩٧).

- دار الطيور :

وهي مكان تربية طيور وحيوانات الصيد المختلفة في العصر الفاطمي. (خطط، ج ٢، ص ٢٠).

- دار الفطرة :

وهي عبارة عن مطبخ ضخم مخصص لصناعة أنواع الحلوى المختلفة. وبنيت هذه الدار في عهد الخليفة العزيز بالله وكان العمل يبدأ بها منذ النصف من شهر رجب ويستمر حتى قبيل عيد الفطر حيث تخرج منها أصناف الحلوى التي توزع على أرباب الرسوم في الدولة، كما كانت تغطي احتياجات القصر في الأعياد والمناسبات المختلفة من الحلوى. (مخطوط أخبار الدولة المنقطعة، لوحة ٥٣، خطط، ج ١، ص ٢٢٥، ٤٢٦).

- الدراعة :

نوع من الثياب تشبه الجبة مشقوقة من الأمام وغالباً ما تكون من الصوف وكانت من الملابس المميزة للوزراء في العصر الفاطمي الأول. (ابو شامة، الروضتين، ج ١، قسم ٢، ص ٤٩٩، Dozy : vet, p, 170).

(ز)

- الرأى :

نوع من السمك فى حجم البورى يغلب عليه اللون الأحمر، وكان من أشهر الأطعمة التى يقبل عليها الناس فى العصر الفاطمى. (ديوان تميم، ص ٣٠٣، ديوان ظافر الحداد: ص ٥، ٦).

- الركابية أو صبيان الركاب :

فرقة عسكرية خاصة بالخليفة الفاطمى تقوم على حراسته والسير فى ركابه فى المواكب وكان عددهم يزيد على ألفى رجل. (صبح، ج ٣، ص ٤٨٠، خطط، ج ١، ص ٤٤٦، ٤٤٩).

- الرواسون :

هم بائعو الرؤس والأكارع وكان لهم سوق كبير فى القاهرة يعرف بسوق الرواسين. (خطط، ج ٢، ص ٩٥).

(ز)

- الزرابيل :

نوع من الخفاف كانت ترتديه النساء. (صبح، ج ١، ص ٤٢٨، النجوم، ج ٥، ص ٣١).

- الزلابية :

نوع من الحلوى تصنع من الدقيق بعد عجنه وتخميره، ثم تقلى بزيت الشيرج وتزكل بالعلسل أو السكر. (الرازى، منافع الأغذية، ص ٥١، الشيرزى، نهاية الرتبة، ص ٢٥).

- زمام القصور :

من وظائف الأساتذة امحنكين فى القصر الفاطمى وعمله الإشراف على القصور الفاطمية. (صبح، ج ٣، ص ٤٨١، خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

- زم الرجال :

إذا كان صاحبها من الأساتذة امحنكين. كانت مهمته الإشراف على طعاء الخليفة، أما إذا كان من غير امحنكين. فكان عمله الإشراف على طوائف الأجناد فى الجيش الفاطمى. (صبح، ج ٣، ص ٤٨١، ٤٨٢).

- زين الخزان :

لقب كان يطلق على المرأة التى كانت تتولى الإشراف على خزانة الكسوة الباطنة الخاصة بملابس الخليفة الفاطمى والتى لا يغير الخليفة ثيابه إلا عندها. (خطط، ج ١، ص ٤١٣).

(س)

- السرير الذهب :

وهو مكان جلوس الخليفة الفاطمى فى صدر الإيوان الكبير بالقصر، وقد صنعه جواهر الصقلى من الذهب الخالص لمولاة المعز قبل وصوله إلى مصر وكان المعز أول من جلس عليه. (اتعاظ، ج ١، ص ١٣٦، خطط، ج ١، ص ٣٦٢، ٣٨٥).

- السلاطون :

نوع من الأقمشة اشتهرت بإنتاجها الدولة البيزنطية، وكانت تصنع غالباً من الحرير وخيوط الذهب. (Dozy : Supp, Dict, Ar).

- السقيفة :

موضع بالقصر الفاطمي كان من عادة الخليفة الجلوس فيه كل ليلة ليستمع إلى شكاوى الناس، فإذا ظلم أحد، وقف تحت السقيفة وقال بصوت مرتفع لا إله إلا الله محمد رسول الله، على ولى الله. فيسمعه الخليفة فيأمر بإحضاره أو يفوض أمره إلى أحد أعوانه. (خطط، ج ١، ص ٤٠٥).

- سباط الحزن :

يقصد به المائدة التي كانت تقام في القصر الفاطمي في ذكرى الاحتفال الخزين بيوم عاشوراء، وكانت تحوى أنواعاً من الأطعمة الفقيرة مثل العدس والمخللات والحبز المغير لونه. (خطط، ج ١، ص ٤٣١).

- السنبيوسك :

تعريب لكلمة سنبوسة الفارسية ومعناها فطير بلحم مثلث الشكل، وطريقة صنعها أن يقطع اللحم قطعاً صغيرة ويسلق إلى أن ينضج ثم يدق ويضاف إليه توابل ودهن وحمص ثم يوضع على النار فإذا نضج يضاف إليه بقدونسى ويطيب بالخل أو ماء الليمون ثم يحشى في الرقاق. (مخطوط الوصلة إلى الحبيب، ورقة ٢٢، حلمى سالم، المرجع السابق، ص ١٣٩).

- السويق :

ما أجيد طحنه من الحنطة أو الشعير أو الفول، وأحياناً يطحن مع الحبوب البلح أو السكر وفي هذه الحالة يمكن استخدام السويق في صناعة شراب حلو، كما كان السويق يصنع من الفواكه بعد تجفيفها وقلعها وطحنها. (أوراق الردى، ج ٦، ص ١٦٩، ابن عبد ربه الطعام والشراب، ص ٧، Dozy : Supp, Dict, Ar).

- السيدة علم الأمرية :

لقب زوجة الخليفة الفاطمي الأمر، وغالباً ما كانت تنسب زوجات الخلفاء إليهم مثل " السيدة العزيزية " زوجة الخليفة الفاطمي العزيز. (خطط، ج ٢، ص ٤٤٦).

(ثني)

- شاشية طميم :

الشاشية ما يلبس على الرأس من قماش الشاش المعروف، وتوضع قبل لف العمامة، وقد تلبس على الرأس بدون عمامة، وهي أيضاً ما يدار حول العمامة. وطميم بمعنى رقيق. (القاموس المحيط، Dozy : vet, p, 240).

- الشاهين :

من جوارح الصقور التي تتميز بسواد عينيها وتعد أسرع الجوارح وأشجعها وأخفها وأشدّها ضراوة على الصيد. (الغزولي، مطالع البدور، ج ٢، ص ٢١٧، صبح، ج ٢، ص ٥٨).

- شد الناج :

من وظائف أرباب السيوف في الدولة الفاطمية، وصاحبها يتولى شد تاج الخليفة وكانت تسند إلى أحد الاساتذة اغنكين (صبح، ج ٣، ص ٤٨٠، خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

- شراب العسل :

نوع من الشراب كانت تشتهر مصر بصناعته حتى أنه أطلق عليه الشراب المصري، وكان يصنع من ماء النيل وقت الفيضان مضاف إليه العسل ويترك حتى يتخمّر. كما كان يعرف أيضاً بنبيذ العسل. (ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٦٦، الرازي، منافع الأغذية، ص ١٧).

- الشرب :

نوع من المنسوجات الكتانية الرقيقة كانت منها أصناف ملونة ومذهبة.
(خطط، ج ١، ص ٢٦٦، Dozy, Supp, Dict, Ar).

- الشقق :

ضرب من الثياب القصيرة كانت تلبس فوق القميص. (ماير، الملابس المملوكية، ص ٤٠).

- الشمسى :

نوع من الشراب المخمر يدخل فى صناعته الزيب والعل. (خطط، ج ١، ص ٤٤).

- الشهود العدول :

هم أعوان القاضى لمساعدته فى التحقق من صحة الدعاوى المعروضة على مجلس القضاء، وكانوا يحضرون مجلس القاضى ويختارون بعناية من الأشخاص المشهود لهم بالأمانة فى الدين ولا يعين أحدهم إلا بإذن من الخليفة وتركبة عشرين عدلاً ممن سبقوه فى هذه الوثيقة. (صبح، ج ٣، ص ٤٨٢، ٤٨٣، خطط، ج ١، ص ٣٨٦، ٤٠٤، اتعاط، ج ٣، ص ٣٣٧).

(ص)

- صاحب الباب :

من أعظم وظائف أرباب السيوف بعد الوزير وكانت مهمته النظر فى المظالم إذا كان الوزير من أرباب الأقلام، أو مساعدة الوزير إذا كان من أرباب السيوف. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٩، خطط، ج ١، ص ٤٠٢، ٤٠٣، اتعاط، ج ٣، ص ٣٣٦).

- صاحب الدفتر :

يتولى ما يعرف بدفتر المجلس وكان عمله الإشراف على الدواوين فى الدولة وغالباً يكون من الأساتذة المحنكين. (صبح، ج ٣، ص ٤٨١، خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

- صاحب الرسالة :

من أهم مهامه حمل الرسالة إلى الوزير لاستدعائه حضور مجلس الخليفة ويتولاها أحد الأساتذة المحنكين. (صبح، ج ٣، ص ٤٨١، خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

- صاحب القلم الجليل :

من وظائف أرباب الأقلام، ويتلخص عمله فى صياغة ما يشير به صاحب القلم الدقيق فى المظالم تمهيداً لعرضها على الخليفة. (صبح، ج ٣، ص ٤٨٧، ٤٨٨).

- صاحب المجلس :

من وظائف أرباب السيوف فى الدولة الفاطمية، وكانت تسند إلى أحد الأساتذة المحنكين ويتولى صاحبها تنظيم مجلس الخليفة فى المناسبات المختلفة وكان يلقب بأمين الملك. (صبح، ج ٣، ص ٤٨١، خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

- الصبحة :

وهو اليوم التالى لدفن الميت وكان العادة أن يجرى خلاله احتفال فى العصر الفاطمى يجتمع فيه الناس للاستماع إلى القرآن الكريم. (اتعاظ، ج ٣، ص ٦٧).

- صبيان الحجر :

هم جماعة من الشباب يناهزون خمسة آلاف نفر كانوا يقيمون فى حجر منفردة بجانب القصر الفاطمى وهم فى كامل العدة والاعداد ليلبوا أى نداء. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٧).

- صبيان الخاص :

وهم جماعة من أنصار الخليفة يمثلون حرسه الخاص ويبلغ عددهم حوالى خمسمائة فارس. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٧، خطط، ج ١، ص ٤٤٨).

- صبيان الخف :

طائفة من أهل برقة مدربة على أداء الألعاب البهلوانية وكان من عاداتهم انتظار موكب الخليفة الفاطمى عند خروجه فى الأعياد لعرض ألعابهم أمامه عند باب القصر. (خطط، ج ١، ص ٤٥٧).

- الصحناء والصير :

الصحناء كلمة فارسية وهى ما يطلق عليه العرب الصير (الجوالقى، العرب. ص ٢٦٤) والصير هى السمك الصغير الذى يعاد من النيل وقت الفيضان ولا يزيد حجمه عن الأصبع، ويسمى الملوحة إذا كبس بالملح، ويسمى البسارية إذا كان طازجاً. (مفاتيح العلوم، ص ١٠٠، خطط، ج ١، ص ١٠٠).

- صناع الخاص :

وهم الصناع المهرة فى كل فن الذين كانوا يعملون داخل القصور الفاطمية مثل الخياطين والرفانين والأطباء وغيرهم. (صبح، ج ٣، ص ٥٢١، خطط، ج ١، ص ٣٩٩، ٤٠١، ٤٤٣).

- الصولجان :

من أدوات لعبة الكرة التى كانت منتشرة فى العصر الفاطمى وهو عبارة عن عصا مدهونة برأسها خشبة معقوفة. (صبح، ج ٢، ص ٤٧، ج ٥، ص ٤٥٨، خطط، ج ٢، ص ١٩٨).

(ض)

- الضاحكية :

فرقة هزلية من أهل المغرب صحبت الخليفة المعز عند قدومه إلى مصر واستمرت تقوم بدورها في التهريج والإضحاك والقيام بالألعاب التي تدخل البهجة على الخليفة وحاشيته. وكان أفرادها يرتدون ملابس هزلية تبعث على الضحك. (انعاط، ج ٣، ص ٥٧).

(ط)

- الطباهجة المشققة :

طباهجة كلمة فارسية معربة معناها الكباب، والطباهجة المشققة نوع من اللحم المقطع شرائح ويقلى في الدهن. وإذا دق اللحم دقاً ناعماً وأضيف إليه البيض والبصل وقلى في دهن الشيرج أطلق عليها "الكباب الشامي". (ابن عبد ربه، نفسه، ص ٩٨، ابن سيده، المخصص، ص ١٢٧).

- الطراز :

كلمة فارسية الأصل بمعنى التطريز أو الثوب الموشى بأشرطة من الكتابة ثم أصبحت كلمة الطراز تطلق على المصانع التي تطرز فيها تلك الأشرطة وتعرف بدار الطراز. (الجواليقي، المغرب، ص ٢٧١، ٢٧٢، محمد عبد العزيز مرزوق، الزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطمية، ص ٢١، ٢٢، ٢٥).

- طبلسان :

ثوب يلبس على الكتف مثل الطرحة، وغالباً ما يكون خال من التفاصيل. وهو يشبه الإحرام المغربي. (ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤، ٢٥، الجواليقي، المغرب، ص ٢٧٥، ج ١، ص ٤٢٨).

- الطيلسان المقور :

نوع من الطيالس كانت تخطط وتعمل بها فتحة تسع الرقة وتسدل على الأكتاف، والمقصود بالقوارة، ماقور من الثور أى قطع بقصد التفصيل. (ابن سيدة المخصص، ج ٤، ص ٦٨، ٧٩، ٨٧، ٢، تعاظ، ج ١، ص ١٣٢).

(ع)

- العجائز والأرامل :

كانت بالقرافة فى العصر الفاطمى عدة دور يقيم فيها العجائز الأرامل العابدات، وكان يخص لها الجرايات وتقام فيها مجالس الرعظ. (خطط، ج ٢، ص ٤٤٦، ٤٥٤).

- العشارى :

نوع من المراكب الصغيرة التى كانت تستخدم كملحقات للمراكب الحربية وكان العشارى فى العصر الفاطمى يستخدم لنزه الخلفاء وكبار رجال الدولة فى النيل وبركبه الخليفة الفاطمى بمناسبة الاحتفال بتخليق عمود المقياس وفتح الخليج. (مخطوط الامام بالاعلام، لوحة ١٢٤، خطط، ج ٢، ص ١٥٤، ١٥٥).

- العقاب :

من الطيور الجارحة ويعرف أيضاً بالعنقاء، وتمتاز العقاب بخفة جناحها وسرعتها فى الطيران ويمكنها عيّد حمر الوحش، وأجود أصنافها ما يجلب من بلاد المغرب. (مطالع البذور، ج ٢، ص ٢١٢، نهاية الارب، ج ١٠، ص ١٨١-١٨٣).

- العقيقة :

أصل العقيقة الشعر الذى يولد به المولود، ثم سميت الشاة التى جرت العادة بذبحها أثناء خلق ذلك الشعر فى اليوم السابع للولادة عقيقة. (القاضى النعمان، دعائم الإسلام، ج ٢، ص ١٨٧).

- العماريات :

نوع من الهوادج يجلس فيه الأشخاص لسترهم وتحمل غالباً على الجمال ومفردها عمارية بتشديد الميم. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٧، حاشية (١) Dozy, (Supp, Dict. Ar

- عيد الحلل :

كان يطلق في العصر الفاطمي على يد الفطر عيد الحلل، وذلك لتوزيع الكسوات في مناسبه على جميع الناس من الخليفة إلى أدنى موظف في الدولة وعائلاتهم والوافدين على الدولة وغيرهم. (خطط، ج ١، ص ٤٥٢، انعاظ، ج ٣، ص ٨٢، ٨٣).

(غ)

- الغرة :

وهي العملة التي جرت العادة بضرئها في الدولة الفاطمية بمناسبة الاحتفال بغرة السنة الهجرية الجديدة، وكانت توزع بهذه المناسبة على رجال الدولة وأرباب الرتب والوظائف حسب رتبة كل منهم. (صبح، ج ٣، ص ٥٠٥، خطط، ج ١، ص ٤٤٦، ٤٥٠).

- الغلالة :

ما يلبس تحت الثوب من رقيق المنسوجات، واشتهرت مصر بتصناعة المنسوجات البيضاء الرقيقة التي تصنع منها غلائل النساء في العصور الوسطى. (أوراق البردى، ج ٦، ص ٧٣، ٧٤، خطط، ج ١، ص ٤١٠، قاموس اغيط).

- الغبار :

كان المتعارف عليه في العصور الوسطى الإسلامية أن يتميز أهل الذمة عن المسلمين في ملابسهم. وكان اللون المميز لليهود الأصفر. والنصارى الأزرق.

ويشد الرجل منهم الزنار في وسطه، وتشده المرأة فوق أزارها وتلبس المرأة الذمية خفين مختلفي الألوان. (صبح، ج ١٣، ص ٣٦٤، سيرة البيعة المقدسة، لوحة ٥٤).

(ف)

- الفانيد :

نوع من الحلوى التى تدخل فى صناعتها الدقيق والعسل. (Dozy : Supp. (Dict, Ar

- الفستقية :

ضرب من الحلوى كانت تصنع من الدجاج المسلوق الذى يوضع فى ماء الورد المغلى مع السكر ويضاف إليه الفستق المدقوق ويطبخ حتى ينعقد ثم يرفع. (عبد اللطيف البغدادى، الافادة، ص ٤٢).

(ق)

- القاتول :

لقد أطلق على خيمة ضخمة تبلغ مساحتها حوالى فدانين كانت تعرف أيضاً بالثوب الكبير الأفضلى، وقد أطلق عليها القاتول لأنه عند بدء استعمالها فى أيام الوزير الأفضل بن بدر الجمالى تسببت فى قتل رجلين وإصابة جماعة من العمال. (خطط، ج ١، ص ٤٧٠، ٤٧١).

- قاعة الذهب :

أحدى قاعات القصر الكبير الشرقى أضافها الخليفة العزيز بالله إلى القصر وكانت أشبه بقصر مستقل حتى أنها عرفت بقصر الذهب وكان يعمل بها الأسمطة الضخمة فى الأعياد، ونصب بها سرير الملك بعد إنشائها. (خطط، ج ١، ص ٣٦٢، ٣٨٥).

- قبال النعل :

زمام بين الأصع الوسطى والتي تليها. (اتعاظ، ج ٢، ص ١٠١. القاموس المحيط).

- قراء الحضرة :

من الوظائف الدينية في الدولة الفاطمية. وكانت مهمة أفرادها قراءة القرآن في مجلس الخليفة ومصاحبه بالقراءة والتكبير في بعض المناسبات (صبح، ج ٣، ص ٥٢٢).

- الفرقورة :

نوع من السفن الضخمة التي كانت تستخدم في الأسطول الفاطمي لنقل المؤن والعتاد، وهناك نوع يستخدم للتنزه والتفرج على الاحتفالات في النيل وكانت أقل حجماً من المستخدمة في الأسطول. (صبح، ج ٣، ص ٥١٣، خطط، ج ١، ص ٤٧٦).

- القصب :

نوع من المنسوجات الكتانية الرقيقة الناعمة. (ابن سيده، المخصص، ج ٤، ص ٦٤).

- القصر الصغير الغربى :

يعرف أيضاً بقصر البحر، بناه الخليفة العزيز بالله الفاطمي وكان يفصل بينه وبين القصر الكبير الشرقى ميدان بين القصرين. (خطط، ج ١، ص ٤٥٧).

- القصر الكبير الشرقى :

هو مقر سكنى الخلفاء الفاطميين في القاهرة، ووقع جوهر أساسه في نفس الللة التي شرع فيها في بناء القاهرة (شعبان سنة ٣٥٨ هـ - يوليو ٩٦٩ م).

واستمر العمل فيه عدة سنوات حتى تم استقبال الخليفة المعز به فاصح مقر الخلافة حتى نهاية الدولة الفاطمية. (خطط، ج ١، ص ٣٦١، ج ٢، ص ٣١٤)

- القصرية :-

طائفة من الخدم كانت تسهر على خدمة الأميرة ست الملك بنت الخليفة العزيز بالله التي كانت تقيم في القصر الصغير الغربي. (خطط، ج ١، ص ٤٥٧)

- القطائف :-

نوع من الحلوى المنتشرة في العصر الفاطمي وخاصة في شهر رمضان وكانت تصنع من العجين اغشو بالمسك والفسق وغيره من القلوبات ثم يضاف إليها ماء الورد. (ديوان طاهر الخداد، ص ٧، ٨، ٣٢، ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص ٢٦٦، خطط، ج ١، ص ٤٥٢، ٤٩١).

- القنسوة :-

تلبس على الرأس مثل العمامة وهي ما يلاث على الرأس فكويرا. (ابن سيده، المخصص، ج ٤، ص ٨١، ٨٢، قاموس المحيط).

- القميص :-

من الملابس المنتشرة في العصر الفاطمي، وكان يلبس في ذلك الوقت فوق السروال ويصل في الطول حتى منتصف الساقين وله كمان واسعان يصلان إلى المعصم. (أوراق البردي، ج ٦، ص ٧٣، ٧٤، - Dozy : vet, pp, 300 - 302).

(ك)

- كاتب الدست الشريف :-

لقب كان يطلق على صاحب ديوان الإنشاء في الدولة الفاطمية (مسح ج ٣، ص ٥٢٢، خطط ج ١، ص ٤٦٩)

- الكشكاب :

نوع من شراب الفقاع كانت تنتشر صناعته فى المدن الساحلية المصرية ويصنع من دقيق الشعير بوجه خاص. (سفرنامة: ص ٥٤، Dozy: Supp, Dict, Ar).

- الكشك أو الكشكية :

وهو ما هرس من الخنطة أو الشعير حتى ينسلخ قشره ثم يضاف إليه اللبن ثم يشكل كرات صغيرة ويترك ليجف، وكان يطبخ مع اللحم. (الخوارزمى. مفاتيح العلوم، ص ١٠٠، Dozy : Supp, Dict, Ar).

- الكركى وجمعها كراكى :

طائر يشبه الوز، أبيض الذنب، رمادى اللون، قليل اللحم، صلب العظم، يلوى الماء أحياناً. (نهاية الأرب، ج ١٠، ص ١٨٧، صبح، ج ٣، ص ٦٢، ٦٣).

- الكحك :

نوع من الخبز اليابس كان منتشرأ فى العصر الفاطمى، وكان يستخدم كطعام أساسى لرجال الأسطول لامكان تخزينه فترات طويلة دون أن يفسد. (الجوالقى، المغرب، ص ٣٤٥، خطط، ج ١، ص ٤٤).

- الكلاب السلوقية :

تنسب إلى قرية سلوقة باليمن، ويقال أن الكلاب تسفد الذئاب هناك فيتوالد بينهما هذا النوع من الكلاب. (مطالع البدور، ج ٢، ص ٢١١، نهاية الأرب، ج ١٠، ص ١١٠).

- الكلوتة :

جمعها كلاوت وكلوتات، نوع من الطواقي كان يرتديها عليّة القوم وعلى رأسهم الخلفاء، كما كان نوع منها يرتديها بحارة الأسطول فى العصر الفاطمى (ديوان تميم، ص ٣٥٣، خطط، ج ١، ص ٤٧٢).

١ - الكنافة :

نوع من الحلوى كانت منتشرة فى العصر الفاطمى، وكانت تصنع من العجين المخبوز على هيئة خيوط النسيج ثم يضاف إليها ما يناسبها من السكر والقلويات. (ديوان ظافر الحداد، ص ١٣٢، مطالع البدور، ج ٢، ص ٨٤).

(ل)

- اللبينة :

ضرب من الحلوى يدخل فى تكوينها الأرز واللبن والسمن. (الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٣٤).

- اللبیس :

نوع من السمك يشبه البورى وقد أطلق عليه ذلك لأنه التبس به. (مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٢).

(م)

- متولى الأسود :

من أرباب الوظائف فى الدولة الفاطمية، وكان عمله الإشراف على الأسود وتدريبها. (اتعاظ، ج ٢، ص ٤٨).

- متولى صناديق الإنفاق :

كان صاحب هذه الوظيفة يسير فى ركاب الخليفة فى المراكب حاملاً حقيبة من الديباج بها خمسمائة دينار لتكون رهن تصرف الخليفة إذا رغب فى الأنعام أو التصدق على أحد. (خطط، ج ١، ص ٤٨١، ٤٨٤).

- المزر:

نوع من الشراب يتخذ من دقيق القمح بعد تخميره وكان من الأشربة الشعبية وخاصة في الأعياد. (عبد اللطيف البغدادى، الإفادة، ص ٤٣).

- المستخدمات:

لقب كان يطلق على جوارى الخدمة فى القصور الفاطمية، وكان بعضهم يجدن أنواع معينة من الصنائع فكان يطلق عليهن المستخدمات أرباب الصنائع. (خطط، ج ١، ص ٤١١).

- المستخدمات عند الجهات العالبة:

وهن جوارى الخدمة فى القصر الفاطمى اللاتى يخصصن خدمة زوجات الخليفة وحظاياه المقربين. (خطط، ج ١، ص ٤١١).

- المشاهد الشريفة:

وهى بعض مشاهد آل البيت التى كان الناس يتبركون بزيارتها فى المناسبات المختلفة وهى مشهد زين العابدين بن الحسين بن على، ومشهد السيدة نفيسة، ومشهد السيدة كلثوم. (خطط، ج ٢، ص ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٤٢).

- المعلمة مقدمة المائدة:

من وظائف النساء فى الدولة الفاطمية، وهو لقب كان يطلق على المرأة التى تشرف على المائدة الشريفة الخاصة بالخليفة. (خطط، ج ١، ص ٤١١، ٤٢١).

- مقدم البيازرة:

هو رئيس البيازرة والمسئول عن دار الطيور التى كانت تربي فيها الطيور والحيوانات المختلفة المدربة على الصيد، وكان يطلق عليه أيضاً زمام البيازرة. (أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص ١٩٤، ١٩٥، ج ٢، ص ٢٠).

- مقدم الخياطين :

هو رئيس الخياطين في القصر الفاطمي وكان يعرف أيضاً بصاحب المقص.
(صبح. ج ١٠، ص ٣٤٦، خطط، ج ١، ص ٤١٣).

- مقياس النيل :

عمود من الرخام الأبيض مثنى الشكل ينحصر فيه الماء عند انسيابه إليه وهذا العمود مقسم إلى اثنين وعشرين ذراعاً وكل ذراع مقسمة إلى أربعة وعشرين قسمًا تعرف بالأصابع، ما عدا الاثنى عشر ذراعاً الأولى، فإن كل ذراع منها مقسمة إلى ثمان وعشرين أصبعاً. (ابن جبير، الرحلة، ص ٢٩ : ٣٠، وابن دقماق، الانتصار، ج ٤، ص ١١٤، خطط، ج ١، ص ٩٥) وكان النيل يبلغ معدله في الوفاء عندما يبلغ ارتفاع الماء في المقياس ستة عشر ذراعاً. (مخطط، ج ١، ص ٤٦٧).

- الملابس الدارية :

المقصود بها الملابس التي ترتدى داخل القصور أو الدور وهي تختلف عن الملابس التي ترتدى خارجها ببساطتها واتساعها. (صبح، ج ٣، ص ٥١٨، خطط، ج ١، ص ٤١٣، اتعاض، ج ٢، ص ٤٤).

- ملعبة :

ثوب بدون أكمام كان يختص العجانون بارتدائه. (ابن سيدة، المخصص، ج ١٣، ص ١٦، الشيزري، نهاية الرتبة، ص ٢٥).

- المنديل :

مصطلح يحمل العديد من المعاني وله كثير من الأغراض، فهو يحمل معنى قماش العمامة التي تلف حول الرأس. (اتعاض، ج ٣، ص ١٤٨، ٢٤٨) كما كان يستخدم لأغراض مسح اليد والوجه. (الذخائر والتحف، ص ٢٥٩، خطط، ج ١، ص ٤٧١، ٤٧٤). وكان يعنى أحياناً اللفة التي توضع فيها الملابس. (اتعاض، ج ٢، ص ٩، ج ٣، ص ٦٥، Dozy : Supp. Dict. Ar. vet, p, 414).

- منديل الجوهر :

المقصود به عمامة الخليفة الفاطمي وذلك لكثرة ما تحويه من الجواهر الثمينة، كما كان يطلق عليها أيضاً شدة الوقار، أو التاج الشريف. (تاريخ أسى صاخ الأرمني، ص ٣٢، ج ٣، ص ٤٦٨).

- منطرة :

وهي شرفة كان يتطلع منها الخليفة الفاطمي إلى الناس أثناء الاحتفالات المختلفة بحيث يشاهد ما يجري ولا يشاهده أحد في الغالب وأحياناً كان يظهر للناس لينالوا البركة ومن أمثلة تلك المناظر، منطرة الجامع الأزهر. (خطط، ج ١، ص ٤٦٥) وكان بعضها يعد من أجمل القصور وأفخمها مثل منطرة اللؤلؤة. (خطط، ج ١، ص ٤٦٧)، ومنطرة السكرة. (خطط، ج ١، ص ٤٧٠).

(ن)

- الناطف :

نوع من الحلوى يدخل في صناعتها العسل أو السكر بالإضافة إلى الفستق والبندق. (الرازي، منافع الأغذية، ص ٥١، خطط، ج ١، ص ٤٢٢).

- ناظر الطراز :

من وظائف الدولة الفاطمية يشرف صاحبها على توريد المنسوجات من دور الطراز إلى خزائن الكسوة بالقصر، وكان يتمتع بمكانة مرموقة. (خطط، ج ١، ص ٤٦٩).

- النجوى :

كان داعي الدعاة في الدولة الفاطمية يحصل من أنصار المذهب الإسماعيلي على مبلغ من المال ويسجل أسماء من يدفع تلك الأموال ومقدارها وذلك أثناء مجالس الدعوة التي يعقدها للمريدين وكانت تلك الأموال يطلق عليها النجوى ويحدها المقرئ بثلاثة دراهم وثلاث وكانت تحمل إلى بيت المال. (خطط، ج ١، ص ٣٩١، اتعاظ، ج ٣، ص ٣٣٧).

- نقابة الطالبين :

كانت رئاستها تسند إلى أحد شيوخ الأساتذة من غير المحنكين أو أحد الأشراف المميزين أو الشهود المعدلين ويقوم بالنظر في مصالح الأشراف الطالبين. (صبح، ج ٣، ص ٤٨١، ٤٨٢).

- النفاق :

نوع من الطعام كان يصنع بحشو أمعاء الحيوانات المذبوحة باللحم المدقوق مضاف إليه البصل والتوابل. (الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٣٨).

- نقيب الأمراء :

من وظائف أرباب السيوف في الدولة الفاطمية، ومن أبرز مهامهم إمداد ديوان الجيش بأحوال الأجناد من الحياة والموت والغية والحضور لتسجيلها. (صبح، ج ٣، ص ٤٨٨).

- نقيب الأشراف :

من وظائف الأساتذة المحنكين في الدولة الفاطمية وكانت مهمته الإشراف على شئون الأشراف الأقارب أو الإسماعيليين وهم أفراد الأسرة الفاطمية. (صبح، ج ١٠، ص ٣٩٥، ٣٩٦).

- النيدة :

نوع من الأطعمة كانت تصنع من القمح المطبوخ ويلتر عليه الدقيق حتى يتماسك قوامه ويطلق عليها " نيدة البوش "، وهناك نوع آخر تسمى " النيدة المعقودة " يستعاض في صنعها عن الدقيق بالنشا لتزداد حلاوتها، كما تعرف أيضاً بحلاوة القمح. (عمر بن يوسف، فضائل مصر، ص ٦٩، البغدادى، الافادة، ص ٤١، ابن سعيد، النجوم، ص ٥٨).

(٥)

- الهريسة :

نوع من الأطعمة التي كانت منتشرة في العصر الفاطمي، تدخل في صناعته لحوم الحيوانات أو الطيور ودقيق القمح، بالإضافة إلى البصل والتوابل. (الشيزري. نهاية الرتبة، ص ٣٦، مخطوط الوصلة إلى الحبيب. ورقة ١٠٥)

- هريسة الفستق :

نوع من الهريسة كانت تصنع من لحم الدجاج بإضافة الفستق إليه وغالباً ما تكون محلاة. (البغدادى، الافادة، ص ٤٢).

(٥)

- الوردية :

ضرب من الحلوى كانت تصنع من الدجاج المسلوق الذى يوضع فى ماء الورد المغلى مع السكر ويضاف إليه الورد، ويطبخ حتى يتعقد ثم يرفع. (البغدادى، الافادة، ص ٤٢).

- الوزارة الصفرى :

من ألقاب صاحب الباب فى الدولة الفاطمية لأن وظيفته تلى الوزير فى الأهمية. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٩).

- الوزيرية :

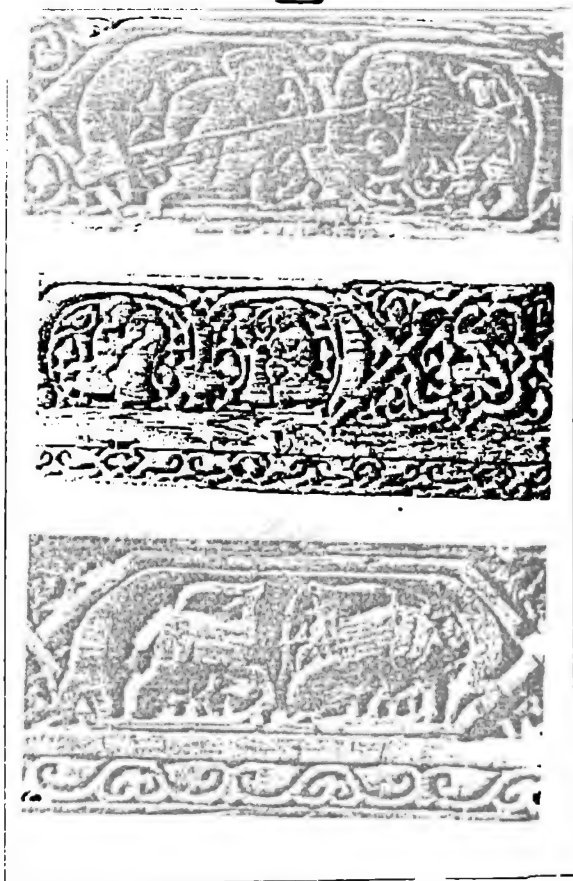
طائفة من الجند الفاطمي تنسب إلى الوزير يعقوب بن كلس. وتكونت نواتها عندما أهدى الخليفة العزيز إلى وزيره سنة ٣٧٤ هـ - ٩٨٤ م ألما وخسمانة غلام. (ابن الصيرفى، الإشارة، ص ٢١، مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٣).



لوحة (١)

حشوة من العاج مزينة برسم رجل وثامعه من العصر القاطمي. وتلاحظ العمدية ذات العقدة. والحة ذات الأكمام الواسعة.

(عن متحف الفن الإسلامي بالقاهرة رقم ٣٨ ١٥٦٢٢)



لوحة (٢)

لوحات خشبية منحوتة من آثار الفتح العربي - فتح العرب بلاد
 اعر - كتاب مساحد الذهبية ومدارسه للدكتور احمد فكري.



لوحة (٢)

حنوة خنبة فاطمية عليها رسوم آدمية في مطر رقص وكذا رسم حيواني
(على كتاب القاهرة في ألف عام)



لوحة (٤)

طبق من الخرف من صناعة مصر في العصر الفاطمي، عليه رسم سيدة تعرف علي
الجيتار ذات الونين

(عن : كتاب القاهرة في ألف عام)



لوحة (٥)

جزء من لوح خشبي من محلات القصر العظمى العربي، نقش عليه داخل
 رسوم شمل عرب على لعمد ورافض أو رافضة
 عن كعب الخربة في الف عام



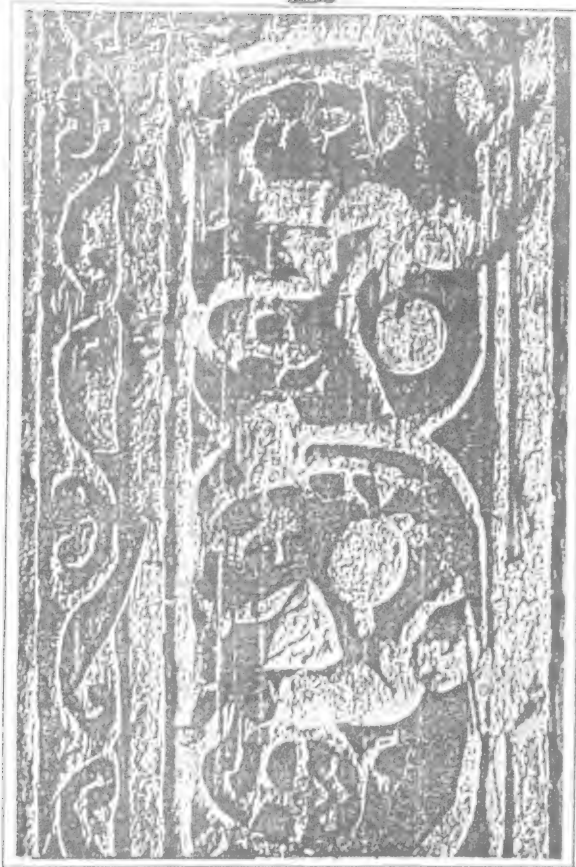
لوحة (٦)

عن من التبريق المعنى من العصر العاطمي عليه رسم رافضة تلابسه التقليدية
لجبرته في القر - ٦ هـ (عن كتاب القاهرة في ألف عام)



لوحة (٧)

فضعة من الخزف العاطمي عليها رسوم آدمية تمثل لعبة التخطيب التي انتشرت في
مصر منذ أقدم العصور



لوحة (٨)

جزء من أختاب القصر الفاطمي العربي نقش عليه داخل الدار رسوم ادمية

تمثل له التخطيب : مبرة عسكرية

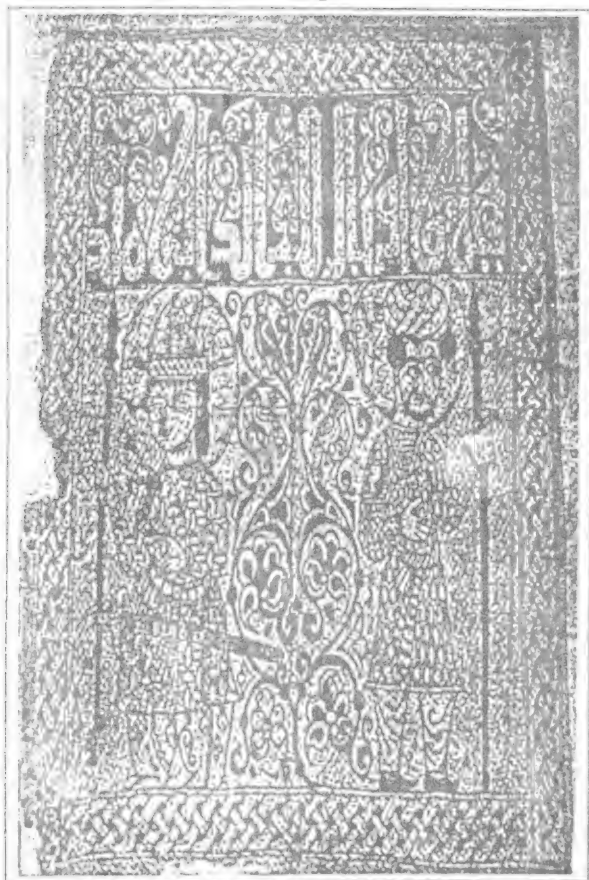
(عن كتاب القاهرة في الف عا)

21 (b)



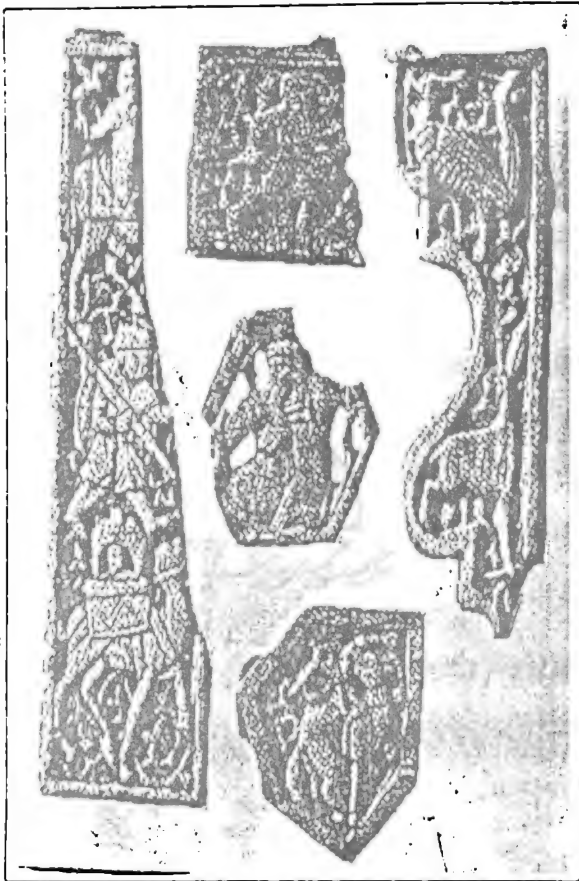
لوحة (٩)

قطعة من طبق تحمل رسم سيدة ثمل كائناً وقارورة من العصر الفاطمي.
 مع ملاحظة هيئة العصاة والنوب ذي الأكماد الواسعة والخلي
 (عن : متحف الفن الإسلامي رقم ١٠٩ ٤٩٨٧)



لوحة (١٠)

رسم ماخوذ على ورق يمثل محاربين من العصر الفاطمي
 رعن متحف الفن الإسلامي رقم ٢٧٣ ١٣٧٠ هـ



لوحة (١١)

قطع من العاج من العصر العاطمي منقوش عليها بين الرحارف البائية

تدراشخاص وحيوانات

عن كتاب تاريخ الدولة الفاطمية للدكتور حسن إبراهيم،

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المخطوطة :

- الأردى (جمال الدين على بن طافر) : ت ٦٢٣ هـ - ١٢٢٦ م
احبار الدول المنقطعة، مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٨٩٠.
- بيرس (الدوادار) : ت ٧٢٥ هـ - ١٣٢٥ م
ريده الفكرة فى تاريخ الحجرة. مخطوط مصور بجمعة القاهرة فى تلمذتين
تحت رقم ٢٤٠٢٦. ٢٤٠٢٨.
- ابن الجوزى (أبو المظفر بن فيزوغلى) : ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٧ م
مرآة الزمان، مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٥٥١ تاريخ، ج ١١.
ج ١٢.
- الحافظ السلفى (أبو طاهر أحمد بن محمد الاعبهانى) : ت ٥٧٦ هـ - ١١٨٠ م
معجم السفر. مخطوط بمكتبة محافظة الإسكندرية رقم ٣٩٣٩ ب.
- الداودارى (أبو بكر بن عبد الله بن ابيك) : (أتم الكتاب سنة ٧٣٢ هـ -
١٣٣١ م)
- درر التيجان وعرر تواريخ الارمان. مخطوط بمكتبة محافظة الاسكندرية رقم
٣٨٢٨ ج
- أبو السرور البكرى (شمس الدين محمد بن حمد) : ت ١٠٦٠ هـ - ١٦٥٠ م

الكواكب السائرة فى أخبار مصر والقاهرة. مخطوط مصور بمكتبة الإسكندرية رقم ٦٨٠١ ج.

- شهاب الدين الحجازى : نيل الرائد من النيل الزائد

مخطوط مصور بمكتبة محافظة الإسكندرية رقم ٣٦٩٨ ب.

- طيوغا الاشرفى : (كان موجود فى النصف الثانى من القرن ٨ هـ)

الجهاد والقروسية وفنون الآداب الحربية. مخطوط بمكتبة محافظة الإسكندرية رقم ١٢٠١ ب فنون حربية.

- أبو العباس أحمد بن محمد الشافعى : ت ٩٣١ هـ ١٥٢٤ م

الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد، مخطوط بمكتبة الإسكندرية رقم ٢٥٩١ د.

- العيى (بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى) : ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م

عقد الجمال فى تاريخ أهل الزمان، مخطوط مصور بدار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ ٢ ج ١٩.

- القضاى (القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة) ت ٤٠٤ هـ ١٠٦٢ د

تاريخ القضاى، مخطوط مصور بمكتبة محافظة الإسكندرية رقم ٦٨٠١ ج.

عيون المعارف وفنون أخبار الخلافة.. مخطوط بدار الكتاب رقم ١٧٧٩

- مرعى بن يوسف بن أبى بكر : ت ١٠٣٣ هـ ١٦٢٣ د

مخطوط نزهه الناظرين فىمن ولى مصر من خلفاء والسلطين، نسخة خطية بمكتبة محافظة الإسكندرية رقم ١٤١٦ ج.

- مجهول :

شرح اللمعة من أخبار المعز، نسخة مصورة بجامعة القاهرة، رقم ٢٤٠٢٢.
 فى التاريخ، نسخة خطية بمكتبة محافظة الإسكندرية رقم ٤٠٣٢ د.
 الوصلة إلى الحبيب فى وصف الطيبات والطيب. دار الكتب رقم ٧٤
 صناعات.

- ميخائيل (الأنبا) :

ذيل سير الآباء البطارقة، الجزء الثالث. مخطوط مصور بدار الكتب رقم
 ٦٤٣٤ ح.

- النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) : ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م

نهاية الأرب فى فنون الادب، مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٥٤٩
 معارف عامة، ج ٢٦.

- النويرى السكندرى (محمد بن قاسم بن محمد المالكى) : عاش فى القرن الثامن
 الهجرى

الإمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام القضائية فى وقعة الإسكندرية مخطوط
 مصور بكلية الآداب بالإسكندرية رقم ٦٦٧ م (نسخة برلين).

ثانياً : المصادر العربية :

- ابن الأثير (أبو الحسن على بن محمد الجزرى) : ت ٦٣٠ هـ / ١٣٣٢ م.

الكامل فى التاريخ، ١٢ جزء، القاهرة، ١٣٠٣ هـ.

ابن الأخوة (محمد بن محمد بن أحمد) : ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م

معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق الدكتور محمد محمود شعبان، القاهرة، ١٩٧٦.

- الأدفوى (أبو الفضل جمال الدين جعفر بن ثعلب) : ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م
الطالع السعيد الخانع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، القاهرة، ١٩٦٦ م.

- الأزدي (جمال الدين علي بن طاهر) : ت ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م
بدائع الدانة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٧٠ م.

- ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد) : ت ٦٦٧ هـ / ١٢٧٠ م
عيون الأنباء في طبقات الأطباء، جزءان، القاهرة، ١٢٩٩ هـ.
- الأنطاكي (داود) : ت ١٠٠٨ هـ / ١٥٩٩ م

تذكرة أولى الألباب والخامع للعجب العجائب، القاهرة، ١٩٢٦ م.

- الأنطاكي (يحيى بن سعيد) : ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م
صلة كتاب سعيد بن بطريق المسمى التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت، ١٩٠٩.

- ابن الأكفاني (محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري) : ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م
نخب الذخائر في أحوال الجواهر، تحقيق مانسباس ماري، القاهرة، ١٩٣٩ م.

- ابن أناس (أبو البركات محمد بن أحمد) : ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م
بدائع الزهور في وقائع الدهور، ٣ أجزاء، بولاق، ١٣١١ هـ.

- البغدادى (موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف) : ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ د
- الإفادة والإعتبار فى الأمور المشاهدة وأحوادث المعاينة بأرض مصر،
القاهرة، ١٣٤٨ هـ.
- ابن بسام (محمد بن أحمد)
- أنيس المجلس فى أخبار تنيس، تحقيق دكتور جمال الدين الشيال، بغداد،
١٩٦٧.
- البكرى (أبو عبد الله بن عبد العزيز) : ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٧ د
- المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب، الجزائر، ١٩١١.
- بنيامين (ابن يونه التيطلى الأندلسى) : ت فى النصف الثانى من القرن السادس
- رحلة بنيامين (٥٦١ - ٥٦٩ هـ) ترجمة وتحقيق عزرا حداد، بغداد،
١٩٤٥.
- ابن البيطار (ضياء الدين أبو محمد عبد الله الأندلسى) : ت ٦٤٦ هـ /
- ١٢٤٨ م
- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، بولاق، ١٢٩١ هـ.
- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن بن يوسف) : ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٥ م
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ١٩٦٣ م.
- تميم (أبو على بن المعز لدين الله) : ت ٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م
- ديوان تميم، القاهرة، ١٩٥٨ م.
- النيفاشى (أحمد بن يوسف) : ت ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ د

أزهار الأفكار في جواهر الأحجار. تحقيق دكتور محمد يوسف حسن.
القاهرة، ١٩٧٧م.

- الثعالبي (أبو منصور بن الملك بن محمد) : ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ د
بيتمة الدهر، ج ١، بيروت، ١٩٧١م.

- ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد) : ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م
رحلة ابن جبير، بيروت، ١٩٦٤م.

- جروهمان (أدولف)

أوراق البردى العربية. ٦ أجزاء، القاهرة ١٩٣٤م - ١٩٧٤م.

- الجواليقي (موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر) ت : ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م
المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر.
القاهرة، ١٩٦٩م.

- ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني) : ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م
رفع الإصر عن قضاة مصر، القاهرة، ١٩٥٧م.

- ابن حجلة (شهاب الدين بن العباسي أحمد بن يحيى) : القرن ٨ هـ
سكر دان السلطان، القاهرة، ١٣١٧ هـ.

- الحداد (أبو منصور ظافر بن القاسم السكندري) : ت ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ د
ديوان ظافر الحداد، تحقيق دكتور حسين نصار، القاهرة، ١٩٦٩م.

- أبو الحسن بن عبد الله (من علماء القرن ٧ هـ)

بلغة الظرفاء في ذكر تاريخ الخلفاء. القاهرة، ١٣٢٧ هـ.

- ابن حماد (القاضى أبو عبد الله محمد بن على)

أخبار ملوك بن عبيد وسيرتهم، الجزائر، ١٣٤٦ هـ.

- ابن حوقل (أبو القاسم محمد البغدادى) ت : ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م

صورة الأرض، ليدن، ١٩٣٨.

- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد) : ت ٦٨١ هـ / ١٢٨١ م

وفيات الأعيان، جزءان، بولاق، ١٣١٠ هـ.

- الخوارزمى

مفاتيح العلوم، القاهرة، ١٣٤٢.

- الداودارى (أبو بكر بن عبد الله بن أليك) : من علماء أواسط القرن ٨ هـ

الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق دكتور صلاح الدين المنجد.

القاهرة، ١٩٦١ م.

- ابن دقماق (إبراهيم بن محمد المصرى) : ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م

الانتصار بواسطة عقد الأمصار، ج ٤، ج ٥، بولاق، ١٣٠٩.

- الدمشقى (أبو الفضل جعفر بن على) : القرن ٦ هـ.

الإشارة إلى محاسن التجارة، القاهرة، ١٣١٨ هـ.

- الرازى (أبو بكر محمد بن زكريا) : ت ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م.

منافع الأغذية ودفع مضارها، القاهرة، ١٣٠٥ م.

- ابن الراهب (أبو شاكر بطرس) : ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م

تاريخ أبى شاكر، بيروت، ١٩٠٣.

- ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر) : أوائل القرن الرابع الهجري
 الأعلام النفيسة، مجلد ٧ من المكتبة الجغرافية. ليدن، ١٨٩٢م.
- ابن الزبير (القاضي الرشيد)، كان معاصراً للشدة العظمى سنة (٤٥٧ - ٤٦٤هـ)
- الذخائر والتحف تحقيق محمد حميد الله، الكويت، ١٩٥٩م.
- السجلات المستنصرية
- تحقيق دكتور عبد المنعم ماجد، القاهرة، ١٩٥٤م.
- ابن سعيد (أبو الحسن علي الأندلسي وآخرون) : ت ٦٨٥ هـ / ١٢٧٤م
 النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق دكتور حسين نصار،
 القاهرة، ١٩٧٠م.
- المغرب في حلى المغرب (القسم الخاص بالفسطاط) تحقيق دكتور زكي
 محمد حسن، القاهرة، ١٩٥٣م.
- ابن سيدة (أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي) : ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ د
 المخصص، ٢٠ جزء، بولاق، ١٣١٦ هـ
- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر جلال) : ت ٩١١، ١٥٠٥م.
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، جزءان، القاهرة، ١٣٢١ هـ.
- تاريخ الخلفاء أمراء المسلمين، القاهرة، ١٩٥٢م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جزءان، تحقيق محيي الدين عبد
 الحميد، القاهرة، ١٩٦٤م

- الشابشتي (أبو الحسن علي بن محمد) : ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٧ م

كتاب الدايارات، تحقيق كوركيس عواد، بغداد، ١٩٥١ م.

- ابن شاعر (محمد الكشي) : ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م

فوات الوفيات، تحقيق دكتور إحسان عباس، ٤ مجلدات. بيروت. ١٩٧٣ م.

- أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل) : ت ٦٦٥ هـ / ١١٤٧ م

الورضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق دكتور محمد حلمي، القاهرة، ١٩٦٢ م.

- أبو شجاع (محمد بن الحسين بن عبد الله) : ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م

ذيل تجارب الأمم، القاهرة، ١٩٢٣ م.

- ابن شداد (بهاء الدين أبو المحاسن) : ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق دكتور جمال الدين الشيال. القاهرة، ١٩٦٤ م.

- الشهرستاني (محمد عبد الكريم بن أحمد) : ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م

كتاب الملل والنحل، القاهرة، ١٩٧٧ م.

- الشيزري (عبد الرحمن بن نصر) : ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م.

نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق الدكتور الباز العريضي، القاهرة. ١٩٤٦ م.

- أبو صاخ الأزمني : ت ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م

تاريخ أنى صاخ المعروف بكتاب كنائس وأديرة مصر. اكسفورد.
١٨٩٥م.

- أبو الصلت (أمية بن عبد العزيز الأندلسي) : ت ٥٢٨ هـ / ١١٣٢ م
الرسالة المصرية، تحقيق عبد السلام هارون. سلسلة نواذر المخطوطات.
مجلد ١، القاهرة، ١٩٧٣م.

- ابن الصوفي (أبو القاسم علي بن منجب) : ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م
الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق عبد الله مخلص. القاهرة، ١٩٢٤م.
- الطرطوشي (أبو بكر محمد بن الوليد الأندلسي) : ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م
سراج الملوك، القاهرة، ١٣١١ هـ.

- ابن ظهيرة : عاش في القرن التاسع الهجري
الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة،
١٩٦٩م.

- ابن عبد ربه (شهاب الدين أحمد) : ت ٣٤٩ هـ / ٩٤٠ م
العقد الفريد (كتاب الطعام). بيروت، ١٩٥٤م.

- أبو عبد الله الحسن بن الحسين (معاشر للعزيز والحاكم)
كتاب البيزرة. تحقيق محمد كرد علي. دمشق، ١٩٥٣م.

- ابن عذارى (أبو عبد الله محمد المراكشي) : ت أواخر القرن ٧ هـ
البيان المغرب في أخبار المغرب، جزآن، بيروت، ١٩٥٠م.

- العماد الأصفهانى (محمد بن عبد الله بن علي) : ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م

خريدة القصر وجريدة العصر. قسم شعراء مصر. جزءان. القاهرة.
١٩٥١.

قسم شعراء المغرب. تونس، ١٩٦٦.

-عمارة اليمنى (أبو محمد عمارة بن أبي الحسن على الملقب بنجم الدين) ت
٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م

النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية. شالون. ١٨٩٧ م.

-العمرى (ابن فضل الله شهاب الدين أبو العباس أحمد) : ت ٧٤٩ هـ
١٣٤٨ م

مسالك الأبصار، ج ١، تحقيق دكتور أحمد زكى. ١٩٢٤ م.

-الغزولى (علاء الدين على بن عبد الله البهاني) : ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م

مطالع البدور فى منازل السرور، جزءان، القاهرة. ١٢٩٩ - ١٣٠٠ هـ.

-ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى) : ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م
عيون الأخبار، ٤ أجزاء. القاهرة. ١٩٧٣ م.

-القلقشندي (أبو العباس أحمد) : ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م

صح الأعشى فى صناعة الإنشاء، ١٤ جزء، القاهرة. ١٩٦٣ م.

مآثر الانفاة فى معالم الخلافة، ٣ أجزاء، تحقيق عبد السلام فراج، الكويت.
١٩٦٤ م.

-القفطى (جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف) : ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م

إخبار العلماء بأخبار الحكماء، لبيزج. ١٩٠٣ م.

أنباء الرواة على أنباء النحاة، ٤ أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٠ - ١٩٥٥ م.

- ابن القلانسي (أبو يعلى حمزة) : ت ٥٥٥ / ١١٦٠ م.

ذيل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨ م.

- ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبي الفدا) : ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م.

البداية والنهاية فى التاريخ، ١٤ جزء، القاهرة، ١٩٥٧ م.

- الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف) : ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م.

كتاب الولاة والقضاة والذيل، بيروت، ١٩٠٨ م.

- ابن الكندى (عمر بن محمد بن يوسف) : ت فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى

فضائل مصر، تحقيق دكتور إبراهيم العدوى، ١٩٧١ م.

- مجموعة الوثائق الفاطمية

تحقيق دكتور جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٦٥ م.

- مجهول : أحد رهبان دير السيدة بزموس

الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة، جزءان، القاهرة، ١٩٢٣ م.

- المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد) : ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٧ م.

أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن، ١٩٠٦ م.

- المقرئى (نقى الدين أحمد بن على) : ت ٨٤٥ / ١٤٤١ هـ.

المراعى والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جزءان، بولاق، ١٢٧٠ هـ.

اتعاظ الحنفية بأخبار الانمة الفاطميين الخلفاء، ج ١، تحقيق دكتور جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٦٧، ج ٢، ج ٣، تحقيق دكتور محمد حنسى، القاهرة، ١٩٧١، ١٩٧٣ م.

إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق دكتور جمال الدين الشيال، ١٩٥٧

-المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على) : ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م
مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محيى الدين عبد الحميد، ٤ أجزاء، القاهرة، ١٩٥٨ م.

-ابن منقذ (أسامة) : ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م

كتاب الاعتبار، تحقيق فيليب حتى، الولايات المتحدة، ١٩٣٠ م.

-المؤيد فى الدين (هبة الله بن موسى بن داود الشيرازى) : ت ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م

سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة، تحقيق دكتور محمد كامل حسين، القاهرة، ١٩٤٩ م.

المجالس المؤيدية، تحقيق دكتور محمد عبد القادر، القاهرة، ١٩٧٥ م.

-ابن ميسر (محمد بن على بن يوسف بن جلب) : ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م
تاريخ مصر، القاهرة، ١٩١٩ م.

-ناصر (خسرو علوى) : ت ٤٨١ هـ / ١١٨٨ م

سفرنامه، ترجمة دكتور محيى الحشاش، القاهرة، ١٩٤٥ م.

-النعمان (القاضى أبو حنيفة بن محمد بن حيون المغربى) : ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م

افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوى. تونس. ١٩٧٥م.

اخلاص والمسائرات، مطبوعات الجامعة التونسية. تونس. ١٩٧٨م.

دعائم الإسلام، جزءان، تحقيق. آصف بن على أصغر، القاهرة. ١٩٦٥م.

-النورى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) : ت ٧٣٢ هـ ١٣٣٢ م

نهاية الأرب فى فنون الأدب، الأجزاء المطبوعة (١٩٣٤ - ١٩٧٨)

-الهمذانى (أبو بكر أحمد بن إبراهيم)

مختصر كتاب البلدان، ليدن، ١٨٨٥ م.

-ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى) : ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م

معجم الأدباء، ٢٠ جزء، القاهرة، ١٩٣٨ م.

معجم البلدان، القاهرة، ١٩٠٦، بيروت ١٩٥٥م.

ثالثاً : المراجع الحديثة :

-الأعظمى (الأستاذ محمد حسن)

أحقاق الخفية عن الشيعة الفاطمية والإثنى عشرية، القاهرة. ١٩٧٠م.

-أمين (دكتور أحمد)

صحى الإسلام، القاهرة. ١٩٧٤م.

-الأهوانى (دكتور أحمد فزاد)

التربية فى الإسلام، القاهرة. ١٩٦٨م.

-الاشا (دكتور حسن)

ضف من الحزف باسم غين. مقال بمجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة. مايو ١٩٥٦ (ص ٧١ - ٨٥).

القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها، القاهرة. ١٩٧٠ م.

-بدوى (دكتور احمد)

ديوان طلائع بن رزبك، القاهرة، ١٩٥٨ م.

-البراوى (دكتور راشد)

حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين، القاهرة. ١٩٤٨ م.

-بهجت (الأستاذ على)

صناعات النسيج فى مصر فى العصور الوسطى، مقال بمجلة المعهد الفرنسى، القاهرة، ١٩٠٣ م.

-جمال محمر

منارل الفسطاط كما تكشف عنها حفائر الفسطاط. مقال فى كتاب أبحاث الدولة الدولية لتاريخ القاهرة، ج ٢. القاهرة. ١٩٧٠ م.

-الجندى (الأستاذ عبد الخليم)

الإمام الشافعى، القاهرة، ١٩٧٧ م.

-حسن (دكتور ابراهيم حسن)

تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة. ١٩٥٨ م.

-كنوز الفاطميين، القاهرة، ١٩٤٨ م.

-حسين (دكتور محمد كامل)

فى أدب مصر الفاطمية. القاهرة. ١٩٦٣م.

-حماده (الأستاذ ابراهيم)

خيال الظل وتمثيلات ابن دانيال. القاهرة. ١٩٦٣م.

-خليفة (الأستاذ سيد محمد)

تاريخ المسوحات. القاهرة. ١٩٦١م.

دليل متحف الفن الإسلامى. القاهرة. ١٩٥٢م.

-زكى (الدكتور عبد الرحمن)

القاهرة : تاريخها وآثارها، القاهرة، ١٩٦٦م.

الجيش المصرى فى العصر الإسلامى، ج ١، القاهرة، ١٩٧٠م.

امتداد القاهرة من عصر الفاطميين إلى عصر المماليك، مقال فى كتاب

أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ج ٢، القاهرة. ١٩٧١م.

-سالم (دكتور حلمى محمد)

حرف وصناعات الأطعمة والأشربة فى مصر فى العصر المملوكى. رسالة

دكتوراه لم تنشر. كلية آداب الإسكندرية. ١٩٧٠م.

-سالم (دكتور السيد عبد العزيز)

تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى، الإسكندرية، ١٩٦١م.

تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس، بيروت، ١٩٦٢م.

-سرور (دكتور محمد جمال الدين)

مصر فى عصر الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٦٥م.

- الشيال (دكتور جمال الدين)

أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي. القاهرة. ١٩٦٥م.

- عبده (دكتور قاسم)

أهل الذمة في مصر العصور الوسطى. القاهرة. ١٩٧٧م.

- عطية (الأستاذ عبد المجيد)

تيم بن المعز. تونس. ١٩٧٧م.

- عمان (الأستاذ محمد عبد الله)

الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية. القاهرة، ١٩٥٩م.

- فكري (دكتور أحمد)

مساجد القاهرة مدارسها، جزاءن، القاهرة، ١٩٦٥، ١٩٦٩م.

- كريويل

قصة تأسيس القاهرة، ترجمة د. عبد الرحمن فهمي، مقال في كتاب أبحاث

الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ج ٢، القاهرة، ١٩٧١م.

- ماير

الملابس المملوكية، ترجمة صاخ الشيتي. القاهرة. ١٩٧٢م.

- فاجد (دكتور عبد المنعم)

نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، جزاءن. القاهرة، ١٩٥٣، ١٩٥٥م.

الأعياد الفاطمية، مقال بمجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد. اخلد ٢

١٩٥٤م. (ص ٢٥٣ - ٢٥٧).

تاريخ الحضارة الإسلامية. القاهرة. ١٩٦٣م.

-مرزوق (دكتور محمد عبد العزيز)

الزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطمية. القاهرة. ١٩٤٢م.

-المناوى (دكتور محمد حمدى)

الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى. القاهرة. ١٩٧٠م.

-ندا (الدكتور طه)

الأعياد الفارسية فى العالم الإسلامى، مقال بمجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية، المجلد ١٧، سنة ١٩٦٣، ص ٧ - ١١.

-نصار (دكتور حسين)

ظافر الحداد، القاهرة: ١٩٧٥م.

-وزارة الثقافة

معرض الفن الإسلامى فى مصر (من ٩٦٩ م - ١١٥٧ م)، القاهرة: ١٩٦٩م.

-يوسف (عبد الرؤف)

الرسوم الآدمية، مجلة المجلة، العدد ٢١، سبتمبر، ١٩٥٨م.

رابعاً : المراجع الأجنبية :

Dozy (R.) :

- Dictionnaire detaille nome des Velements chez
Lez Arabes. Amesterdam 1845.
- Supplement aux Dictionnaires Arabes.
Leyden 1887.

Fischel (Walter) :

- **Jews in the economic and political life of Mediecal Islam - London 1968.**

Heyd (W.) :

- **Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, 2 vols, Leipzig 1923.**

Lane - Poole (Stanely) :

- **A history of Egypt in the middle agos. London 1901.**

Mann (J.) :

- **The Jews in Egypt and Palestine under the Fatimid Caliphs, 2 Vols, Oxford 1920 - 1922.**

Margoliouth :

- **Cairo, Jerusalem and Damascus.**
- **Oxford, 1907.**

Migeon :

- **Manuel d'Art Musulman, 2 Vols, Paris 1927.**

O'Leary De Lecy :

- **A Short history of the Fatimid Khalifate, London, 1923.**

Wiet (Gaston):

- **Album du Musee Arabe du Cairo, Cairo 1930.**

Barkley , R.A., (1990) , " **Attention - Deficit Hyperactivity disorder : A Handbook for Diagnosis and Treatment** ". The Guilford Press , New York ., 398-409 .

Bateman , B., (1964) , " Learning Disabilities - yesterday , Today and Tomorrow " **Exceptional Children** , 31, 167 - 177 .

Becker , R.D., (1976) , " The Neurology of childhood Learning disorders . The minimal brain dysfunction syndrom re- examined", **Therapeutic Education** ., 4 : 20 -31.

Benton , A.L.,(1959) " **Right - Left discrimination and Finger Localization** " , New York : Hoeber - Harper .

Block , G.H., (1977) " **Hyperactivity : A Cultural perspective** " , **Journal of Learning Disabilities**, 10, 236-240 .

Burg , C., Rapoport , J.L., Bartley , L.S., Quinn , P.O. & Timmins , P., (1980) , " Newborn minor physical anomalies and problem behavior at age three " **American Journal of Psychiatry**, 1980.

Carey , W.B.& Mc Devitt , S.C. and Baker , D., (1980), " Differentiation minimal brain dysfunction and Temperament". **Annual Progress in child psychiatric & child developement** , 265-270.

Carlson , L.C. (1985) ," Direct Assesement of the Cognitive correlates Attention Deficit Disorder with and without Hyperactivity", **D.A.I.**, Vol 45, No. 09 March , 3064- B.

Carlson , N.R. (1988) ," **Foundations of Phsiological Psychology**", London , Ally & Bacon .

Catharine , J. R. & David , S.H.& Raymond , H.S., and Marjorie , E.W., (1988), " The Effects of revision strategy Instruction on the writing Performance of students with learning disabilities".**Journal of Learning Disabilities**, November, Volume 21, Number 9, 540-545 .

Chalfant , J.C., & Scheffelin , M.A.(1969), " **Central Prolessing dysfunctions in children: A review of research** " **NINDS Monographs** No. 9, Bethesda , Md. U.S Department of Health ,

Christopher , A.K. and Ronald , S. D., (1993) , " The write-say Method for Improving Spelling Accuracy in children with learning disabilities ", **Journal of learning disabilities** , Volume 26 , Number 1, January, 52-56.

Clements, S.D., (1966), " **Minimal Brain dysfunction in children .**" , NINDB Monograph No. 3. Washington , D.C. : U.S. Department of Helth , Education and welfare .

Conners , C.K. , (1980), " **Food additives and hyperactive children.**" , New York : Plenum .

Cravioto, J.& Delicardie , E., (1975), " Environmental and nutritional deprivation in children with learning disabilities ", In Cruickshan , W.M., & Hallahan , D.P., (Eds), " **Psychoeducational Practices : Perceptual and learning disabilities in children** ". Volume 2 : Research and theory . Syracuse , N.Y. : syracuse University Press.

Critchley , M, (1964) , " **Development dyslexia**", London : william Heinemann.

Critchley, M., (1970) ." The dyslexic child". (2nd ed), London : Heinemann Medical Books .

Cross Type K- 5 , " Elektromet " , Co-operative 70 - 347 Szein , Ul. Bol. Smialego 34. Poland , (1981) .

Decker, S.N. & Defries , J.C., (1980) ," Cognitive abilities in Families of reading disabled children ", **Journal of Learning Disabilities** , 1980, 13(9) , 517-522.

Defries , J.C. & Decker , S.N., (1982) , " Genetic aspects of reading disability : A family study ". In Malatesha, R.N. & Aaron, P.g., (Eds), "**Reading disorders : Varieties and treatments**" , New York : Academic press .

Denson , R., Nanson , J.L., & Mcwatters , M.A.,(1975), "**Hyperkinesis and maternal smoking** ". Canadian Psychiatric Association Journal , 1975, 20, 183 - 187 .

Dowhower, S.L. : Repeated Reading : Research into Practice, **Reading Teacher**, March, 1989, PP. 502-

Dunn, H.G., Mc Burney A.K., Ingram , S. & Hunter , C.M., 1977, "Maternal cigarette smoking during pregnancy and the child's subsequent development : II. Neurological and intellectual maturation to the age of 6¹/₂ years ", **Canadian Journal of Public Health**, 1977, 68, 43-50.

Eisenberg, L., (1966), " Reading retardation : I. Psychiatric and sociologic aspects ", **Pediatrics** , 1966, 37,352-365.

ELwall, Eldon : **Locating and Coorrecting Reading Difficulties**. Columbus, Ohio, Charles E. Merrill Publishing Company 2 nd ed., 1977 .

Eric , W.T. & Lewayne , G & Roland , D.M. and Gayle , F.(1979), "Social Skills Training for learning - Disabled children " . , In , Hamerlynck , L.A., (1979), "**Behavioral Systems for the Developmentally disabled : II Institutional , Chlinical and Community Environments**." Brunner / Mazel , Publishers, New York. 144- 158 .

Feingold , B.F., (1977), " Behavioral disturbances linked to the ingestion of food additives." **Delaware Medical Journal**, 1977, 49,89-94.

Fernald , G.M.,(1943), " Remedial techniques in basic school subjects ", New York : McGraw - Hill , 1943 .

Finucci, J.M., Guthrie , J.T., Childs , A.L., Abbey , H. & Childs , B.,(1976), " The genetics of specific reading disability"., **Annals of Human Genetics** , 1976, 40, 1-23 .

Frank , J. & Levinson , H., (1973), " Dysmetric dyslexia and dyspraxia , Hypothesis and study : , **Journal of the American Academy of child psychiatry** , 1973, 12, 690 - 701.

Gardner , R.A. & Gardner , A . K. & Caemmerer, A. and Broman , M., (1979) ," An Instrument for measuring hyperactivity and other signs of MBD" , **Journal of clinical child psychology**, 1979. Fal ., Vol. 8 (3) , 173-179 .

Gearherart , B., (1973), "**Learning disabilities : Educational strategies** " , st. Louis , Mo. : C.V. Mosby .

Gillberg , C. & Frisk , M. & Carlstrom , G., and Rasmussen , P., (1981) , " Complex reation Times ", in **So-Called minimal brain dysfunction** ", **Acta**

aedopsychiatria , 1981, Dec., Vol. 47 (5) , 245 - 252.

Gillberg , C. & Rasmussen P. (1982) , " Perceptual , motor and attentional deficits in seven - years - old children : Background factors.", **Developmental- Medicine & child - Neurology** , 1982, Dec., Vol 24 (6). 752-770.

Goldstein , K.,(1948), " **Language and Language disturbances : Aphasic symptom Complexes and their significance for medicine and theory of Lanaguage** " . New York : Grune & Straton .

Graham, S. & Miller , L.,(1980). " Handwriting research and Practice : A Unified approach.", **Focus on Exceptional children**, 1980, 13 (2) , 1-16 .

Greenberg, G., Horn,W.F , Lalongo, N., and Packard, T. (1990) , "Additive effects of behavioral parent training and self - control therapy with attention deficit hyperactivity disordered children " , **Journal of clinical child psychology**, vol.19 (2) , 98 - 110 .

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحات
المقدمة	٤-١
الباب الأول: طبقات المجتمع المصري في العصر الفاطمي	١١٧-٥
مدخل	٥
الفصل الأول : طبقة الخاصة	٥٩-١٠
أولاً : الأسرة الحاكمة	١١
ثانياً : الأشراف	٢٣
ثالثاً : أرباب الوظائف	٢٨
١ - الوزراء	٢٩
٢ - أرباب السيوف	٣٤
٣ - أرباب الأقالام	٤١
٤ - أرباب الصنائع بالقصر	٤٧
٥ - أرباب الوظائف الدينية	٤٩
الفصل الثاني : طبقة العامة	٨٦-٦٠
مدخل	٦١
أولاً : التجار	٦٦
ثانياً : أصحاب الصنائع والحرف	٧٠
ثالثاً : العامة : حياتهم وعلاقاتهم بالدولة	٧٣
رابعاً : العبيد	٨٢
الفصل الثالث : أهل الذمة في مجتمع مصر الفاطمية	١٠٨-٨٧
الفصل الرابع : المرأة في اجتماع الفاطمي	١١٧-١٠٩

الباب الثاني : الأعياد والاحتفالات ووسائل اللهو والتسلية ١١٨-٢٣٩

١١٩	مدخل
١٤٩-١٢٢	الفصل الأول : الأعياد الدينية الإسلامية العامة
١٢٣	١ - رأس السنة الهجرية
١٢٦	٢ - الاحتفال بالمولد النبوى
١٢٨	٣ - احتفالات ليالى الوقود
١٣٣	٤ - الاحتفال بشهر رمضان
١٣٩	٥ - عيد الفطر
١٤٦	٦ - عيد الأضحى
١٦٥-١٥٠	الفصل الثانى : الأعياد والاحتفالات الشيعية الخاصة
١٥٢	١ - الاحتفال بذكرى مقتل الحسين
١٥٦	٢ - عيد الغدير
١٦٠	٣ - الاحتفال بمولد الأجداد والخليفة الحاضر
١٦١	٤ - عيد النصر
١٦٤	٥ - الاحتفال بتنصيب ولى العهد
١٨٢-١٦٦	الفصل الثالث : الأعياد والاحتفالات القبطية
١٦٨	١ - عيد النوروز
١٧٢	٢ - عيد الغطاس
١٧٧	٣ - خميس العهد
١٧٨	٤ - عيد الميلاد
١٧٩	٥ - عيد الصليب
١٨٠	٦ - عيد الشهيد
١٨٢	٧ - عيد الزيتونة

الفصل الرابع . الاحتفالات القومية والأسرية ١٨٣-٢١٤

١ - الاحتفال بتخليق عمود المقياس وفتح الخليج ١٨٣

٢ - احتفالات الزواج ١٩٣

٣ - الاحتفال بالمولود ١٩٩

٤ - الاحتفال باختان ٢٠٢

٥ - المآتم ٢٠٥

الفصل الخامس : اللهو والطرب ووسائل التسلية فى المجتمع ٢١٥-٢٣٩

أولاً : الغناء والموسيقى ٢١٥

ثانياً : الألعاب ووسائل التسلية : ٢٢٥

١ - النرد والشطرنج ٢٢٥

٢ - الملاهى والألعاب ٢٢٦

٣ - خيال الظل ٢٢٨

ثالثاً : الصيد والقتص ٢٣٢

الباب الثالث : الطعام والشراب والملابس فى العصر الفاطمى ٢٤٠-٣٠٥

الفصل الأول : الطعام والشراب ٢٤٠-٢٧٥

مدخل ٢٤١

أولاً : الخبوز والبقول ٢٤٢

ثانياً : اللحوم ٢٤٨

ثالثاً : الألبان ومنتجاتها ٢٥٧

رابعاً : الأسماك ٢٥٨

خامساً : الحلوى والفاكهة ٢٦١

سادساً : الشراب ٢٧٠

٣٠٥-٢٧٦	الفصل الثاني : الملابس في العصر الفاطمي
٢٧٧	١ - ازدهار صناعة النسيج والاهتمام بالملابس
٢٨٤	٢ - ملابس الخلفاء
٢٩٤	٣ - ملابس الوزراء والأمراء والحاشية
٢٩٨	٤ - ملابس القضاة ورجال الدين
٣٠٠	٥ - ملابس النساء
٣٠٢	٦ - ملابس العامة
٣٠٦	الخاتمة
٣٧٥-٣٠٨	فهارس الكتاب
٣٠٩	أولاً: الأعلام
٣٢١	ثانياً: الأماكن والمواضع والبلدان
٣٢٥	ثالثاً: المصطلحات وأسماء الدواوين
٣٢٧	رابعاً: القبائل والجماعات
٣٣١	خامساً: كشف مفسر لأهم مصطلحات الكتاب
٣٦٥	سادساً: اللوحات
٣٧٦	المصادر والمراجع

بسم الله

